

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

كتاب الألفاظ

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

الجزء العاشر

المطبعة

طبعة دار الكتب المصرية

١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

بيان

بمجد الله وحسن توفيقه ، وفي عهد مليكنا المعظم نصير العلم ورافع مناره ، وحامل لواء الأدب وحامي ذماره ، حضرة صاحب الجلالة "فاروق الأول" أدام الله على البلاد ظله ، وأعلى بعنايته العلم وأهله ، تم هذا الجزء بعد مقابلته بأصوله المخطوطة والمطبوعة ، وبعد تصحيح ما وقفنا له ، وضبط ما ينبغي ضبطه من لغة وأسماء ، وتحري وجه الصواب جهد الطاقة فيما وضعناه من شروح وتعليقات .

والأصول التي اعتمدنا عليها في المراجعة هي الأصول التي اعتمدنا عليها في مراجعة الأجزاء السابقة ، وقد تقدم وصف هذه الأصول جميعا في تصدير الجزء الأول . وتقدم في هذا التصدير أن النسخة التي اصطلاحنا على أن نرمز لها بحرف « أ » مكتوبة بخطوط مختلفة .

والمجلد الذي راجعنا عليه في هذا الموضوع من هذه النسخة مكتوب بالخط المغربي ، كتبه - كما هو وارد في آخر صفحة منه - بشعر الجزائري محمد بن محمد المدعو السلاوي الحسني القاسمي المنشأ والدار في أواخر جمادى الثانية من سنة ست وتسعين ومائة وألف هجرية . وهو أكبر حجما من سائر مجلدات هذه النسخة ؛ إذ يبلغ طول صفحته ٣١ سنتيمترا ، وعرضها ٢٠ وطول ما رسم من الكتابة في الصحف ٢٢ بعرض ١٣ وفي كل صفحة ٢٩ سطرا . أما سائر الأجزاء فهي دونه في الحجم وفي عدد السطور . وأول هذا المجلد محلي ومجدول بالذهب ، ويقع في ٣٠٣ ورقة وباقي الصحف مجدول بالمداد الأحمر .

ويتدئ هذا المجلد بأخبار عنترة بن شداد العبسي التي تقع في أول صفحة ٢٣٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة ، وينتهي بأخبار أبي زيد وتقع في الجزء الثاني عشر من هذه الطبعة .

بيان

وهذا الاختلاف بين هذا المجلد وسائر المجلدات يدل على أنه ليس من أسفار
النسخة التي في دار الكتب المصرية والمرقومة برقم ١٣١٨ أدب، وإنما جمع معها
وسلك في رفقها . وفي آخره ما يدل على ذلك صراحة إذ ورد فيه : « تم السفر
الثالث من كتاب الأغاني ... » وهذا السفر يصل إلى قريب من نصف الكتاب .
مع أن هذه النسخة تقع في أربعة عشر مجلدا كما قلنا في وصفها في تصدير الكتاب .
وواضح من هذا أن هذا المجلد لا بد أن يكون جزءا من نسخة أخرى لا تعدو
أسفارها ستة أو سبعة على الأكثر .

وقد اطلع على هذا المجلد كما اطلع على سائر مجلدات هذه النسخة الأستاذ الكبير
شيخ الأزهر الشيخ حسن بن محمد العطار من جلة العلماء والأدباء في القرن
الثالث عشر الهجري .

وقد وضعت لهذا الجزء فهرس كاملة كالأجزاء السابقة ، غير أننا توسعنا
في فهرس هذا الجزء عند ذكر أسماء رجال السند؛ إذ لم نكتف بذكر رقم ورقين
لكل رجل بل أقمنا كل أرقام الراوي إذا اختلف من روى عنهم أو من روى عنه،
ليكون ذلك مرجعا للرجال الذين روى عنهم أبو الفرج أخباره التي ذكرها في كتابه .
ولمّا نتذّر إلى القراء من التأخر في صدور الأجزاء؛ فإن العمل شاق، والأصول
التي بين أيدينا، على قلتها، كثيرة التحريف، والأمانة ثقيلة .

وفي هذا المقام نرى اعترافا بالجميل وتقديرا لجهود العاملين أن نسدي جميل
الثناء والحمد لحضرة الأستاذ الكبير الدكتور "منصور فهمي بك" المدير العام
لدار الكتب المصرية على ما كان، ولا يزال، يوليئنا به من حسن التوجيه والإرشاد .
والله أسأل أن يوفقنا للخير والسداد في القول والعمل .

أحمد زكي العمري

رئيس القسم الأدبي بدار الكتب المصرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء العاشر

من كتاب الأغاني

٢
٩

أخبار دريد بن الصمة ونسبه

هو دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ . وأسم الصَّمَّةُ ، فيما ذكر أبو عمرو ، معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علقمة ، وقيل علقمة ، بن خُزاعة بن غَزِيَّة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن . وأما أبو عبيدة فقال : هو دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ، وأسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن علقمة ولم يذكر معاوية . وقال ابن سلام : الحارث بن معاوية بن بكر بن علقمة .

ودريد بن الصمة فارس شجاع شاعر خلل ، وجعله محمد بن سلام أول شعراء القُرْسان . وقد كان أطول القُرْسان الشعراء غزواً ، وأبعدهم أثراً ، وأكثرهم ظفراً ، وأيمَنهم نقيبة عند العرب ، وأشعرهم دريد بن الصمة .

وقال أبو عبيدة : كان دريد بن الصمة سيّد بني جُشَم وفارسهم وقائدهم ، وكان مظفراً ميمون النقيبة ، وغزى نحو مائة غزاة ما أخفق في واحدة منها ، وأدرك

(١) يلاحظ بادني تأمل أن سياق الكلام مستغن عن ذكر هذا الاسم .

الإسلام فلم يُسلم، وخرج مع قومه في يوم حنينٍ مظاهراً للمشركين، ولا فضل فيه للحرب، وإنما أخرجوه تيمناً به وليقتبسوا من رأيه، فمنعهم مالك بن عوف من قتل يوم حنين، وخالفه لئلا يكون له ذكر، فقتل دُرَيْدٌ يومئذٍ على شركه. وخبره يأتي بعد هذا.

وكان لدريد إخوة وهم عبد الله الذي قتلته غطفان، وعبد يُثوث قتلته بنو مرة، وقيس قتلته بنو أبي بكر بن كلاب، وخالد قتلته بنو الحارث بن كعب، أمهم جميعاً ريمانة بنت معد يكرب الزبيدي أخت عمرو بن معد يكرب كان الصمة سبها ثم تزوجها فأولدها بنيه. وإياها يعني أخوها عمرو بقوله في شعره:

أَمِنْ رِيْمَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ * يُوْرِقُنِي وَأَصَابِي هُجُوعُ

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعَهُ * وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وكان لدريد ابنٌ يقال له سلمة، وكان شاعراً وهو الذي رمى أبا عامر الأشعريّ بسهم فأصاب ركبته فقتله وأرتجز فقال:

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَلَا تَسْأَلُوهُ * إِنَّ سَادِرَ لِمَنْ تَوْسَمُهُ

* أَضْرِبْ بِالسَّيْفِ رَعُوسَ الْمُسْلِمَةِ *

وكانت لدريد أيضاً بنتٌ يقال لها عمرة^(٤) [وكانت] شاعرة، ولها فيه مرثيات كثيرة. وأخبرني بنجره هاشم بن محمد الخزازي قال: حدثنا أبو عسانة دماذ عن أبي عبيدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، وأخبرني بأخبار

(١). في ١، ٢، م: «أمرأ» . (٢) أبو عامر الأشعري هو ابن عم أبي موسى

الأشعري، وقد كان هذا الحادث يوم حنين . (٣) حماد بن اسم أم سمية امرأة دريد بن الصمة .

(٤) الزيادة عن ح .

له مجموعة ومتفرقة جماعة من شيوخنا أذكركم في مواضعهم ، وأخبرني أيضا بخبره محمد بن خلف بن المرزبان عن صالح بن محمد عن أبي عمرو الشيباني وقد ثبتت رواية كل واحد منهم في موضعها ، قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : أحسن شعر قيل في الصبر على النواصب قول دريد بن الصمة حيث يقول :

تقول ألا تبكي أخاك! وقد أرى * مكان البكا لكن يثبت على الصبر
لمقتل عبيد الله والمالك الذي * على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر
وعبيد يغوث أو خليلي خالد * وعمر مصاباً حثو قير^(١) على قبر
أبي القتل إلا آل صمة إنهم * أبوا غيره والقدر يجري إلى القدر
فإنما ترينا ما نزال دماؤنا * لدى وإتر يسقى بها آخر الدهر
فإنما للحم السيف غير نكير * ولنحمله حبنا وليس بذى نكر^(٢)
يغار علينا وإترين فيشتقى * بنا إن أصبنا ، أو نغير على وتر
بذلك قسمنا الدهر شطرين قسمة * فما ينقضى إلا ونحن على شطر

٥

١٠

وأخبرني ابن عمار قال : حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن القاسم الأسدي عن صاعد مولى الكيث بن زيد يقول : أحسن شعر قيل في الصبر على النواصب قول دريد بن الصمة ، وذكر هذه الأبيات .

١٥

قال أبو عبيدة : فأما عبد الله بن الصمة فإن السبب في مقتله إنه كان غزاه غطفان ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية فظفر بهم وساق أموالهم في يوم يقال له يوم اللوى ومضى بها . ولما كان منهم غير بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له

يوم اللوى ومقتل
أخيه عبد الله
وما رثاه به من
الشعر

(١) في أ : « حتى قير » يقال : حثو عليه التراب أحثوه حثوا وحثته أحثيه حنيا ، والياء أعلى .

(٢) لحه (من باب فتح) : أطمعه اللحم . وفي الصحاح : « ولا تقل لجه والأصمعي بقوله » .

٢٠

- أخوه دُرَيْدٌ : يَا أَبَا فُرْعَانَ—وكانت لعبد الله ثلاثُ كُنَى : أَبُو فُرْعَانَ ، وَأَبُو دُفَّافَةَ ، وَأَبُو دُؤْفَى ، وكلُّها قد ذكَّرها دُرَيْدٌ في شعره — : نَسَدْتُكَ اللَّهُ الْآ تَزَلْ فَإِنَّ غَطْفَانَ لَيْسَتْ بِغَافِلَةٍ عَنْ أَمْوَالِهَا ، فَأَقْسَمَ لَا يَرِيحُ حَتَّى يَأْخُذَ مِرْبَاعَهُ وَيَتَقَعَ قِيعَهُ ، فَيَأْكُلَ وَيُطْعِمَ وَيَقْسِمَ الْبَقِيَّةَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَبَيْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ وَقَدْ سَطَعَتِ الدَّوَاخِنُ ، إِذَا بَغْيَارٌ قَدْ أَرْتَفَعَ أَشَدَّ مِنْ دُخَانِهِمْ ، وَإِذَا عَبَسَ وَفَزَارَهُ وَأَشْجَعُ قَدْ أَقْبَلْتُ فَقَالُوا لِرَبِّتِهِمْ :
- انْظُرْ مَاذَا تَرَى ؟ فَقَالَ أَرَى قَوْمًا جَعَادًا كَأَن سَرَّابِلَهُمْ قَدْ غُسِسَتْ فِي الْجَادِي^(٤) قَالَ : تِلْكَ أَشْجَعُ ، لَيْسَتْ بِشَيْءٍ . ثُمَّ نَظَرَ فَقَالَ : أَرَى قَوْمًا كَأَنَّهُمُ الصَّبِيَّانِ ، أَسَنَّتُهُمْ عِنْدَ آذَانِ خَيْلِهِمْ . قَالَ : تِلْكَ فَزَارَةٌ . ثُمَّ نَظَرَ فَقَالَ : أَرَى قَوْمًا أَدْمَانًا كَأَنَّمَا يَحْمِلُونَ الْجِبَلَ بِسَوَادِهِمْ ، يَخْدُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ خَدًّا ، وَيَجْرُونَ رِمَاحَهُمْ جَرًّا ، قَالَ :
- ١٠ تِلْكَ عَبَسَ وَالْمَوْتُ مَعَهُمْ ! فَتَلَحَّحُوا بِالْمُنْعَرَجِ مِنْ رُمَيْلَةِ اللَّوَى فَأَقْتَتَلُوا فَقَتَّلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قَارِبٍ وَهُمْ مِنْ بَنِي عَبَسَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الصَّمَّةِ فَتَنَادَوْا : قُتِلَ أَبُو دُفَّافَةَ ! فَعَطَفَ دُرَيْدٌ فَنَدَبَ عَنْهُ فَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا وَجُرِحَ دُرَيْدٌ فَسَقَطَ فَكَفُّوا عَنْهُ وَهُمْ يَرُونَ أَنَّهُ قُتِلَ ، وَأَسْتَنْقَدُوا الْمَالَ وَنَجَا مَنْ هَرَبَ . فَتَزَالُ زُهْدَمَانِ وَهُمَا مِنْ بَنِي مَبَسَ ، وَهُمَا زَهْدَمٌ وَقَيْسُ أَبْنَا حَزْنِ بْنِ وَهَبِ بْنِ رَوَاحَةَ وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُمُ الزُّهْدَمَانِ تَغْلِيًّا لِأَشْهُرِ الْأَسْمِينِ
- ١٥ عَلَيْهِمَا ، كَمَا قِيلَ الْعُمَرَانِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَالْقَمَرَانِ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ . قَالَ دُرَيْدٌ : فَسَمِعْتُ زُهْدَمًا الْعَبْرِيَّ يَقُولُ لَكَرْدَمَ الْفَزَارِيَّ إِنِّي لَأَحْسِبُ دُرَيْدًا حَيًّا

(١) المرباع بكسر أوله : ربع الغنمة ، وهو حظ الرئيس في الجاهلية .

(٢) تقع الشيء في الماء وغيره ينقعه (من باب فتح) فهو ققيع ، ومثله أقمعه . نبذه : أى اتخذ

منه النبيذ . (٣) الربيعة : الطليعة . (٤) الجادى : الزعفران .

٢٠ (٥) الأدمان : جمع آدم على مثال سودان وجران . والآدم من الناس : الأسمر .

(٦) في ج ، م : « الأرض » . (٧) يخذون : يشقون .

فَأَنْزَلَ فَأَجْهَزَ عَلَيْهِ ، قَالَ : قَدْ مَاتَ ، قَالَ : أَنْزِلْ فَأَنْظُرْ إِلَى سَبْتِهِ هَلْ تَرَمُّزُ؟ قَالَ دُرَيْدٌ :
فَسَدَدْتُ مِنْ حِثَارِهَا أَى مِنْ شَرَحِهَا ، قَالَ فَنَظَرَ فَقَالَ : هِيَاتِ ، أَى قَدْ مَاتَ ، فَوَلَّى^(٢)
عَنِّي ، قَالَ وَمَالٌ بِالزُّجَّ فِي شَرَجٍ دُرَيْدٌ فَطَعَنَهُ فِيهِ فَسَالَ دَمٌ كَانَ قَدْ آخَتَقَنَ فِي جَوْفِهِ ،
قَالَ دُرَيْدٌ فَعَرَفْتُ الْخَلْفَةَ حِينَئِذٍ فَأَمْهَلْتُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ مَشَيْتُ وَأَنَا ضَعِيفٌ^(٣)
قَدْ نَزَفَنِي الدَّمُ حَتَّى مَا أَكَادُ أَبْصُرُ ، بَحِزْتُ بِجَاعَةٍ تَسِيرُ فَدَخَلْتُ فِيهِمْ ، فَوَقَعْتُ بَيْنَ^(٤)
عُرْفُوبَيْنِ بَعِيرٍ طَعِينَةٍ ، فَتَفَرَّ الْبَعِيرُ فَنَادَتْ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، فَأَنْتَسَبْتُ لَهَا فَأَعْلَمَتِ
الْحَيَّ بِمَكَانِي ، فَغَسَلَ عَنِّي الدَّمُ وَزُوْدْتُ زَادًا وَسَقَاءَ فَتَجَوُّتُ ، وَزَعَمَ بَعْضُ
الطَّعْطَانِيْنَ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ فَرَارِيَّةً وَأَنَّ الْحَيَّ كَانُوا عَلَيْهِمْ بِمَكَانِهِ فَتَرَكَوهُ فَنَادَتْهُ الْمَرْأَةُ
حَتَّى بَرَأَ وَلَحِقَ بِقَوْمِهِ ، قَالَ : ثُمَّ جَعَلَ كَرْدَمَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي عَبَّسَ ، فَلَمَّا
قَارَبُوا دِيَارَ دُرَيْدٍ تَسَكَّرُوا خَوْفًا ، وَمَرَّ بِهِمْ فَأَنْكَرَهُمْ ، فَعَمِلَ يَمْشِي فِيهِمْ وَيَسْأَلُهُمْ
مِنْهُمْ ؟ فَقَالَ لَهُ كَرْدَمُ : عَمَّنْ تَسْأَلُ ؟ فَدَفَعَهُ دُرَيْدٌ ، وَقَالَ : أَمَّا عَنْكَ وَعَمَّنْ مَعَكَ
فَلَا أَسْأَلُ أَبَدًا ، وَعَاقَبَهُ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ فَرَسًا وَسِلَاحًا ، وَقَالَ لَهُ : هَذَا بِمَا فَعَلْتَ بِي
يَوْمَ اللَّوَى .

وقال دُرَيْدٌ يَرَى أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ :

أَرَأَيْتَ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعِيدٍ * بِعَاقِبَةٍ وَأَخْلَفْتُ كُلَّ مَوْعِدٍ^(٥)
وَبَانَتْ وَلَمْ أَحْمَدِ إِلَيْكَ جَوَارَهَا * وَلَمْ تَرْجُ مِنْ رِدَّةِ الْيَوْمِ أَوْغِدَ

(١) السببة بالضم : الاست . وترمز (بحدف إحدى تائيهما) : تضطرب وتتحرك .

(٢) الحثار بالكسر : ما أحاط بالشيء كحثار الغريال والمنخل .

(٣) يقال : نزف الدم فلانا فهو منزوف ونزيف أى سال منه دم كثير حتى يضعف .

(٤) فى أ ٤ ٣ : « قيس » .

(٥) بعاقبة أى بأخرة .

وهي طويلة وفيها يقول :

- أَعَاذَنِي كُلَّ أَمْرٍ وَأَبْنُ أُمِّهِ * مَتَاعُ كَوَادِ الزَّارِكِ الْمُسْتَوْدِ
أَعَاذَلُ ابْنَ الرُّزَّةِ أَمْثَالَ خَالِدٍ^(١) * وَلَا رُزَّةَ مِمَّا أَهْلَكَ الْمَرْءُ عَنْ يَدِ
نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ * وَرَهْطِ بَنِي السُّودَاءِ وَالْقَوْمِ شَهْدَى
فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِالْفَتَى مَدَجَّجٍ * سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ
أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمُتَعَرِّجِ اللَّسْوَى * فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا صَحَّى الْعَدِ
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقْدَ أَرَى * غَوَايَتِهِمْ وَأَنْنِي غَيْرُ مَهْتَدٍ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ^(٢) إِنْ غَوَتْ * غَوَيْتُ، وَإِنْ تَرُشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرُشَّدُ
دَعَانِي أَنَحَى وَالْخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدِ
تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرَدْتَ الْخَيْلَ فَارْسًا * فَقُلْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرِّدَى
فَلَنْ يَكَّ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ * فَلَمْ يَكَّ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ

٥
٩

- (١) ذكر المؤلف فيما مر إخوة دريد وذكر منهم خالدا وعبد الله . والتصریح بهذا الاسم في هذا الشعر الذي قاله دريد في وثاء أخيه عبد الله خاصة يدل على أن عبد الله وخالدا وعارضا (المذكور في البيت التالي) ثلاثة أسماء لشخص واحد وقد صرح بذلك شارح الحماسة ج ٢ ص ١٥٦ حيث قال : « عارض هو أخو دريد وكانت له ثلاثة أسماء عارض وعبد الله وخالدا ، وثلاث كنى كان يكنى أبا أوفى وأبا ذفاقة وأبا فرغان أو أبا فرغان » . (٢) رهط بنى السوداء . يعنى بهم أصحاب أخيه عبد الله . والقوم شهدي أى شهودي . (٣) ظنوا أى أيقنوا أرمعاه ما ظنكم بالفتن من الأعداء وأصدنين لكم ريقونكم . والمدجج : التام السلاح ، من الدجة وهي شدة الظلمة لأن الظلمة تستر كل شئ ، والمدجج يستر نفسه بالسلاح . وسراتهم : أشرافهم وساداتهم . والفارسي المسرد عنى به الدروع المتتابعة الخلق في تسجيها . (٤) كذا في ح والحماسة . وفي سائر الأصول : « أر » . (٥) غزية : قبيلة من هوازن . وهي رهط الشاعر . (٦) القعد كقعد : الجبان التيم القاعد عن المكارم .

ولا برماً إذا الرياحُ تناوحتُ * برطبِ العِضاهِ والهشيمِ المعصَد
نظرتُ إليه والرماحُ تنوَّشُه * كوقع الصَّيَاصِي في النَّسِيجِ المُمَدَّد^(٢)
فطاعتنُ عنه الخليلَ حتى تبدَّدتُ * وحتى علاني أشقرُ اللونَ مُزبَدُ^(٣)
فما ريمتُ حتى خرقتني رماحُهم * وغودرتُ أكبوا في القنا المتقصد^(٤)
قَالَ آمري وأسَى أخاه بنفسه * وأيقن أن المرءَ غيرُ مَحْلَد
صبور على وقع المصائبِ حافظ * من اليوم أعقابُ الأحاديثِ في غَد

في بعض هذه الأبيات غناء وهو :

صوت

تمثل على طيه
السلام بشعره

أمرهمُ أمري بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرُّشدَ إلَّا ضحَى الغدِ
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى * غوايتهم وأتقى غير مهتدِ
وهل أنا إلَّا من غزيرة إن غوت * غويتُ وإن ترشَّد غزيرة أرشَّد

١٠

الغناء ليحيى المكيّ ثاني ثقليل بالسبابة في مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد، وذكره
إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد . وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين
عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عند منصرفه من صفين .

(١) البرم : الضجر . وتناوحت الرياح هبت صبا مرة وشمالا مرة وجنوبا مرة ، وذلك آية
الجدب . والعِضاه : كل شجر يعظم وله شوك . والهشيم : الثبت اليابس المتكسر . والمعصَد : المقطع
بالمعصَد . (٢) تنوَّشُه : تناوله . والصياصي : جمع صيصية وهي شوكة الحائك التي يسوي بها
السداة واللمعة . (٣) هذه رواية الأصول وفيه إقواء . ورواية الحماسة ،

١٥

فطاعتن عه الخليل حتى تنفست * وحتى علاني حالك اللون أسودي
قال التبريزي : ويرى أسود على الإقواء . وأسودي يريد أسوديا كما قيل في الأجر أحرى وفي الدقار
دقاري ثم خففت بآء النسب بجذف إحداهما . (٤) المتقصد : المتكسر .

٢٠

حدَّثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي قال حدَّثنا حسين بن نصر بن مَرْاحِم قال حدَّثنا عمر بن سعيد عن أبي مُحَمَّد عن رجله أن علياً عليه السلام لما اختلفت كلمة أصحابه في أمر الحَكَمين وتفرقت الخوارج وقالوا له أرجع عن أمر الحَكَمين وتُب وأعترف بأنك كفرت إذ حَكَمْتَ ، ولم يقبل ذلك منهم ، وخالفوه وفارقوه تمثّل بقول دُرَيْد :

أمرهم أُمري بمُتَعَرِّج اللَّوَى * فلم يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الغَدِ

الأبيات :

قال أبو عبيدة : كانت لعبد الله بن الصَّمة ثلاثة أسماء ثلاث كُتِي : عبد الله ومَعْبِد وخالد ، ويكنى أبا ذُقَافَة وأبا فُرْعَانَ وأبا أَوْفَى .

أخوه عبد الله
واسماؤه وكناه

وقال دُرَيْد :

أبا ذُقَافَة مَنْ لِلخَيْلِ إِذ طُرِدَتْ * فَأَضْطَرَّهَا الطَّعْنُ فِي وَعْثٍ وَإِيجَافٍ
يَا فَاوَرَسَ الْخَيْلِ فِي الْهَيْجَاءِ إِذْ شَغِلَتْ * كَلَّتْ الْيَدَيْنِ دُرُورًا غَيْرَ وَقَافٍ

١٠

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس أنه كان يقول : أَفْضَلُ بَيْتِ قَالْتِه الْعَرَبُ فِي الصَّبْرِ عَلَى النَّوَائِبِ قَوْلُ دُرَيْدِ
ابن الصَّمة :

له أفضل بيت
في الصبر على
النوائب

قَبِيلُ الشَّكِيِّ لِلصُّبِّيَّاتِ حَافِظٌ * مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ

١٥

أخبرني الحرَمي بن أبي المَلَاء عن الزَّيْزَع عن أبي المَهْجَر ، وذَكَرَ مثله أبو عمرو السَّيْنَانِي ، أَنَّهُ أُمُّ مَعْبِدِ الَّتِي ذَكَرَهَا دُرَيْدُ فِي شِعْرِهِ هَذَا كَانَتْ أُمُّهُ فَطَلَّقَهَا ، لِأَنَّهَا

ماتته زوجته
أم معبد على بكائه
أخاه فطلقها وقال
شعرا

(١) الوعث هنا : الطريق الخشن الغليظ المسر . والايجاب : سرعة السير .

رأته شديد الجزع على أخيه، فعاتبته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته ، فطلقها وقال فيها :

أرث جديد الحبل من أم معبد * بعاقبة وأخلفت كل موعِد
وبانت ولم أحمد اليك جوارها * ولم ترج منا ردة اليوم أو غد

$\frac{6}{9}$

فقال له أم معبد : بئس والله ما أنثيت على يا أبا قرة ! لقد أطعمتك مأدومي ، وبثقتك مكتومي ، وأنتك باهلاً غير ذات صرار وما استقرمت قبلك إلا من حيض .
وقال أبو عبيدة في خبره : بلغ دريد بن الصمة أن زوجته سبّت أخاه فطلقها وألحقها بأهلها وقال في ذلك :

أعبد الله إن سبتك عرسى * تقدّم بعض لحمي قبل بعض
إذا عرس أمرئ شمت أخاه * فليس فؤاد شائشه بمحض^(٢)
معاد الله أن يشتن رهطى * وأن يملكن إراعى وتقضى

١٠

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال :
أغار دريد بن الصمة بعد مقتل أخيه عبد الله على غطفان بطالهم بدمه ، فاستقراهم

حارب غطفان يرم
القدير طابا يثار
أخيه وقال شعرا

حيّاً حياً ، وقتل من بنى عيسى ساعدة بن مرس ، وأسّر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب ،
أسره مرة بن عوف الجشمي . فقالت بنو جشم : لو فادينا^(٥) ! فابى ذلك دريد عليهم ،
وقتله بأخيه عبد الله ، وقتل من بنى فزارة رجلاً يقال له حزام وإخوة له ، وأصاب

١٥

(١) الباهل في الأصل : الناقة لاصرار عليها ، تريد أنها أباحت نفسها . (٢) كذا في ح ،
واستقرمت المرأة : قضيت بالقرم (فتح أوله واسكان ثانيه) أى عالج ذلك الموضع منها ليضيق
ويستحصف ، وربما تتألم بحب الزبيب ونحوه تضيق به مناعها . (٣) فؤاد حض : فاسد
متنير . (٤) استقراهم : تلبهم . (٥) فاداه : أطلقه وقبل فديته . وفي القرآن الكريم
(وإن يأتوك أسارى فنادهم وهو محرم عليكم إيمانهم) .

٢٠

جماعة من بني مرة ومن بني ثعلبة بن سعد ومن أحياء غطفان ، وذلك في يوم
الغدير . وفي هذا اليوم وفي من قُتل فيه منهم يقول :

تأبَّد من أهله معشر * بغي سويقة فالأصفر^(١)
ففرغ الحليف إلى واسط * فذلك مبدى وإذا محضر^(٢)
فأبلغ سليمى وألفافها * وقد يعطف النسب الأكبر^(٣)
بأنى تأرت بإخوانكم * وكنت كأتى بهم مخفّر^(٤)
صباحنا فزارة شمر القنا * فمهلًا فزارة لا تضجروا
وأبلغ لذيك بنى مازين * فكيف الوعيد ولم تقرروا
فإن تقتلوا فتية أفردوا * أصابهم الحين أو تظفروا
فإن حزامًا لدى معري * وإخوانه حولهم أنسر
ويوم يزيد بنى ناشب * وقبل يزيدكم الأكبر
أثرنا صريح بنى ناشب * ورهط لقيط فلا تفخروا
نحمة الضائع بأوصالهم * ويلحقن منهم ولم يقبروا^(٥)

(١) تأبَّد : أفر . ومعشرو وجوسويقة والأصفر أسماء مواضع .

(٢) الجرح : منطف الوادى . والحليف وواسط : موضعان .

(٣) ألفافها : قومها المجتمعون حولها ، مفردة لف بالكسر .

(٤) أخفّره : تقض عهده وضره . والحذرة فيه الإزالة أى أزال خفاره كاشكاه إذا أزال شكواه .

(٥) يشير إلى ما هو معروف عن الضيع من أنها إذا لقيت قتيلا بالعراء وورم وانتفخ غرموله تأتية
فتركه وتفضى حاجتها منه ثم ناكه (راجع نهاية الأرب ج ٩ ص ٢٧٤ طبع دار الكتب المصرية
والحيوان لملاحظ طبع مصر ج ٥ ص ٤٠) .

ويقول في ذلك أيضا دريد بن الصمة في قصيدة له أخرى :

جَرَيْنَا بَنَى عَبَسَ جَزَاءً مَوْفَرًا * بِمَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ الدَّنَائِبِ^(١)
ولولا سوادُ الليلِ أدركَ رَكُضُنَا * بذى الرِّمْتِ والأَرطَى عِيَاضَ بَنِ نَاشِبِ
قتلنا بعبند الله خيرَ مِدَاتِهِ * ذُوَابَ بَنِ أَسْمَاءِ بِنِ زَيْدِ بِنِ قَارِبِ

قال أبو عبيدة : أشهد عبد الملك بن مروان شعر دريد بن الصمة هذا فقال : كاد

دريد أن ينسب ذؤاب بن أسماء إلى آدم . فلما بلغ المنشد قوله :

ولولا سوادُ الليلِ أدركَ رَكُضُنَا * بذى الرِّمْتِ والأَرطَى عِيَاضَ بَنِ نَاشِبِ

قال عبد الملك : ليت الشمس كانت بقيت له قليلا حتى يدركه .

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضا في هذه الواقعة :

قَتَلْنَا بَعْبَدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ * وَخَيْرَ شَبَابِ النَّاسِ لَوْضَمَّ أَجْمَعَا^(٢)
ذُوَابَ بَنِ أَسْمَاءِ بِنِ زَيْدِ بِنِ قَارِبِ * مَنِيَّتُهُ أَجْرَى إِلَيْهَا وَأَوْضَعَا^(٣)
فَتَى مِثْلَ مَتْنِ السِّيفِ يَهْتَرُ لِنَدَى * كَمَا لَيْلَةُ الرَّيْحِ الرُّدْبِيِّ أَرْوَعَا

وقال ابن الكلبي : قالت ريمانة بنت معد يكرب لدريد بن الصمة بعد حوله من
مقتل أخيه : يا بني إن كنت عجزت عن طلب الثأر بأخيك فاستعن بحالك وعشيرته .
من زُبَيْدٍ ، فَأَنْفَ مِنْ ذَلِكَ وَحَلَفَ لَا يَكْتَحِلُ وَلَا يَدَّهِنُ وَلَا يَمْسُ طَبِيًّا وَلَا يَأْكُلُ
لَحْمًا وَلَا يَشْرَبُ نَحْرًا حَتَّى يُدْرِكَ ثَأْرَهُ ، فَفَزَا هَذِهِ الْغَزَاةُ وَجَاءَهَا بِذُوَابَ بَنِ أَسْمَاءَ فَقَتَلَهُ
بِفَيْئَاهُمَا ، وَقَالَ : هَلْ بَلَغْتُ مَا فِي نَفْسِكَ ؟ ! قَالَتْ : نَعَمْ مُتَّعْتُ بِكَ ! وَرُؤْيَى عَنْ ابْنِ
الْكَلْبِيِّ - رَيْمَانَةَ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَيْبَاتٌ لَمْ تَحْضُرْ . وَقَدْ كَتَبْتُ خَبَرَهَا .

أغرته أمه
بالاستمالة بأخواله
في ثأر أخيه فأبى
وقتل ذؤاب بن
أسماء

(١) الدَّنَائِبُ يوم من أيام العرب المشهورة (راجع الأغاني ج ٥ ص ٣٥ - ٦٣ طبع دار الكتب

المصرية) . (٢) ذو الرمت : موضع . والرمت والأرطى نباتان . (٣) أجرى إليها : قصد إليها .

أخوه قيس بن
الصمة ومقتله

- وأما قتيل أبي بكر الذي ذكره دُرَيْد فإنه أخوه قَيْسُ بن الصِّمَّة، قتله بنو أبي بكر
أَبْنِ كِلَاب . وكان السَّبَبُ في ذلك، فيما أخبرني به هاشم بن محمد عن دَمَازٍ عن
أبي عُبَيْدَةَ، أَنَّهُ غَزَا في قومه بَنِي خُرَازَةَ من بَنِي جُشَم، فأغاروا على إِبِلِ بَنِي كَعْبِ
ابن أبي بكر بن كِلَاب، فَأَنَظَلُّوْا بها . وخرج بنو أبي بكر بن كِلَاب في طلبها حتى
إذا دَنَوْا منهم قال عمرو بن سُفْيَانَ الكِلَابِيُّ، وكان حازماً عاقلاً، امْكُثُوا، ومضى .
هو مَنَّكَرًا حتى لقي رجلاً من بَنِي خُرَازَةَ فسَلَّمَ عليه وأسْتَسْقَاه فسقاه وأنْتَسَبَ له هِلَالِيًّا،
فسأله عن قومه وأين مَرَعَى إِبِلِهِمْ، وأعلمه أَنَّهُ جَاءَ رَائِدًا لقومه يريد مجاورتهم،
فخَبَّرَهُ الرجل بكلِّ مَا أَرَادَ، فَرَجَعَ إلى قومه وقد عَرَفَ بُغْيَتَهُ، فصَبَحَ القَوْمَ فظَفَرَتْ بِهِمْ
بنو كِلَابٍ وقتلوا قَيْسَ بن الصِّمَّة، وذهبوا بِإِبِلِ بَنِي خُرَازَةَ وَآرْتَجَعُوا إِبِلَهُمْ . وكان
يقال لعمرو بن سُفْيَانَ ذُو السِّيفَيْنِ، لَأَنَّهُ كَانَ يَلْقَى الحَرْبَ ومعه سِفَانٌ خَوْفًا من
أَن يَخُونَهُ أَحَدُهُمَا . وإِيَّاهُ عَنَى دُرَيْدُ بن الصِّمَّة بقوله :

- إِذَا أَمَرْتُ بَاتَ عَمْرُو بَيْنَ صِرْمَتَيْهِ * عَمْرُو بن سُفْيَانَ ذُو السِّيفَيْنِ مَغْرُورٌ
يَا آلَ سَفْيَانَ مَا بِإِلَى وَبِالْكُؤِ * هَلْ تَلْتَهِنُونَ وَبَاقِي الْقَوْلِ مَأْثُورٌ؟
يَا آلَ سَفْيَانَ مَا بِإِلَى وَبِالْكُؤِ * أَتُمْ كَبِيرٌ فِي الْأَحْلَامِ عُصْفُورٌ
هَلَّا نَهَيْتُمْ أَهْلَكُمْ عَنْ سَفَاهَتِهِ * لِمَا تَشْرَبُونَ وَغَاوِي الْخَمْرِ مَدْحُورٌ؟
لَا أَهْرَفْنَ لِمَةً سَوْدَاءَ دَاجِيَةً * تَدْعُو كِلَابًا وَفِيهَا الرَّحْمُ مَكْسُورٌ
لَنْ تَسْبِقُونِي وَلَوْ أَهْلَيْتُمْ شَرَفًا * عُقْبَى إِذَا أَبْطَأَ الْفُحْجُ الْخَصَائِرَ

- (١) في ب، س، ح : «زائرا» وهو تحريف . (٢) في ب، س : «أموالهم» .
(٣) الصرمة بكسر الصاد : القطيع من الإبل والغنم اخطف في عدده .
(٤) في ب، س : «أهملكم» . (٥) الفحج يضم الفاء وسكون الحاء : جمع الخج أو الخجاء،
وصف من الفحج يفتح الفاء والحاء وهو يتاعد ما بين أوساط السابقين من الرجل والهابية .
(٦) الخصاصير : جمع خنصور وهو الذي يشتكي خصره .

خير الحرب بين
بنى عامر وبنى
جشم وبين أسد
وغطفان

وأخبرنا بنجر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال قرأت على أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال :

أغار بنو عامر بن صمصمة وبنو جشم بن معاوية على أسد وغطفان ، وكان دريد بن الصمة وعمرو بن سفيان بن ذى النخيلة متساندين ، فدريد على بنى جشم ابن معاوية ، وعمرو بن سفيان على بنى عامر . فقال عبد الله بن الصمة لأخيه : إني غير معطيك الرئاسة ، ولكن لي في هذا اليوم شأن . ثم اشترك عبد الله وشراحيل ابن سفيان ، فلما أغار القوم أخذ عبد الله من نعم بنى أسد ستين وأصاب القوم ما شاءوا . وأدرك رجل من بنى جديمة عبد الله بن الصمة فقال له عبد الله بن الصمة : أرجع فإني كنت شاركت شراحيل بن سفيان ، فإن استطاع دريد فليأبه وليأخذ مالى منه . وأقام دريد في أواخر الحى فقال له عمرو : أرتحل بالناس قبل أن يأتيك الصراخ^(٢) ، فقال : إني أنتظر أحمى عبد الله . حتى إذا أطال عليه قال له : إن أخاك قد أدرك فوارس من الخلفيين يسوقون بطعنهم فقتلوه . فأنطلقوا حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشراحيل^(٣) : إن عبد الله أنبأني ولم يكذبني قط أن له شركة مع شراحيل فأدوا إلينا شركته . فقالوا له : ما شاركناه قط . فقال دريد : ما أنا بشاركم حتى أستحلفكم عند ذى الخلصة (وثن من أوثانهم) . فأجابوه إلى ذلك وحلفوا ، ثم جاء عبد الله بغنيمة عظيمة فجاءوه ينشدونه الشرك . فقال لهم دريد : ألم أحلفكم حين ظننتم أن عبد الله قد قُتل . فقالوا : ما حلفنا وجعلوا ينشدون عبد الله أن يعطيهم ، فقال : لا ، حتى يرضى دريد ، فأبى أن يرضى فتوعدوه أن يئسروا إبله . فقال دريد في ذلك :

٢٠ (١) التساند : التعاضد . (٢) الصراخ : صوت الاستغاثة . (٣) بالتأمل في سياق هذه القصة يلاحظ أن هذه الكلمة زائدة .

هل مثل قلبك في الأهواء معذور * والحب بعد مَشِيْبِ المرء مغرور
وذكر الأبيات التي تقدمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها :

إذا غلبتم صديقاً تَبْطُشون به * كما تهْدَم في الماء الجَـهـاير^(١)
وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ فِي عِرْقِكُمْ شَنْجٌ * بُزْخُ الظهورِ فِي الْأَسْتَاهِ تَأْخِيرُ^(٢)
قد علم القومُ أَنِّي مِنْ سَرَائِهِمْ * إِذَا تَقَبَّضَ فِي الْبَطْنِ الْمَذَاكِيرُ^(٣)
وقد أَرَوُعُ سَوَامَ الْقَوْمِ ضَاحِيَةً * بِالْجُرْدِ يَرْكُضُهَا الشَّعْتُ الْمَقَاوِيرُ^(٤)
يَجْنِي كُلُّ هِجَانٍ صَارِمٍ ذَكَرٍ * وَتَحْتَهُمْ شَرِبُ قُبِّ مَضَامِيرِ^(٥)
أَوْعَدْتُمُو إِبِلِي كَلًّا سَمِئْتُمَهَا * بَنُو غَيْرِيَّةَ لَا مِيلَ وَلَا صُورُ^(٦)

أخوه عبد يغوث ومقتله وما رثاه به
وأما عبد يغوث بن الصَّمة وخبر مقتله فإنه كان يزل بين أظهر بني الصَّادِرِ
فقتلوه . قال أبو عبيدة في خبره : قتله مُجَمِّعُ بْنُ مُزَارِحٍ أَخُو تَجْنَةَ بْنِ مُزَارِحٍ وهو
من بني يربوع بن غيظ بن مرة . فقال دريد بن الصَّمة :

أَبْلِغْ نَعِيًّا وَأَوْقِ إِن لَفَيْتَهُمَا * إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي سَمْعَيْهِمَا صَمٌ
فَمَا أُنْحَى بِأُنْحَى سَوْءٍ فَيَنْقُصُهُ * إِذَا تَقَارَبَ بِأَبْنِ الصَّادِرِ الْقَسَمُ

(١) الجواهر : الرمال الكثيرة المتراكمة .

- (٢) العرق : الأصل . والشنج : التقبض والتقلص ، والبزخ : تقاعس الظهر عن البطن ، وقيل
هو خروج الصدر ودخول الظهر يريد أنهم مشوهو الأجسام غير أهل للرياسة . (٣) الجرد : جمع
أجرد وهو الفرس القصير الشعر . والشعث جمع أشعث وهو المتغير الرأس المتلبد الشعر . والمقاوير جمع متوار
وهو المقاتل الكثير الغارات . (٤) الهجان : الكريم . (٥) كذا في ح . وفي سائر
الأصول : « كرم » . (٦) الشرب : جمع شارب ، وهو الضامر اليابس ، والقب : جمع أقب
وهو من الخليل الدقيق الخليلر الضامر البطن . (٧) الصور : جمع أصور وهو المائل .
وفي ح ، أ ، م « ولا عور »

ولن يزال شهاباً يُستضاء به * يَهْدِي الْمَقَانِبَ مالم تَهْلِكِ الصَّمُ^(٢)
عاري الأشاجع مَعْصُوبٌ بِمَتِّه * أَمْرُ الرُّعَامَةِ ، في عِرْنَيْنِهِ شَمَم^(٣)

قال أبو عبيدة : أما قوله "أو يَهْدِي خالداً" ، فإنه يعني خالد بن الصمة ؛ فإن
بنى الحارث بن كعب غَزَتْ بنى جُثَمَ بن معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلُ
بنو الحارث خالد بن الصمة ، وإياه عَنَى ، وقال غير أبي عبيدة : خالد بن الحارث الذي^(٤)
عناه دُرَيْدٌ هو عمُّه خالد بن الحارث أخو الصمة بن الحارث قتلته أحمس (بطن من
شَنُوءَة) ، وكان دُرَيْدٌ بن الصمة أغار عليهم في قومه فظفر بهم وأستاق إليهم وأموالهم
وسبى نسائهم وملأ يديه وأيدي أصحابه ، ولم يُصَبِّ أحدٌ ممن كان معه إلا خالد بن
الحارث عمُّه ، وماء رجل منهم بسهم فقتله ؛ فقال دُرَيْدٌ بن الصمة يرثيه :
يا خالداً خالد الأيسار والنَّادى * وخالد الرِّيح إذ هبَّتْ بُصْرَادُ^(٥)
وخالد القول والفعل المعيش به * وخالد الحرب إذ عَضَّتْ بِأَزْرَادِ^(٦)
وخالد الرُّكْب إذ جَدَّ السَّفَارُ بهم * وخالد الحى لما ضَنَّ بالزاد

(١) المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٢) الصمم : جمع صمة وهو الشجاع . ولعله عنى قومه .

(٣) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، وقيل هى عروق ظاهر الكف
واحدھا أشجع . والعرين : الأنف .

(٤) كذا في الأصول . ولعله : « خالد الذى عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث ... الخ » .

(٥) الصراد : القيم الرقيق لا ماء فيه .

(٦) كذا في أ ، م . والأزرد : جمع زرد وهى الدرغ المزروعة ؛ سميت بذلك لأنها تدخل
بعضها فى بعض . وفى سائر الأصول : « غصت بأوراد » . والأوراد : جمع ورد . والورد من معانيه
القطيع من الطير والجيش على التشبيه به .

هل مثل قلبك في الأهواء معذور * والحبُّ بعد مَشِيْبِ المرءِ مغرورٌ
وذكر الأبيات التي تقدّمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها :

إذا غلّيتَ صديقًا تَطْشُون به * كما تَهْدِمُ في الماءِ الجَماهير^(١)
وأتمُّ مَعَشَرَ في عِرْقِكُم شَنْجٌ * بُزْخُ الظهورِ وفي الأَسْتاهِ تأخيرٌ^(٢)
قد علمَ القومُ أنّي من سَرَاتِهِمْ * إذا تَقَبَّضَ في البطنِ المَذَاكِرُ^(٣)
وقد أَرَوُعُ سَوَامَ القومِ ضاحيةً * بالجُرْدِ يَرْكُضُهَا الشُّعْتُ المَغَاوِرُ^(٤)
يَحِلُّنَ كُلَّ هِجَانٍ صَارِمٍ ذَكَرِي * وتَحْتَمُّ شَرْبُ قُبِّ مَصَامِيرِ^(٥)
أَوْعَدْتُمُوإِيَّ كُلًّا سَمِينُهَا * بنو غَزِيَّةَ لَا مِيلَ وَلَا صُورُ^(٦)

أخوه عبد يفرث ومقتله وما رثاه به
وأما عبد يفرث بن الصّمة وخبر مقتله فإنه كان ينزل بين أظهر بني الصّادر
فقتلوه . قال أبو عبيدة في خبره : قتله مُجَمِّع بن مُزَارِمٍ أخو شَيْخَةِ بنِ مُزَارِمٍ وهو
من بني يَرْوُوع بن غَيْظ بن مُرَّة . فقال دُرَيْد بن الصّمة :

أَبْلِغْ نَعِيًّا وَأَوْقِ إِن لَقِيْتَهُمَا * إن لم يكن كان في سَمْعِهِمَا صَمٌّ
فأ أني بأنني سوء فينقصه * إذا تَقَارَبَ بَابِنِ الصَّادِرِ الْقِسَمِ

(١) الجماهير : الرمال الكثيرة المتراكمة .

(٢) العرق : الأصل . والشنج : التقبض والتقلص ، والبزخ : تقاعس الظهور عن البطن ، وقيل
هو خروج الصدر ودخول الظهور يريد أنهم مشوهو الأجسام غير أهل للرياسة . (٣) الجرد : جمع
أجرد وهو القرس القصير الشعر . والشعث جمع أشعث وهو المفبر الرأس المخلب الشعر . والمخاوير جمع مفوار
وهو المقاتل الكثير الغارات . (٤) الهجان : الكريم . (٥) كذا في ح . وفي سائر
الأصول : « كرم » . (٦) الشرب : جمع شارب ، وهو الضامر اليابس ، والقب : جمع أقب
وهو من الخليل الدقيق الخضر الضامر البطن . (٧) الصور : جمع أمور وهو المائل .
وفي ح ، أ ، م « ولا عور » .

ولن يزال شهاباً يُستضاء به * يَهْدِي الْمَقَانِبَ مالم تَهْلِكِ الصَّمَّةُ^(٢)
عَارِي الأشاجعِ مَعْصُوبٌ بِأَيْتِهِ * أَمْرُ الزَّعَامَةِ ، فِي عِرْشِ نَيْتِهِ شَتَمٌ^(٣)

قال أبو عبيدة : أما قوله «أَوْنِدِي خَالِدٍ» ، فإنه يعني خالد بن الصمة ؛ فإن
بنى الحارث بن كعب غَزَتْ بنى جُشَمَ بن معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلت
بنو الحارث خالد بن الصمة ، وإياه عَنَى . وقال غير أبي عبيدة : خالد بن الحارث الذي^(٤)
عناه دُرَيْدٌ هو عمُّ خالد بن الحارث أخو الصمة بن الحارث قتلته أحمس (يظنُّ من
شَنُوءَةٍ) ، وكان دُرَيْدُ بن الصمة أغار عليهم في قومه فظفر بهم وأستاق إليهم وأموالهم
وسبي نساءهم وملأ يديه وأيدي أصحابه ، ولم يُصَبِّ أحدٌ ممن كان معه إلا خالد بن
الحارث عمه ، رماه رجل منهم بسهم فقتله ؛ فقال دُرَيْدُ بن الصمة يرثيه :
يا خالداً خالد الأيسار والنّادى * وخالد الرّيح إذ هبّت بَصْرَادُ^(٥)
وخالد القول والفعل المَعِيش به * وخالد الحرب إذ عَضَّتْ بِأَزْرَادِ^(٦)
وخالد الرّكب إذ جَدَّ السّفارُ بهم * وخالد الحى لما ضُنَّ بالزاد

(١) المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٢) الصمم : جمع صمة وهو الشجاع . ولعله عن قومه .

(٣) الأشاجع : أصول الأصابع التي تنصل بمصّب ظاهر الكف ، وقيل هي عروق ظاهر الكف
واحدتها أشجع . والرئين : الأنف .

(٤) كذا في الأصول . ولعله : « خالد الذي عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث ... الخ » .

(٥) الصرّاد : النعم الرقيق لا ماء فيه .

(٦) كذا في أ ، م . والأزّراد : جمع زرد وهي الدرع المزروعة ؛ سميت بذلك لأنها وتداخل

بعضها في بعض . وفي سائر الأصول : « غصت بأوراد » . والأوراد : جمع ورد . والورد من معانيه
القطع من الطبر والجيش على التشبيه به .

وقال أبو عبيدة: قال دُرَيْدٌ يَرَى أَخَاهُ خَالِدًا :

- أُمِّمَ أَجْدَى عَافِي الرُّزْءِ وَأَجْشَمِي * وَشُدِّي عَلَى رُزْءِ ضُلُوعِكَ وَأَبَايِي
حَرَامٌ عَلَيْهَا أَنْ تَرَى فِي حَيَاتِهَا * كَثِيلُ أَبِي جَعْدٍ فَعُودِي أَوْ أَجْلِسِي
أَعْفُ وَأَجْدَى نَائِلًا لِعَشِيرَةٍ * وَأَكْرَمَ مَخْلُودٍ لَدَى كُلِّ مَجْلِسِ
وَأَلْبَنَ مِنْهُ صَفْحَةً لِعَشِيرَةٍ * وَخَيْرًا أَبَا ضَيْفٍ وَخَيْرًا مَجْلِسِ
تَقُولُ هَلَالٌ خَارِجٌ مِنْ عَمَامَةٍ * إِذَا جَاءَ يَجْرِي فِي شَلِيلٍ وَقَوَسِ
يَشُدُّ مَتَوَبِّ الأَقْرَبِينَ بِهَائِهِ * وَيُخَيِّثُ نَفْسَ الشَّائِنِ الْمُتَعَسِّ
وَلَيْسَ بِمَكْجَبٍ إِذَا اللَّيْلُ جَنَّهُ * نُؤْوِمُ إِذَا مَا أَتَبَلَّجُوا فِي الْمُعَرَّسِ
وَلَكِنَّهُ مَذْلَاجٌ لَيْلٍ إِذَا سَرَى * يُنْشِدُ سُرَاهُ كُلَّ هَادٍ مُمْلَسِ^(١)
هذه رواية أبي عبيدة .

١٠

يوم نيل

- وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ عن عمِّه عن العباس بن هشام بن أبيه أن
خالد بن الصِّمَّةَ قُتِلَ فِي غَارَةٍ أَغَارَتْهَا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عَلَى بَنِي نَصْرٍ مِنْ مَعَاوِيَةِ
فِي يَوْمٍ يُقَالُ لَهُ يَوْمُ نَيْلٍ، فَأَصَابُوا نَاسًا مِنْ بَنِي نَصْرٍ . وَبَلَغَ الْخَبْرُ بَنِي جُثَمَ فَلِيَحْقُومُوا،
وَرَأَيْسُ بَنِي جُثَمَ يَوْمَئِذٍ مَالِكُ بْنُ حَزْنٍ، فَاسْتَنْقَذُوا مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ غَنَائِمِ بَنِي
نَصْرٍ، فَأَصَابُوا ذَا الْقَرْنِ الْحَارِثِيَّ أَسِيرًا وَفَقُّوا عَيْنَ شَهَابِ بْنِ أَبَانَ الْحَارِثِيَّ بِسَهْمٍ،
١٥

(١) كذا في الأصول . (٢) الشليل : الفللة تلبس تحت الدرع . والقونوس

أعلى بيضة الحديد، وقيل مقدم البيضة . (٣) المكجاب : الكثير النظر إلى الأرض .

(٤) يَنْتَدُ : يَشُدُّ وَيَقْفَرُ . (٥) كذا في الأصول . والظاهر أنها محرفة عن «عملس» وهو

القوى الشديد على السفر أو القوى على السير السريع، ومثله «العمرس» .

(٦) لم نجد يوما بهذا الاسم فيما راجعنا من مصادر . وفي ياقوت : «ثيل بالفتح ثم السكون ماء .

٢٠

قرب النجاج كانت به وقعة مشهورة » .

وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ خَالِدُ بْنُ الصَّمَّةِ. وَكَانَ مَعَ مَالِكِ بْنِ حَزْنٍ، وَأَصَابَتْ بَنُو جُثَمَ مِنْهُمْ نَاسًا، وَكَانَ رَيْسُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ يَوْمَئِذٍ شِهَابُ بْنُ أَبَانَ، وَلَمْ يَشْهَدْ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمَ؛ فَلَمَّا رَجَعُوا قَتَلُوا ذَا الْقُرْنِ بِخَالِدِ بْنِ الصَّمَّةِ، وَلَمَّا قُدِّمَ لِنُضْرَبَ عُنُقُهُ، صَاحَ بَأْوُسُ بْنُ الصَّمَّةِ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا، وَلَمْ يَكُنْ أَوْسُ حَاضِرًا، فَلَمْ يَنْفَعِهِ ذَلِكَ وَقُتِلَ. فَلَمَّا قُدِّمَ أَوْسٌ غَضِبَ وَقَالَ: أَقْتَلْتُمْ رَجُلًا اسْتَجَارَ بِاسْمِي! فَقَالَ عَوْفُ بْنُ مَعَاوِيَةَ فِي ذَلِكَ:

تُبَيْتُ أَوْسًا بَكَى ذَا الْقُرْنِ إِذْ شَرِبَا * عَلَى عُمَاظٍ بَكَاءُ غَالٍ مَجْهُودِي^(١)
إِنِّي حَلَقْتُ بِمَا جَمَعْتُ مِنْ نَسَبٍ * وَمَا ذُبِحْتُ عَلَى أَنْصَابِكَ السُّودِ
لَتُبَكِينَ قَتِيلًا مِنْكَ مُقْتَرِبًا * إِنِّي رَأَيْتُكَ تَبْكِي لِلْأَبَاعِيدِ

١٠ أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَسَاةَ دِمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، - قصة زواجه
بامرأة وجدها
ثيبا
وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ النَّحْوِيُّ الضَّرِيرُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ
الأعرابي قال :

تَزَوَّجَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ أَمْرَأَةً فَوَجَدَهَا ثَيْبًا، وَكَانُوا قَالُوا لَهُ إِنَّهَا بَكْرٌ، فَقَامَ عَنْهَا
قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا، وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَيْهَا لِيَضْرِبَهَا، فَتَلَقَّتهُ أُمُّهَا لَتَدْفَعَهُ عَنْهَا،
فَوَقَفَ يَدَيَّهَا (أَيَّ حَزَّهَا وَلَمْ يَقْطَعْهُمَا)، فَنَظَرَ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَهِيَ مَعْصُوبَةٌ فَقَالَ:

أَفَرَّ الْعَيْنَ أَنْ عَصَبَتْ يَدَيَّهَا * وَمَا إِنْ تَعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ
فَأَبْقَاهُنَّ أَنْ لَمْ يَنْ جَدًّا * وَوَاقِفَةٌ كَوَاقِفَةِ الْكَلَابِ
قَالُوا: يَرِيدُ أَنَّ الْكَلْبَ يُصِيبُهُ الْجُرْحُ فَيَلْحَسُ نَفْسَهُ فَيَبْرَأُ.

(١) في ج: « مجلودي ».

ما جرى بينه وبين
عياض النملبي

قال أبو عبيدة وأبن الأعرابي جميعاً في هذه الرواية : أسردريد بن الصمة
عيلضاً النملبي أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فأنعم عليه . ثم إن دريدا أتاه بعد
ذلك يستثيبه . فقال له : إيت رحلك حتى أبعث اليك بثوابك ؛ فأنصرف دريد .
فبعث إليه بوطين نصفه لبن ونصفه بول . فغضب دريد ولم يلبث إلا قليلاً حتى
أغار على بني ثعلبة ، وأستاق إبل عياض ، وأفلت عياض منه جريحاً ؛ فقال دريد
في ذلك من قصيدة :

فإن تنج يدعي عارضك فإتنا * تركنا بنيك للضبايع وللرخم
جزيت عياضاً كفره وعقوقه * وأخرجته من المدفاة^(١) الدهم
الآهل أتاه ماركتنا سراتهم * وما قد عقرنا من صني ومن قرم^(٢)

هجا عبد الله بن
جندب ثم جدده .

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال :
هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جندب التيمي تيم قريش فقال :
هل بالحوادث والأيام من نجيب * أم بأبن جندب عبد الله من كلب
است حيث وهى في عكم ربته * في يوم حر شديد الشر والمهرب^(٣)
إذا لقيت بني حرب وإخوتهم * لا يا كلون عطين الجلد والأهـب^(٤)
لا ينكحون ولا تشوي رماحهم^(٥) * من النكاة ذوى الأبدان والجلب^(٦)

- (١) أنعم عليه : أطلقه . (٢) الوطين : سقاء اللبن يتخذ من جلد . (٣) الرخم :
(بضم الراء وسكون الخاء) : جمع رخمه (يفتح الراء والحاء) . وهى طائر أبيض على شكل النسر خلقة إلا أنه
يقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . (٤) المدفاة : الإبل الكثيرة الأربار والشحوم .
(٥) الصني : الناقة الغزيرة اللبن . والقرم : الفحل . (٦) الحنين : المني . والعكم (بكسر
العين وسكون الكاف) : الدبل يجعل فيه المناع ويشد عليه بالعكام أى الجبل . ويلاحظ أن هذا الشعر
غير واضح . (٧) العطين : الجلد المدبوغ . (٨) تشوى : تصيب الشوى ولا تقتل . والشوى :
الأطراف . (٩) الأبدان : جمع بدن وهو هنا الدرع القصيرة . والجلب : جمع جبة وهى هنا الدرع أيضاً .

فَأَقْعَدُ بَطِينًا مَعَ الْأَقْوَامِ مَا قَعَدُوا * وَإِنْ غَزَوْتَ فَلَا تُبْعِدْ مِنَ النَّصَبِ
فَلَوْ تَقَفْتُكَ وَسَطَ الْقَوْمِ تَرُصُّدُنِي * إِذَا تَلَبَّسَ مِنْكَ الْعَرَضُ بِالْحَقَبِ
وَمَا سَمِعْتُ بِصَقْرِ ظَلٍّ يَرُصُّدُهُ * مِنْ قَبْلِ هَذَا يَجْنِبُ الْمَرْخَ مِنْ حَرْبِ

قال: فلقية عبد الله بن جُذعان بُمكاظ خيَّاه وقال له: هل تعرفني يا دريد؟ قال
لا. قال: فلم هجوتني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا عبد الله بن جُذعان. قال: هجوتك
لأنك كنت امرأً كريماً، فأحببت أن أضع شعري موضعه. فقال له عبد الله: لئن
كنت هجوت لقد مدحت؛ وكساه وحمله على ناقة برجلها. فقال دريد يمدحه:

إِلَيْكَ آبَنَ جُذْعَانَ أَعْمَلْتُهَا * خَفَّفَةً لِلْسُرَى وَالنَّصَبِ
فَلَا خَفَضَ حَتَّى تَلْقَى أَمْرًا * جَوَادَ الرِّضَا وَحَلِيمَ الْغَضَبِ
وَجَلَدًا إِذَا الْحَرْبُ مَرَّتْ بِهِ * يُعِينُ عَلَيْهَا بِجَزَلِ الْحَطَبِ
رَحَلْتُ الْبِلَادَ فَمَا إِنْ أَرَى * شَبِيهَ آبَنَ جُذْعَانَ وَسَطَ الْعَرَبِ
سَوَى مَالِكٍ شَاخٍ مَلِكُهُ * لَهُ الْبَحْرُ يُجْرِي وَعَيْنُ الدَّهَبِ

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام موقوفاً عليه لم يتجاوزهُ إلى غيره،
وحديثي حبيب بن نصر المهلهلي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالاً حدثنا عمر بن
شبة عن الأصمعي وأبي عبيدة، وأخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا
أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة، وأخبرني الحرثي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن
بكر قال حدثني علي بن المغيرة عن أبي عبيدة، وأخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَانِ

نزل في الخنساء
ونخطبها فأمتمنت
وتهاجيا

(١) فقه: صاده. (٢) العرض هنا: الجسد، والحقب شيء، تنقذه المرأة تعلق به
مما لقي الخلى تشده على وسطها. يريد إذا صادفك وسط القوم ليست لبسة النساء واستخفيت.
(٣) بكذا في الأصول. ولعله «المرخ» وهو شجر سريع الوري يقتلح به. (٤) الحرب: ذكر
الحباري، ويقال الحباري كلها.

قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني ابن نوبة عن أبي عمرو الشيباني، وأخبرني
عمي قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي^(٢)، وقد جمعت أخبارهم على اختلاف ألفاظهم
في هذا الموضع، أن دُرَيْدَ بن الصَّمَّةَ مرَّ بالحنشاء بنت عمرو بن الشريد، وهي
تَهَنَّا بعيراً لها وقد تبدلت حتى فرغت منه، ثم نَضَتْ عنها ثيابها فأغسلت ودُرَيْدَ بن
الصَّمَّةَ يراها وهي لا تشعر به فأعجبته، فأنصرف إلى رحله وأنشأ يقول:

حَيَا تَمَاضِرَ وَأَرْبَعَا صَحْبِي * وَقِفُوا فَإِنْ وَقَفَكُمْ حَسْبِي
أَخْنَأْسُ قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ * وَأَصَابَهُ تَبَلُّلٌ مِنَ الْحُبِّ
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ * كَالْيَوْمِ طَالِيَ أَيْشِي حُرْبِ
مَتَبَذَّلًا تَبْدُو مُحَاسِنُهُ * يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ^(٣)
مَتَحَصِّرًا نَضَحَ الْهِنَاءُ بِهِ * نَضَحَ الْعَيْرِ يَرْيَطُ الْعَصْبِ^(٤)
فَسَلِيمٌ عَنِّي خُنَاسٌ إِذَا * عَصَّ الْجَمِيعَ الْخَطْبُ مَا خَطْبِي^(٥)

— قالوا: وَتَمَاضِرُ اسْمُهَا. وَالْحَنَشَاءُ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهَا — فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى أَيْبَاهَا فخطبها
إليه. فقال له أبوها: مَرَحِبًا بِكَ أَبَا قُرَّةَ! إِنَّكَ لِلْكَرِيمِ لَا يُطْعَنُ فِي حَسْبِهِ، وَالسَّيِّدُ لَا يَرُدُّ
عَنْ حَاجَتِهِ، وَالْفَحْلُ لَا يَقْرَعُ أَنْفَهُ. — وقال أبو عبيدة خاصة مكان "لَا يُطْعَنُ فِي حَسْبِهِ"
"لَا يُطْعَنُ فِي عَيْبِهِ"^(٦) — ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها، وأنا ذاكرُك لها

(١) الذي في ج، أ: «... وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو نوبة... الخ».

(٢) في أ، م، هـ زيادة: هي: «وأخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي».

(٣) الهناء: القطران. والنقب (يضم النون وتسكين القاف أو فتحها): القطع المنفردة من الجرب.

والواحدة نقبة، وقيل هي أول ما يبدو من الجرب. (٤) في ب، س: «العطب». والعطب (بالضم

ويضمين): الفطن. (٥) في الأمل ج ٢ ص ١٦١ طبع دار الكتب المصرية أنه خطها إلى

أخيها معاوية. (٦) كذا في الأصول. ولعلها: «في غيبه» بالعين المعجمة.

وهي فاعلة . ثم دخل اليها وقال لها : يا خنساء ، أتاك فارس هوازن وسيد بني جشم
 دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين ، ودريد يسمع قولها . فقالت : يا أبت ،
 أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناحكة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غدا !
 فخرج اليه أبوها فقال : يا أبا قرّة قد أمتنعت ، ولعلها أن نجيب فيما بعد . فقال :
 قد سمعت قولكما ، وأنصرف . هذه رواية من ذكرت . وقال ابن الكلبي : قالت
 لأميها : أنظرنني حتى أشاور نفسي ، ثم بعثت خلف دريد وليدة فقالت لها :
 انظري دريدا إذا بال ، فإن وجدت بولّه قد حرق الأرض ففيه بقية ، وإن وجدته
 قد ساح على وجهها فلا فضل فيه . فأتبعته وليدتها ثم عادت اليها فقالت : وجدت
 بولّه قد ساح على وجه الأرض ، فأمسكت . وعاد دريد أباه فاعادها فقالت له
 هذه المقالة المذكورة ؛ ثم أنشأت تقول :

أخطبني ، هيلت ، على دريد * وقد أطردت سيد آل بدر !
 معاذ الله ينكحني حبركي * ^(١) يقال أبوه من جشم بن بكر
 ولو أمسيت في جشم هديا * ^(٢) لقد أمسيت في دنس وقفر

فغضب دريد من قولها وقال يهجوها :

وقاك الله يا بنت آل عمرو * من الفتيان أمثالي ونقي
 فلا تلدي ولا ينكحك مثلي * إذا ما ليلة طرقت بنحس

(١) يقال : فلان هامة اليوم أو غدا ؛ إذا شاخ وأشرف على الموت .

(٢) أطردت : أمرت بطرده . (٣) الحبركي : الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين ،
 والأثنى منه حبركة . وقد ورد هذا البيت في اللسان هكذا :

ولست بمريض فدي حبركي * قصير الشبر من جشم بن بكر

(٤) الهدى : العروس .

لقد علم المَوَاضِعُ في جُمَادَى * إِذَا اسْتَعَجَلَنَ عَنْ حَرْبِهِسْ^(١)
 بَأَنِّي لَا آيَتُ بغيرِ حِمِيمٍ * وَأَبْدَأُ بِالْأَرَامِلِ حِينَ أُمْسِي
 وَأَنِّي لَا يَنَالُ الْحَيُّ ضَعْفِي^(٢) * وَلَا جَارِي يَبِيتُ خَبِثَ نَفْسِ
 إِذَا عَقِبُ الْقُدُورِ تَكُنُّ مَالًا^(٣) * تَحْتَ حُلَائِلِ الْأَبْرَامِ عِزْمِي
 وَأَصْفَرُ مِنْ قِدَاحِ النَّبْعِ صُلْبٍ * خَفِيَ الْوَسْمُ فِي ضَرْسٍ وَلَمَسِ^(٤)
 دَفَعْتُ إِلَى الْمُفِيزِ إِذَا اسْتَقْلُوا^(٥) * عَلَى الرُّجَاتِ مَطْلَعُ كُلِّ شَمْسٍ^(٦)
 فَإِنَّ أَكْدَى قَنَامِكُمْ تُودَى^(٧) * وَإِنْ أَرَبِي فَإِنِّي غَيْرُ نَكْسِ^(٨)
 وَتَزْعَمُ أَنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ * وَهَلْ خَبَرْتُهَا أَنِّي أَبْنُ أُمِّسِ

(١) الجزء: القطع. والنس: تمزق ما على العظم وارتزاعه بمقدم الأستان. (٢) رواية الأماي:

- ١٠ * وَأَنِّي لَا يَهْرُ الضَّيْفُ كَلْبِي *
 أي لا ينج في وجهه لأنه به. (٣) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «تكن ملاي»
 وهو تحريف. ورواية هذا الشطر في الأماي واللسان (في مادة برم): «إذا عقب القدور عددن مالا»
 وعقبه القدر: ما التزق بأسفلها من ثابل وضره. وتحت: تعجل، يقال حته دراهمه إذا عجل له النقد.
 وقد وردت هذه الكلمة في الأصول «تحب» والتصويب عن اللسان. يريد أنه إذا اشتد الفحط وعدت
 ١٥ عقب القدور مالا عجلت زوجته العطاء لزوجات الأبرام. والأبرام: الثام، الواحد: برم، وهو
 في الأصل الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. (٤) ضرس السهم: مجمه. (٥) المفيض:
 الضارب بالقداح. (٦) في الأصول: «الركبان» والتصويب عن الأماي؛ ويرى فيه:
 دفعت إلى النجى وقد تمجانوا * على الركبات مطلع كل شمس
 قال أبو علي قال لنا أبو بكر قال أبو حاتم عن الأصمعي: هذا غلط، إنما هو مغرب كل شمس،
 ٢٠ لأن الأسيار إنما يقيسون بالعميات. (٧) أكدي: أخفق ولم يصب.
 (٨) كذلك في الأصول. ويلاحظ أنه لم يرد في كتب اللغة إلا التامك بدون هاء التأنيث.
 والتامك: الناقة النظيفة السنام أو السنام نفسه. والنكس: الرجل الضعيف لا خير فيه.

تريد شربنت القدمين شتتا * يُسَادِر بِالْجَدَائِرِ كُلِّ كَرَسٍ
وما قُصِرَتْ يَدِي عَنْ عَظِيمٍ أَمْرٍ * أَهْمُ بِهِ وَلَا سَهْمِي بَيْنَكُمُ
وما أنا بِالْمُزَجَّجِي حِينَ يَسْمُو * عَظِيمٌ فِي الْأُمُورِ وَلَا بُوْهَسُ
قال : فقيل لِلنَّسَاءِ : أَلَا تُجِيبِينَ؟ فقالت : لا أَجْمَعُ عَلَيْهِ أَنْ أُرُدَّهُ وَأَهْجُوهُ .

٥ أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَمَاز عن أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : لما أَسَنَّ دُرَيْدٌ
جعل له قومه بيتاً مفرداً عن البيوت ، ووكّلوا به أَمَةً تُخَدِّمُهُ ، فكانت إذا أرادت أن
تُتَعَدَّ في حاجة قَيْدَتُهُ بقيد الفرس ، فدخل إليه رجل من قومه فقال له : كيف أنت
يأدر يد ؟ فأنشأ يقول :

أَصْبَحْتُ أَقْدِفُ أَهْدَافَ الْمُنُونِ كَمَا * يَرْمِي الدَّرِيْشَةُ أَدْنَى فَوْقَةِ الْوَتْرِ ^(٥)
فِي مَنَصِّفٍ مَدَى تَسْعِينَ مِنْ مَائَةٍ * كَرْمِيَةِ الْكَاعِبِ الْعَنْدَرَاءِ بِالْجَرِّ ^(٦)
فِي مَنَزِلٍ نَازِحٍ مِ الْحَيِّ مُنْتَبِذٍ * كَبَرَبَطِ الْعَبْرِ لَا أَدْعِي إِلَى خَبَرِ

(١) الشربنت : الغليظ . والشئن : الغليظ أيضا . والكرس : ما تكرس أي صار بعضه فوق بعض .
والجدائر : جمع جدرة وهي الخطيرة . وقد رواه أبو علي في الأمالي :
تريد أنفجج الرجلين شتتا * يقطع بالجديرة كل كرس

١٥ وقال : وبروي :

تريد شربنت الكفين شتتا * يقطع بالجدائر كل كرس
(٢) المزجي من القوم : المزج وهو المصق بالقوم وليس منهم ، والرجل الناقص المروءة ، والدون من
كل شيء ، والبخيل ، والوهس : الدليل الموطوء . (٣) في ١ ، م : « السنين » . وفي ح :
« المكين » . (٤) الدريشة : حلقة يتعلم عليها الرائي الرمي ؛ قال عمرو بن معد يكرب :
ظللت كاني للرماح دريشة * أقاتل عن أبناء جهم وفتت
(٥) في اللسان : « فوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . وحرقاه : زنتاه . وهذيل تسيبي
الزئنين فوقتين . (٦) منتصف الشيء : وسطه

٢٠

- (١) كَأَنِّي نَحْرٌ قُصِّتْ قَوَادِمُهُ * أَوْجَعُهُ مِنْ بُعَاثٍ فِي يَدَيَّ خَصِرٍ
يُمَضُّونَ أَمْرَهُمْ دُونِي وَمَا فَقَدُوا * مَنَى عَزِيمَةً أَمْرٍ مَا حَلَا كِبَرِي
وَنَوْمَةً لَسْتُ أَقْضِيهَا وَإِنْ مَتَّعْتُ * وَمَا مَضَى قَبْلُ مِنْ شَأْوَى وَمِنْ عُمَرَى
وَأَنِّي رَأَيْتُ قَيْدًا حُسْبَتْ بِهِ * وَقَدْ أَكُونُ وَمَا يُمَشِّي عَلَى أَثَرِي
إِنْ السَّيِّئِينَ إِذَا قَرَّبِينَ مِنْ مَائَةٍ * لَوْ يَنْ مَرَّةً أَحْوَالٍ عَلَى مَرَرٍ

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَمَاز عن أبي عُبَيْدَةَ قال : قالت امرأة
دريد له : قد أَسَنَنْتُ وَضَعْتُ جِسْمَكَ وَقَتْلَ أَهْلِكَ وَفَنِي شَبَابِكَ ، وَلَا مَالُ لَكَ
وَلَا عُدَّةٌ ، فَعَلِي أَيْ شَيْءٍ تَعُولُ إِنْ طَالَ بِكَ الْعُمْرُ أَوْ عَلَى أَيْ شَيْءٍ تُخَلِّفُ أَهْلَكَ إِنْ
قَتَلْتَ ؟ فقال دُرَيْدُ :

صوت

١٠

- أَعَاذَلُ إِنَّمَا أَفَنَى شَبَابِي * رَكُوبِي فِي الصَّرِيحِ إِلَى الْمُنَادِي
مَعَ الْفَتَيَانِ حَتَّى كُلَّ جِسْمِي * وَأَقْرَحَ طَائِقِي حَمْلُ النَّجَادِ
أَعَاذَلُ إِنَّهُ مَالٌ طَرِيفٌ * أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَالٍ تِلَادِ
أَعَاذَلُ عُدَّتِي بَدَنِي وَرُحْيِي * وَكُلُّ مَقْلَصٍ شَكْسُ الْقِيَادِ
وَيَقِيَّ يَمْدَحِلُ الْقَوْمَ حَلْمِي * وَيَقِيَّ قَبْلَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي

١٥

هذا الشعر رواه أبو عُبَيْدَةَ لَدُرَيْدٍ ، وَغَيْرُهُ يَرْوِيهِ لِعَمْرُو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ ، وَقَوْلُ
أَبِي عُبَيْدَةَ أَصَحُّ . لَا بِنَ حَمَزٍ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ثَانِي تَقْيِيلٍ بِإِلْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ

- (١) الخرب : ذكر الحباري . (٢) كذا في الأصول . ولعلها « هصر » . ويقال ليث هصور
وهصر (ككتف) وهصر (كهرد) . (٣) متعت : طابت . (٤) المرة : طاقة الحبل .
(٥) البدن هنا : الدرع . وفرس مقلص (بكسر اللام) : طويل القوائم مضمّن البليغ .
(٦) في الأصول هنا . « ولا بن حمز... إلخ » .

٢٠

عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أن لابن سُرَيْج فيها ثانی ثقيل بالنصر . وخط
المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معديكرب في هذين الخطين :

أريد حياته ^(١) ويريد قتلى * عذرك من خليلك من مراد

ولو لا قيتي ومعى سلاحى * تكشف تيم قلبك عن سواد

وقال أبو عبيدة فيما رويته عن دماذ عنه : قتل بنو ربوع الصمة أبا دريد
فندرا، وأسروا ابن عم له، فغزاهم دريد بنو نصر فوقع بنو ربوع وبني سعد جميعا،
فقتل فيهم . وكان فيمن قتل عمار بن كعب، وقال فيهم :

دعوت الحى نصرا فاستهلوا * بشبان ذوى كرم وشيب

على جريد كأمثال السعالي * ورجل مثل أهمية الكتيب ^(٢)

فما جبنوا ولكنا نصبنا * صدور الشريعة للقلوب ^(٣)

فكم غادرن من كاب صريع * يمجح نجيع جائفية ذنوب ^(٤)

وتلكم عادة لبني رباب * إذا ما كان موت من قريب

فأجلوا والسوأم لنا مباح * وكل كريمة خور عروب

وقد ترك ابن كعب في مكر * حيسا بين ضيعان وذيب

قال أبو عبيدة : وكان الصمة أبو دريد شاعرا، وهو الذى يقول في حرب الفجار كان أبوه شاعرا
التي كانت بينهم وبين قريش :

(١) في ب، م : « حياه » . (٢) كذا في أكثر الأصول . وفي م ، هـ : « أهمية »

ولا معنى لها . قلل الصواب « أهية » جمع هيال وهو ما انهار من الزمان .

(٣) الشريعة : الطويلة، يريد الرياح . (٤) الجاهفة : الطعنة التي تنفذ الى الجوف .

وذنوب : طويلة الشر والأذى ؛ ومثله قولهم : يوم ذنوب إذا كان طويل الشر لا يقضي .

لَا قَتَ قُرَيْشٌ غَدَاةَ الْعَقِي * بَقِ أَمْرًا لَهَا وَجَدَتْهُ وَيَلَا
 وَجُنَّتْ إِلَيْهِمْ كَوَجِ الْأَقْبِ^(١) يعلو النجاد وَيَلَا الْمَسِيلَا
 وَأَعَدَدْتُ لِلْحَرْبِ خَيْفَانَةً * وَرَعَا طَوِيلَا وَسِيفَا صَقِيلَا
 وَمُحْكَمَةً مِنْ دُرُوعِ الْقِيُو * نَ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا صَلِيلَا

٥ قال : وكان أخوه مالك بن الصَّمَّةَ شاعرا ، وهو القائل يرثي أخاه خالدا :
 ركان أخوه مالك شاعرا

أَبْنَى غَزِيَّةً لَكَ شَلُوكَا مَاجِدًا * وَسَطَ الْبُيُوتِ السُّودِ مَدْفَعُ كَرَكِ^(٢)
 لَا تَسْقِي بِيَدِيكَ إِنْ لَمْ أَلْتَمَسْ * بَاخِلِيلَ بَيْنَ هَبُولَةَ وَالْقَرْقَرِ^(٣)

١٤/٩ أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دَمَاز عن أبي عبيدة قال :
 تحالف معاوية مع معاوية بن عمرو بن الشريد وتوافقا إن هلك أحدهما أن
 يرثيه الباقي بعده ، وإن قُتل أن يطلب بثاره . فقتل معاوية بن عمرو بن الشريد ،
 قتله هاشم بن حرملة بن الأشعر المُرِّي . فوثاه دُرَيْدُ بقصيدته التي أوجها :
 تحالف معاوية بن عمرو بن الشريد ورتاه

يَرِثِيهِ الْبَاقِي بَعْدَهُ ، وَإِنْ قُتِلَ أَنْ يُطْلَبَ بَثَارُهُ . فقتل معاوية بن عمرو بن الشريد ،
 قتله هاشم بن حرملة بن الأشعر المُرِّي . فوثاه دُرَيْدُ بقصيدته التي أوجها :
 أَلَا هَبَّتْ تَلُومٌ بِغَيْرِ قَدَرٍ * وَقَدْ أَحْفَظْتَنِي وَدَخَلْتَ سِتْرِي
 وَإِلَّا تَتَرَكِي لَوْحِي سَفَاهَا * تَلْمُذُكَ عَلَيْهِ نَفْسُكَ غَيْرَ عَصَرٍ
 وفيها يقول :

١٥ فَإِنَّ الرِّزَّاءَ يَوْمَ وَقَفْتُ أَدْعُو * فَلَمْ أَسْمَعْ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرُو
 وَلَوْ أَسْمَعْتَهُ لَأَتَاكَ يَسْعَى * حَتَّى تَسْعَى أَوْ لَا تَأْتَاكَ يَجْرَى
 بِسِكَّةٍ حَازِمٍ لَا تَعْمَزُ فِيهِ * إِذَا لَيْسَ الْكُفَّةُ جُلُودَ يَمْرُ^(٤)

(١) الأتي : السيل لا يدرى من أين أتى . (٢) الخيفانه : القوس .

(٣) الشلو : بالكسر هنا : الجسد . (٤) كركر : علم على عدة مواضع .

٢٠ (٥) هبولة والقرقر : موضعان . (٦) الشكة : السلاح . (٧) يقال : لبس فلان لفلان جلد الثور إذا تشكر له . وكانت ملوك العرب إذا جلبت لقتل إنسان لبست جلود الثور ثم أمرت بقتل من تريد قتله .

عرفت مكانه فمطقت زورا^(١) * وأين مكان زور: يابن بكر
على لارم وأحجار يقال^(٢) * وأغصان من السلمات شمر
وبنيان القبور أتى عليها * طوال الدهر شهرا بعد شهر

أخبرني عبدالله بن مالك المحوي قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي^(٣)
قال :
حديث عارض
الجشمي عنه وقد
تلف

وقف عارض الجشمي على دريد وقد تحرف وهو عريان وهو يكوم كوم بطحاء^(٤)
بين رجليه يلعب بذلك ؛ فجعل عارض يتعجب مما صار إليه دريد ، فرفع رأسه
دريد إليه وقال :

كأنتي رأس حصن^(٥) * في يوم غيم ودجن^(٦)
يا ليتني عهد زمن^(٧) * أنقض رأسي وذقن^(٨)
كأنتي قل حصن^(٩) * أرسل في جبل عن^(١٠)
أرسل كالظبي الأرن^(١١) * ألصق أذنا بأذن

قال : ثم سقط به فقال له عارض : انهض دريد ! فقال :

لا نهض في مثل زمانى الأول^(١٢) * محن الساق شديدة الأعصل^(١٣)
ضمم الكراديس نعيم الأشكل^(١٤) * ذى حنجر رجب وصلب أغسل^(١٥)

- (١) الزور في اللغة : الجبل القوي ، ولعله هنا اسم جله . (٢) الإرم : جارة تنصب لها في المقازة .
(٣) البطحاء هنا : الحصى الصغار . (٤) حصن : اسم جبل . (٥) الدجن : جمع دجة وهي الظلمة .
(٦) الأرن : التشيط . (٧) التحنيت : احديداب في وظيفي يدى القوس ، وهو ما يوصف صاحبه .
بالشدة . والأعصل : الموج الصلب من كل شيء ، ومنه ناب أعصل أى معوج شديد ؛ قال أوس بن حجر :
* رأيت لها نابا من الشرا أصلا * وفى الأصول : « أعصل » بالضاد وهو تصحيف .
(٨) الكراديس : جمع كردوس وهو كل غظم تام ضخم . (٩) ليس في كتب اللغة إلا الشاكلة
بمعنى الخاصرة وهي المرادة في هذا الشعر . (١٠) كذا في جميع الأصول : والمراد به ليس وأتضح .

خرج في حرب
حنين وهو شيخ
ونصح مالك بن
عوف نفاقه

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله قال :

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقام بها خمس عشرة ليلة يقصر^(١)

وكان فتحها في عشر ليال بقين من شهر رمضان . قال ابن إسحاق : وحدثني

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لما سمعت به هوازن جمعها مالك بن عوف

النضري ، فاجتمعت اليه ثقيف مع هوازن ، ولم يجتمع اليه من قبس الا هوازن

وناس قليل من بني هلال ، وغابت عنها كعب وكلاب ، فجمعت نصر وجشم وسعد

وبنو بكر وثقيف واحتشدت ، وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير فان ليس فيه

شيء الا التمين برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيئا مجربا ، وفي ثقيف في الأحلاف

قارب بن الأسود بن مسعود ، وفي بني مالك ذو الحمار سبيع بن الحارث ، وجماع أمر

الناس الى مالك بن عوف . فلما أجمع مالك المسير حط مع الناس أموالهم وأبناءهم

ونساءهم . فلما نزلوا بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في شجار له

يقاد به . فقال لهم دريد : بأي واد أتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم مجال أنخيل ،

ليس بالحزن الضرس ولا السهل الدهس .^(٢) مالى أسمع رغاء الإبل ونهيق الحمير وبكاء

الصغير وثغاء الشاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم .

فقال : أين مالك ؟ فدعى له به . فقال له : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ،

وإن هذا اليوم كائن له ما بعده من الأيام . مالى أسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وبكاء

الصبيان وثغاء الشاء ؟ ! قال : سقت مع الناس نساءهم وأبناءهم وأموالهم . قال :

(١) قصر الصلاة : أن يترك من ذوات الأربع ركعتين ويصل ركعتين .

(٢) أوطاس : واد بديار هوازن . (٣) الشجار : مركب أصغر من الموجد .

(٤) الضرس : الصعب . (٥) الدهس : اللين السهل .

ولم؟ قال : أردتُ أن أجعل مع كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم . قال :
فانقضَّ به ووجَّهه ولامه ، ثم قال : راعى ضاين والله (أى أحق) ! وهل يردُّ المنهزم
شيء ! إنما إن كانت لك لم يتفعلك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك
فُضِّحت في أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قال : لم يشهدا
أحدٌ منهما . قال : غاب الحدَّ والحدَّ ! لو كان يومَ علاءٍ ورفعة لم تغب عنه كعب
وكلاب ! ولوددتُ أنكم فعلتم مثل ما فعلوا . فمن شهدا منهما ؟ قالوا : بنو عمرو
ابن عامر وبنو عوف بن عامر . قال : ذاك الحدَّان من عامر لا ينفعان ولا يضُرَّان .
ثم قال : يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة البيضة هوازن إلى نخور الخليل شيئا .
أرفعهم إلى أعلى بلادهم وعلَّاء قومهم ثم ألقى القوم بالرجال على متون الخليل ، فإن
كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك
ولم تُفَضِّح في حريمك . قال : لا والله ما أفعل ذلك أبدا ! إنك قد خرفت وخرف
رأيك وعلئك ! والله لتطيطنني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا اله ف حتى يخرج
من وراء ظهري — ففيس على دريد أن يكون له في ذلك اليوم ذكر ورأي —
فقالوا له : أطعناك وخالفنا دريدا . فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه .
ثم قال : ١٥

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعٌ * أَخْبُ فِيهَا وَأَضَعُ
أَقُودَ وَطَفَاءَ الزَّبَعِ * كَأَنَّهُ شَاءَ صَدَعُ

قال : فلما لقَّيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم آنهزم المشركون فأتوا الطائف ومعه
مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة^(٤) ، وتبع خيل

٢٠ (١) الجلاع : الشاب الحدث . (٢) بيضة القوم : أصلهم ويجمعهم . (٣) في السيرة :
« متبع بلادهم » . (٤) نخلة : المراد هنا نخلة اليمانية ، وهي وادٍ يصب فيه يدعان (اسم وادٍ)
وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين (معجم البلدان لياقوت) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك نخلة، فأدرك ربيعة بن ربيع السلمي أحد بني ربوع بن شمال^(١) بن عوف دريد بن الصمة فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه كان في شجار له، فأناخ به فإذا هو برجل شيخ كبير ولم يعرفه الغلام . فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة ابن ربيع السلمي . فأنشأ دريد يقول :

وَيْحَ ابْنِ أَكْمَةَ مَاذَا يُرِيدُ * مِنَ الْمُرْعَشِ الذَّاهِبِ الْأَدْرَدِ
فَأَقِمْ لَوْ أَنْتَ بِي قُوَّةً * لَوَلَّتْ فَرَائِصُهُ تَرْعُدُ
وَيَا لَهْفَ نَفْسِي أَلَّا تَكُونِ * مَعِيَ قُوَّةُ الشَّارِخِ الْأَمْرَدِ^(٢)

- ثم ضربه السلمي بسيفه فلم يُغن شيئا . فقال له : بئس ما سلحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في القراب فأضرب به وأرفع عن العظام وأخفص عن الدماغ ، فأتى كذلك كنت أفعل بالرجال ، ثم اذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد ابن الصمة ، فرب يوم قد منعت فيه نساءك ! . فزعمت بنو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته بالسيف سقط فأنكشف ، فاذا عجائه وبطن نخذه مثل القراطيس من ركوب الخيل أعمرأ^(٣) . فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت له : لقد أعتق قتيلك ثلاثا من أمهاتك . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ابن عم أبي موسى الأشعري ، فهزموهم

(١) في الأصول : « سماك » والتصويب من السيرة لابن هشام والقاموس . (٢) كذا في السيرة . وفي الأصول : « أنها » . (٣) كذا في الأصول . وفي مختصر الأغاني : « تكمة » . وقد جاء في سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٨٥٢) أن ربيعة بن ربيع هذا يقال له ابن الدغنة وهي أمه فظلت على اسمه ، ويقال : ابن لدغة . (٤) كذا في مختصر الأغاني . وفي سائر الأصول : « الشاخ » والشارخ : الشاب . (٥) العجان : الدبر ، وقيل هو ما بين الدبر والقبل . (٦) فرس عري : غير مرجح ، وصف بالمصدر ، ثم جعل اسما لجمع قبيل خيل أعمرأ . ولا يقال فرس عريان كما لا يقال رجل عري .

الله جل وعزّ وفتح عليه . فيزعمون أنّ سلمة بن دريد بن الصمة رماه فاصاب ركبته فقتله (يعني أبا عامر) .

فقالتم عمرة بنت دريد ترثيه :

جرى عنا الإله بنى سليم * وأعقبهم بما فعلوا عفاق^(١)
وأستقانا إذا سرنا إليهم * دماء خيارهم يوم التلاق
فرب منوه بك من سليم * أجيب وقد دعاك بلا رماق^(٢)
ورب كريمة أعقت منهم * وأخرى قد فككت من الوثاق
وقالت عمرة ترثيه أيضا :

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا * وظلّ دمي على الخدين يتسدر^(٣)
لولا الذي قهر الأقوام كلهم * رأيت سليم وكعب كيف تأمّر
إذا لصبّحهم غبا وظاهرة * حيث استقر نواهم بحقل ذفر^(٤)

١٠

ونسخت من كتاب مترجم بأنه نسخ من نسخة عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثرو
عن أبيه قال قال محمد بن السائب الكلبي :

كان دريد بن الصمة يوما يشرب مع نفر من قومه ، فقالوا له : يا أبا ذؤافة —
وكان يكنى بأبي ذؤافة و بأبي قرة — أينجو بنو الحارث بن كعب منك وقد قتلوا

١٥

استمعه قومه على
الأخذ بنار أخيه
خالد بن بن
الحارث فقال شعرا
وأجابه عبد الله
ابن عبد المدان

(١) في لسان العرب والسيرة لابن هشام : «وعقبهم» بدل «وأعقبهم» . وعقاق (بالبناء على الكسر) :
العقوق . (٢) الرماق من العيش : البلغة والقليل يسلك الربق . (٣) في ١ ، ٤ م : «يتحدر» .
وفي سيرة ابن هشام : «فظل دمي على السرايل يتحدر» . (٤) كذا في السيرة لابن هشام . وقد جاء
في لسان العرب (في مادة «غب») : «ومن كلامهم لأمر بك غب الحمار وظاهرة الفرس ، فقب الحمار
أن يرعى يوما ويشرب يوما ، وظاهرة الفرس أن يشرب كل يوم نصف النهار» . وفي الأصول :
«عنا وظاهرهم» وهو تحريف . (٥) كذا في السيرة . والذفر : المتغير الرائحة ؛ يقال : كنيبة
ذفراء أي إنها مبهكة من الحديد وصدته . وفي الأصول : «ذفر» بالواو وهو تحريف .

٢٠

أحاك خالداً ؟! فقال لهم : إن القوم بحجرة مذبح^(١)، وهم أكفاء جشم، ولا يجمل بي هجاؤهم . فأحفظوه بكثرة القول وأغضبوه، فقال :

يا بني الحارث أتم معشر * زئدكم وإي وفي الحرب بهم^(٢)
ولكم خيل عليها فتية * كأُسود الغاب يحمين الأجم
ليس في الأرض قبيل مثلكم * حين يرفض البدا غير جشم
لست للضممة إن لم آتكم * بالحنأ ذيد تبارى في اللجم^(٣)
فتقر العين منكم مرة * بانبعث الحز نوحة تلتدم^(٤)
وترى تجران منكم بلقعا * غير شمتاء وطفيل قد يتم
فأنظروها كالسعالى شربا^(٥) * قبل رأس الحول إن لم أخترم

قال : فنبئ قوله الى عبد الله بن عبد المدان، فقال يجيبه :

نبئت أن دريدا ظل معترضا * يهدي الوعيد الى تجران من حصن^(٦)
كالكلب يعوى الى بيدا مفقرة * من ذا يواعدنا بالحرب لم يحن^(٧)
إن تلقى حى بني الديان تلقهم^(٨) * شم الأنوف إليهم عزة آلهم
ما كان في الناس للديان من شبه * إلا رعين^(٩) وإلا آل ذى يزن

١٧
٩

- ١٥ (١) يقال : بنو فلان بحجرة، اذا كانوا أهل منعة وشدة . والبحرة : كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحلقون أحدا ولا ينضمون الى أحد، تكون القبيلة تقسما بحجرة تصبر لقراع القبائل، كما صبرت عيس لقبائل قيس . قال أبو عبيدة : جرات العرب ثلاثة بنو ضبة بن أد، وبنو الحارث بن كعب، وبنو نمير بن عامر، وطفقت منهم جمرتان : طفتت ضبة لأنها حالقت الرباب، وطفقت بنو الحارث لأنها حالقت مذبح، وبقيت نمير لأنها لم تحالف . (٢) بهم : جمع بهمة وهو الشجاع .
٢٠ (٣) الحنأ ذيد : جباد الخيل، واحداها خنديد . (٤) تلتدم : تضرب صدرها في التباحة .
(٥) السعالى : الفيلان، واحداها سعال . والشرب : جمع شازب وهو الضامر . (٦) حصن : جبل .
(٧) لم يحن : لم يهلك . (٨) في الأصول : «غرة» بالراء المهملة وهو تصحيف .

أَعْمَضُ جَفَوْنِكَ عَمَّا لَسْتَ نَائِلَهُ * نَحْنُ الَّذِينَ سَبَقْنَا النَّاسَ بِالْذِّمَنِ
نَحْبُ الَّذِينَ تَرَكَنا خَالِدًا عَطِيًّا * وَسَطَ الْعِجَاجِ كَأَنَّ الْمَرْءَ لَمْ يَكُنْ
إِنْ تَهَجُّنَا تَهْجُ أَجْسَادًا شَرَّاحِمَةً * يَبِضُّ الْوُجُوهُ مَرَّافِدًا عَلَى الزَّمَنِ
أَوْرَى زِيَادٌ لَنَا زَنْدًا وَوَالِدُنَا * عَبْدُ الْمَدَانِ وَأَوْرَى زَنْدَهُ قَطُنُ^(٢)

٥ أخبرني محمد بن خلف وركيع قال حدثنا أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي قال :
رده أسماء بن زنياع
عن ظيعته زينب
وطمه فأصاب عينه

أغار دريد بن الصمة في نفر من أصحابه ، فمزوا بأسماء بن زنياع الحارثي ومعه
ظيعته زينب ، فأحاطوا به لينتزعوها من يده ، فقاتلهم دونها فقتل منهم وجرح ،
ثم اختلف هو ودريد طعتين : فطعنه دريد فأخطأه ، وطعنه أسماء فأصاب عينه ،
وأنهزم دريد ولحق بأصحابه ؛ فقال دريد في ذلك :

شَلْتُ يَمِينِي وَلَا أَشْرَبُ مَعْتَقَةً * إِذْ أَخْطَأَ الْمَوْتَ أَسْمَاءُ بْنُ زَنْيَاعِ

قال : وهي قصيدة .

ونسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني الذي ذكرته بأمره عن محمد بن السائب
الكلبي قال :

١٥ جاور رجل من ثمالة عبد الله بن الصمة ، فهلك عبد الله وأقام الرجل
في جوار دريد . وأغار أنس بن مذكرة الخثعمي على بني جثم ، فأصاب ماله
التمالي وأصاب ناسا من ثمالة كانوا جيрана لدريد ؛ فكف دريد عن طلب القوم
وشغل بحرب من يليه ، وقال لجاره ذلك : أمهلني عامي هذا . فقال التمالي : قد
أمهلتك عامين . وخرج دريد ليلة لحاجته وقد أبطأ في أمر التمالي ، فسمعه يقول :

(١) كذا في الأصول ، وهو غير واضح . (٢) الشراحة : جمع شرح وهو القوى والطويل .

(٣) في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي .

قصته مع أنس بن
مذكرة الخثعمي
وزيد بن عبد
المدان وشعره
في ذلك

كسالك دُرَيْدُ الدهرَ ثوبَ خَزَايَةٍ * وَجَدَكَ الحَايِي حَقِيقَتَهُ أَنَسُ
دَجَّ الخِلِيلِ وَالسُّمَرِ الطَّوَالَ نَلْتَعِمُ * فَمَا أَنْتَ وَالرَّحُّ الطَّوِيلُ وَمَا الْفَرَسُ
وَمَا أَنْتَ وَالْفَزْوُ الْمُتَابِعُ لِلْعِدَا * وَهَمَّكَ سَوْقُ الْعَوْدِ وَالذَّلْوُ وَالْمَرْسُ^(١)
فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ حَيًّا لَرَدَّهَا * وَمَا أَصْبَحْتُ لِمَنْ بَنَجْرَانُ مُتَحَبِّسُ
وَلَا أَصْبَحْتُ مِرْصِي بِأَشَقِّ مَعِيشَةٍ * وَشَيْخٌ كَبِيرٌ مِنْ ثَمَالَةٍ فِي تَعَسِ
يُرَايِي نَجْمَ اللَّيْلِ مِنْ بَعْدِ هَجْمَةٍ * إِلَى الصَّبْحِ مَحْزُونًا يُطَاوِلُهُ النَّفْسُ
وَكُنْتُ وَعَبْدُ اللَّهِ حَيًّا وَمَا أَرَى * أَبَالِي مِنَ الْأَعْدَاءِ مَنْ قَامَ أَوْ جَلَسَ
فَأَصْبَحْتُ مَهْضُومًا حَزِينًا لَفَقْدِهِ * وَهَلْ مِنْ نَكِيرٍ بَعْدَ حَوْلَيْنِ تَلْتَمِسُ

قال : فضايق دُرَيْدٌ ذَرَفًا بقوله ، وشاور أَوْلَى الرَّأْيِ مِنْ قَوْمِهِ ، فقالوا له : أَرْحَلْ
إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ ، فَإِنَّهُ أَنَسَا قَدْ خَلَفَ الْمَالَ وَالْعِيَالَ بِبَنَجْرَانَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ
بَيْنَ خَتَمٍ ، وَإِنْ يَزِيدٌ يَرُدُّهَا عَلَيْكَ . فقال دُرَيْدٌ : بَلْ أَقْدَمَ إِلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ مِدْحَةً ثُمَّ
أَنْظَرَ مَا مَوْقِفِي مِنَ الرَّجُلِ ، فَقَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى يَزِيدَ :

بَنَى الدِّيَّانُ رُدُّوْا مَالَ جَارِي * وَأَسْرَى فِي كُبُولِهِمُ الثَّقَالِ^(٢)
وَرُدُّوْا السَّبِيَّ إِنْ شَتَمَ بَمَنْ * وَإِنْ شَتَمَ مُفَادَاةً بِمَالِ
فَاتِمَ أَهْلُ عَائِدَةٍ وَفَضِيلِ * وَأَيَّدَ فِي مَوَاهِبِكُمْ طَوَالَ
مَتَى مَا تَمَنَعُوا شَيْئًا فَلَيْسَتْ * حِبَابِلُ أَخْذِهِ غَيْرَ السَّوَالِ
وَحَرْبُكُمْ بَنَى الدِّيَّانِ حَرْبٌ * يَغْصُ الْمَرْءُ مِنْهَا بِالزَّلَالِ
وَجَارُكُمْ بَنَى الدِّيَّانِ بَسَلٌ^(٣) * وَجَارُكُمْ يُعَدُّ مَعَ الْعِيَالِ
حَدًّا عَيْدُ الْمَدَّانِ لَكُمْ حِذَاءً * مُخَصَّرَةٌ الصَّدُورُ عَلَى مِثَالِ

١٨
٩

(١) العود : المسن من الابل . والمرس : الخيل ، والمراد هنا حبل الاستقاء .
(٢) في ١ ، م ، ح : « فِي كُبُولِكُمْ » . (٣) البسل : الحرام .

بَنِي الدِّيَّانِ ابْنُ زِيَادٍ * هُمْ أَهْلُ التَّكْرُمِ وَالْفَعَالِ
فَأَوْلُونِي بَنِي الدِّيَّانِ خَيْرًا * أَفْزَلَكُمْ بِهِ أُخْرَى اللَّيَالِي

قال : فلما بلغ يزيد شعره قال : وجب حق الرجل ! فبعث إليه أن أقدم علينا .
فلما قدم عليه أكرمه وأحسن مثواه . فقال له دريد يوماً : يا أبا النضر ، إنى رأيت
منكم خصالاً لم أرها من أحد من قومك : إنى رأيت أئبتكم متفرقة ، ونتاج خيلكم
قليلًا ، وسرحكم يحمي مئتمًا ، وصبيانكم يتضاغون من غير جوع . قال : أجل ! أما
قله نتاجنا فتناج هوأزن يكفينا . وأما تفرق أئبتنا فللغيرة على النساء . وأما بكاء
صبياننا فإننا نبدأ بالخليل قبل العيال . وأما تمسسينا بالنعم فكنا فينا الغرائب والأراامل ،
تخرج المرأة الى ما لها حيث لا يراها أحد . قال : وأقبلت طلائعهم على يزيد ، فقال
شيخ منهم :

أَتَيْتَكَ السَّلَامَةَ فَأَرَعَ النَّعْمَ * وَلَا تَقْلِلِ الدَّهْرَ إِلَّا نَعْمَ
وَسَرَّحَ دُرَيْدًا بُنْعَمَى جُشْمَ * وَإِنْ سَالَكَ الْمَرْءُ أَحَدَى الْقَحْمِ^(١)

فقال له دريد : من أين جاء هؤلاء ؟ فقال : هذه طلائعنا لا تسرح ولا نصطحح
حتى يرجعوا إلينا . فقال له : ما ظلمكم من جعلكم جمرة مدحج . ورد يزيد عليه الأسارى
من قومه وجيرانه ، ثم قال له : سلني ما شئت ، فلم يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه . فقال
دريد في ذلك :

مَدَحْتُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَّانِ * فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ قَتَى مُتَدَحٍ
إِذَا الْمَدْحُ زَانَ قَتَى مَعْشِرٍ * فَلَا تَزِيدُ يَزِيدُ الْمَدْحُ
حَلَّتْ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ * فَأَوْرَى زِيَادِي لَمَّا قَدَحَ

٢٠ (١) تضاعف من الطوى : تفوز من الجوع وصاح . (٢) التعم : جمع حبة وهي الأمر
الناقص لا يكاد يركبه أحد .

وَرَدَّ النِّسَاءَ بِأَطْهَارِهَا * وَلَوْ كَانَ غَيْرُ يَزِيدَ فَضَح
وَفَكَ الرِّجَالَ وَكُلَّ امْرِئٍ * إِذَا أَصْلَحَ اللَّهُ يَوْمًا صَلَحَ
وَقُلْتُ لَهُ بَعْدَ عَتَقِ النِّسَاءِ * وَفَكَ الرِّجَالَ وَرَدَّ اللِّقْحَ^(١)
أَجْرِي فَوَارِسَ مِنْ عَامِرٍ * فَأَكْرِمُ بِنَفْسِهِ إِذَا نَفَحَ
وَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ فِي وَجْهِهِ * بَكَرَى السُّؤَالَ ظُهُورَ الْفَرْحِ
رَأَيْتُ أَبَا النَّضْرِ فِي مَذْجٍ * بِمِثْلَةِ الْفَجْرِ حِينَ أَتَضَحَ
إِذَا قَارَعُوا عَنْهُ لَمْ يُقَرَّعُوا * وَإِنْ قَدَّمُوهُ لَكَيْشٍ نَطَحَ
وَإِنْ حَضَرَ النَّاسَ لَمْ يُخْزِهِمْ * وَإِنْ وَازَنُوهُ بِقُرَيْبِ رَجَحَ
فَذَلِكَ فَتَاهَا وَنَوَ فُضْلَهَا * وَإِنْ نَاجَى بِفَخَارٍ نَبَحَ

$$\frac{19}{9}$$

- ١٠ قال وقال ابن الكلبي: خرج دريد بن الصِّمَّة في فوارس من قومه في غزاة له، فلقَّيه مُسْهِر بن يزيد الحارثي، الذي فَقَّا عَيْنَ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ، يقود بامرأته أسماء بنت حَزْنِ الحارثية. فلما رآه القوم قالوا: الغنيمة، هذا فارسٌ واحد يقود طَعيْنَةً، وخَلِيقٌ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ قَرْشِيًّا. فقال دريد: هل منكم رجل يمضي إليه فيقتله ويأتينا به وبالطَّعِينَةِ؟ فانتدب إليه رجلٌ من القوم فحمل عليه، فلقَّيه مُسْهِرٌ فَأَخْتَلَفَا طَعْنَتَيْنِ بينهما، فقتله مُسْهِرُ بْنُ الْحَارِثِ. ثم حمل عليه آخر فكانت سبيلهُ سبيلَ صاحبه؛ حتى قَتَلَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةً نَفَرًا. وَبَقِيَ دَرِيدٌ وَحْدَهُ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ؛ فَلَمَّا رَأَى أَلْفِي الْخِطَامِ مِنْ يَدِهِ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ: خُذِي خِطَامَكَ؛ فَقَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ فَارِسٌ لَيْسَ كَالْفَرَسَانِ الَّذِينَ تَقَدَّمُوهُ؛ ثُمَّ قَصَدَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ:

: هَذَا . أَمَا تَرَى الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ * أَرَدَاهُمْ عَامِلٌ رَجَحَ يَابَسُ

(١) اللِّقْحُ: جمع لقحة وهي الناقة الحلوب.

قصته مع مسهر
ابن يزيد الحارثي
وشعره

فقال له دُرَيْد : من أنتَ لله أبوك؟ قال : رجلٌ من بني الحارث بن كعب . قال :
أنتَ الحَصِينُ؟ قال لا . قال : فالمَجَلُّ هَوْدَةَ؟ قال لا . قال : فمن أنتَ؟
قال : أنا مُسْهَر بن يزيد . قال : فانصرف دُرَيْد وهو يقول :

أَمِنْ ذِكْرِ سَلَمَى مَاءٍ عَيْنِكَ يَهْمِلُ * كَمَا أَنهْلُ نَخْرُجُ مِنْ شُعْبَيْبٍ مُشَلِّشِلْ^(١)
وماذا تُرَجِّي بالسَّلامَةِ بعد ما * نَأَتْ حَقَبٌ وَأَبْيَضَ مِنْكَ الْمَرْجَلُ^(٢)
وحالت عَوَادِي الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا * وَحَرْبٌ تَعْمَلُ الْمَوْتَ صَرْفًا وَتُنْهَلُ^(٣)
قِرَاهَا إِذَا بَاتَتْ لَدَيَّ مَقَاضِيَّةٌ * وَذُو خَصْلٍ نَهْدُ الْمَرَاكِلِ هَيْكَلُ^(٤)
كَيْشٍ كَتَيْسِ الرَّمْلِ أَخْلَصَ مَتْنَهُ * ضَرِيبُ الْخَلَايَا وَالنَّقِيعُ الْمَجَلُ^(٥)
عَتِيدٌ لِأَيَّامِ الْحُرُوبِ كَأَنَّهُ * إِذَا أَنْجَابَ رِيْعَانُ الْعَبَاجَةِ أَجْدَلُ^(٦)
يُجَاوِبُ جَرْدًا كَالسَّرَاحِينِ ضُمْرًا * تُرُودُ بِأَبْوَابِ الْبُيُوتِ وَتَقْهَلُ^(٧)
عَلَى كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَطْلَتْ بِفَارَةٍ * وَلَا مِثْلَ مَا لَاقَى الْجِمَاسُ وَزَعْبَلُ^(٨)

— الْجِمَاسُ وَزَعْبَلُ : قَبِيلَتَانِ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ —

غَدَاةَ رَأُونَا بِالْغَبْرِيفِ كَأَنَّهَا * حَيٍّ أَدْرَتْهُ الصَّبَا مَتَهَلَّلُ^(٩)
بِمُسْخَلَةٍ تَدْعُو هَوَازِنَ ، فَوْقَهَا * نَسِيجٌ مِنَ الْمَاضِي لَامٌ مَرَقَلُ^(١٠)

- ١٥ (١) شَلَّشَلُ الْمَاءِ : قَطَر . (٢) الْمَرْجَلُ : الشَّعْرُ ؛ يُقَالُ : رَجُلٌ شَعْرًا إِذَا سَرَحَهُ .
(٣) الْمَقَاضِيَّةُ هُنَا : الدَّرْعُ . وَذُو خَصْلٍ : يَرِيدُ فَرَسًا . وَالْمَرَاكِلُ : جَمْعُ مَرَكَلٍ وَهُوَ حَيْثُ تَصِيرُ رِجْلُكَ
مِنْ الدَّابَّةِ ؛ يُقَالُ فَرَسٌ نَهْدُ الْمَرَاكِلِ أَيْ وَاسِعَ الْجُفُوفِ . وَالْهَيْكَلُ : الضَّمْنُ . (٤) الْكَيْشُ : السَّرِيعُ .
(٥) الضَّرِيبُ : اللَّيْنُ . وَالْخَلَايَا : جَمْعُ خَلِيَةٍ وَهِيَ النَّاقَةُ الْمُخَلَّةُ لِلْجَلْبِ . يَرِيدُ أَنَّ هَذَا الْفَرَسَ مَعْنَى بِهِ .
(٦) الْأَجْدَلُ : الصَّقَرُ . (٧) كَذَا فِي ح . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ « يُجَارِبُ » وَهُوَ مَحْرِفٌ .
(٨) السَّرَاحِينُ : الذَّنَابُ وَاحِدُهَا سَرَحَانٌ . (٩) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَلَعَالَى الْعَرِيفُ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ .
(١٠) الْحَيُّ : السَّحَابُ الْمُتَرَاكِمُ . وَفِي الْأَصُولِ « حَيٍّ » بَيَانٌ . (١١) الْمَاضِي :
الدَّرِيعُ الْبَيْتُ الْمُسَلَّةُ . وَاللَّامُ : الدَّرِيعُ ، وَاحِدُهَا لَأْمَةٌ . وَالْمَرَقَلُ : الْمُسْنِغُ .

لدى مَعْرَكٍ فيها تركنا سَرَاتِهِمْ * يُنَادُونَ، مِنْهُمْ مُوثِقٌ وَمَجْدَلٌ
نَجْدٌ جِهَارًا بِالسَّيْفِ رَعَوَسَهُمْ * وَأَرْمَاخُنَا مِنْهُمْ تَعْلٌ وَتَهْلٌ
تَرَى كُلَّ مَسَوْدِّ الْعِذَارَيْنِ فَارِسٍ * يُطِيفُ بِهِ تَنْسَرُ وَعَرَفَاءُ جِيَالٍ

قال مؤلف هذا الكتاب : هذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعةٌ
كلُّها، والتوليدُ بينَ فيها وفي أشعارها، وما رأيتُ شيئاً منها في ديوان دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ
على سائر الروايات. وأعجبُ من ذلك هذا الخبر الأخير؛ فإنه ذكر فيه ما لحق دُرَيْداً
من الهُجَّةِ والفضيحة في أصحابه وقتل من قُتِلَ معه وأنصرافه منفرداً، وشعر دُرَيْدِ
هذا يفخر فيه بأنه ظفرَ بِنِي الحارث وقتلَ أَمَاتِلَهُمْ؛ وهذا من أكاذيب ابن الكلبي.
ولمَّا ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء قد رواه الناس وتداولوه .

٢٠
٩

- ١٠ (١) كذا في ج. والعرفاء : الضعيف؛ سميت بذلك لكثرة شعر رقبته. وجبال : من أسماء الضعيف أيضاً ،
معرفة بفسير ألف ولام . وقال كراع : الجبال ، فأدخل عليها الألف واللام ، وشاهده قول العجاج :
يدعن ذا الثروة كالجهيل * وصاحب الإقصار لم الجبال
وفي سائر الأصول : «غربان جبال» وهو محريف .

أخبار المعتضد في صناعة هذا اللحن وغيره من الاغانى
— دون أخباره في غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حد الكتاب —
وشئ من أخباره مع المغنين وغيرهم يصلح لما هاهنا

راسل عبيد الله
ابن عبيد الله بن
طاهر في أمر النغم
العشر حتى فهمها
وجمعها في صوت

حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
أن المعتضد بعث إليه — لما صنعتُ جاريته شاجي اللحن الذي يجمع النغم العشر —
بطبي وحيب جاريته أخيه سليمان بن عبد الله بن طاهر حتى أخذتا اللحن عنه ونقلتا
إليه وألقياه على جواريه . قال : ولم يزل يُرسلني مع عبد الله بن أحمد بن حمدون في أمر
النغم العشر ويسألني عنها وأشرحها له ، حتى فهمها جيداً وجمعها في صوت صنعه
في شعر دُرَيْد بن الصِّمَّة :

يا ليتني فيها جَدَعٌ * أَخْبَ فيها وَأَصْعُ

وألقاه عليهما حتى أدّاه إلى مستعلباً بذلك هل هو صحيحُ القسمة والأجزاء أم لا ،
فعرّفته صحته ودلّته على ذلك حتى تيقّنه فسّر بذلك ؛ وهو لعمري من جيد الصنعة
ونادرها . وقد صنع المعتضدُ الحاناً في عدّة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء
والمحدثين وعارضهم بصنعتهم فأحسن وشاكل وضاهى ، فلم يعجز ولا قصر ولا أتى
بشيء يُعتدّرمه . فمن ذلك أنه صنع في :

أما القطاة فإني سوف أنعّتها * نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

لحناً من الثقيل الأول بالبصرى في نهاية الجودة ، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زُرَّور
يُغنيّه ، فكان من أحسن ما صنّع في هذا الصوت على كثرة الصنعة فيه وأمثراك

القدماء والمحدثين في صنعتهم مثل مَعْبَدٍ وَنَشِيطٍ وَمَالِكٍ وَابْنِ مُحْرِزٍ وَمِنْانٍ وَعُمَرُ الْوَادِي
وَأَبْنِ جَامِعٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَأَبْنَهُ إِسْحَاقَ وَعَلَوِيَهُ . وَأُظْرَفُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَنَعَ فِي :
تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَرَى لَمَّا جَهَدَهُ * وَيَبْنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ

- لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى، وَقَدْ صَنَعَ قَبْلَهُ أَبْنُ سُرَيْجٍ لَحْنًا هُوَ مِنَ الْأَلْحَانِ الثَّلَاثَةِ
الْمُخْتَارَةِ مِنَ الْغَنَاءِ كُلِّهِ، فَمَا قَصَّرَ فِي صِنْعَتِهِ وَلَا تَجَزَّزَ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ فِيهَا؛ هَذَا بَعْدَ أَنْ
صَنَعَ إِسْحَاقُ فِيهَا لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي عَارِضَ أَبْنِ سُرَيْجٍ بِهِ فِي لَحْنِهِ، فَمَا أَمْتَنَعَ مِنْ
أَنْ يَتَلَوَّ مِثْلَ هَذَيْنِ وَلَا نَظِيرَ لِهَذَا فِي الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ، ثُمَّ جَوَّدَ غَايَةَ التَّجَوُّدِ فِيهَا
أَتْبَعَهُمَا بِهِ وَعَارِضَهُمَا فِيهِ . هَذَا مَعَ أَصْوَاتٍ لَهُ صَنَعَهَا تَزَاهَى الْمِائَةِ صَوْتٍ، مَا فِيهَا
سَاقِطٌ وَلَا مَرْدُودٌ، وَسَازِدٌ مِنْهَا مَا يَصْلُحُ ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
وَمِنْ نَادِرِ صِنْعَةِ الْمُعْتَضِدِ :

صَوْت

- أَنَاةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا * وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ
الشَّعْرُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَالْغَنَاءُ لِلْمُعْتَضِدِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ . هَذَا بَيْتٌ قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ
لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ شَعْرٌ، وَلِنَّمَا كَتَبَ بِهِ فِي رِسَالَةٍ عَنِ الْمُعْتَصِمِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ
فَقَالَ فِي فَصْلِ مِنْهُ : « وَإِنْ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِكَ أَنَاةٌ، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ
بَعْدَهَا وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ » . فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ رَأَى أَنَّهُ شَعْرٌ وَأَنَّهُ بَيْتٌ نَادِرٌ
فَأَخْرَجَهُ فِي شَعْرِهِ .

٢١
٩

(١) فِي ١، م : « الثَّانِي » . (٢) تَزَاهَى : تَضَاهَى . وَزَهَا : الشَّيْءُ : قَدَرُهُ .
(٣) فِي ج : « عَنِ الْمُعْتَضِدِ » .

أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُول، وكان صُول رجلاً من الأتراك، ففتح يزيد
 ابن المهلب بلده وأسلم على يديه، فهم موالي يزيد. ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به
 صُول لينصره فصادفه قد قُتل. وكان يقاتل كلَّ مَنْ بينه وبين يزيد من جيش بني أمية
 ويكتب على سهامه: صُول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه. فبلغ ذلك يزيد بن
 عبد الملك، فأعْتَظ وجعل يقول: وَيْلِي عَلَى آبنِ الْغُلْفَاءِ! وماله وللدُّعَاءِ إلى كتاب الله وسنة
 نبيه! ولعله لا يَقْفَه صَلَاتَهُ! . وكان أبْنُه محمد بن صُول من رجال الدولة العباسية
 ودُعَاتِهَا. وقد كان بعضُ أَهْلِيهِمْ أَدْعَوْا أَنَّهُمْ عَرَبٌ وَأَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ الْأَحْنَفِ خَالَهُمْ.
 وأما صُول فلأنَّ خَالِدَ بْنَ خِدَاشٍ ذَكَرَ عَنْ أَهْلِهِ قَالُوا: كَانَ صُولٌ وَقِيرُزُ أَخُو بْنِ
 مَلَكَا عَلَى بُجْرَانَ، وَكَانَا تَرْكِيَيْنِ تَجَسَّسَا وَتَشَبَّهَا بِالْفُرْسِ. فَلَمَّا حَضَرَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ
 بُجْرَانَ أَتْنَهُمَا، فَأَسْلَمَ صُولٌ عَلَى يَدَيْهِ وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ الْعَقْرِ. ^(١) وَكَانَ مُحَمَّدُ
 ابْنُ صُولٍ يُكْنَى أَبَا عُمَارَةَ، أَحَدَ الدُّعَاءِ، وَقَتْلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ خَالَفَ مَعَ مُقَاتِلِ
 ابْنِ حَكِيمٍ الْعَسْكَيِّ وَعِدَّةٍ آخَرِينَ. وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَأَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ فَانْهَمَا كَانَا
 مِنْ وَجْهِ الشُّكَّابِ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَسْنَهُمَا وَأَشَدَّهُمَا تَقَدُّمًا، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ آدَبَهُمَا
 وَأَحْسَنَهُمَا شَعْرًا، وَكَانَ يَقُولُ الشَّعْرَ ثُمَّ يَخْتَارُهُ، وَيُسْقِطُ رَذْلَهُ، ثُمَّ يُسْقِطُ الْوَسْطَ،
 ثُمَّ يَسْقِطُ مَا يُسَبِّقُ إِلَيْهِ، فَلَا يَدْعُ مِنَ الْقَصِيدَةِ إِلَّا الْبَسِيرَ، وَرَبَّمَا لَمْ يَدْعُ مِنْهَا إِلَّا بَيْتًا
 أَوْ بَيْتَيْنِ، فَنَ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

كان يقول الشعر
 ثم يختاره

(١) في الأصول «خراش» بالراء. وقد تقدم خالد بن خدّاش غير مرة في الأجزاء السابقة.

(٢) هو عقربا بل وهو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب (أنظر الحاشية رقم ١ ص ٢٢ ج ٩)

من الأغاني طبع دار الكتب المصرية. (٣) كذا في الأصول. ولعله: «ويكنى أبا عمار الخ».

(٤) هو أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. (أنظر الكلام عليه في تاريخ الطبري

ق ٢ ص ٢٠٠١ — ٢٠٠٣، ٢٠٠٥، ٢٠١٦ طبعة أوربا).

القدماء والمُحدثين في صنعته مثل مَعْبَدٍ وَتَشْيِيطٍ وَمَالِكٍ وَابْنِ مُحَرِّزٍ وَسِنَانٍ وَعُمَرُ الْوَادِي
وَأَبْنِ جَامِعٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَأَبْنَهُ إِسْحَاقَ وَعَلَوِيَهُ . وَأُظْرِفُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَنَعَ فِي :

تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَرَى لَمَّا جَهَدَتْهُ * وَيَنْ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ

- لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى، وَقَدْ صَنَعَ قَبْلَهُ أَبْنُ سُرَيْجٍ لَحْنًا هُوَ مِنَ الْأَلْحَانِ الثَّلَاثَةِ
الْمُخْتَارَةِ مِنَ الْغَنَاءِ كُلِّهَا، فَمَا قَصَّرَ فِي صِنْعَتِهِ وَلَا عَجَزَ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ فِيهَا؛ هَذَا بَعْدَ أَنْ
صَنَعَ إِسْحَاقَ فِيهَا لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي عَارِضَ أَبْنِ سُرَيْجٍ بِهِ فِي لَحْنِهِ، فَمَا آمَتَنَعَ مِنْ
أَنْ يَتَلَوَّ مِثْلَ هَذَيْنِ وَلَا نَظِيرَ لِمَا فِي الْقَدَمَاءِ وَالْمُحْدَثِينَ، ثُمَّ جَوَّدَ غَايَةَ التَّجْوِيدِ فِيهَا
أَتَّبَعَهُمَا بِهِ وَعَارِضُهُمَا فِيهِ . هَذَا مَعَ أَصْوَاتٍ لَهُ صَنَعَهَا تَرَاهِي الْمَائَةِ صَوْتٍ، مَا فِيهَا
سَنَاقُطٌ وَلَا مَرْدُودٌ، وَسَآذُ كَرَمِنَهَا مَا يَصْلُحُ ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
ومن نادر صنعة المعتضد :

صوت

أَنَاءٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا * وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ

- الشعر لإبراهيم بن العباس، والغناء للمعتضد ثَقِيلٌ أَوَّلُ . هَذَا بَدِئْتُ قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ
لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ شَعْرٌ، وَإِنَّمَا كَتَبَ بِهِ فِي رِسَالَةٍ عَنِ الْمُعْتَصِمِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ
فَقَالَ فِي فَصْلِ مِنْهُ : « وَإِنْ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِكَ أَنَاءٌ، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ
بَعْدَهَا وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ » . فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ رَأَى أَنَّهُ شَعْرٌ وَأَنَّهُ بَدِئْتُ نَادِرٌ
فَأَخْرَجَهُ فِي شَعْرِهِ .

٢١
٩

(١) في أ ، م : « الثاني » . (٢) تراهي : تضاهي . وزهاء الشيء : قدره .

(٣) في ج : « عن المعتضد » -

أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه

- إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، وكان صول رجلاً من الأتراك، ففتح يزيد بن المهلب بلده وأسلم على يديه، فهم موالي يزيد. ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به صول لينصره فصادفه قد قُتل، وكان يقاتل كل من بينه وبين يزيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه: صول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك، فأعْتَظَ وجعل يقول: وَيْلِي عَلَى ابْنِ الْغُلَاءِ! وماله وللدُّعَاءِ إلى كتاب الله وسنة نبيه! ولعله لا يَفْقَهُ صَلَاتَهُ! . وكان أبوه محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودُعَاتِهَا. وقد كان بعض أهلهم آذَعُوا أَنَّهُمْ عَرَبٌ وَأَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ الْأَخْنَفِ خَالَهُمْ. وأما صول فإن خالد بن خدّاش ذكر عن أهله قالوا: كان صول وفير وزُخْرٍ أخوين مَلَكَ عَلَى جُرْجَانَ، وكانا تركيَّين تَمَجَّسَا وَتَشَبَّهَا بِالْفُرسِ. فلما حضر يزيد بن المهلب جُرْجَانَ أَمَنَهُمَا، فأسلم صول على يديه ولم يزل معه حتى قُتِلَ يَوْمَ الْقَعْرِ. وكان محمد بن صول يُكْنَى أَبَا عُمَارَةَ، أَحَدَ الدُّعَاةِ، وَقَتْلَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ لَمَّا خَالَفَ مَعَ مُقَاتِلِ بْنِ حَكِيمٍ الْعَيْكِيِّ وَعِدَّةٍ آخَرِينَ. وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فلأنهما كانا من وجوه الْكُتَّابِ، وكان عبد الله أَسْنَهُمَا وَأَشَدَّهُمَا تَقَدُّمًا، وكان إبراهيم آدِيَهُمَا وَأَحْسَنَهُمَا شِعْرًا، وكان يقول الشعر ثم يَخْتَارُهُ، وَيُسْقِطُ رَذْلَهُ، ثُمَّ يُسْقِطُ الْوَسْطَ، ثُمَّ يُسْقِطُ مَا يُسَبِّقُ إِلَيْهِ، فَلَا يَدْعُ مِنَ الْقَصِيدَةِ إِلَّا الْيُسِيرَ، وَرَبَّمَا لَمْ يَدْعُ مِنْهَا إِلَّا يَتًّا أَوْ بَلَتِينَ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

كان يقول الشعر
ثم يختاره

- (١) في الأصول «نراش» بالراء. وقد تقدم خالد بن خدّاش غير مرة في الأجزاء السابقة.
(٢) هو عقربايل وهو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب (أنظر الحاشية رقم ١ ص ٢٢ ج ٩ من الأغاني طبع دار الكتب المصرية).
(٣) كذا في الأصول. ولعله: «ويكنى أبا عماره الخ».
(٤) هو أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. (أنظر الكلام عليه في تاريخ الطبري ق ٢ ص ٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٥، ٢٠٠، ٢٠١٦ طبعة أوربا).

ولكنَّ الجوادَ ابا هشام * وفي العهدِ مأمونُ المغيَّب
ودنا ابتداءً يدلُّ على أنَّ قبله غيره؛ وقوله في أخيه :

ولكنَّ عبدَ الله لما حوى الغنى * وصار له من بين إخوته مالٌ

وهذا أيضا ابتداء يدلُّ على أنَّ قبله غيره . وكان إبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع

- ذى الرأستين، اتصل به فرفع منهما . وتنقل إبراهيم في الأعمال الجبلية والدواوين إلى
أن مات وهو يتقلد ديوان الضياع والنفقات بسر من رأى في سنة ثلاث وأربعين
وماثنين للنصف من شعبان .

قال محمد بن داود وحدثني أحمد بن سعيد بن حسان قال حدثني ابن إبراهيم

قال سمعت دعيلاً يقول :

- لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء . قال : ثم أنشدنا له ،
• وكان يستحسن ذلك من قوله :

إِنَّ امرأ ضنَّ بمعروفه * عني لمبذولٌ له عذرى

ما أنا بالراغب في عرفه * إن كان لا يرغب في شكرى

• وكان إبراهيم بن العباس صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده

- وصارت بينهما شحنة عظيمة لم يمكن تلافيها ، فكان إبراهيم يهجو به فمن قوله فيه :
•

أبا جعفرٍ خَفَّ خَفْضَةً بعد رُفْعَةٍ * وقصَّرَ قليلاً عن مَدَى غُلَوائِكَ

لئن كان هذا اليومُ يوماً حَوَيْتَهُ * فإنَّ رجائي في غِدِّ كرجائك

وله فيه أيضا :

دَعَوْتُكَ في بَلَوَى المَلَّتْ صرُوفُهَا * فأوقدت من ضغني على سعيها

- فأني إذا أدعوك عند مُلَبَّةٍ * كداعيةٍ عند القبورِ نصيرها

(١) كذا في ب ، س . وفي سائر الأصول : « أحمد بن داود » .

هجاؤه محمد بن
عبد الملك الزيات
وتشفيعه بموته

وقال فيه لما مات :

لما أتاني خبر الزيات * وأنه قد صار في الأموات

* أيقنتُ أنَّ موته حياقي *

هجره صديقه
الحارث بن بسفر
مرضاة لمحمد بن
عبد الملك الزيات
فقال في ذلك شعرا

أخبرني بحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما انحرف محمد بن عبد الملك
الزيات عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقوه ، وكان الحارث بن بسفر صديقا له
مصافيا ، فهجره فيمن هجره من إخوانه ، فكتب إليه :

تَغَيَّرَ لي فيمن تَغَيَّرَ حارثُ * وكم من أخ قد غَيَّرَته الحوادثُ

أحارثُ إن شوركُ فيك فطالما * غَنِينا وما بَلِيني وبينك ثالثُ

وقد قيل : إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصلي .

ومن جَيِّد قول إبراهيم بن العباس وفيه غناء :

صوت

خَلَّ النَّفَاقَ لِأَهْلِهِ * وَعَلَيْكَ فَاتَمَسَّ الطَّرِيقُ !

وَأَذْهَبَ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَى * إِلَّا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقًا

الفناء لأبي العُبَيْس بن حمدون ، ثَقِيلٌ أَوَّل .

قصة عشقه
لقينة وانكاشه
لآخرها وشعره فيها

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : كان إبراهيم
ابن العباس يهوى قَيْنَةً بَسْرَمَنْ رَأَى ، فكان لا يكاد يفارقها . فجلس يوما للشرب
ومعه إخوان له ، ودعا جماعة من جواري القيان ، ودعاها فأبطأت ، فتغنص عليهم
يومهم لما رأوا من شُغْلِ قلبه بتأثيرها ، ثم وافَتْ فُسْرَى عنه وطابت نفسه وشرب
وطرب ، ثم دعا بدواة فكتب :

أَلَمْ تَرَنَا يَوْمَنَا إِذْ نَأَتْ * فَلَمْ تَأْتِ مِنْ بَيْنِ أَتْرَابِنَا

وقد غمرتنا دواعي السرور * بلأشغالها وبألهاها

٥

١٠

١٥

٢٠

وَمَدَّتْ عَلَيْنَا سَمَاءَ النِّعَمِ * وَكُلُّ الْمُنَى تَحْتَ أَطْنَابِهَا^(١)
وَنَحْنُ قُتُورٌ إِلَى أَنْ بَدَتْ * وَبَدْرُ الدُّجَى بَيْنَ أَمْوَابِهَا
فَلَمَّا نَأَتْ كَيْفَ مُنَّكَ لَهَا * وَلَمَّا دَنَتْ كَيْفَ صِرْنَا بِهَا

وأمر من حضر فقرأ عليها الأبيات، فتجنت وقالت: ما القصة كما وصفت،
وقد كنتم في قصصكم مع من حضر، وإنما تجملت لي لما حضرت. فأنشأ يقول:

يَا مَنْ حَتَيْنِي لِإِلَيْهِ * وَمَنْ فَوَّادَى لَدَيْهِ
وَمَنْ إِذَا غَابَ مِنْ يَدِي * نَهَمَ أَسِفْتُ عَلَيْهِ
إِذَا حَضَرْتِ فَمَا مِنْهُ^(١) * نَهَمَ مَنْ أَصْبُوَ لِإِلَيْهِ
مَنْ غَابَ غَيْرُكَ مِنْهُمْ * فَأَمْرُهُ فِي يَدَيْهِ

٢٣
٩

قال: فرضيت عنه، وأتممتنا يومنا على أحسن حال.

وقال محمد بن داود حدثني محمد بن القاسم قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال
حدثني إبراهيم بن العباس - قال حدثني به دُعَيْلٌ أيضا فكانا متفقين في الرواية - قال:
كُنَّا نَطْلُبُ جَمِيعًا بِالشَّعْرِ، ففَرَجْنَا وَكُنَّا فِي تَحْيِيلٍ، فابْتَدَأْتُ أَقُولُ فِي الْمَطْلَبِ
ابن عبد الله بن مالك:

أجازه دُعَيْلٌ
في شعر

١٥ * أَمَطَّلِبُ أَنْتَ مُسْتَعْدِبٌ *

فقال دُعَيْلٌ:

* لَسَمَّ الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْتَلٌ *

فقلت:

* فَإِنْ أَشَفَ مِنْكَ تَكُنْ سُبَّةً *

فقال دُعَيْلٌ:

٢٠

* وَإِنْ أَعَفُ عَنْكَ فَمَا تَفْعَلُ *

(١) الأطناب: جمع طناب: وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت.

رعى له الأخفش
أياتا كان يفضلها
ويستجدها

أُشدنى الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يُفضلها ويستجدها :
أميل مع الدمام على ابن أمي * وأخذ للصديق من الشقيق
وإن ألقيتني حُرًّا مطاعا * فإنيك واجدي عبد الصديق
أفرق بين معروفي ومي * وأجمع بين مالي والحقوق

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسن بن أبي البغل قال حدثني عمي قال : جوابه لأبي أيوب

اجتاز محمد بن عليّ برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير وهو متولّي ديار
مُضر فلم يتلقّه ، ونزل الرقة فلم يصل إليه ولم يره ، وخرج عنها فلم يُسعه . فلامه إخوانه
وقالوا : يشكوك إلى إبراهيم بن العباس . فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلة .
فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه :

أبداً معتذراً لا يعتذر * ورؤوبٌ للتي لا تُفقر
وملقى بمساوكلها * منه تبدو وإليه تصدّر
هي من كل الوري مُنكرة * وهي منه وحده لا تُنكر

كان يهوى جارية
اسمها « سامر »
أهدت له جاريّتين

أخبرني عمي قال حدثني ابن برد الخيار عن أبيه قال :

كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنّين بسرةً رأى يقال لها
سامر ، وشهر بها ، فكان منزله لا يخلو منها . ثم دُعيت في وليمة لبعض أهلها فغابت عنه
أياماً ثم جاءته ومعها جاريّتان لمولاتها ، وقالت له : قد أهديت صاحبتك اليك عوصاً من
مغني عنك ، فأنسا يقول :

(١) كذا في الأصول وتاريخ الطبري (ق ٣ ص ١٤٩٩) . وفي معجم الادباء لياقوت في الكلام على

إبراهيم بن العباس : " محمد بن علي بن برد الخيار " بالزاي .

صوت

أقبلن يحففن مثل الشمس طالعة * قد حسن الله أولاهن وأخرها
ما كنت فيهن إلا كنت واسطة * وكن دونك يمناها ويسراها

الغناء لسلسل مولى بنى هاشم، ثانی ثقيل بالوسطى مطلق. وليس لسلسل خبر يدون
ولا هو من المشهورين ولا ممن خدم الخلفاء أو دون له حديث. وذكر حبش أنه
لسلسل مولاة محمد بن حرب الهلالي. وسلسل هذه كانت من أحسن الناس وجها
وغناء، وكانت لبعض المغنين بالبصرة، وكان محمد بن حرب هذا يتعشقها ولم تكن
مولاته. فأخبرني الحرثي بن أبي العلاء قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال
حدثني حماد بن إسحاق قال: أتى أبان بن عبد الحميد الشاعر رجلا بالبصرة وله
قينة يقال لها سلسل، فصادف عندها محمد بن قطن الهلالي وعثمان بن الحكم بن صخر
الثقفى فقال:

فنتن سلسل قلب ابن قطن * ثم نلت بآبن صخر فافتن
فاتيت اليوم كي أتقدم * فإذا نحن جميعا في قرن

فاظن الغلط وقع على حبش من هاهنا أو سمع هذا الخبر فتوهم أنها مولاة محمد
ابن حرب.

١٥

أخبرني عمي ووكيع قال حدثنا الحسن بن علي العتري قال حدثني محمد بن عيسى
ابن عبد الرحمن قال:

خرج إبراهيم بن العباس ودعبل بن علي وأخوه رزيق في نظراتهم من أهل
الأدب رجالة إلى بعض البساتين في خلافة المأمون، فلقبهم قوم من أهل السواد من
أصحاب الشوك، فأعطوهم شيئا وركبوا تلك الحمير، فأنشأ إبراهيم يقول:

٢٠

ذهابه مع دعبل
ودزين ودكوبهم
حير أهل الشوك
وشعرهم في ذلك

أَعِضَتْ بِعَدَحَلِ الشَّوْ * كِهْ أَحْمَالًا مِنْ الْحَرْفِ^(١)
تَشَاوَى لَا مِنْ الصَّبْهَا * ءِ بِلْ مِنْ شِدَّةِ الضَّعْفِ

فَقَالَ رَزِين :

فَلَوْ كُنْتُمْ عَلَى ذَلِكَ * تَوَلَّوْا إِلَى قَصِيفِ
تَسَاوَتْ حَالُكُمْ فِيهِ * وَلَمْ تَبْقُوا عَلَى خَسْفِ

فَقَالَ دِخِيل :

وَإِذَا فَاتَ الَّذِي فَاتَ * فَكُونُوا مِنْ بَنِي الظَّرْفِ
وَمُرُّوا تَقْصِيفَ الْيَوْمِ * فَإِنِّي بَائِعٌ خُسْفَى
فَانْصَرَفُوا مَعَهُ فَبَاعَ خُسْفَى وَأَنْفَقَهُ عَلَيْهِمْ .

١٠ أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبِهِ قَالَ قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْإِسْكَافِيُّ :

كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ ابْنٌ قَدْ يَفَعُ وَتَرَعَرَعَ، وَكَانَ مُعْجَبًا بِهِ فَأَعْتَلَّ عَلَيْهِ لَمْ تَطُلْ وَمَاتَ؛
فَرَتَاهُ بِمَوَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَجَزَعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا، فَمَا رَتَاهُ بِهِ قَوْلُهُ :
كَنْتُ السَّوَادَ لِمُقَلَّتِي * فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمْتُ * فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَادِرَ

١٥

فِيهِ رَمْلٌ لِابْنِ الْقَصَّارِ . وَمِنْ مَرَاتِيهِ لِيَاهُ قَوْلُهُ :

وَمَا زِلْتُ مُدُّ لَدَّ أُعْطِيْتُهُ * أَدَانَعُ عَنْهُ حِمَامَ الْأَجَلِ
أُحَوِّدُهُ دَائِبًا بِالْقُرَانِ * وَأَرْنَى بِطَرْفِي إِلَى حَيْثُ حَلَّ
فَأَضَحَّتْ يَدِي قَصْدُهَا وَاحِدٌ * إِلَى حَيْثُ حَلَّ فَلَمْ يَرْتَحِلْ

٢٠ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلَةَ قَالَ : قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ : قَدْ أَحْمَلْتَ
نَفْسَكَ وَرَضِيتَ أَنْ تَكُونَ تَابِعًا أَبَدًا لِاِكْتِصَارِكَ عَلَى الْقَصْفِ وَاللَّعْبِ؛ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

(١) كَذَا فِي الْأُمُولِ .

إِنَّمَا الْمَرْءُ صَوْرَةٌ * حَيْثُ حَلَّتْ تَنَاهَتْ
أَنَا مَذْكُوتٌ فِي التَّصَرُّفِ لِي حَالٌ سَاعَتِي

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني ابن السخني قال :
وهب عبد الله بن العباس لأخيه إبراهيم ثلث ماله ، ووهب لأخته الثلث
الآخر ، فسار مساوياً لهما في الحال ، فقال إبراهيم :

روى أخوه عبد الله
ثلث ماله وأخته
الثلث الآخر وشعره
في ذلك

وَلَكِنْ عَبْدَ اللَّهِ مَا حَوَى الْغَنَى * وَصَارَ لَهُ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِ مَالٌ
رَأَى خَلَّةً مِنْهُمْ تُسَدُّ بِمَالِهِ * فَسَاهَمَهُمْ حَتَّى آسَتُوهُمْ بِهِمْ الْحَالُ
وهذا مما عيب على إبراهيم قوله ابتداءً "ولكن عبد الله" . وقد كرهه في شعره فقال :

وَلَكِنْ الْجِسَادُ أَبَا هِشَامٍ * وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ
يَطِيءُ عَنْكَ مَا اسْتَنْبَيْتَ عَنْهُ * وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مَعَ الْخَطُوبِ
والسبب في ذلك اختياره شعره وإسقاطه ما لم يرضه منه .

٢٥
٩

وَقُرَأَتْ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : لَمَّا غُزِلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ عَنِ الْأَهْوَازِ فِي أَيَّامِ
محمد بن عبد الملك الزيات أعْتُقِلَ بِهَا وَأُوذِيَ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَبْلَ الْوِزَارَةِ صَدِيقَهُ ،
وَكَانَ يُؤْمَلُ مِنْهُ أَنْ يُسَاحِمَهُ وَيُطْلِقَهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

عزله عن الأهواز

فَلَوْ إِذْ نَبَأَ دَهْرٌ وَأُنْكِرَ صَاحِبٌ * وَسُلْطَ أَعْدَاءُ وَغَابَ نَصِيرُ
تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَازِ دَارِي بَنُجُوتٍ * وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَتْ وَأُمُورُ
وَإِنِّي لِأَرْجُو بَعْدَ هَذَا مُجَدًّا * لِأَفْضَلِ مَا يُرْجَى أَخُوزِيرُ

١٥

فأقام محمد على قصيده وتكشيفه والإساءة إليه حتى بلغ منه كل مكروه ، وأفرجت الحال
بينهما على ذلك ، وهجاه إبراهيم هجاء كثيراً .

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو عبد الله الباقي - أو الطالقاني -
قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال :

أرسل ابن الزيات
أبا الجهم للتكايه

وجه محمد بن عبد الملك بأبي الجهم أحمد بن سيف إلى الأهواز ليكشف إبراهيم
ابن العباس ، فتعامل عليه تحاملاً شديداً . فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبد الملك
يعرفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له : أبو الجهم كافر لا يُبالي ما عمل ، وهو القاتل
لما مات غلامه يخاطب ملك الموت :

وأقبلت تسعى إلى واحد * ضراً كأتى قتلت الرسولا
ترك عبيد بن طاهر * وقد ملأوا الأرض عرماً وطولا
فسوف آدين بترك الصلاة * وأصطحب الخمر صرفاً شولا
فكان محمد لعصيته على إبراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لأبي الجهم ، إنما
إبراهيم قار ، ونسبه إليه .

مدح المتوكل بيتين
وغنى بهما جعفر
ابن رقة

أخبرني أحمد بن جعفر بن رقة قال حدثني أبي قال دعاني إبراهيم بن
العباس وقال : قد مدحت أمير المؤمنين المتوكل بيتين ، فغنّ فيهما وأشعهما ،
ودما لي يطيب كثير فأعطانيه ، وخلع عليّ خلعة سرية ، فغنيت فيهما . والبيتان :

صوت

١٥

ما واحد من واحد * أولى بفضل أو مروة
من أبوه وجده * بين الخلافة والنسب
وأشعتهما وغنى فيهما المتوكل فاستحسنهما ووصله صلة سنية .
لحن جعفر بن رقة في هذين البيتين رمل بالبنصر

مدح الرضا لما
عقدت ولاية العهد
فأجازه

أخبرني محمد بن يونس الأنباري قال حدثني أبي :
أن إبراهيم بن العباس الصولي دخل على الرضا لما عقد له المأمونية وولاه
العهد، فأنشده قوله :

أزالت عزاء القلب بعد التجلد * مصارع أولاد النبي محمد

— صلى الله عليه وسلم — فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت باسمه . فلم
تزل عند إبراهيم ، وجعل منها مهور نسائه ، وخلّف بعضها لكفنه وجهازه إلى قبره .

٢٦
٩

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو العباس بن الفرّات والباطاني قالا :
كان إسماعيل بن إبراهيم ابن أخي زيدان صديقا لإبراهيم بن العباس ، فأنسخه
شعره بمدح الرضا ، ثم ولي إبراهيم بن العباس في أيام المتوكل ديوان الصباغ ، فعزله
عن صباغ كانت بيده بخلوان ، وطالبه بمال وجب عليه ، وتباعد بينهما . فقال إسماعيل
لبعض من يثق به : قل لإبراهيم بن العباس : والله لئن لم يكف عما يفعل في لأخرجن
قصيدته في الرضا بقطعه إلى المتوكل . فاحجم عنه إبراهيم وتلافاه ، ووجه من أرتبع القصيدة
منه وجعله على ثقة من أنه لا يظهرها ، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به .

أذى إسماعيل ابن
أخي زيدان فهذه
فكف عنه

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال :

نادرته في تغيل

راكت إبراهيم بن العباس ، فلقينا رجلا كان إبراهيم يستقله ، فسلم عليه . فلما
مضى قال : يا أبا إسماعيل إنه جرمي . فقلت : ما كان عندي إلا أنه من أهل السواد .
فصيحك وقال : إنما أردت قول الشاعر :

نساءل عن أخي جرم * ثقيل والذي خلقه

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن السخي قال حدثني الحسن بن عبد الله
الصولي قال :

كتابه في شفاة
رجل إلى بعض
إخوانه

٢٠

(١) كذا في جميع الأصول هنا . وقد جاء في صفحة ٥ هـ في جميع الأصول أيضا : « أحمد بن السخي » .
وليس لدينا ما يرجح إحدى الروايتين .

كتب عَمِّي إبراهيمُ بن العباس شفاعاً لرجل إلى بعض إخوانه : فلان مَن يَرْكُو
شكره ، ويَحْسُن ذِكْرَهُ ، وَيَعْنِي أمرُهُ ، والصَّنِيعَةُ عنده واقعةٌ مَوْقَعُها ، وسالكةٌ
طريقَها .

وأَفْضَلُ ما يَأْتِيهِ ذُو الدِّينِ وَالْحِجَا * إصَابَةُ شكرٍ لم يَضَعْ مَعَهُ أَجْرٌ

أخبرني عَمِّي عن أَبِي العِيَاءِ قال :

مدحه عبيد الله
ابن يحيى عند
المتوكل

كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بن يحيى يَقُولُ لِلتَّوَكَّلِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بنَ الْعَبَّاسِ
فَضِيلَةٌ خَبَّأَهَا اللَّهُ لَكَ ، وَذَخِيرَةٌ ذَخَّرَهَا لِدَوْلِكَ .

وَذَكَرَ عَنْ عَلِيٍّ بنِ يَحْيَى :

طلب اليه المتوكل
وصف القدور
الابراهيمية
ومجوزهما في ذلك

أَنَّ الْمُتَوَكَّلَ بَعَثَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بنِ الْعَبَّاسِ بِأَمْرِهِ أَنْ يَصِفَ لَهُ الْقُدُورَ
الْإِبْرَاهِيمِيَّةَ ، وَكَانَ أَتْبَدَعُهَا ؛ فَكُتِبَ لَهُ صِفَتُهَا ، وَكُتِبَ فِي آخِرِهَا فِي ذِكْرِ الْأَبَازِيرِ :

”وَوَزَنَ دَانِقٌ“ وَنَسِيَ أَنْ يَكْتُبَ مِنْ أَيْ شَيْءٍ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الصِّفَةُ أَغْتَاظَ ثُمَّ قَالَ
لِعَلِيِّ بنِ يَحْيَى : احْلُفْ بِحَيَاتِي أَنْ تَقُولَ لَهُ مَا أَمْرُكَ بِهِ ، فَفَعَلَ . فَقَالَ لَهُ : قُلْ وَزَنُ
دَانِقٌ مِنْ أَيْ شَيْءٍ ؟ أَمِنْ بَطَرِ أَمْكُ ! قَالَ عَلِيُّ بنُ يَحْيَى : فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : إِنِّي
جِئْتُكَ فِي رِسَالَةٍ عَزِيزٍ عَلَيَّ أَنْ أُؤَدِّيَهَا ؛ فَقَالَ : هَاتِيهَا ، فَأَدَّيْتُهَا . قَالَ : فَارْجِعْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ

عَنِّي : يَا سَيِّدِي ، إِنَّ عَلِيَّ بنَ يَحْيَى أَخِي وَصَدِيقِي وَقَدْ أَدَّى الرِّسَالَةَ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَجْعَلَ
وَزَنَ الدَّانِقِ مِنْ بَطَرِ أَمِّي وَبَطَرِ أَمِّهِ جَمِيعاً تَفَضَّلْتَ بِذَلِكَ . فَقُلْتُ : قَبَّلَكَ اللَّهُ ! وَأَنَا
أُشِيشُ ذَنبِي ! قَالَ : قَدْ أَدَّيْتُ الرِّسَالَةَ وَهَذَا جَوَابُهَا ، فَدَخَلْتُ إِلَى الْمُتَوَكَّلِ فَقَالَ : إِلَيْهِ
مَا قَالَ لَكَ ؟ فَقُلْتُ : قَبَّحَ اللَّهُ مَا جِئْتُكَ بِهِ ! وَأَخْبَرْتَهُ بِالْجَوَابِ ؛ فَضَحِكَ حَتَّى لَحَضَ
بِرِجْلِهِ وَجَعَلَ يَشْرَبُ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ . وَإِذَا لَقِيتُهُ قَالَ لِي : يَا عَلِيُّ ، وَزَنَ دَانِقٌ أَيْشُ !

فَأَقُولُ : لعنة الله على إبراهيم .

داعب الحسن بن
وهب وشعره
في ذلك

٢٧
٩

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال :
- ٥ - دعا الحسن بن وهب إبراهيم بن العباس ؛ فقال له : أركب وأجيتك عشياً فلا تنتظرنى بالغداة . فأبطأ عليه ، وأسرع الحسن في شربه فسكّر وتام ، وجاء إبراهيم فراه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب :
- رُحنا إليك وقد راحت بك الراح * وأسرعني فيك أوتار وأقباح
- قال : وحدثني محمد بن موسى قال :
- نظر إبراهيم بن العباس الحسن بن وهب وهو مخمور فقال له :
- عيناك قد حككتا مبيد * تـك كيف كنت وكيف كانا
- ولرب عين قد أرت * لك مبيت صاحبها عيانا
- ١٠ فاجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتا وطالبه بمثله ؛ فكتب اليه بأربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتا . وأبيات إبراهيم :
- أأبا على خير قولك ما * حصلت أنجعه ومختصرة
- ما عندنا في البيع من غبن * لئستقل بواحد عشره
- أنا أهل ذلك غير مختشم * أرضى القديم وأفتني أثره
- ١٥ ها نحن وفيناك أربعة * والأربعون لديك مستظرة
- أخبرني الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال :
- سمعت إبراهيم بن العباس وقد ليس سواده يوماً يقول : يا غلام هات ذلك السيف الذي ماض الله به أحداً قط غيري .
- قال : وسأل يوماً عن ابن أخيه طلاس وهو أحد بن عبد الله بن العباس فقيل له :
- ٢٠ هو مشغول بطبيب ومُتجّم عنده ، وكان يستنقله ؛ فقال قل له يا غلام : والله مالك في الناس طبع ؛ ولا في السماء نجم ، فمالك تكلف هذا التكلف .

كان يستنقل ابن
أخيه وحكايات
عنه في ذلك

أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن السبيعي قال :

أمر إبراهيم بن العباس أن يجمع كل أعور يمر في الطريق ، بجمعهم ووقفهم ونخرج ومعه طماس ، فلما رأى العور مجتمعين قال لطماس : كلهم مثلك ، فترك هذا الصلّف فإنه داعية إلى التلّف .

أخبرني الصولي قال حدثني ميمون بن موسى قال :

قال الحسن بن وهب لإبراهيم بن العباس : تعال حتى نعدّ البغضاء ؛ قال : ابدأ بي أولاً من أجل ابن أخي طماس ثم نرى من شئت .

أخبرني الصولي قال قال جعفر بن محمود :

ركبت بين يدي إبراهيم بن العباس . فأمر الحسن بن محمد ^(عليه السلام) بأمر فاستبطأه فيه

فنظر إليه فقال :

مُعْجِبٌ عِنْدَ نَفْسِهِ * وَهُوَ لَيْسَ بِمُعْجِبٍ
إِنْ أَقْبَلَ لَا يَقْبَلُ نَعَمْ * عَاتِبٌ غَيْرُ مُعْتَبٍ
مَوْلَعٌ بِالْخِلَافِ لِي * عَامِدٌ وَالتَّجَنُّبُ
قَلْتُ فِيهِ بَضْدٌ مَا * قِيلَ فِي أُمِّ جُنْدُبٍ

يريد قول امرئ القيس :

”خَلِيلٌ مُرَائِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ“

أي فأنا لا أريد أن أمر بك .

قال وأخبرني الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد الملقب عن أبيه قال :

كان المتوكل قد ولّى ابن الكلبى البريد ، وأحلفه بالطلاق ألا يكتبه شيئاً من أمر الناس جميعاً ولا من أمره هو في نفسه . فكتب إليه يوماً أن أمر أنه

٠- (١) هو الحسن بن محمد بن الجراح . تولى ديوان الضياع للمتوكل بعد موت إبراهيم بن العباس هذا . (انتظر الكلام عليه في تاريخ الطبري : ق ٣ ص ١٤٣٥ و ١٤٤٤ - ١٤٤٧ و ١٤٤٧ - ١٤٤٨) (١٦٤٨)

أمر الحسن بن
محمد بأمر فأبطأ
فيه فقال شعرا

تأدّر بأبن الكلبى
عند المتوكل لما
جاء كتابه

نخرجت مع حبيبتها في نزهة، وأن حبيبتها عَرَبَتْ عليها بخرحنتها في صُدْغها. فقرأه إبراهيم
ابن العباس على المتوكل ثم قال له: يا أمير المؤمنين، قد صحَّف ابنُ الكلبي، إنما هو:
”بخرحنتها في سُرْمها“، فضحك المتوكل وقال: صدقت. ما أظن القصة إلا هكنا. قال:
ولم يكن ابن الكلبي هذا من العرب، إنما كان أبوه يُلقَّب ”كلب الرجل“
فقيل له الكلبي.

أخبرني، عَمِي قال حدثنا ميون بن هارون قال:

استطاعه محمد بن
عبد الملك الزيات

كتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه: كتبت إليك وقد
بلغت المُدَّة المحزَّة، وعدت الأيام بك على، بعد عدوي بك عليها، وكان أسوأ
ظني وأكثر خوفي، أن تسكن في وقت حركتها، وتكف عند أذاها، فصرت على أضر
منها، وكف الصديق عن نصرتي خوفاً منك، وبادر إلى العدو تقرُّباً إليك.
وكتب تحت ذلك:

أخ بني وبين الدهر * رصاحب أينما غلبا
صديق ما أستقام فإن * نبا دهر على نبا
وثبت على الزمان به * فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا * لعاد به أخا حديبا

قال وكتب إليه: أما والله لو أمنتُ ودك لقلت؛ ولكني أخاف منك عتبا
لا تُصغني فيه، وأخشى من نفسي لأئمة لا تحتملها لي. وما قد قُدر فهو كائن،
وعن كل حادثة أهدوءة. وما استبدلت بحالتي كنتُ فيها مغتبطاً حالاً أنا في مكروهاها
وألها أشد على من أتى فزعت إلى ناصري عند ظلمي لحقي، فوجدت من يظلمني
أحف نية في ظلمي منه، وأحمد الله كثيراً. ثم كتب في أسفلها:

(١) الحبة: المحبوبة. (٢) في الأصول: « صرما » بالصاد. وهو تحريف.
(٣) كذا في معجم الأدباء، لياقوت. وفي الأصول: « المحزة ».

وكنْتُ أنى بإخاء الزمان * فلما نبأ صرت حرباً عواناً
وكنْتُ أذم اليك الزمان * فأصبحتُ فيك أذم الزمانا
وكنْتُ أعيدك للنائبات * فأصبحتُ أطلب منك الأمانا

أخبرني الصولي قال أخبرني الحسين بن فهم قال :

هجا محمد بن
عبد الملك وكان قد
أغرى به الواقع

كان محمد بن عبد الملك قد أغرى الواقع إبراهيم بن العباس ، وكان إبراهيم
يعاتبه على ذلك ويُدَارِيه ، ثم وقف الواقع على تحامله عليه فرفع يده عنه وأمر أن
يُقبل منه ما رفعه ، وردّه الى الحضرة مَصُونًا ، فلما أحسَّ إبراهيم بذلك بسط
لسانه في محمد ، وحسن ما بينه وبين أبي دُوَادٍ . وهجا محمد بن عبد الملك هجاء^(١)
كثيراً منه قوله :

قَدَرْتُ فلم تَضُرُّ عدوًّا بقدرٍ * وُثِّمَتْ بها إخوانك الذَّلَّ والرَّغْمَا
وكنْتُ مليئًا بالي قد يعافها * من الناس من يأبى الدَّنيئة والذَّما

أخبرني الصولي قال حدثنا ابن السخني قال حدثني الحسين بن عبد الله قال :
سمعتُ إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام الطائي وقد أنشده شعرًا له
في المعتصم : يا أبا تمام ، أمراء الكلام رعية لإحسانك . فقال له أبو تمام : ذلك
لأنني أستضيء بك وأريدُ شريعتك .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال سمعت إبراهيم بن المدبر يقول :
جرى بين إبراهيم بن العباس وبين أنى أحمد بن المدبر شيء ، وكان يودني
دون أنى ، فلقينته فاعتذرتُ إليه عنه ، فقال لي : يا أبا إسحاق :

اعتذر له إبراهيم
ابن المدبر عن أخيه
فقال شعرا

(١) يعني هذا أن محمد بن عبد الملك كان يعادى أحمد بن أبي دواد ويهجوّه . (انظر خبر ذلك مفصلاً

في ج ٢٠ ص ٥١ من الأغانى طبع بلاق) .

صوت

خَلَّ التَّفَاقَ لِأَهْلِهِ * وَعَلَيْكَ فَأَتَمَسَ الطَّرِيقَا

وَأَذْهَبَ بِنَفْسِكَ أَنْ تُرَى * إِلَّا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقَا

الغناء لأبي العُبَيْسٍ .

أَخْبَرَنِي الصُّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ :

احتمال على المتوكل
لينجي بعض عماله
من العقوبة

- ٥ انصرف إبراهيم بن العباس يوما من دار المتوكل فقال لنا : أنا والله مسرور
مغموم منه . فقلنا له : وما ذلك أعزك الله ؟ قال : كان أحمد بن المدبر رفع إلى
ير المؤمنين أن بعض عمالي أقطع مالا ، وصدق في الذي قاله ، وكنت قد رأيت
هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهه فدعوت له ، وضحك إلى فقال لي :
١٠ إن أحمد قد رفع علي عاملك كذا وكذا فأصدقني عنه ؛ فضاقت علي الحجة ، وخفت
أن أحقق قوله إن أعترفت ، ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود علي الغرم ، فعدلت عن
الحجة إلى الحيلة فقلت : أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلت فيك :

صوت

رَدَّ قَبْلِي وَصَدَّقَ الْأَقْوَالَ * وَأَطَاعَ الْوُشَاةَ وَالْعُدَاةَا

١٥ أَتَرَاهُ يَكُونُ شَهْرَ صَدُودٍ * وَعَلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الْهَلَالَا

قال : لا يكون والله ذلك بحياتي يا إبراهيم ! رو هذا الشعر بئنا حتى يغنيني
فيه . فقلت : نعم يا سيدي على ألا يطالب صاحبي بقول أحمد . فقال للوزير : تقبل
قول صاحبه في المال . فسرت بالطفر ، وأعتمت لبطلان هذا المال وذهابه
: مثل هذه الحيلة ، ولعله قد جمع في زمن طويل وتعبد شديد .

سرق ابن دريد
وابن الرومي من
شعره

أشدت عني رحمة الله أبياتا لا كن دريد يمدح رجلا من أهل البصرة :

يا من يقبل كف كل مخزق * هذا ابن يحيى ليس بالمخراق

قبل أنامله فلسن أناملا * لكنهم مفتح الأرزاق

فقال : يا بني هذا سرقه هو وابن الرومي جميعا من إبراهيم بن العباس ؛ قال
إبراهيم بن العباس يمدح الفضل بن سهل :

لفضل بن سهل يد * تقاصر عنها الأمل

فباطنها للندي * وظاهرها للقبيل

وسطوتها للغنى * وسطوتها للأجل

وسرقه ابن الرومي فقال :

أصبحت بين خصاصة ومذلة * والحشر بينهما ينوت هزلا

فأمدد إلى بدا تسود بطنها * بذل الندي وظهورها التقبلا

أخبرني الصولي قال سمعت أحمد بن يحيى ثعلبا يقول :

قال ثعلب إنه كان
أشعر المحدثين

كان إبراهيم بن العباس أشعر المحدثين . قال : وما روى ثعلب شعر كاتب قط

غيره . قال : وكاد يستحسن كثيرا قوله :

لنا إبل كرم يضيق بها الفضا * ويفتر عنها أرضها وسماؤها

فمن دونها أن تستباح دماؤها * ومن دوننا أن تستباح دماؤها

جمي وقرى فالموث دون مرامها * وألسر خطب يوم حرق فناؤها

ثم قال : والله لو كان هذا لبعض الأوائل لاستجيد له .

(١) الكرم : الإبل الضخمة العظيمة السنام ، الواحد أكرم والأضي كوما .

مدح الحسن بن سهل
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال سمعت الحسن بن رجاء يقول :

(١) كَمَا بَغِمَ الصُّلَحُ أَيَّامَ بَنِي الْمَاءِ وَنُ بُيُورَانَ بِنْتَ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ ؛ فَقَدِمَ إِبْرَاهِيمُ
ابن العباس علينا ودخل إلى الحسن بن سهل فأنشده :

لِيَمِيزَنَّكَ أَصْهَارٌ أَذَلَّتْ بِسَرِّهَا * خَدُودًا وَجَدَعَتِ الْأَنْوَفَ الرِّوَاغِمَا
جَمَعَتْ بِهَا الشَّمْلَيْنِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ * وَخُرَّتْ بِهَا لِلْأَكْرَمِينَ الْأَكَارِمَا
بَنُوكَ غَدَاؤَ آلِ النَّبِيِّ وَوَارِثُوهُ * خِلَافَةَ وَالْحَاوُونَ كِسْرَى وَهَاشِمَا
فقال له الحسن : ” شَيْئَتْنِي أَعْرِفُهَا مِنْ أَنْزَمٍ “ أَيْ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ تَمْدَحُنَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
أَحْسَنَ اللَّهُ عَنَّا جَزَاءَكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ؛ فَمَا الْكَثِيرُ مِنْ فِعْلُنَا بِكَ بِجَزَاءٍ لِلْيَسِيرِ مِنْ حَقِّكَ .

قال شعرا في قينة سمها ” سامر “
كانت يهواها فنضبت عليه
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال :
أنشدني إبراهيم بن العباس لنفسه في قينة أسماها سامر كان يهواها فنضبت عليه :
وَعَلَّيْتَنِي كَيْفَ الْهَوَى وَجَهْلَتَنِي * وَعَلَّمَكُم صَبْرِي عَلَى ظُلْمِكُمْ ظُلْمِي
وَأَعْلَمَ مَا لِي عِنْدَكُمْ فَيَرُدَّنِي * هَوَايَ إِلَى جَهْلٍ فَأَقْصِرَ عَنْ عِلْمِي

شمره في قصر الليل
أخبرني الصُّبُولِيُّ قَالَ :
سمعتُ عبيدَ الله بن عبد الله بن طاهر يقول : لَا يُعْلَمُ لِقَدِيمٍ وَلَا يُحَدِّثُ فِي قِصَرِ
الَّيْلِ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ :

(١) ثم الصلح : نهر كبير فوق واسط عليه عدة قرى وفيه كانت دار الحسن بن سهل . (سميع البلدان لياقوت) .

(٢) هذا مثل ، قاله أبو أنزم الطائي وكان له ابن يقال له أنزم ؛ قيل : كان عاقا فأت وترك بنين ،

فوثبوا يوما على جدهم فادموه ، فقال :

٢٠ إن بني ضرَجُونِ بِالْم * شُنْشَنَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ أَنْزَمِ

* مِنْ يَلْقَى آسَادَ الرِّجَالِ يَكَلِّمُ *

وليلة من الليالي الزهري * قابلت فيها بدرها ببدر
لم تك غير شفيق وبفر^(١) * حتى تولت وهي بكر الدهر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن بشر المرثدي قال: ٥
كان إبراهيم بن العباس يوماً عند أحمد بن أبي دؤاد، فلما خرج من عنده لقيه محمد
ابن عبد الملك الزيات وهو خارج من داره؛ فتبين إبراهيم في وجه محمد الغضب فلم
يخاطبه في العاجل بشيء، فلما أنصرف إلى منزله كتب إليه :

دعني أوصل من قطع * ست يراك بي إذ لا يراكا
إني متى أهُجِرْ لهج * ترك لا أضربه سواكا
وإذا قطعك في أخيد * لك قطعت فيك غداً أخاكا
حتى أرى مُتَقَسِّماً * يومئذٍ لغدي لذاكا ١٠

أخبرني الصولي قال حدثني أبو العيناء قال :
كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً، فنقط من القلم نقطة مفسدة
فمسحها بكمه؛ فتعجب من ذلك؛ فقال : لا تعجب، المال فرع والقلم أصل،
ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب ، والأصل أحوج إلى المراجعة من الفرع .
ثم فكر قليلاً وقال : ١٥

إذا ما الفكر ولدُ حَسَنَ لفظ * وأسلمه الوجود إلى العيان
ووشاه فتَنَمَّه مُسَدِّ^(٢) * فصيح في المقال بلا لسان
ترى حلال البيان مُشْتَرَات * تجلّ بينها صور المعاني

(١) في نسخة : « وبدر » . (٢) مسد : مصيب السداد .

مسح المداد بكم
ثوبه وشعره
في ذلك
٣١
٩

اتهمه المأمون
بإفشاء مرقط
الفضل بن سهل
ثم عفا عنه بشفاقة
هشام الخطيب

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال :
لما حرم المأخون على الفتك بالفضل بن سهل ، وندب له عبد العزيز بن عمران
الطائي ، ومؤنس البصري ، وخلقاً المصري ، وعلى بن أبي سعد ذا القلمين ، وسراجاً
انخادم ، ثم الخبر إلى الفضل ، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه ، فلما قُتل الفضل وقتل المأمون
قتلته ، سأل من أين سقط الخبر إلى الفضل ؟ فعرف أنه من جهة إبراهيم بن العباس ، فطلبه
فأستره . وكان إبراهيم عرّف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران ، وكان الفضل
أستكتب إبراهيم لعبد العزيز بن عمران ، فأخبر به الفضل . قال : وتجلّ إبراهيم بالناس
على المأمون ، وجرد في أمره هشام الخطيب المعروف بالعباسي . وكان جريئاً على المأمون
لأنه رباه ، وخصّص إليه إلى ثراسان في فتنة إبراهيم بن المهدي ، فلم ينجبه المأمون إلى
ماسال ، فلقية إبراهيم مستتراً وسأله عما عمل في حاجته . فقال له هشام : قد وعدني
في أمرك بما تحب . فقال له إبراهيم : أظن أن الأمر على غير هذا قال : وما تظن ؟
قال : محلك عند أمير المؤمنين أجل من أن يعدلك شيئاً فترضى بتأخيرته ، وهو أكرم
من أن يعد منك شيئاً فيؤخره ، ولكنك سمعت ما لا تحب في فكرهت أن تغني
به فقلت لي هذا القول ، وأحسن الله على كل الأحوال جزاءك ، فغضى هشام إلى
المأمون فعرفه خبر إبراهيم ، فعجّب من فطنته وعفا عنه . قال : وفي هشام يقول إبراهيم
ابن العباس :

مَنْ بَكَتِ الْأَمْوَالُ دُخْرًا لَهُ * فَإِنَّ دُخْرِي أَمَلِي فِي هِشَامٍ
فَقِي يَنْيَ الْإِلَمةَ عَنْ عِرْصَتِهِ * وَأَنْهَبَ الْمَالَ قِضَاءَ النَّصَامِ

(١) راجع الطبري في هذه القصة (ق: ٣٠ ص ١٠٢٥ - ١٠٢٨) فيها اختلاف عما هنا .

مدح الفضل بن
سهل

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسين بن أبي البغل قال :

دخل إبراهيم بن العباس على الفضل بن سهل فاستأذنه في الإنشاد ، فقال

هايت ، فأنشده :

يُمِضِي الْأُمُورَ عَلَى بِلْسِمَتِهِ * وَتُرِيهِ فَكْرَتَهُ عَوَاقِبَهَا
فِيظُلِّ بُصْدِرِهَا وَيُورِدُهَا * فَيَعْمُ حَاضِرَهَا وَغَائِبَهَا
وَإِذَا أَلَمَّتْ صَعْبَةُ عَظُمَتْ * فِيهَا الرِّزْيَةُ كَانَ صَاحِبَهَا
الْمُسْتَقِيلَ بِهَا وَقَدْ رَسَبَتْ * وَلَوْثَ عَلَى الْأَيَّامِ جَانِبَهَا
وَعَدَلَتْهَا بِالْحَقِّ فَأَعْتَدَلَتْ * وَوَسِعَتْ رَاغِبَهَا وَرَاهِبَهَا
وَإِذَا الْحُرُوبُ غَلَّتْ بَعَثَتْهَا * رَأْيَا تَقُلُّ بِهِ كَتَائِبَهَا
رَأْيَا إِذَا نَبَتِ السُّيُوفُ مَضَى * عَزَمَ بِهَا فَشَفَى مَضَارِبَهَا
أَجْرَى إِلَى فِتْنَةٍ بِدَوْلَتِهَا * وَأَقَامَ فِي أُخْرَى نَوَادِبَهَا
وَإِذَا الْخَطُوبُ تَأَلَّفَتْ وَرَسَتْ * هَدَّتْ فَوَاصِلُهُ نَوَائِبَهَا
وَإِذَا جَرَتْ بِضَمِيرِهِ يَدُهُ * أَبَدَتْ بِهِ الدُّنْيَا مَنَاقِبَهَا

وأنشدني عمي لإبراهيم بن العباس في الفضل بن سهل وفيه غناء :

صوت

فَلَوْ كَانَ لِلشَّكْرِ شَخْصٌ بَيِّن * إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ
لَمُنَّتْهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ * فَتَعْلَمَ أَنَّيْ أَمْرُهُ شَاكِرُ

الغناء لأبي العباس ثقل أول . وفيه ردأذان في ثقل . حدثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبختي قال حدثني جماعة من عجمتي وأهلنا أن ردأذا صنع في هذين البيتين لحنا أعجب به الناس وأستحسنوه ، فلما كثر ذلك صنع فيه أبو العباس لحنا آخره فسقط لحن ردأذ واختار الناس لحن أبي العباس .

مدح النوكل
ولادة اليهود
فأجازوه

أخبرني حنظلة قال حدثني ميمون بن هارون قال :

لَمَّا عَقَدَ الْمُتَوَكِّلُ لَوْلَاةَ الْيَهُودِ مِنْ وَلَدِهِ رَكِبَ بُسْرٌ مِّنْ رَّأْيِ رَكْبَةٍ لَمْ يَرَأْحُسُنْ
مِنْهَا، وَرَكِبَ وَلَاةُ الْيَهُودِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْأَتْرَاكُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَوْلَادُهُمْ يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْ
الْمُتَوَكِّلِ بِمَنَاطِقِ الذَّهَبِ ، فِي أَيْدِيهِمْ الطَّبْرِزِينَاتُ الْمُحَلَّلَةُ بِالذَّهَبِ ، ثُمَّ نَزَلَ فِي الْمَاءِ
بِغُلَسٍ فِيهِ وَالجيش معه في الجوانحيات وسائر السفن ، وجاء حتى نزل في القصر
الذي يقال له العروس ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا إِلَيْهِ . فَلَمَّا تَكَامَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَثَلْ

إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ بَيْنَ الصَّقِيِّينَ ، فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ ، فَقَالَ :

وَلَمَّا بَدَأَ جَعْفَرٌ فِي الْحَمِيدِ * سَسَّ بَيْنَ الْمَطْلِ وَبَيْنَ الْعُرُوسِ
بَدَأَ لَابِسًا بَهُمَا حُلَّةً * أَزِيلَتْ بِهَا طَالَعَاتُ النَّحُوسِ
وَلَمَّا بَدَأَ بَيْنَ أَحِبَابِهِ * وَلَوْلَاةِ الْيَهُودِ وَعِزِّ النُّفُوسِ
غَدَا قَرَأً بَيْنَ أَقْصَارِهِ * وَشَمْسًا مُّكَلَّلَةً بِالشُّمُوسِ
لِإِيَادِ نَارٍ وَإِطْفَافِهَا * وَيَوْمٍ أَنْبَقَ وَيَوْمٍ عَبَّوَسِ

ثم أقبل على ولادة اليهود فقال :

أَصْحَحْتُ عُرَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مَنْوُطَةٌ * بِالنَّصْرِ وَالْإِعْزَازِ وَالتَّأْيِيدِ
بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وَثَلَاثَةٍ * كَتَفُوا الْخِلَافَةَ مِنْ وَلَوْلَاةِ عَهْدِ
قَمَرٌ تَوَافَتْ حَوْلَهُ أَقْصَارُهُ * فَحَقَّقْنَ مَطْلَعَ سَعْدِهِ بِسَعُودِ
رَقْعَتِهِمُ الْأَيَّامُ وَأَرْتَفَعُوا بِهِ * فَسَعَوْا بِأَكْرَمِ أَنْفُسٍ وَجُودِ
قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَمَرَ لَهُ وَلَوْلَاةُ الْيَهُودِ بِمِثْلِهَا .

(١) الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الطير (الفأس) أو هو الطير بعينه . وهذا أصح لأن أصل معناه
الطير المعلق في السرج - فالفرس كان من عادتهم أن يعلقوا الطير في السروج . (كتاب الأنفاظ الفارسية
المصرية) . (٢) الجوانحيات : نوع من السفن كما هو ظاهر من السياق . (٣) المطل :
اسم مكان أو قصر ، كما هو ظاهر من السياق . ولم تقف عليه فيما بين أيدينا من معجمات البلدان .

أخبرني عمي قال : اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وآبن برد الخيار
في مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وزارته ، فجعل هارون يُلشد من أشعار أبيه
محاسنها ، ويفضلها ويقدمها . فقال له آبن برد الخيار : إن كان لأبيك مثلُ قول
إبراهيم بن العباس :

أسدٌ ضارٍ إذا هيجته * وأبٌّ برٌّ إذا ما قدرا
يعرف الأبعد إن أثرى ولا * يعرف الأدنى إذا ما أنفرا
أو مثلُ قوله :

تليج السنون بيوتهم وترى لهم * عن جاريتهم أزورارمنا كب
وتراهم بسيو فهم وشفارهم * مستشرفين لراغب أوراها
حامين أوقارين حيث لقيتهم * نهب العفاة ونهزة للراغب

فأذكُّه وأخبر به ، وإلا فأقلل من الافتخار والتطاؤل بما لا طائل فيه ، فنجعل هارون .
وقال عبيد الله بن سليمان : لعمري ما في الكتاب أشعر من أبي إسحاق وأبي علي ،
(يعني عمه الحسن بن وهب) ثم أمر بعض كُتَّابه بكتِّب المقطوعتين اللتين أنشدهما
آبن برد الخيار .

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يهني الحسن بن سهل
بصهر المأمون :

هتكت أكرومةً جللت نعمتها * أعلت وليك واجتنت أعاذيك
ما كان يحيا بها إلا الإمام^(١) وما * كانت إذا قرئت بالحق تعدوكا

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني أبو محمد الحسن
ابن مخلد قال :

(١) كذا في جميع الأصول ولعلها « يحبو » .

أودعَ محمد بن عبد الملك الزيات مالا عظيما وجوهرا نفيسا، وقد رأى
 تغييرا من الواقع نغافه وفوق ذلك في ثقافته من أهل الكرخ ومعامله من التجار. وكان
 إبراهيم بن العباس يُعاديهِ ويرصد له بالمكارة لإساءته إليه، فقال أبياتا وأشاعها حتى
 بلغت الواقع يُغيريه به :

- ٥ نصيحةً شأنها وزير * مستحفظ سارق مُغير
 ودائع جمّة عظام * قد أسبلت دونها الستور
 تسعة آلاف ألف ألف * خلاها جوهر خطير
 بجانب الكرخ عند قوم * أنت بها عندهم خير
 والملك اليوم في أمور * تتحدث من بعدها أمور
 ١٠ قد شغلته محقرات * وصاحب الكرامة الوزير^(١)

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يمدح المعتز وفيه غناء :

مدح المعتز بشعر

صوت

- سُحُورٌ حَاجِرِ الحَدَقَةِ * مَلِيحٌ وَالَّذِي خَلَقَهُ
 سَوَاءٌ فِي رِطَابَتِهِ * مُجَانِبُهُ وَمَنْ عَشِقَهُ
 ١٥ لَعِينِي فِي مَحَاسِنِهِ * رِيَاضٌ مَحَاسِنِ أَتَقَهُ
 فَأَحْيَانَا أَنْزَهَهَا * وَطَوْرًا فِي دِيمٍ غَرِقَهُ

يقول فيها في مدح المعتز بالله :

- فيا قمرًا أضواء لنا * يَلَالِي نوره أَفْقَهُ
 يُشَبِّهُهُ سَنَا المَعْتَرِّ * ذُو مِقَةِ إِذَا رَمَقَهُ
 ٢٠ أَمِيرٌ قَلْدُ الرِّحْمِ * نُنْ أَمْرَ عِبَادِهِ عُنُقَهُ

^١ (١) الكرامة : ما يجمع ويشده، ويعني بها المرة التي فيها المال .

٣٤
٩

وفضله وطيبه * وطهر في الوري خلقه

في الأربعة الأبيات الأول رمل ذكر الهشام أنه لابن القصار، ووجدته في بعض الكتب لعريب .

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس يقول لأحمد بن المذبر وقد جاءه
بعد خلاصه من النكبة مهتأ ، وكان استعان به في أمر نكبته فقعده عنه ، وبلغه أنه
كان يحرض عليه ابن الزيات :

وكنْتَ أحنى بالدهر حتى إذا نبأ * نبوت فلما عاد عُدْتَ مع الدهر
فلا يوم إقبال عَدَدَتِكَ طائلاً * ولا يوم إديارِ عَدَدَتِكَ في وتر
وما كنتَ إلّا مثل أحلام نائم * كلاً حَاتِيكَ من وفاءٍ ومن غدر

وأنشدني الصولي له في أحمد بن المذبر أيضاً وقد عاتبه أحمد بن المذبر على
شئ بلغه فقال :

هَبِ الزَّمانَ رمانى * الشَّأنُ في الخِلالِ
فيمَنَ رمانى لَمَّا * رأى الزَّمانَ رمانى
ومن دَنَحْتُ لِنَفْسِي * فصار دُخْرُ الزَّمانِ
لو قيل لى خُذْ أماناً * من أعظمَ الحَدَثانِ
لَمَّا أَخَذْتُ أماناً * إلّا من الإخوان

ومن أخبار المعتضد بالله الجارية مجرى هذا الكتاب

حدثني عمي عن جدّي رحمهما الله قال قال لي عمييد الله بن سليمان ، وكان
يأنس بي أنساً شديداً لتقديم الصُحبة وأتلاف المنشأ : دعاني المعتضد يوماً فقال :

المعتضد وعلامه
بدر

أَلَا تُعَاتِبْ بَدْرًا عَلَى مَا لَا يَزَالُ يَسْتَعْمَلُهُ مِنَ التَّخَزُّقِ فِي النَّفَقَاتِ وَالْإِنَابَاتِ وَالزِّيَادَاتِ
وَالصَّلَاتِ ! وَجَعَلَ يُؤَكِّدُ الْقَوْلَ عَلَى- فِي ذَلِكَ ؛ فَلَمْ أَخْرَجْ عَنْ حَضْرَتِهِ حَتَّى دَخَلَ إِلَيْهِ
بَدْرٌ بِفَعْلٍ يَسْتَأْمرُهُ فِي إِطْلَاقَاتٍ مُسْرِفَةٍ وَنَفَقَاتٍ وَاسِعَةٍ وَصِلَاتٍ سَنِيةٍ وَهُوَ يَأْذَنُ لَهُ
فِي ذَلِكَ كُلِّهِ . فَلَمَّا خَرَجَ رَأَى فِي وَجْهِهِ لِنِكَارًا لِمَا فَعَلَهُ بَعْدَ مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ ؛
فَقَالَ لِي : يَا عُبيدُ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتُ مَا فِي نَفْسِكَ ، وَأَنَا وَإِيَّاهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

صوت

فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَحْمُو إِسَاءَتَهُ * مِنْ الْقُلُوبِ مَطَاعٌ حَيْثَا شَفَعَا
مُسْتَقْبَلٌ بِالَّذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ * مِنْهُ الْإِسَاءَةُ مَغْفُورٌ لِمَا صَنَعَا
وَفِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَفِيفٌ رَمَلٌ .

- ١٠ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قُرَيْضٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ :
غَنَيْتُ الْمُعْتَصِدَ :
كَلَّلَانِي تَوَّجَانِي * وَبَشَعْرَى غَنِيَانِي
كَانَ الْمُعْتَصِدُ
يُطْرَبُ لِفَنَاءِ ابْنِ
الْعَلَاءِ فِي شَعْرِ
الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ

- أَطْلَقَانِي مِنْ وَثَاقِي * وَأَشْدُدَانِي بَعِيَانِي
فَاسْتَحْسَنَهُ جِدًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : وَيَحْكُ يَا أَحْمَدُ ! أَمَا تَرَى زَهْوَ الْمَلِكِ فِي شَعْرِهِ وَقَوْلِهِ :
١٥ كَلَّلَانِي تَوَّجَانِي * وَبَشَعْرَى غَنِيَانِي
وَأَسْتَعَادَهُ مِرَارًا ، ثُمَّ وَصَلَنِي كُلَّ مَرَّةٍ أَسْتَعَادَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَمَا وَصَلَ بِهَا مَغْنِيًّا
قَبْلِي وَلَا بَعْدِي . قَالَ : وَأَسْتَعَادَهُ مِثْلَ سِتِّ مَرَّاتٍ وَوَهَبَ لِي سِتِّينَ أَلْفًا . وَقَالَ
النُّوشَجَانِيُّ : بَلْ وَصَلَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ مَرَّةً وَاحِدَةً .

٣٥
٩

- (١) كَانَ بَدْرٌ هَذَا غُلَامَ الْمُعْتَصِدِ ، وَلَاحَ الشَّرْمَةُ يَوْمَ وَلَّى الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ وَلَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَارِسَ . (انظر تاريخ
ابن الأثير ص ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ج ٧) . قَتَلَهُ الْمَكْنِي سَنَةَ ٢٨٩ لَأَنَّهُ ابْنُ أُمِّ
يَاوَعَةَ . (انظر سبب مقتلِهِ بِأَسْبَابٍ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ق ٣ ص ٢٢٠٩ — ٢٢١٦) .
(٢) هَذَا مِنْ شَعْرِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ (انظر ج ٧ ص ٩٣ مِنْ هَذِهِ الطَّبَعَةِ) .

صنعة أولاد الخلفاء الذكور منهم والإناث

- (١) فأنظم وأتقنهم صنعة وأشهرهم ذكراً في الغناء إبراهيم بن المهدي؛ فإنه كان يتحقق به تحققاً شديداً وينتبل نفسه ولا يستتر منه ولا يُحاشي أحداً. وكان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء ستر وعلى حال تصوّن عنه وترفع، إلا أن يدعوه إليه الزشيد في خلوة والأمين بعده. فلما أَمَّنه المأمون تَهَتَّك بالغناء وشرب النبيذ بحضرته والخروج من عنده سِتْلاً ومع المغنين، خوفاً منه وإظهاراً له أنه قد خلع رِبْقَةَ الخلافة من عنقه وهتَكَ سِتْرَهُ فيها حتى صار لا يصلح لها. وكان من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات وأطبيعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً. وهو من المعدودين في طيب الصوت خاصة؛ فإنَّ المعدودين منهم في الدولة العباسية: ابن جامع وعمرو بن أبي الكُكَّات وإبراهيم ابن المهدي؛ ومُحَارِق. وهؤلاء من الطبقة الأولى، وإن كان بعضهم يتقدم. وكان إبراهيم مع علمه وطبعه مُقَصِّراً عن أداء الغناء القديم وعن أن يخوض في صنعته، فكان يَحْدِف نغم الأغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً ويُحَقِّقها على قَدَرٍ ما يصلح له وَيَقِي بأدائه. فإذا عيب ذلك عليه قال: أنا مَلِكٌ وابن ملك، أُغْنِي كما أُشْتَبَى وعلى ما ألتذ. فهو أول من أفسد الغناء القديم، وجعل للناس طريقاً إلى الجساسة على تغييره. فآلئاس إلى الآن صنفان: من كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه ممن كان يُنْكَر تغيير الغناء القديم ويُعْظَم الإقدام عليه ويعيب من فعله، فهو يُغْنِي الغناء القديم على جهته أو قريباً منها. ومن أخذ بمذهب إبراهيم بن المهدي أو أقتدى به مثل مُحَارِق وشارية وربيق ومن أخذ عن هؤلاء إنما يغني الغناء القديم كما

(١) كذا في الأصول. ولعلها « يغني به تحفياً ... الخ ».

(٢) في الأصول: « ما أصلح له » وهو تحريف.

يشتهي هؤلاء لا كما غناه من ينسب إليه ، ويجد على ذلك مساعدين ممن يشتهي أن
يقرب عليه ما أخذ الغناء ويكره ما نقل وثقلت أداؤه ، ويستطيل الزمان في أخذ الغناء
الجيد على جهته بقصر معرفته . وهذا إذا آترد فأتما الصنعة لمن غنى في هذا الوقت
لا للتقدمين ؛ لأنهم إذا غيروا ما أخذوه كما يرون وقد غيره من أخذوه عنه وأخذ
ذلك أيضا عن غيره ، حتى يمضي على هذا خمس طبقات أو نحوها ، لم يتأد إلى الناس
في عصرنا هذا من جهة الطبقة غناء قديم على الحقيقة البتة . ومن أفسد هذا الجنس
خاصة بنو حمدون بن إسماعيل فإن أصلهم فيه مخارق ، وما نفع الله أحدا قط بما
أخذ عنه ، وزر ياب الوائقة فإنها كانت بهذه الصورة تغير الغناء كما تريد ، وجواري
شارية وريق . فهذه الطبقة على ما ذكرت . ومن عداهم من الدور بمثل دور عريب
ودور جواريا والقاسم بن زرزور وولده ودور بطل الكبرى ومن أخذ عنها ،
وجواري البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن معاذ ودور آل الربيع ومن جرى مجراه
ممن تمسك بالغناء القديم وحمله كما سمعه ، فعسى أن يكون قد بقي ممن أخذ بذلك
المذهب قليل من كثير ، وعلى أن الجميع من الصحيح والمخير قد آتقضى في عصرنا هذا .

٣٦
٧

فمن مشهور غناء إبراهيم بن المهدي :

صوت

١٥

هل تطيمسون من السماء نجومها * بأكفكم أو تسترون هلالها
أو تدفعون مقالة من ربكم * جبريل بلغها النبي فقالها
طرقك زائرة فخي خيالها * زهراء تخط بالذلال جمالها
الشعر لمروان بن أبي حفصة . والغناء لإبراهيم بن المهدي ، ثقيل أول بالنصر ، وذكر
حبش أن فيه لأبن جامع لحنًا ماخوريًا .

٢٠

(١) في الأصول : « فلم » . (٢) لعله : « مثل » . (٣) لعله : « فقد » .
(٤) لعله : « على » .

أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه

- هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . ويكنى أبا السمط . وأسم
أبي حفصة يزيد . وذكر التوفى عن أبيه أنه كان يهودياً ، فأسلم على يد مروان بن
الحكم . وأهلهم يتكبرون ذلك ويذكرون أنه من سبى إصطخر ، وأت عثمان اشتراه فوهبه
لمروان بن الحكم . وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان
ابن يحيى بن أبي حفصة بمثل ذلك . قال : وشهد أبو حفصة الدار مع مولاه مروان
ابن الحكم ، وقاتل قتالاً شديداً وقتل رجلاً من أسلم يقال له بنان . ورجح مروان يومئذ ،
أصابته ضربة قطعت علباه فسقط ، فوثب عليه أبو حفصة وأحتمله ، فجعل يجمله
مرة على عنقه ومرة يجره ، فيتأوه ؛ فيقول له : أسكت وأصبر ؛ فإنه إن علموا أنك حي
قُتِلت . فلم يزل به حتى أدخله دار امرأة من عترة فلدأواه فيها حتى برئ ؛ فاعتقه مروان
ونزل له عن أم ولد له يقال لها سكر كانت له منها بنت يقال لها حفصة ؛ فخصمها ،
فكنى أبا حفصة ؛ فحفصة بنت مروان . قال : وكان مروان إذا ولي المدينة وجهه
أبا حفصة إلى اليمامة — وكانت مضافة إلى المدينة — ليجمع ما فيها من المال ويجمله
إليه . قال : فمز أبو حفصة بقرية من قرى اليمامة يقال لها العرض ، فوقف على باب
فأستسقى ماء ، فخرجت إليه جارية معصرة فسقته فأعجبته ؛ فسأل عنها ليشترىها ؛ فقبل له :
هي حرة ، وهي مولاة لبنى عامر بن حنيفة . فمضى حتى قدم حجراً ، ثم تبعها نفسها
(١) إصطخر : بلدة بفارس ، وهي من أعيان حصونها ومنها . (٢) يريد دار عثمان بن عفان
رضي الله تعالى عنه ، وذلك أنه يوم هاجت الفتنة عليه لم داره لخصوه فيها حتى قتله وسمى ذلك
يوم الدار . (٣) العلباء : عصبة صفراء في صفحة العنق . (٤) أبصرت المرأة : بلغت عمر .
شبابها وأدركت . (٥) حجر : حاضرة اليمامة .

نسبه وثى . من
أخبار أباؤه

جده أبو حفصة
وأخباره

فترجها، فلم يخرج من البسامة حتى حملت يحيى بن أبي حفصة، ثم حملت بمحمد ثم بعبد الله ثم بعبد العزيز . فلما وقعت فتنة ابن الزبير خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشام .

- قال محمد بن إدريس وحدثني أبي قال كان مروان بن أبي الجنبوب يقول :
 أُمَّ يحيى بن أبي حفصة لحناء بنت ميمون من ولد النابغة الجعدي^(١) ، وإن الشعر أُنِي
 آل أبي حفصة بذلك السبب . قال : وشهد أبو حفصة مع مروان يوم الجمل وقاتل
 قتالا شديدا . فلما ظفر على بن أبي طالب رضى الله عنه ، بلغا مروان إلى مالك بن
 مسعود فدخل داره ومعه أبو حفصة ، فقال لمالك : أغلق بابك . فقال له مالك :
 إن لم آمنك والباب مفتوح لم آمنك والباب مغلق . فطلب علي رضى الله عنه
 مروان منه ، فلم يدفعه إليه إلا برهينة ، فدفعت مالك الرهينة إلى أبي حفصة ، ومضى . ١٠
 مروان إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وقال لأبي حفصة : إن حدثت
 حديثا بصاحبتي فعليك بالرهينة . فلما أتى مروان عليا كساه كسوة ، فكساها مروان
 أبا حفصة ، ففدا فيها أبو حفصة . وبلغ عليا رضى الله عنه ذلك فغضب وقال :
 كسوته كسوة فكساها عبدا ! . وشهد أبو حفصة مع مروان مرج راهط^(٢) ، وكان
 له بلاء . وكان أبو حفصة شاعرا . ١٥

قال أبو أحمد قال لي محمد بن إدريس أخبرني أبي أن أبا السمت مروان بن
 أبي الجنبوب أنشده لأبي حفصة يوم الدار :

وما قلت يوم الدار للقوم صالحوا * أجلا ، ولا آخرت الحياة على القتل
 ولكنني قد قلت للقوم جالدوا * بأسيا فكم لا يُخلصن إلى الكهل

- (١) في ابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٣) : « حيا بنت ميمون » . (٢) مرج راهط :
 في غزوة دمشق من ناحية الشرق ، وفيه كانت الواقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس داعية ابن
 الزبير ، قتل مروان فيها الضحاك وخلصت له الخلافة . ٢٠

قال : وأُشَدُّنى لأبى حَفْصَة أيضا :

لَسْتُ عَلَى الزَّحَامِ بِالْأَصْرِ * إِنِّى لَوَرَّادٌ حَيَاصَ الشَّرِّ^(١)
* مُعَاوِدٌ لِلْكَرِّ بَعْدَ الْكَرِّ *

قال يحيى وأخبرنى محمد بن إدريس قال :

- عُكْلٌ تَدْعَى أَنَّ أَبَا حَفْصَة مِنْهُمْ ، يَقُولُونَ : هُوَ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ
عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ طَالِحَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ ، وَقَدْ كَانُوا اسْتَعَدُّوا عَلَيْهِ مَرْوَانَ
ابْنَ الْحَكَمِ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا بَاعَتْهُ عَمَّتُهُ لِمَجَاعَةٍ ؛ فَأَبَى هُوَ أَنْ يَقْرَّ لَهُمْ بِذَلِكَ .
ثُمَّ اسْتَعَدُّوا عَلَيْهِ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَيْضًا ؛ فَأَبَى إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَجَمِ مِنْ سَبْيِ
فَارَسَ ، فَتَشَأَ فِي عُكْلٍ وَهُوَ صَغِيرٌ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ : وَوَلَدُ السَّمُوعِلِ بْنِ عَادِيَاءَ
يَدْعُوْنَهُ ، وَالسَّمُوعِلُ مِنْ غَسَّانَ . قَالَ مُحَمَّدٌ : وَزَعِمَ أَهْلُ الْإِمَامَةِ وَعُكْلٌ وَغَيْرُهُمْ أَنَّ ثَلَاثَةَ
تَقْرِبًا أَتَوْا مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَهُمْ أَبُو حَفْصَة وَرَجُلٌ مِنْ تَيْمٍ وَرَجُلٌ مِنْ سُلَيْمٍ ، فَبَاعُوا
أَنْفُسَهُمْ مِنْهُ فِي مَجَاعَةٍ نَالَتْهُمْ ؛ فَاسْتَعْدَى أَهْلُ بَيْتَاتِهِمْ عَلَيْهِمْ ، فَأَقْرَأَ أَحَدُهُمْ وَهُوَ السُّلَيْمِيُّ
أَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى مَرْوَانَ فَبَاعَهُ نَفْسَهُ وَأَنَّهُ مِنَ الْعَرَبِ ؛ فَدَسَّ إِلَيْهِ مَرْوَانٌ مِنْ قَتْلِهِ .
فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْآخِرَانِ ثَبَتَا عَلَى أَنَّهُمَا مَوْلِيَانِ لِمَرْوَانَ . فَأَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ : زَعِمَ الْمَدَائِنِيُّ أَنَّهُ كَانَ لِأَبِي حَفْصَة ابْنٌ يُقَالُ
لَهُ مَرْوَانُ سَمَّاهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بِاسْمِهِ ، وَلَيْسَ بِالشَّاعِرِ ، وَأَنَّهُ كَانَ شَجَاعًا مَجْزِيًا ، وَأَمَدَّ
بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الْجَحَّاجُ وَقَالَ لَهُ : قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ مَوْلَايَ ابْنَ أَبِي حَفْصَة
وَهُوَ يَحْتَلِلُ أَلْفَ رَجُلٍ . فَشَهِدَ مَعَهُ مَخَارِبَةَ ابْنَ الْأَشْعَثِ ، فَأَبَى بِلَاءَ حَسَنًا وَتَقَرَّرَتْ تَحْتَهُ
عِدَّةٌ خِيُولٌ ، فَأَحْتَسَبَ بِهَا الْجَحَّاجُ عَلَيْهِ مِنْ عَطَايِهِ . فَشَكَاهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَذَمَّ الْجَحَّاجَ
عِنْدَهُ ؛ فَعَوَّضَهُ مَكَانَ مَا أَغْرَمَهُ الْجَحَّاجُ . وَكَانَ يَحْيَى جَدُّ مَرْوَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ جَوَادًا مُمَدِّحًا .

(١) من الصرير يقال : صر الرجل إذا صاح صياحا شديدا .

أخبرنا محمد العباس اليزيدي* قال حدثنا أبو سعيد السكري* عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي* قال :

جرير يودع ابنه يحيى بن أبي حفصة

أراد جرير أن يوجه ابنه بلال بن جرير إلى الشام في بعض أمره ، فأتى يحيى ابن أبي حفصة فأودعه إياه ، ثم بلغ بلالاً أن بعض بني أمية يريد الخروج ، فقال لأبيه : لو كلفت هذا القرشي أمرى ! فقال له جرير :

أزاداً سوى يحيى تريد وصاحباً * ألا إنَّ يحيى نعم زاد المسافر
وما تأمن الوجناء وقعة سيفه * إذا أنقضوا أو قلَّ ما في الغرائر

٣٨
٩

أخبرني أبو الحسن الأسدي* قال حدثني الحسن بن عليّ العتري* قال :

يحيى بن أبي حفصة
يتزوج بنت زياد
بن هوزة

تزوج يحيى بن أبي حفصة بنت زياد بن هوزة بن شماس بن لائق بن أنف النافقة ؛

- فاستعدى عليه عماها عبد الملك بن مروان وقالوا : أينك إبراهيم بن عدي*
وهو من كنانة منك واليك بنتها ، وينك هذا العبد هذه ! . فقال عبد الملك : بل العبد
ابن العبد والله إبراهيم بن عدي* — وكان مغموماً النسب في الإسلام — والله لهذا
أشرف منه ، وإن لأبيه من البلاء في الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيك ، وما أحبُّ
أنَّ لي يحيى ألقاً منك . والله لو تزوج بنت قيس بن عاصم ما نزعته منه . ومن
زوجه فقد زوج أبي هذا ، وأشار إلى ابنه سليمان . فخرجوا وتخلَّف يحيى بعدهما ؛
فقال : يا أمير المؤمنين ، لئنهما قد أنقضيا ركبهما وأخلفا ثيابهما والتمتا مؤونة
في سفرهما ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يموضهما عوضاً ! فقال : أبعد ما قال فيك ! !
قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : بل أعطيك أنت ما سألت لهما وقطعتهما ما شئت .
فكساه ووصله وحمله . فخرج يحيى اليهما ففترق ذلك عليهما ، وزوج ابنه سليمان
بنت أحدهما ، وولدت بنت زياد منه أولاداً .

(١) الوجناء : الناقة الشديدة . وأنقض القوم : أرملوا ، وقيل هلكت أموالهم وفقى زادم .

أخبرني علي بن سليمان الأحمش قال حدثنا الفضل اليزيدي قال حدثني
إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال :

يحيى الوليد بن
عبد الملك ويعزبه

دخل يحيى بن أبي حفصة على الوليد بن عبد الملك لما بُوع له بالخلافة بعد
أبيه، فهناه وعزاه وأنشده :

إت المنايا لا تغادر واحدا * يمشى بسيرته ولا ذا جنة
لو كان خلق لنايا مقلتا * كان الخليفة مقلتا منهنة
بكت المنابر يوم مات وإنما * بكت المنابر فقد فارسته
لما علاهن الوليد خليفة * قلن أبنه ونظيره فسكنه
لو غير قرع المنابر بعده * لنكرنه فطرحنه عننه

٥

زوج فيه من بنات
مقاتل المقتري
فهجاه القلاح فرد
عليه

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العتري قال :

١٠

خطب يحيى بن أبي حفصة إلى مقاتل بن طلبة بن قيس بن حاصم المقتري ابنته
وأختيه، فأنعم له بذلك. فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجميل، فأتوه بالجفر
فزوجهن بنيه ثلاثهم، ودخلوا بهم ثم حملوهن إلى حجر. فقال القلاح بن حزن
المقتري في ذلك :

سلام على أوصال قيس بن حاصم * وإن كن رمسا في التراب بواليا
أضيئتموا خيلا عرابا فأصبحت * كواسد لا يتكحن إلا المواليا
فلم أر أبدا أجرا نلزية * والام مكسوا والام كاسيا
من الخز واللائ بحجر عليكم * نُشِرَن فكن الخزيات البوايا

١٥

(١) أنعم له : أفضل وقال نعم .

(٢) جفر : علم على أسماء مواضع كثيرة . (أنظر معجم البلدان لباقوت في الكلام عليه) .

٢٠

فقال يحيى يرد عليه :

أَلَا قَبَحَ اللَّهُ الْفَالَحَ وَنِسْوَةَ * عَلَى الْبَيْتِ بِعِطْشَنِ الْكَلَابِ مِنَ النَّتَنِ
نَكَحْنَا بَنَاتِ الْقَرَمِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ * وَعَمْدًا رَغَبْنَا عَنْ بَنَاتِ بَنِي حَزْنٍ
أَبَا كَانَ خَيْرًا مِنْ أَيْبِكَ أُرُومَةً * وَأَوْسَطَ فِي سَعْدٍ وَأَرْجَحَ فِي الْوَزْنِ
لَيْبَتِ بَنِي حَزْنٍ مِنَ الدَّلِّ وَهَنَةً * كَوْهِنَةُ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ الَّتِي تَلْبِي
وَلَمْ تَرَ حَزْنِيًّا ، وَلَوْ ضَمَّ أَرْبَعًا * وَأَبْرَزَ ، فِي فَرْجٍ يَعْفُ وَلَا بَطْنَ
وَضِيفُ بَنِي حَزْنٍ يَحْسُوعُ وَجَارُهُمْ * إِذَا أَمِنَ الْجَبْرَانُ نَاءً مِنَ الْأَمْنِ

٣٩
٩

أخبرنا يحيى بن علي قال أنشدني محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروج يزيد بن المهلب ويتأسف على المحتاج :

يذكر خروج ابن
المهلب

لَا يُصْلِحُ النَّاسَ إِلَّا السِّيفُ إِذْ فُتِنُوا * لَهْفِي عَلَيْكَ وَلَا تَحْجَاجَ لِلدِّينِ
لَوْ كَانَ حَيًّا غَدَاةَ الْأَزْدِ إِذْ نَكُنُوا * لَمْ يُحِصِ قَتْلَاهُمْ حِسَابُ دِيرِن
لَمْ تَأْتِهِ الْأَزْدُ عِنْدَ الْبَابِ تَرْبُصُهُ * مِثْلَ الْجُرَادِ تَتَرَّى فِي الثَّيَابِينِ
مِنْ كُلِّ الْخُجْ ذِي حَنْفٍ مُخَالَفَةً * أُرْفَتْ بِهِ السُّفْنُ عُلْبًا غَيْرَ مُجْتَنُونَ
قَالَ أَبُو أَحْمَد : وَأَنْشَدَنِي لِيَحْيَى فِي سَفِيَانِ بْنِ عَمْرٍو وَالْيَمَامَةِ :

لَقَدْ عَصَانِي ابْنُ عَمْرٍو إِذْ تَصَحَّحْتُ لَهُ * وَلَوْ أَطَعْتُ لِمَا زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ
لَوْ كُنْتُ أَنْفُخُ فِي نَحِيمٍ لَقَدْ وَقَدْتُ * نَارِي وَلَكِنْ رَمَادٍ مَالَهُ سَحْمٌ

(١) أْبْرَزَ : اتَّخَذَ الْإِبْرِيْزَ وَهُوَ الذَّهَبُ الْخَالِصُ يَرِيدُ بِاتَّخَاذِ الْإِبْرِيْزِ كَثْرَةَ الْمَالِ .

(٢) تَرْبُصُهُ : تَنْتَظَرُهُ . وَالثَّيَابِينُ : جَمْعُ ثِيَابٍ ، وَهُوَ سُرَاوِيلٌ صَغِيرٌ ، فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ .

(٣) الْأَخْجُ : ذُو الْفَحْجِ ، يُقَالُ رَجُلٌ أَخْجٌ وَأَمْرَأَةٌ فَجِيَاءٌ . وَالْفَحْجُ هُوَ تَدَانِي صُدُورِ الْقَدَمَيْنِ وَتَبَاعُدِ

الْعَقَبَيْنِ . وَالْحَنْفُ : اعْوِجَاجُ الرَّجُلِ إِلَى الدَّخَالِ . وَأُرْفَتْ السَّفِينَةُ : دَنَتْ مِنَ الشَّطِّ . وَغَيْرُ مُجْتَنُونَ : غَيْرُ مُقْطَعِي ، مِنْ جِهَةِ الشَّيْءِ إِذَا سَرَهُ يَرِيدُ طَلَبًا لَا شَكَّ فِيهِ . (٤) فِي الْأَصُولِ : « أَطَعْتُ » بِالْقَافِ وَظَاهِرُ أَنَّهُ مُصَحَّفٌ عَمَّا أَهْتَبَاهُ .

وليحي أشعار كثيرة؛ وإنما ذكرنا ها هنا منها ما ذكرنا لتعرف أعراق مروان في الشعر. وكان مروان أمجل الناس على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء، لاسيما من بني العباس، فإنه كان رثمهم أن يعطوه بكل بيت يمدحهم به ألف درهم.

يُجَل مروان بن
أبي حفصة ونوادير
له في ذلك

أخبرنا أحمد بن عمار قال حدثنا علي بن محمد التوفي قال سمعت أبي يقول : كان المهدي يعطي مروان وسنما الخاسر عطية واحدة ، وكان سلم يأتي باب المهدي على البردون قيمته عشرة آلاف درهم ، والسرّج والجام المقدوذين ؛ ولباسه الخنز والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الثمن ، ورائحة المسك والغالية والطيب نفوح منه ، ويحيى مروان وعليه قرو كبش ، وقميص كرايس وعمامة كرايس ، وخفا كل وكساء غليظ من الثياب الرائحة ، وكان لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم إليه ، فإذا قريم أرسل غلامه فأشترى له رأسا فأكله . فقيل له : نراك لا تأكل إلا الرعوس في الصيف والشتاء ، فلم تختار ذلك ؟ قال : نعم ! الرأس أعرف سعره ، ولا يستأجع الغلام أن يغرتني فيه ، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه ، إن مس عينا أو أذنا أو خذا وقف على ، فأكل منه ألوانا ، أكل عيذه لونا ، وأذنيه لونا ، وغلصمته لونا ، وأكفى مؤنة طبخه ، فقد أجمعت لي فيه مرافق .

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العلاء المنقري قال حدثني موسى بن يحيى قال :

أرسلنا إلى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم ، وجمع إليها مالا حتى تمت مائة ألف وخمسين ألف درهم ، وأودعها يزيد بن مزيد .

(١) المقدوذ : المزين المدوى . (٢) الكرايس : جمع كرايس وهو هنا الثوب الخشن . (٣) الكلج : الكثير الصوف من الفراء . (٤) كذا في أ ، ح . وقرم إلى اللحم اشندت شبهة له . وفي الأصول : « يقدم » بالذال المهملة وهو بحر يف . (٥) الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق ، وقيل رأس الخلقوم بشواره .

٢٠

قال : فيينا نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مزّيد ، وكانت فيه دُعابة ، فقال : يا أبا عليّ أودعني مروان خمسين ومائة ألف درهم وهو يشتري الخبز من البقال . قال فعضب يحيى ثم قال : عليّ بمروان ، فأُتي به . فقال له : أخبرني أبو خالد بما أودعته من المال وما تتبناه من البقال ، والله لما يرى من أثر البخل عليك أضّر من الفقر لو كان بك .

أخبرنا يحيى قال وحدّثني عمر بن شبّة عن أبي العلاء المنقريّ عن موسى بهذا الخبر ، إلّا أنه قال : فقال له يحيى : يا مروان ، والله لا البخلُ أسوأ عليك أثرًا من الفقر لو صرّت إليه ، فلا تتجمل .

أخبرنا يحيى قال حدّثني عمر بن شبّة قال :

بلغني أن مروان بن أبي حفصة قال ما فِرِحْتُ بشيء قطّ فرّحني بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهديّ ، فوزّعتها فزادَتْ درهمًا فأشتريتُ به لحماً .

أخبرنا يحيى قال حكى أبو غسان عن أبي عبيدة عن جهم بن حلف قال :

أُتينا اليامّة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة ، فأطعما تمرًا ، وأرسل غلامه بفلس وسُكّجة ليشتري له زيتًا . فلما جاء بالزيت قال للغلام : خُتِنِي ! قال : من فلس كيف أخونك ! قال : أخذتَ الفلس لنفسك وأستوهبت الزيت .

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التوزيّ عنه قال :

مرّ مروان بن أبي حفصة في بعض سفّراته وهو يريد منى بأمرأة من العرب فأضافته ، فقال : لله عليّ إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لك درهمًا ، فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاهما أربعة دَوّاق .

(١) السكّجة : الصفحة . (٢) كذا في ٢ . وفي ب ، ح ، د : « وهو يريد منى امرأة » . وفي أ : « وهو يريد منى بأمرأة » وكلاهما تحريف .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دُعامة قال :

اشترى مروان لحمًا بنصف درهم ، فلما وضعه في القدر وكاد أن ينضج ، دعاه صديق له ، فردّه على القصاب بنقصان داني . فشكاه القصاب وجعل ينادى : هذا لحمُ مروان ، وظنّ أنه يأنف لذلك . فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ! ما هذا ! قال : أكره الإسراف .

نصّة له مع
أبي الشمقمق

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دُعامة قال :

أنشدتُ لرجل من بني بكر بن وائل في مروان :

وليس لمروانٍ على العرسِ غيرةٌ * ولكنّ مروانًا يَغارُ على القديرِ .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هِفَّان قال حدّثني يحيى بن الجَوْن العبديّ قال :

فرّق المهديّ على الشعراء جوائزَ ، فأعطى مروانَ ثلاثين ألفاً . بجاءه أبو الشَّمَقْمَق فقال له : أحزنى من الجائزة . فقال له : أنا وأنتُ نأخذ ولا نُعطى . قال : فأسمع مني بيتين . قال : هايت . فقال أبو الشَّمَقْمَق :

لحبة مروان بقي عنبراً * خالط مسكاً خالصاً ^(١) أذفراً

فما يُقيمان بها ساعة * إلّا يعودان جميعاً تحراً

فأمر له بدرهمين . وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر بحظّة عن أبي هِفَّان

فذكر مثل الخبر الماضي وزاد فيه : فأعطاه عشرة دراهم ، فقال له خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان .

أخبرني محمد بن مرزُود بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزبير بن بَكَّار قال حدّثني عمّي مُصعب عن جدّي عبد الله بن مصعب قال :

ملح الهادي
فداعيه في المعجل
والمؤجل ووصله

دخل مروان بن أبي حفصة على موسى الهادي ، فأنشده قوله فيه :

تَسَابِهَ يَوْمًا بِأَسِهَ وَنَوَالِهِ * فَمَا أَحَدٌ يَدْرِي لَأَيِّهِمَا الْفَضْلُ

فقال له الهادي : أَيْمًا أَحَبُّ إِلَيْكَ : أَمْثَلُ ثَوْبٍ أَلْفًا مُعَجَّلَةً أَمْ مِائَةٌ أَلْفٌ تَدَوُّنُ فِي الدَّوَاوِينِ ؟ فقال له : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تُحَسِّنُ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا وَلَكِنَّكَ تَسِيئَتُهُ ، أَفَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَدَّكَرَكَ ؟ قال نعم . قال : تُعَجِّلُ لِي الثَّلَاثِينَ أَلْفًا وَتَدَوُّنُ الْمِائَةَ الْأَلْفَ فِي الدَّوَاوِينِ ، فَضَحِكَ وَقَالَ : بَلْ يَعْجَلَانِ جَمِيعًا ؛ فَحُمِلَ الْمَالُ إِلَيْهِ أَجْمَعُ .

٤١
٩

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه مدح المهدي فلاحته
قال حدثني سليمان بن جعفر قال حدثني أحمد بن عبد الأعلى قال :
اليزيدي فاعترض
على سوء أدبه

اجتمع مروان بن أبي حفصة وأبو محمد اليزيدي عند المهدي ؛ فابتدأ مروان
يُنشِدُ :

* طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَخِيَّ خِيَالَهَا *

فقال اليزيدي : لَحَنَ وَاللَّهِ وَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ . فقال له مروان : يَا ضَعِيفَ الرَّأْيِ
أَهَذَا لِي يَقَالَ ! ثُمَّ قَالَ :

١٥ * بِيضَاءُ تَخْلِطُ بِالْجَمَالِ دِلَالَهَا *

فقال له بعض من حضر : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَكُنِّي فِي مَجْلِسِكَ ! (يَعْنِي الْيَزِيدِي)
فقال : أَعْذِرُوا شَيْخَنَا ، فَإِنَّ لَهُ حُرْمَةً .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق
الموصلي قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال قال لي الرشيد : هل دخلت على
الوليد بن يزيد ؟ فقلت : نعم دخلت مع عمومتى إليه . قال : فأخبرني عنه . قال :
سأله الرشيد من
الوليد بن يزيد
فأجابته

٢٠

(١) في الأصول المائة ألف . (٢) كذا في الأصول ولعلها من زيادات النساخ .

فذهبتُ أترجح، فقال لي: إنَّ أمير المؤمنين لا يكره ما تقول، فقل ما شئت. فقلت:
يا أمير المؤمنين، كان من أجهل الناس وأشدَّهم وأشعرهم وأجودهم. دخلتُ عليه مع
عمومتى وليمةً فينانه، فجعل يغمز القضيبة فيها ويقول: ولدتك سُكْرًا؟ — وهى أم ولدٍ
لمروان بن الحكم فوهبها لجدي أبي حفصة فولدت منه — فقلت له: نعم. قال لي
الرشيد: فهل تحفظ من شعره شيئًا؟ قلت: نعم، سمعته يُنشد في خلافته وذكر
هشامًا وتحمُّله عليه وما كان يريد من قُض أمره وولايته:

ليت هشامًا عاش حتى يرى * مِكتَلَه الأوفر قد أثرا
كُننا له الصاع التي كالمها * وما ظلمناه بها أصومًا
وما آتينا ذاك عن بدعة * أحله القرقان لي أجمعا

فقال الرشيد: يا غلام، الدواة والقرطاس، فأتي بهما، فأمر بالآيات فكتبت.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحيب بن نصر الملهبي قال حدثنا
عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال:

جاءنا مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس، فأخذ بيد خلف الأحمر فأقامه،
وأخذ خلف بيدي فقمنا إلى دار أبي عمير بفسلنا في الدهليز. فقال مروان لخلف:
نشدتك الله يا أبا محرز إلَّا نصحتني في شعري فإن الناس يُخدعون في أشعارهم،
وأنشدته قوله:

طرقك زائرة فحيَّ خيالها * بيضاء تخط بالجمال دلالها

فقال له: أنت أشعر من الأعشى في قوله:

* رَحَلَتْ سَمِيَّةٌ غُدُوًّا أَجْمَالَهَا *

(١) كذا بالأصول ولعله «وهي» . (٢) المكل: زبل يعمل من الخوص يحمل فيه
التمر وغيره يسع خمسة عشر صاعا . (٣) في ج: «ابن عمير» .

فقال له مروان : أَتَبْلُغُ بِي الْأَعْشَى هَكَذَا ! وَلَا تَكُلْ ذَا ! قال : وَيَحْدُ ! إِنْ
الْأَعْشَى قَالَ فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ :

* فَأَصَابَ حَبَّةً قَلْبَهَا وَطَحَّالَهَا *

وَالطَّحَالُ مَا دَخَلَ قَطُّ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَفْسَدَهُ ، وَأَنْتَ قَصِيدَتُكَ سَلِيمَةً كُلَّهَا . فقال له
مروان : إِنْ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ الْقَصِيدَةَ رَفَعْتُهَا فِي حَوْلٍ ، أَقُولُهَا فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ،
وَأَتَخَلَّيْهَا فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، وَأَعْرِضُهَا فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ .^(١)

وَأَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبْرِ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ أَبُو دَلْفٍ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَحَدَّثَنِي بِهِ الرَّيَّاشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ :
جَاءَ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ إِلَى حَلْفَةِ يُونُسَ ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ لَنَا : أَيُّكُمْ يُونُسُ ؟ فَأَوْمَأَ قَا

عرض شعرا له على
يونس فدحه وفضله
على شعر للأعشى

٤٢
٩

إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! إِنْ أَرَى قَوْمًا يَقُولُونَ الشَّعْرَ ، لِأَنَّهُ يَكْشِفُ أَحَدَهُمْ سُوءَهُ
ثُمَّ يَمْشِي كَذَلِكَ فِي الطَّرِيقِ أَحْسَنُ لَهُ مِنْ أَنْ يُظْهَرَ مِثْلُ ذَلِكَ الشَّعْرَ . وَقَدْ قُلْتُ
شَعْرًا أَعْرِضْهُ عَلَيْكَ ، فَإِنْ كَانَ جَيِّدًا أَظْهَرْتُهُ ، وَإِنْ كَانَ رَدِيثًا سَتَرْتُهُ . فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

* طَرَفْتُكَ زَائِرَةً خَفَى خِيَالُهَا *

فَقَالَ لَهُ يُونُسُ : يَا هَذَا أَذْهَبَ فَأُظْهِرُ هَذَا الشَّعْرَ فَأَنْتَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ مِنَ الْأَعْشَى فِي قَوْلِهِ :

* رَحَلْتُ سُبَيْمَةً غُدُوَّةً أَجْمَالُهَا *

فَقَالَ لَهُ مَرْوَانَ : سِرْرَتِي وَسُؤْتِي . فَأَمَّا الَّذِي سِرْرَتِي بِهِ فَأَرْتَضَاؤُكَ الشَّعْرَ . وَأَمَّا الَّذِي
سَاءَنِي فَتَقْدِيمُكَ لِي بِأَيِّ عَلَى الْأَعْشَى وَأَنْتَ تَعْرِفُ مَحَلَّهُ . فَقَالَ : إِنَّمَا قَدَّمْتُكَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ
الْقَصِيدَةِ لَا فِي شَعْرِهِ كُلِّهِ لِأَنَّهُ قَالَ فِيهَا :

* فَأَصَابَ حَبَّةً قَلْبَهَا وَطَحَّالَهَا *

وَالطَّحَالُ لَا يَدْخُلُ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَفْسَدَهُ ، وَقَصِيدَتُكَ سَلِيمَةٌ مِنْ هَذَا وَشِبْهِهِ .

(١) فِي الْأَصُولِ : « أَتَخَلَّيْهَا » بِالْهَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون طامع قال :
سمعت الأصمعي ذكر مروان بن أبي حفصة فقال : كان مولداً ، لم يكن له
علم باللغة .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني أحمد بن عبيد الله عن العتيبي قال حدثني
بعض أصحابنا قال :
أنشدنا مروان بن أبي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال : زهير والله أشعر
الناس ، ثم أنشد للأعشى فقال : الأعشى أشعر الناس ، ثم أنشد شعراً
لامرئ القيس فقال : امرئ القيس أشعر الناس ، ثم قال : والناس والله أشعر
الناس . أي إن أشعر الناس من أنشدت له فوجدته قد أجاد ، حتى يُثقل إلى
شعر غيره .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني
أبي قال :
اجتاز مروان بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو يُشدد قوماً
كان جالساً إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد ، وإنه قُتل قبل أن يلقاه ويُشده
ليأه ، أو له :

مروان يا بن محمد أنت الذي * زيدت به شرقاً بنسو مروان

فأعجبته القصيدة ، فأمهل الباهلي حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه في منزله فقال له : إنني
سمعت قصيدتك وأعجبتي ، ومروان قد مضى ومضى أهله وفاتك ما قد رمت^(١) عنده ؛
أتبعني القصيدة حتى أتيتها ، فإنه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير ؟ قال نعم .
قال : بك ؟ قال : بثلاثمائة درهم . قال : قد آبتعتها ، فأعطاء الدراهم وحلفه بالطلاق

(١) في ج : « ما قدرته » .

قال الأصمعي إنه
مولد ولا علم له
باللغة

أنشد شعر جماعة
من الشعراء فقال
عن كل واحد منهم
إنه أشعر الناس

اشترى من أعرابي
شعراً مدح به
مروان بن محمد
فدح هو به من
ابن زائدة فأكرمه

ثلاثاً وبالأيمان المخرجة ألا يتحلها أبداً ولا ينسبها إلى نفسه ولا ينسبها،
وأنه رف بها إلى منزله، فغير منها أبيتاً وزاد فيها، وجعلها في معن، وقال في ذلك البيت:

معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفاً إلى شرف بنو شيبان

ووفد بها إلى معن بن زائدة فلأ يديه، وأقام عنده مدة حتى أئثرى وآتسعت حاله.

فكان معن أول من دفع ذكره ونوه به. قال: وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة
ومعراث * نة.

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني

محمد بن نعيم البلخي أبو يونس قال حدثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صديقاً قال:

كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً، وجعل فيه مالا، فحدثني

معن بن زائدة باليمن أنه أضطر لشدة الطلب إلى أن أقام في الشمس حتى لوحت

وجهه، وخفف عارضيه ولبسته، وليس جبة صوف غليظة، وركب جملًا من الجمال

النقالة ليمضي إلى البادية فيقيم بها، وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمر بن هبيرة

بلاء حسناً غاظ المنصور وجداً في طلبه. قال معن: فلما خرجت من باب حرب

تبعني أسود متقلداً سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام جملي فأنأه

وقبض عليّ، فقلت له: مالك؟ قال: أنت طلبة أمير المؤمنين، قلت: ومن أنا حتى

يطلبني أمير المؤمنين! قال: معن بن زائدة، فقلت: يا هذا أتق الله! وأين أنا من معن!

قال: دع هذا عنك فأنا والله أعرف به منك، فقلت له: فإن كانت القصة كما تقول

(١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة أبو خالد أحد رجالات بني أمية وفرسانهم وولاتهم، أبلى مع مروان

ابن محمد في الدعوة الباسية، قتل أبو جعفر المنصور سنة ١٣٢ هـ (انظر الكلام عليه في الطبري ق ٢

ص ١٣٦٣، ١٣٧٢، ١٩١٣ - ١٩١٦، ق ٣ ص ٦١ - ٧٣).

(٢) موضع بغداد ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخي ويعرف بالراوندي أحد قواد أبي جعفر المنصور.

(انظر معجم البلدان لياقوت في الكلام على الحريرة).

نقل قصة فرار معن
وأن عبداً أسود
أطلقه تكريماً بعد
ما عرفه

٤٣
٩

فهذا الجوهر حملته معي بقي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ، فخذ
ولا تسفك دمي . قال : هاتيه فأخرجته اليه ، فنظر اليه ساعة وقال : صدقت في قبضتي ،
ولست قابله حتى أسألك عن شيء ، فإن صدقتني أطلقك . فقلت : قل .
قال : إن الناس قد وصفوك بالجود ، فأخبرني هل وهبت قسط مالك كله ؟
قلت لا . قال : فنصفه ؟ قلت لا . قال : فثلثه ؟ قلت لا . حتى بلغ العشر
فأستحييت فقلت : أظن أني قد فعلت هذا . فقال : ما أراك فعلته ! أنا والله
راجل ، ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمته آلاف دنانير ،
وقد وهبته لك ، ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس ، ولتعلم أن
في الدنيا أجود منك ، فلا تمجيك نفسك وتتحقر بعد هذا كل شيء فعله ، ولا
تتوقف عن مكربة . ثم رمى بالعقد في حجري وخلي خطام البعير وأنصرف . فقلت :
يا هذا قد والله فضحتني ، ولسفك دمي أهون علي مما فعلت ، فخذ ما دفعته إليك فاني
غني عنه فضحك ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا ، والله لا أخذه ولا أخذ
بمعروف مثناً أبداً ، ومضى . فوالله لقد لملبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به
ما شاء فما عرفت له خبراً ، وكأن الأرض ابتلعتة .

١٥ قال : وكان سبب رضا المنصور عن من أنه لم يزل مستتراً حتى كان يوم
الهاشمية^(١) ، فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه ، وثب معن وهو متلثم فأتى
سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسناً ، وذبح القوم عنه حتى نجا وهم يحاربونه بعد ،

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالكوفة . وذلك أنه لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هيرة واستم
بناؤه وجعله مدينة وسماها الهاشمية . فلما توفي دفن بها . واستخلف المنصور فزها واستم بناء كان بقي فيها
وزاد فيها ما أراد . وكانت فيها وقعة بين أبي جعفر المنصور والراوندية ، وهم قوم يقولون بتناسخ الأرواح
وزعمون أن روح آدم حلت في أحد رجال المنصور ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو
أبو جعفر المنصور وأن الهيثم بن معاوية جبريل . (راجع معجم البلدان لياقوت وتاريخ الطبري ق ٣
ص ١٢٩ ، ١٣١) .

سبب رضا المنصور
عن من بن زائدة

ثم جاء والمنصورُ راكب على بغلة ولجامها بيد الربيع؛ فقال له: تَنَحَّ فَإِنِّي أَحَقُّ بِالْجَامِ مِنْكَ فِي هَذَا الْوَقْتُ وَأَعْظَمُ فِيهِ غَنَاءً. فقال له المنصور: صَدَقَ فَأَدْفَعُهُ إِلَيْهِ؛ فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَزَلْ يَقَاتِلُ حَتَّى أَنْكَشَفَتْ تِلْكَ الْحَالُ. فقال له المنصور: مَنْ أَنْتَ اللَّهُ أَبُوكَ؟ قال: أَنَا طَلَيْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ. قال: قَدْ أَتَمَّنَكَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ، وَمَثَلُكَ يُصْطَلَعُ. ثم أَخَذَهُ مَعَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَبَاهُ وَزَيَّنَهُ. ثم دَعَا بِهِ يَوْمًا وَقَالَ لَهُ: إِنِّي قَدْ أَتَمَّنْتُكَ لِأَمْرٍ، كَيْفَ تَكُونُ فِيهِ؟ قال: كَمَا يَحِبُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ — قال: قَدْ وَلَّيْتُكَ الْبَيْنَ، فَأَبْسُطِ السِّيفَ فِيهِمْ حَتَّى يُنْقَضَ حِلْفُ رُبَيْعَةٍ وَابْنِ — قال: أُبَلِّغُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَحِبُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَوَلَّاهُ الْبَيْنَ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا فَبَسَطَ السِّيفَ فِيهِمْ حَتَّى أَسْرَفَ.

قال مروان: وَقَدِمَ مَعْنُ بِعَقِبِ ذَلِكَ فَدَخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَقَالَ لَهُ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: قَدْ بَلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ شَيْءٌ لَوْلَا مَكَائِكَ عِنْدَهُ وَرَأْيُهُ فِيكَ لَغَضِبَ عَلَيْكَ. قال: وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَوَاللَّهِ مَا تَعَرَّضْتُ لَكَ مِنْكَ، قال: [إِعْطَاؤُكَ

عاتب المنصور معنا
على إكرامه له
فأجابه إنما أكرمه
للدخ هو

مروان بن أبي حفصة أَلَفَ دِينَارَ لِقَوْلِهِ فِيكَ:

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ * شَرْقًا إِلَى شَرْفِ بَنُو شَيْبَانَ

إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْفَعَالِ فَإِنَّمَا * يَوْمَاهُ يَوْمٌ نَدَى وَيَوْمٌ طَعَانَ

فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أُعْطِيْتُهُ مَا بَلَغَكَ لِهَذَا الشَّعْرِ، وَإِنَّمَا أُعْطِيْتُهُ لِقَوْلِهِ:

مَا زِلْتُ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مُعَلِّمًا * بِالسِّيفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ

فَمَنْعَتَ حَوَزَتَهُ وَكَنْتَ وِقَاةً * مِنْ وَقَعَ كُلُّ مُهَنْدٍ وَسِنَانٍ

فَأَسْتَحْيَا الْمَنْصُورَ وَقَالَ: إِنَّمَا أُعْطِيْتُهُ مَا أُعْطِيْتُهُ لِهَذَا الْقَوْلِ؟ قال: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!

وَاللَّهِ لَوْلَا خَافَةُ النَّقْمَةِ عِنْدَكَ لِأَمْكَتَتْهُ مِنْ مَفَاتِيحِ بَيْوتِ الْأَمْوَالِ وَأَبْجَتْهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ لَهُ

الْمَنْصُورُ: اللَّهُ دَرَكٌ مِنْ أَعْرَابِيٍّ! مَا أَهْوَنَ عَلَيْكَ مَا يَمُرُّ عَلَى الرِّجَالِ وَأَهْلِ الْحَزَمِ!

أسعفني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله
ابن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن
الربيع قال :

مدح المهدي فرده
لمدحه معنائه مدحه
العام المقبل فأجازه
مائة ألف درهم

رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة .
في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره ، فأنشده مديحاً فيه ، فقال له : ومن
أنت ؟ قال : شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة . فقال له
المهدي : ألسنت القائل :

أَقْنَا بِالْإِمَامَةِ بَعْدَ مَعْنٍ * مُقَامًا لَا تُرِيدُ بِهِ زَوَالَا
وَقُلْنَا أَيْنَ نَزَلَ بَعْدَ مَعْنٍ * وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نُوَالَا
قد ذهب النوال فيما زعمت ، فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا ، جئوا برجله ؛
بَحْرُوا برجله حتى أُخْرِجَ . قال : فلما كان من العام المقبل تَلَطَّفَ حتى دخل مع
الشعراء - وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة - فثَلَّ بين
يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ خَفِيَ خِيَالُهَا * بِيضَاءُ تُخَلِّطُ بِالْجَمَالِ دَلَالُهَا ^(١)
قَادَتْ فَوَادَكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلُهَا * قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَالُهَا
قال : فأنصت الناس لها حتى بلغ إلى قوله :

هَلْ تَطْلِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا * بِأَكْفَمٍ أَوْ تَسْتَرُونَ هَلَالَهَا
أَوْ تَجْحَدُونَ مَقَالََةً عَنْ رَبِّكُمْ * جَبْرِيْلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا
شَهِدْتُ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرُ آيَةٍ ^(٢) * بَرَأَ شَيْئًا فَأَرَدْتُمْ لِبَطَالَهَا

٢٠ (١) في ج في هذا الموضع : « يا لحياه » .

(٢) يريد قوله تعالى : « والذين آمنوا من بعد وهابوا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا
الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم » .

قال : فرأيت المهديّ قد زحف من صدر مُصلّاه حتى صار على الإساط إعجاباً بما
سمّح ، ثم قال : كم هي ؟ قال : مائة بيت . فأمر له بمائة ألف درهم . فكانت أول
مائة ألف درهم أعطوها شاعرٌ في أيام بني العباس .

مدح الرشيد فردّه
لمدحه معنائه مدحه
بعد أيام فاجازه
لكل بيت الفسا

قال : ومضت الأيام ووليّ هارون الرشيد الخلافة ، فدخل إليه مروان ، فرأيتّه واقفاً
مع الشعراء ثم أنشدّه قصيدة امتدحه بها . فقال له : من أنت ؟ قال : شاعرُك وعبدُك
يا أمير المؤمنين مروان بن أبي حفصة . قال له : ألسنت القائل في معن بن زائدة ! وأنشدّه
البيتين اللذين أنشدّه إياهما المهديّ ، ثم قال : خذوا بيده فأخبروه ، لا شيء لك عندنا ،
فأخرج . فلما كان بعد ذلك بأيام تلطف حتى دخل ، فأنشدّه قصيدته التي يقول فيها :

لعمرك ما أنسى غداة المحصب * إشارة سلمى بالبنان المحصب
وقد صدر الجحاج إلا أقلهم * مصادر شتى موكباً بعد موكب

٤٥
٩

قال : فأعجبته ، فقال : كم قصيدتك من بيت ؟ فقال : ستون أو سبعون . فأمر
له بعدد أبياتها ألوفاً . فكان ذلك رسم مروان عندهم حتى مات .

أخبرني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق قال :
دخل مروان بن أبي حفصة على المهديّ في أول سنة قديم عليه . قال :

مدح المهدي في
الرصاة فاجازه

فدخلت عليه في قصره بالرصاة فأنشدته قولي فيه :

أمر وأحل ما بلا الناس طعمه * عذاب أمير المؤمنين ونائله
فإن طلق الله من أنت مُطلق * وإن قتل الله من أنت قاتله
كان أمير المؤمنين محمداً * أبو جعفر في كل أمر يحاوله

قال : فأعجب بها ، وأمر لي بمال عظيم ، فكانت تلك الصلاة أول صلاة سنّة وصلت
إليّ في أيام بني هاشم .

مدح المهدي
وذم عنده يعقوب
ابن داود فأجازه
من خالص ماله

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال
حدثني محمد بن عبد الله العبدي الراوية قال حدثني حسين بن الضحّاك قال حدثني
مروان بن أبي حفصة قال :

دخلت على المهدي في قصر السلام، فلما سأمت عليه، وذلك بعقب منخطه
على يعقوب بن داود، قلت: يا أمير المؤمنين إن يعقوب رجل رافضٍ وإنه
سمعي أقول في الورثة :

أني يكون وليس ذاك بكائن * لبني البناث وراثته الأعمام
فذلك الذي حمله على عداوتي . ثم أنشدته :

كان أمير المؤمنين محمداً * لرأفته بالناس للناس والد
على أنه من خالف الحق منهم * سقته بالموت الحثوف الرواصد
ثم أنشدته :

أحيا أمير المؤمنين محمد * سنن النبي حرامها وحلها
قال فقال لي المهدي : والله ما أعطيك إلا من صلب مالي فأعزني ، وأمر لي
بثلاثين ألف درهم ، وكسائي جبة ومطرقة ، وفرض لي على أهل بيته ومواليه
ثلاثين ألفاً أخرى .

مدح معنا فاعطاء
عطايأ سنية لم
يستكثرها عليه
ابن الأعرابي

أخبرني عيسى بن الحسين الوزّاق قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال
حدثنا ابن الأعرابي أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنه وفد على معن بن زائدة
فأنشده قوله :

(١) كذا في الأصول . والذي في كتابي ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه ومعجم البلدان لما قرئت
أن قصر السلام من أبنية الرشيد بن المهدي بالرقعة . والذي بناه المهدي هو قصر السلامة وهو القصر الذي بناه
بالأجر في عيساياذ الكبرى (انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٠٢ ، ١٧٥) (٢) هو يعقوب بن داود
السلمي ، كان وزيرا للمهدي ثم غضب عليه وسجنه في المطبق وما زال به حتى أيام هارون الرشيد . وقد ذكره
أبو الفرج في ترجمة بشار بن برد في الأغاني (ج ٣ من هذه الطبعة) . (٣) في الأصول : « قلت » .

٥

١٠

١٥

٢٠

بنو مطريومَ اللّقاء كأنهم * أسود لها في بطن خفان^(١) أشبن
هم يُنْعون الجارحى كأنما * لجارهم بين السما كين مثل
لهايم^(٢)، في الإسلام سادوا ولم يكن * كالأولم في الجاهليّة أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا * أجاوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم * وإن أحسنوا في الثابتات وأجملوا

قال: فأمر لي بصلّة سنيّة وخلّع على وحمّلى وزودنى . قال ثم قال لنا ابن الأعرابي: لو أعطاه كلّ ما يملك أكّ وفاه حقّه . قال : وكان ابن الأعرابي يحنّ به الشعراء، وما دون لأحد بعده شعرا .

٤٦
٩

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنى عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني أحمد بن موسى بن حمزة قال :

سئل عن جرير
والفرزدق أيهما
أشعر فأجاب بشعر

رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زُبَيْدَة في دار الخلافة وهو شيخ كبير، فسألته عن جرير والفرزدق أيهما أشعر، فقال لي: قد سئلتُ عنهما في أيام المهديّ وعن الأخطل قبل ذلك، فقلتُ فيهم قولاً عقدته في شعر ليثبت . فسألته عنه فأنشدني:

ذهب الفرزدقُ بالهجاء وإيما * حُلُو القريض ومُرّه بالحرير

ولقد هجا فأمضَ أخطلٌ تغليب * وحوى النّهي ببيانهِ المشهور

كلّ الثلاثة قد أجاد فمدحه * وهجاؤه قد سار كلّ مسير

ولقد جريتُ فُتْ غير مهليل^(٣) * يجرأ لا قَرِيف^(٤) ولا مبهور

إني لَأَنفُ أن أجبرَ مدحة * أبداً لغير خليفة ووزير

ما ضرني حسدُ اللّثام ولم يزل * ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

قال : فلم يرَ أن يقدّم على نفسه غيرها . وكتبتُ الأبيات عن فيه .

(١) خفان كحسان : موضع كثير التبايض قرب الكوفة وهو مأسدة . (٢) الهايم : جمع لهميم وهو السابق الجواد . (٣) هل الرجل : جبن وفز . (٤) القرف : الشديد الحرّة ولعله يعنى به الهمين .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني أبو حاتم السجستاني قال حدثني العنسي قال :

مدح معنا فسأله
عن أمه فأعطاه
إياه واستقله له

لما قدم معن بن زائدة من اليمن ، دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس غاض بأهله ، فأخذ بعضاً دني الباب وأنشأ يقول :
(١)
وما أجمم الأعداء عنك بقيّة * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحنف فيهما * أبي الله إلا أنت تضراً وتفعماً
قال فقال له معن : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم . فقال معن : ربحنا عليك
تسعين ألفاً . قال : أقلني . قال : لا أقال الله من يُقيلك .

رى محرز معنا بالظلم
فرد عليه بما أنجمله

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبي قال :
لما قدم معن بن زائدة من اليمن استقبله الناس ، وتلقاه مروان بن أبي حفصة ،
فأنشده قصيدةً هيئته فيها بقدمه وبرأى المنصور فيه ، وتلقاه فيمن تلقاه أبو القاسم محرز
بجعل يقول له : سكت الدماء ، وظلمت الناس ، وتعديت طورك بذلك . فلما أكثر
على معن ألقت إليه ثم قال له : يا محرز أخبرني بأى خفيك تضرب اليوم : أبا السباعي
أم بالثاني ؟ قال : فأقطع وسكت تتجلا .

ودخل معن على المنصور ، فلما سلم عليه وسأله قال له : يا معن ، أعطيت ابن
حفصة مائة ألف درهم عن قوله فيك :

معن بن زائدة الذي زيدت به * شرقاً إلى شرف بنو شيبان
فقال له : كلا يا أمير المؤمنين ! بل أعطيته لقوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلماً * بالسيف دون خليفة الرحمن
فأستجيا المنصور من تهجينه إياه فتبسم وقال : أحسنت يا معن في فعلك .

(١) عضادات الباب : خشيته من جانيه . (٢) البقية : الإبقاء .

(٣) هو أبو القاسم محرز بن إبراهيم أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية . انظر الكلام عليه في الطبري (ق ٢ ص ١٩٥٥ - ١٩٥٧) .

أخبرني الحسن بن عليّ المصري قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرِيَه قال
حدثني عليّ بن ثور قال حدثني أبو العباس العَدَوِيّ قال :

ترك يحيى بن منصور
الشعر فلما سمع بكرم
معن مدحه وقال
مروان في ذلك
شعرا

لَمَّا وَلِيَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الْيَمَنَ كَانَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ الذُّهْلِيُّ قَدْ تَنَسَّكَ وَتَرَكَ
الشعر . فلما بلغته أفعال مَعْنُ وَقَدْ إِلَيْهِ وَمَدَحَهُ ، فَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ :

لَا تَعْدَمُوا رَاحَتِي مَعْنُ فَلَيْتَهُمَا * بِالْجُودِ أَقْنَتَا يَحْيَى بْنَ مَنْصُورٍ
لَمَّا رَأَى رَاحَتِي مَعْنُ تَدْفُقْتَا * بِنَائِلٍ مِنْ عَطَاءٍ غَيْرِ مَنُورٍ
أَلْقَى الْمُسُوحَ الَّتِي قَدْ كَانَ يَلْبَسُهَا * وَظَلَّ لِلشَّعْرِ ذَا رَصِيفٍ وَتَجْبِيرِ

٤٧
٩

أخبرني محمد بن مَرْزُودٍ وَعِيسَى بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ :

تزوجت امرأة من
أهله في بني مطر
فلم يرضهم
وقال شعرا

١٠ ورد علي مروان بن أبي حفصة كتاب وهو بالمدينة أن امرأة من أهله
تزوجت في قوم لم يَرْضَ صَهرهم يقال لهم بنو مطر ؛ فقال في ذلك لأخيها :
لَوْ كُنْتُ أَشْبَهْتُ يَحْيَى فِي مَنَاحِكِهِ * لَمَّا تَنَقَّيْتُ خِفَاءَ جِدِّهِ مَطَرُ
لَهُ دَرَجِيَادٍ كُنْتُ سَأَسَهَا * ضِيْعَتَهَا وَبِهَا التَّحْجِيلُ وَالْغُرْدُ
نُبْتُ خَوْلَةً قَالَتْ يَوْمَ أَنْكَحَهَا * قَدْ طَلَمَا كُنْتُ مِنْكَ الْعَارَ أَنْتَظِرُ

١٥ أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثنا الحسن بن عليّ المعروف بمُحَدَّانٍ
عن محمد بن حفص بن عمرو بن الأيهم الحنفي قال :

تكم بالحنفي الشاعر
فهجاء ولم يعف
عنه حتى حفره

مر مروان بن أبي حفصة برجل من تيمم اللات بن ثعلبة يعرف بالحنفي ؛ فقال له
مروان : زعموا أنك تقول الشعر . فقال له : إن شئت عرفتُك ذلك . فقال له مروان :
ما أنت والشعر ، ما أرى ذلك من طريقك ولا مذهبك ولا تقوله ! فقال الحنفي :
أجلس وأسمع بجلس ؛ فقال الحنفي يهجو :

(١) يقال : أعطاه عطاء غير منزور : إذا لم يلح عليه فيه بل أعطاه عفوا .
(٢) سمى مُحَدَّانٍ وحَدَّانٍ بضم أوله وفتحته .

ثَوَى اللُّؤْمُ فِي الْعَجَلَانِ يَوْمًا وَلَيْلَةً * وَفِي دَارِ مَرْوَانَ ثَوَى أَنْتَرَ الدَّهْرِ
غَدَا اللُّؤْمُ يَبْغِي مَطَرًا لِحَالِهِ * فَتَقَبَّ فِي بَرِّ الْبِلَادِ وَفِي الْبَحْرِ
فَلَمَّا أَتَى مَرْوَانَ خَسِمَ عِنْدَهُ * وَقَالَ رَضِينَا بِالْمُقَامِ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَيْسَتْ لِمَرْوَانَ عَلَى الْعِرْسِ غَيْرَةٌ * وَلَكِنْ مَرْوَانًا يَغَارُ عَلَى الْقِدْرِ
فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ : نَاشِدْتُكَ اللَّهَ إِلَّا كَفَفْتَ ، فَأَنْتَ أَشْعَرُ النَّاسِ . خَلَفَ الْخَنِيَّةَ
بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا أَنَّهُ لَا يُكْفَى حَتَّى يَصِيرَ إِلَيْهِ بِنْفَرٍ مِنْ رُؤَسَاءِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ
بِحَضْرَتِهِمْ : قَاقِ فِي آسَتِي بَيْضَةً . فَجَلَبَهُمْ إِلَيْهِ مَرْوَانُ وَفَعَلَ ذَلِكَ بِحَضْرَتِهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ
جَدَى يَحْيَى بْنُ الْأَيْيَمِ ، فَأَنْصَرَفُوا وَهُمْ يَضْحَكُونَ مِنْ فَعْلِهِ .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ
زَيْدِ الدَّوْسِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ بْنِ قُتَيْبَةَ الْبَاهِلِيِّ ١٠
قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ بْنُ قَطَنٍ بْنُ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقِ الْهَلَالِيِّ قَالَ :
لَمَّا مَاتَ الْمَهْدِيُّ وَفَدَتِ الْعَرَبُ عَلَى مُوسَى يَهْتَنُونَ بِالْخِلَافَةِ وَيَعْرُؤُونَهُ عَنْ
الْمَهْدِيِّ ؛ فَدَخَلَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ فَأَخَذَ بَعْضَ أَتَوِيهِ الْبَابِ ثُمَّ قَالَ :
لَقَدْ أَصْبَحْتُ تَحْتَالُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * بِقَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقَابِرِ
وَلَوْلَمْ تُسَكِّنْ بَابَنَّهُ فِي مَكَانِهِ * لَمَّا بَرَحْتَ تَبْكِي عَلَيْهِ الْمَنَابِرِ ١٥
قَالَ نَفَرَ النَّاسُ بِالْبَيْتَيْنِ .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ قَالَ :
مَرَضَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ وَقَدْ أَبْلَى مِنْ مَرَضِهِ
فَأَنشَأَ يَقُولُ : ٢٠
صَحَّ الْجَسْمُ يَا عَمْرُو * لَكَ التَّمَجِصُ وَالْأَجْرُ

عزى الهادي
في المهدي بينين
تساقطهما الناس

مدح عمرو بن
مسعدة في مرضه

ولله علينا الحمد * دُ والمِنَّةُ والشكر

فقد كان شكاً شوقاً * إليك التَّهْنِئُ والأمر

قال فنما نحوه مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَالَ :

قالوا أبو الفضل محمودٌ فقلت لهم * نفسى الفداء له من كل محذور

يأليت عِلَّتْهُ بى غير أنى له * أبحر العليل وأنى غير مأجور

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى قال حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدثنا
أبو حذيفة قال حدثنى رجل من بنى سليم فى مسجد الرضا فة قال أخبرنى مروان بن
أبى حفصة قال :

رأى القول فى بعض
سفراته ففزع

وفدت فى ركب إلى الرشيد فصرنا فى أرض موحشة قفر ، وجن علينا الليل
فصرنا لنقطعها ، فلم نشعر إلّا بأمرأة تسوق بنا إبلنا وتحدو فى آثارنا ، فإذا هى
الغول . فلما لاح الفجر عدلت عنا وأخذت عرضا وجعلت تقول :

يا كوكب الصبح إليك عني * فلست من صبح وليس مني

قال : فما أذكر أنى فزعت من شىء قط فزعى ليلئذ .

أخبرنى الحسن بن على قال حدثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثنى
على بن الحسن الكوفى قال حدثنى محمد بن يحيى بن أبى مرّة التَّغْلَبِى قال :

عارضه التغلبى
فى شعره فى رواية
بنى العباس

مررت بجمعر بن عقاب الطائى يوما وهو على باب منزله ، فسلمت عليه ،
فقال لى : مرحباً يا أخا تغلب ، اجلس بفلاست . فقال لى : أما تمنج من
أبن أبى حفصة لعنه الله حيث يقول :

أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبنى البنات ورائة الأعمام

فقلت بلى والله لانى لأتمجج منه وأكثير اللعن له ، فهل قلت فى ذلك شيئاً ؟
فقال : نعم قلت :

(١) العريض : الناحية .

لم لا يكون وإذ ذاك لكائن * لبني البنات وراثته الأعمام
 للبت نصف كامل من ماله * والعلم متروك بغير سهام
 ما للطلق وللثراث وإنما * صلي الطلق مخافة الصمصام

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان التوفلي
 قال حدثني صالح بن عطية الأصبهاني قال :
 لما قال مروان :

أني يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثته الأعمام
 لزمته وعاهدت الله أن أغتاله فأقتله أي وقت أمكنني ذلك، وما زلت لأطفه
 وأبره وأكتب أشعاره، حتى خيضت به، فأنس بي جداً، وعرفت ذلك بنو حفصة
 جميعاً فأنسوا بي، ولم أزل أطلب له غيرة حتى مرض من حمى أصابته، فلم أزل
 أظهر له الجزع عليه والألمه والأطفه، حتى خلا لي البيت يوماً فوثبت عليه فأخذت
 بحلقه فما فارقت حتى مات، فخرجت وتركته، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً،
 وأرتفعت الصيحة فحضرت وتباكيت وأظهرت الجزع عليه حتى دفن، وما فطن
 بما فعلت أحد ولا أتهمني به .

ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي وأمه شكلة^(١). ويكنى أبا إسحاق. وشكلة أمه
 مولدة، كان أبوها من أصحاب المازيار، يقال له شاه أفرند، فقتل مع المازيار
 وسيت بته شكلة، فحملت إلى المنصور، فوهبها لمحيأة أم ولده فربتها وبعث بها
 إلى الطائف فنشأت هناك وتفصصحت، فلما كبرت ردت إليها . فرآها المهدي

(١) ضبط في القاموس بالقلم بفتح أوله . وفي الطبري بفتح أوله وكسره .

عندها فأعجبته، فطلبها من حُمَيَّة فاعطته إياها، فولدت منه إبراهيم . وكان رجلاً عاقلاً
فهِمًا دِينًا^(١) أديبًا شاعرًا راويةً للشعر وأيام العرب خطيبًا فصيحًا حسنَ العارضة .

وكان إسحاق الموصلي يقول: ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس :
رجلاً أفضل من إبراهيم بن المهدي . فقيل له : مع ما تبدل له من الغناء؟ فقال :
وهل تم فضله إلا بذلك ! . حدثني بذلك محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه .

وكان أشد خلق الله إعظاماً للغناء، وأحرصهم عليه ، وأشدَّهم منافسةً فيه . وكانت
صنعتُه لينةً ، فكان إذا صنع شيئاً نسبته إلى شارية وريق ، لئلا يقع عليه فيه طعن
أو تفرع ، فقلتُ صنعتُه في أيدي الناس مع كثرتها لذلك . وكان إذا قيل له فيها شيء
قال : إنما أصرع تطرُّباً لا تكسباً ، وأغنى لنفسى لا للناس فأعمل ما أشتي . وكان
حُسنُ صوته يستر عوار ذلك كله . وكان الناس يقولون لم يُر في جاهلية ولا إسلام
أخٌ وأختٌ أحسنُ غناءً من إبراهيم بن المهدي وأخته عُلَيَّة . وكان يُماظ^(٢) إسحاق
ويُجادله ، فلا يقوم له ولا يبقى به ، ولا يزال إسحاق يغلبه ويغضبه بزمه ويغض
منه بما يظهر عليه من السقطات وبينت من خطئه في وقته وعجزه عن معرفة
الخطأ الغامض إذا مرَّ به ؛ وقصوره عن أداء الغناء القديم فيفضحه بذلك . وقد
ذكرتُ قطعةً من هذه الأخبار في أخبار إسحاق وأنا أذكرها هنا منها ما لم أذكر هناك .

ومما خالف إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله على إسحاق فيه : الثَّقِيلان
وخفيفهما ؛ فإنه سَمي الثَّقيل الأول وخفيفه الثَّقيل الثاني وخفيفه ، وسَمي الثَّقيل
الثاني وخفيفه الثَّقيل الأول وخفيفه ؛ وجرَّت بينهما في ذلك مناظراتٌ ومجادلاتٌ
ومراسلة ومكاتبه ومشافهة ، وحضرهما الناس ، فلم يكن فيهم من يقي بفصل

مدحه إسحاق
الموصلي

كان ينسب
ما يصنع لشارية
وريق جاريته

كان ينازع إسحاق
ويجادله وجرَّت
بينهما مناظرات
في الفن

(١) هذه الكلمة ليست في ج . (٢) يماظ : يتنازع . (٣) في الأصول : « وقت » . ٢٠

ما بينهما'. والحكم لأحدهما على صاحبه . ووضع لذلك مكاييل لتعرف بها أقدار الطرائق ، وأمسك كل واحد منهما إلى آخر أقداره ، فلم يصح شيء يعمل عليه ، إلا أن قول إبراهيم بن المهدي آضحل و بطل وترك ، وعمل الناس على مذهب إسحاق ؛ لأنه كان أعلم الرجلين وأشهرهما . وأوضح إسحاق أيضا لذلك وجهها فقال : إنَّ الثَّقِيلَ الأول يَجِيءُ منه قَدْران ، الثَّقِيلُ الأول التَّام ، والقَدْرُ الأوسط من الثَّقِيلِ الأول ، وجميعاً طريقته واحدة لا تساعه والتمكُّن منه ، والثَّقِيلُ الثاني لا يَجِيءُ هذا فيه ولا يُقَارَبُهُ . والثَّقِيلُ الأول يمكن الإدراج في ضربه لثقله ، والثَّقِيلُ الثاني لا يندرج لنقصه عن ذلك . ولها في هذا كلام كثير ومخاطبات قد ذكرتها في أخبارهما ، وشرحت العِللَ مبسوطة في كتاب ألفتته في النعم شرحاً ليس هذا موضعه ولا يصلح فيه . وأما التجزئة والقسمة فإنهما أفتيا أعمارهما في تنازعهما فيهما ، حتى كان يقضى لهما الزمان الطويل لا تنقطع مناظرتهم ومكاتبتهما في قسمة وتجزئة صوت واحد فيه ، وحتى كانا يخرجان إلى كل قبيل ، وحتى إنهما ماتا جميعاً وبنهنا منازعة في هذا الصوت وقسمته :

٥٠
٩

حَيًّا أُمَّ يَعْمَرَا * قَبْلَ شُحْطٍ مِنَ النَّوَى

لم يُفْصَلْ بينهما فيها إلى أن أفتقرا . ولو ذهبتُ إلى ذكر ذلك وشرح سائر أخبار إبراهيم بن المهدي وقصصه لما ولي الخلافه وغير ذلك من وصفه بفصاحة اللسان ، وحسن البيان ، وجودة الشعر ، ورواية العلم ، والمعرفة بالحدل ، وجزالة الرأي ، والتصرف في الفقه واللغة ، وسائر الآداب الشريفة ، والعلوم النفيسة ، والأدوات الرفيعة ، لأطلت . وإنما الغرض في هذا الكتاب الأغانى أو ما جرى مجراها ، لاسيما لمن كثرت الروايات والحكايات عنه ؛ فلذلك أقتصرت على ما ذكرته من أخباره دون ما يستحقه من التفضيل والتبجيل والثناء الجميل .

(١) لعله : ووضع كلامهما أو كل منهما أو نحو ذلك .

أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني علي بن محمد بن بكر عن جدهم حماد بن
ابن إسماعيل قال قال لي إبراهيم بن المهدي :

كلمة لإبراهيم بن
المهدي عن نفسه
في صنعة الغناء

لولا أنني أرفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت فيها ما يعلم الناس معه أنهم
لم يروا قبلي مثلي .

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم
ابن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال :

غنى الرشيد وعنده
ابن جامع وإبراهيم
الموصل فاطرياه

دخلت يوماً إلى الرشيد وفي رأسي فضلة ثمار ، وبين يدي ابن جامع وإبراهيم
الموصل . فقال : بجيأتني يا إبراهيم غني . فآخذتُ العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي
من الفضلة فننيت :

أسرى بخالدة الخيال ولا أرى * شيئاً ألد من الخيال الطارق^(١)

فبسمعت إبراهيم يقول لأبن جامع : لو طلب هذا بهذا الغناء ما تطلب لما أكلنا
خبزاً أبداً . فقال ابن جامع : صدقت . فلما فرغت من غنائي وضعت العود ثم قلت :
خدنا في حقا ودعنا باطلنا .

نسبة هذا الصوت

صوت

أسرى بخالدة الخيال ولا أرى * شيئاً ألد من الخيال الطارق^(١)
إب البلية من تمل حديثه * فأنقع فؤادك من حديث الوامق^(٢)
أهواك فوق هوى النفوس ولم يزل * مدُّ بنت قلبي كالجنح الخافق

(١) رواية الديوان : « أسرى لخالدة الخ » .

(٢) في ديوان جرير : « يمل » بالبناء المجهول .

طَرَبًا إِلَيْكَ وَلَمْ تُبَيِّلِي حَاجَتِي * لَيْسَ الْمُكَاذِبُ كَالْحَلِيلِ الصَّادِقِ^(١)
الشعر: لحرير . والغناء: لآبَن عَائِشَةَ رَمَلٌ بِالْوُسْطَى عَنْ عَمْرٍو .

أَخْبَرَنِي بِحُظَّةٍ قَالَ أَخْبَرَنِي هَبَةُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي ،
وَحَدَّثَنِي الصُّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي هَبَةُ اللَّهِ — وَلَمْ يَذْكُرْ عَنْ
أَبِيهِ — قَالَ : ٥٥

غنى الرشيد وعنده
سليمان بن أبي جعفر
وجعفر بن يحيى

كَانَ الرَّشِيدُ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ أَبِي ، وَقَالَ بِحُظَّةٍ عَنْ هَبَةَ اللَّهِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : كَانَ
الرَّشِيدُ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَني ، فَنَلَّجَانِي مَرَّاتٍ إِلَى أَنْ سَمِعْتَنِي . ثُمَّ حَضَرَتْهُ مَرَّةً وَعِنْدَهُ
سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَقَالَ لِي : عَمَّكَ وَسَيِّدُ وَلَدِ الْمَنْصُورِ بَعْدَ أَبِيكَ وَقَدْ أَحَبَّ أَنْ
يَسْمَعَكَ ، فَلَمْ يَتْرَكْنِي حَتَّى غَنَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ :

إِذَا أَنْتَ فِينَا لَمْ يَنْهَكَ عَاصِيَةٌ * وَإِذَا أَجَرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي

فَأَمَرَنِي بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي لَيْلَةً وَلَمْ يَتَّقِ فِي الْمَجْلِسِ إِلَّا جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى :
أَنَا أَحَبُّ أَنْ تَشْرَفَ جَعْفَرًا بِأَنْ تَغْنِيَهُ صَوْتًا ، فَغَنَيْتُهُ لِحَنًا صَنَعْتُهُ فِي شِعْرِ الدَّارِمِيِّ :
كَأَنَّ صَوْرَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذَا وَصِفَتْ * دِينَارُ عَرِيبٍ مِنَ الْمَصْرِيَّةِ الْعُتْقِ

٥١
٩

نسبة هذين الصوتين ، منهما :^(٢)

صوت

سَقِيًّا لِرَبْعِكَ مِنْ رُبْعِ بَذَى سَلَمٍ * وَلِلزَّمانِ بِهِ إِذَا ذَاكَ مِنْ زَمَنِ

إِذَا أَنْتَ فِينَا لَمْ يَنْهَكَ عَاصِيَةٌ * وَإِذَا أَجَرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي

الشعر: للأحوص . والغناء: لآبَن سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوُسْطَى عَنْ عَمْرٍو

(١) . في الأصول :

شَوْفَا إِلَيْكَ وَلَمْ تَحْجَازْ مَوْدِقَ * لَيْسَ الْمَكْذُوبُ بِالْحَبِيبِ الصَّادِقِ

(٢) . لعله : « الأول منها الخ » .

والتصويب عن الديوان .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني أحمد بن زهير عن مُصعب قال : أَنشد
مُنشِدٌ وَأَبْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ عِنْدَنَا قَوْلَ الْأَحْوَصِ :

إِذْ أَنْتِ فِينَا لِمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةٌ * وَإِذْ أَبْرَأَ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي

فَوَسَّ، قَائِمًا وَأَلْقَى طَرْفَ رِدَائِهِ وَجَعَلَ يَخْطُو إِلَى طَرْفِ الْمَجْلِسِ وَيَجْرُهُ . ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ
حَتَّى عَادَ إِلَيْنَا . فَقُلْنَا لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا الشَّعْرَ
مَرَّةً فَأُطْرِخِي ، فَبَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي أَلَّا أَسْمِعَهُ أَبَدًا إِلَّا جَرْتُ رَسَنِي .

وَالْآخَرُ مِنَ الصَّوْتَيْنِ :

صوت

كَأَنَّ صَوْرَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذْ وَصِفَتْ * دِينَارُ عَيْنٍ مِنَ الْمِصْرِيَّةِ الْعُتْقِ
أَوْ دُرَّةٌ أَعْيَتْ الْغَوَاصَ فِي صَدْفٍ * أَوْ ذَهَبٌ صَاغَهُ الصَّوْأُغُ فِي وَرِقٍ
الشَّعْرُ لِلدَّارِيِّ . وَالْغِنَاءُ لِمَرْزُوقِ الصَّوْأَفِ رَمَلٌ بِالْبَصْرِ عَنْ أَبِي الْمَكِّي . وَذَكَرَ عَمْرُو
أَنْ هَذَا اللَّحْنُ لِلدَّارِيِّ أَيْضًا . وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لَا بَنَ سُرَيْجٍ . وَفِي هَذَا الْخَبَرِ أَنَّهُ
لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ . وَفِيهِ خَفِيفٌ رَمَلٌ يُقَالُ إِنَّهُ لَحْنُ مَرْزُوقِ الصَّوْأَفِ ، وَيُقَالُ
إِنَّهُ لِمَتَيْمٍ ثَانِي ثَقِيلٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ وَأَبْنِ الْمُعْتَزِ .

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ الْمُنْتَجِمِ قَالَ ذَكَرَ لِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ عَنْ إِسْحَاقَ
بْنِ عَمْرِو بْنِ بَرِّيْعٍ قَالَ :

غنى صوتا على أربع
طبقات

(١)
كَتَبْتُ أَضْرِبُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ صَوْتًا ذَكَرَهُ فُتْنَاءُ عَلَى أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ ،
عَلَى الطَّبَقَةِ الَّتِي كَانَ الْعُودُ عَلَيْهَا ، وَعَلَى ضَعْفِهَا ، وَعَلَى إِسْجَاحِهَا ، وَعَلَى إِسْجَاحِ الْإِسْجَاحِ .
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : وَهَذَا شَيْءٌ مَا حَكَيْتَ لَنَا عَنْ أَحَدٍ غَيْرِ إِبْرَاهِيمَ ،

وقد تَاطاه بعضُ الحُذَّاق بهذا الشَّأن، فوجده صعباً متعذراً لا يُبلَّغ إلَّا بالصوت القويّ وأشدَّ ما في إنجِاح الإنجِاح؛ لأنَّ الضَّعْف لا يُبلَّغ إلَّا بصوت قويّ. إثِّل إلى الدقة، ولا يكاد ما أوسع حَرَجُه يبلَّغ ذلك . فإذا دَقَّ حتى يبلَّغ الإضعاف لم يقدر على الإنجِاح فضلاً عن إنجِاح الإنجِاح . فاذا غَلَطَ حتى يَمُكِّن من هذين لم يقدر على الضَّعْف .

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر ابن سليمان الهاشمي قال حدثني محمد بن سليمان بن موسى الهادي قال : دعاني إبراهيم بن المهدي يوماً فصرت إليه، وغنَّي صوتاً لمعبد :
 أفي الحق هذا أني بك مُولَع * وأن فؤادي نحوك الدَّسَر نازِعُ

٥٢
٩

فقال لي : لمن هذا الغناء؟ فقلت : يا سيدي يقولون إنه لمعبد، ولا غنَّي والله لمعبد كذا قط ، ولا يَمَعْتُ أحداً يقول كذا، لا والله ما في الدنيا كذا . قال : فضحك ثم قال : والله يا بُنَيَّ ما قُتُّ بنصف ما كان يقوم به لمعبد .

نسبة هذا الصوت

أما الخنن فمن الثقيل الثاني، وقد ذكر في هذا الخبر أنه لمعبد، وما وجدته في شيء من الكتب له . وذكر الهشامي أنه لابن المكي .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نُعيم قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثني عيسى بن محمد القُحطبي قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْطَر قال :

عاب غارفا عند
الأموت

لمَّا قَدِمَ المأمون من نُرَاسان لم يظهر لمغْنُ بالمدينة مَدِينَةِ السَّلام غَيْرِي ، فكنْتُ أَنادِمُهُ سرّاً، ولم يظهر لِلنَّدَمَاءِ أَرْبَع سنين ، حتى ظَفِرَ بِإِبْرَاهِيمَ بنِ المَهْدِيِّ .

فلما ظفِرَ به وعفا عنه ظهر للندماء ثم جمعنا ، ووجه إلى إبراهيم فخره في ثياب
مُتَسَدِّلَةٍ ، فلما رآه المأمون قال : ألقى عني رداء الكبر عن منكبيته ، ثم أمر له يخلع
فاخرة وقال : يا فتى غَدَّ عَنِّي ؛ فتغدى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحول إلىنا ،
وكان مُحَارِقَ حاضراً ، فغني مُحَارِقُ :

هذا وُربُّ مُسَوِّفِينَ صَبَحْتُهُمْ * من نَحْرٍ بَابِلَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِ ٥

فقال له إبراهيم : أسأت فأعد ؛ فأعاده ، فقال : قَارَيْتَ ولم تُصِيبْ . فقال له
المأمون : إن كان أساء فأحسن أنت . فغناه إبراهيم ثم قال لمُحَارِقُ : أعده فأعاده ،
فقال : أحسنت . فقال للمأمون : كم بين الأمرين ؟ فقال : كثير . فقال لمُحَارِقُ :
إنما مَثَلُكَ كَمَثَلِ الثَّوْبِ الْفَاخِرِ إِذَا غَفَلَ عَنْهُ أَهْلُهُ وَقَعَ عَلَيْهِ الْغِبَارُ فَأَحَالَ لَوْنَهُ ، فإِذَا
نُقِضَ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ . ثم غنى إبراهيم :

يا صَاحِبِ إِذَا الضَّامِرِ الْعَلَسِ * وَالرَّجُلِ ذِي الْأَقْتَادِ وَالْحِلْسِ (٣)
أَمَّا التَّهَارُ فَا تَقَبَّصْهُ * رَتَاكَ يَزِيدُكَ كَلَامًا مُتَمَسِّيًا (٤)

قال : وكانت لي جائزة قد خرجت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر سيدي بإلقاء هذا
الصَّوْتِ عَلَى مَكَانٍ جَائِزٍ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا . فقال : يا عم ألقى هذا الصَّوْتِ عَلَى
صَوْتِ

مُحَارِقُ ، فإلقاه على ، حتى إذا كدت أن أخذه قال : أذهب فأنت أحق الناس به .
فقلت : إنه لم يصلح لي بعد . قال : فَأَعُدْ عَلَيَّ . فغدوت عليه فغناه متلوياً ؛ فقلت : أيها
الأمير ، لك في الخلافة ما ليس لأحد ، أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعم الخليفة ،

(١) هو فتى خادم المأمون . انظر الطبري (ق ٣ ص ١٠٤١) . (٢) المسووفون : الصبر ؛

يقال : إن فلاناً لمسووف (بالبناء للفاعل) إذا كان صبوراً . (راجع لسان العرب في مادة سوف) .

(٣) يقال جمل ضامر ، وناقة ضامر (بغير هاء) وضامرة . والعنس : الناقة الصلبة القوية . والحلس :

كل شيء ، ولي ظهر البعير والدابة تحت الرجل والقنب والبرج . (٤) الرتاك : سير للإبل سريع .

تجود الرغائب وتَجَلَّ على بصوت ! فقال : ما أحقك ! إن المأمون لم يَسْتَقْبِ
 محبة في ولا صلة لرحي ولا رياء للمعروف عندي ، ولكنه سميع من هذا الحرم
 : ما لم يسمع من غيره . قال : فأعلمت المأمون مقاتله ؛ فقال : إنا لا نكدر على أبي إسحاق
 عَفَوْنَا عنه ، فدعه . فلما كانت أيام المعتصم تَشْطُ للصُّبُوح يوماً فقال : أحضروا عني .
 بقاء في دُرَاعَة من غير طِلْسَان . فأعلمت المعتصم خبر الصوت سرا . فقال : يا عمر غثي :
 * يا صاح يا ذا الضَّامِر العَنَسِ *

فغناه ؛ فقال : ألقه على مُحَارِق . فقال : قد فعلت ، وقد سبق مني قول ألا أعيده
 ٥٣ عليه . ثم كان يتجنب أن يغنيه حيث أحضره .
 ٩

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

هذا وربُّ مَسَوِّفَيْن صَبَحْتُهُمْ * من نحر يابل لذة للشارب
 بكروا على بُسْجَرَةٍ فصَبَحْتُهُمْ * بلأنا ذى كَرَمٍ كَقَعِبِ الحالب
 بُزْجَاجِيَّةٍ مِلءِ اليدين كأنها * قِنْدِيلٌ فَضِحَ في كنيسة راهب^(٢)
 الشعر لعدي بن زيد ، والغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البُتْصَر
 عن إسحاق . ١٥

صوت

يا صاح يا ذا الضَّامِر العَنَسِ * والرجل ذى الأفتاد والخليس
 أما التَّهَار فما تُقَصِّرُه * رَتَّكَ يزيدك كَلِمًا مُنْسَى
 الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد .

٢٠ . (١) الحرم هنا : الخلق أو الصوت . (٢) القصح (بالكسر) : عيد النصارى .

طلبت إليه أخته أسماء سماع غنائها
وذكر أحمد بن أبي طاهر عن أثير مولاة منصور بن المهدي عن دُؤابة مولاته
أدضا قالت قالت لي أسماء بنت المهدي :

قلت لأخي إبراهيم : يا أخي أشتي وألله أن أسمع من غنائك شيئاً . فقال :
إِذَا وَالله يا أختي لَا تَسْمَعِينَ مِنْهُ ، عَلِيٌّ وَعَلِيٌّ ، وَغُلَظٌ فِي الْيَمِينِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لِإِبْلِيسَ ظَهَرٌ لِي
وَعَلَمَنِي النَّقَرُ وَالنَّغَمَ وَصَالِحِي وَقَالَ لِي : اذْهَبْ فَأَنْتِ مَعِي وَأَنَا مِنْكَ .

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هبة الله بن إبراهيم
ابن المهدي عن أبيه قال :

غَضِبَ عَلِيٌّ مُحَمَّدَ الْأَمِينِ فِي بَعْضِ هَنَاتِهِ ، فَسَلَّمَنِي إِلَى كَوْتَرٍ^(١) ، خَبَسَنِي فِي سِرْدَابٍ
وَأَغْلَقَهُ عَلَيَّ فَكُنْتُ فِيهِ لَيْلَتِي . فَلَمَّا أَصْبَحْتُ إِذَا أَنَا بِشَيْخٍ قَدْ خَرَجَ عَلَيَّ مِنْ زَاوِيَةِ
السَّرْدَابِ ، وَدَفَعَ إِلَيَّ وَسْطًا وَقَالَ : كُلِّ فَالْكُلْتُ ، ثُمَّ أَخْرَجَ قِنْدِينَ شَرَابٍ فَقَالَ :
أَشْرَبْ فَشَرَبْتُ ، ثُمَّ قَالَ لِي : غَنِّ :

لِي مُدَّةٌ لَا بُدَّ أَلْبُغُهَا * مَعْلُومَةٌ فَإِذَا أَنْقَضْتُ مِثْلُ

لَوْ سَاوَرْتَنِي الْأَسَدُ ضَارِيَةً * لَغَلَبْتُهَا مَا لَمْ يَجِ الْوَقْتُ

فَغَنَيْتُهُ . وَسَمِعَنِي كَوْتَرُ فَصَارَ إِلَى مُحَمَّدٍ وَقَالَ : قَدْ جُنَّ عَمُوكَ وَهُوَ جَالِسٌ يَغْنَى بِكَيْتٍ
وَكَيْتٍ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِي فَأَحْضَرْتُ وَأَخْبَرْتُهُ بِالْقِصَّةِ ، فَأَمَرَ لِي بِسَبْعَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ
وَرَضِيَ عَنِّي .

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال سمعت يَنْشُو وَيُحَدِّثُ عَنْ أَبِي أَحْمَدَ
ابن الرشيد قال :

كُنْتُ يَوْمًا بِمَحْضَرَةِ الْمَأْمُونِ وَهُوَ يَشْرَبُ ، فَدَعَا بِيَا سِيرٍ وَأَدْخَلَهُ فَسَارَهُ بَشَى وَمَضَى^(٢)

وَعَادَ . فَقَامَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ لِي : قُمْ ، فَدَخَلَ دَارَ الْحَرَمِ وَدَخَلْتُ مَعَهُ ، فَسَمِعْتُ غَنَاءً

(١) هو كوتر خادم محمد الأمين . (انظر قفرا عليه في الطبري ق ٣ ص ٨٩٩ ، ٩٢٨ ، ٩٣٩ ، ٩٥٦ ، ٩٦٥)
(٢) كذا في الأصول وظاهر أنه يريد نوعاً من الطعام . (٣) في الأصول : «فسره» .

أذهل عقل ولم أقدر أن أتقدم ولا أأنخر. وفطن المأمون لبابى فضحك ثم قال :
هذه عمتك عليّة تطارح عمتك إبراهيم :

* مالى أرى الأبصار بي جافية *

نسبة هذا الصوت

• مالى أرى الأبصار بي جافية * لم تلتفت منى إلى ناحية

لا ينظر الناس إلى المبتلى * وإنما الناس مع العافية

وقد جفانى ظالماً سيدي * فأدعى منهلةً هامية

صحي سألوا ربكم العافية * فقد دهنى بصدكم داهية

الشعر والغناء لعلية بنت المهدي خفيف رمل . وأخبرني ذكاء وجه الرزة أن

لعريب فيه خفيف رمل آخر مزموراً، وأن لحن عليّة مطلق .

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدثني أبي عن إبراهيم عن عليّ بن هشام أنّ
إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهديّ بجنس صوت صنعه وإصمّيه ويحراه وإجراء
لحنه؛ ففناه إبراهيم من غير أن يسمعه فأتى ما صنعه . والصوت :

حيّياً أمّ يعمّماً * قبل تخط من النوى

قلت لا تعجلوا الرّوا * ح فقالوا ألاّ بلى

أجمع الحى رحلة * ففؤادى كذى الأسى

نسبة هذا الصوت

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن مَرْيَح، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل
الأول مطلق في بحر الوسطى . وذكر عمرو بن بانه أنه لما لك . وفيه للهذليّ

خفيف ثقيل أول بالبصر عن ابن المكيّ، وزعم الهشامى أنه لحن مالك . وفيه

لَحْنَانٍ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي أَحَدُهُمَا لِإِسْحَاقَ وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ بِهِ إِسْحَاقُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ .
وَالْآخَرُ زَعَمَ الْمَهْشَمِيُّ أَنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَزَعَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامُ
أَنَّهُ لِأَبْنِ مُحَرَّرٍ .

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى أَبُو الْجُنَّانِ : أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ
لَمَّا صَنَعَ صَوْتَهُ :

* قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا *

رَأَتْهُ خَبْرُهُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَكَتَبَ يَسْأَلُهُ عَنْهُ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِشِعْرِهِ وَإِبْقَاعِهِ
وَبَسِيطِهِ وَمَجْرَاهُ وَإِصْبَعِهِ وَتَجَزُّئِهِ وَأَقْسَامِهِ وَخَارِجَ نَعْمِهِ وَمَوَاضِعَ مَقَاطِعِهِ وَمَقَادِيرَ
أَدْوَارِهِ وَأَوْزَانِهِ ، فَعَنَاهُ . قَالَ : ثُمَّ لَقِينِي فَعَنَانِيهِ ، فَفَضَّلَنِي فِيهِ بِحَسَنِ صَوْتِهِ .

نسبة هذا الصوت

قل لمن صدَّ عاتِبًا * ونأى عنك جانبًا

بد بلغت الذي أرد * ت وإن كنت لاعبا

الشعر والغناء في هذا اللحن لإسحاق ، ثانياً ثل بالبنصر في مجراها ، وفيه لغزُه الجان .

أَخْبَرَنِي أَبُو عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ
أَبِيهِ قَالَ :

سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ يَقُولُ : كُنْتُ أُعِيبُ الْغِنَاءَ وَأَطْعُنُ عَلَى أَهْلِهِ ،
نَفَرَجُ الْمُعْتَصِمَ يَوْمًا إِلَى الشَّيْثَانِيَّةِ فِي حَرَاةٍ يَشْرَبُ ، وَوَجَّهَ فِي طَلْبِي فَصُرْتُ إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا
قُرْبْتُ مِنْهُ سَمِعْتُ غِنَاءً حَيَّرَنِي وَشَغَلَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَسَقَطَ سَوْطِي مِنْ يَدِي ؛
فَأَلْتَفْتُ إِلَى زَنْقِطَةٍ غَلَامِي أَطْلُبُ مِنْهُ سَوْطَهُ ، فَقَالَ لِي : قَدْ وَاللَّهِ سَقَطَ سَوْطِي .

فَقُلْتُ لَهُ : فَأَيُّ شَيْءٍ كَانَ سَبَبَ سَقُوطِهِ ؟ قَالَ : صَوْتُ سَمِعْتُهُ شَغَلَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
فَسَقَطَ سَوْطِي مِنْ يَدِي ؛ فَإِذَا قِصَّتُهُ قِصَّتِي . قَالَ : وَكُنْتُ أَتُكْرِمُ أَمْرَ الطَّرَبِ عَلَى

سمعه أحمد بن
أبي دراد فذهل
عن نفسه ورجع
عن إنكاره الغناء

١٥٠

٢٠٠

الغناء ،^{١٠٧} يَسْتَفِزُّ النَّاسَ مِنْهُ وَيَغْلِبُ عَلَى عَقُولِهِمْ ، وَأَنَاظِرُ الْمُعْتَصِمَ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ أَخْبَرْتَهُ بِالْخَبْرِ ، فَضَحِكَ وَقَالَ : هَذَا عَمِّي كَانَ يَفْعَلُنِي :

إِنَّ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفِصٍ * نَسَرَ الْمَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَاتَا

فَإِنْ ثَبَتَ مِمَّا كُنْتَ تَنَاظِرُنَا عَلَيْهِ فِي ذَمِّ الْغَنَاءِ سَأَلْتُهُ أَنْ يُعِيدَهُ . فَفَعَلْتُ وَفَعَلَ ، يَلِغُ بِي الطَّرَبُ أَكْثَرَ مِمَّا يَلِغُنِي عَنْ غَيْرِي فَأَتَكْرَهُ ؛ وَرَجَعْتُ عَنْ رَأْيِي مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .
وقد أخبرني بهذا الخبر أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنتقم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصة أو قريباً منها لزيادة اللفظ وتقصانه ، وذكر أن الصوت الذي غناه إبراهيم :

طَرَفْتُكَ زَائِرَةً حَتَّى خَيَالَهَا * بِيضَاءُ تَحْلِيظُ بِالْحَيَاءِ دَلَالَهَا

هَلْ تَطْمَسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجْوَمَهَا * بَاكُكُمْ أَوْ تَسْتُرُونَ هَلَاكَهَا

أَتَخَذَ لِنَفْسِهِ حَرَاةً
بِحِذَاءِ دَارِهِ

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ :

سَمِعْتُ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ يَقُولُ : اتَّخَذَ أَبِي حَرَاةً فَأَمَرَ بِشَدِّهَا فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بِحِذَاءِ دَارِهِ ، فَضَبِطْتُ إِلَيْهَا لَيْلَةً فَكَانَ أَبِي يُحَاطِبُنَا مِنْ دَارِهِ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، فَنَسْمَعُهُ وَبَيْنَمَا عَرَضَ دِجْلَةٌ وَمَا أَجْهَدَ نَفْسَهُ .

ثَنَا ابْنُ أَبِي طَلِيحَةَ

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُسْلِمٍ بْنُ قُتَيْبَةَ يَقُولُ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي طَلِيحَةَ قَالَ : كُنْتُ أَسْمَعُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ يَتَحَنَّنُ فَأَطْرَبُ .

غُفِي وَعِنْدَهُ عِدَّةٌ
مِنَ الْمُتَعَنِّينَ وَغُفِي
بَعْدَهُ مَخَارِقُ فَأَعَادَ
هُوَ فَأَطْرَبَ

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْقَطِرَانِيُّ الْمُغَنِّي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّيِّعِيِّ قَالَ :

كَمَا عند إبراهيم بن المهدي ذات يوم وقد دعا كُلَّ مُطَرِّبٍ مُحْسِنٍ من المغنِّين
يومئذ وهو جالسٌ يُلاعبُ أحدهم بالشَّطْرَنْجِ . فترنَّم بصوتٍ فريدة :^(١)

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ ما بي * أُحِبُّ الغداةَ عُبَّةَ حَقًّا

- وهو مُتَكَيٍّ . فلما فرغ منه ترنَّم به مُخارقٌ فأحسنَ فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم ،
فأعاده إبراهيم وزاد في صوته فعنَى على غناء مُخارق . فلما فرغ رده مُخارق وعنَى فيه
بصوته كَلَّةً وتحفَّظ فيه ، فبكنا تطير سرورًا . وأستوى إبراهيمُ جالسًا وكان متَّكئًا فغنَّاه
بصوته كَلَّةً ووفاء نغمه وشُدُّورَه ، ونظرتُ إلى كتفيه تهتَّان وبذنه أجمع يتحرك حتى
فرغ منه ، ومُخارِقٌ شاخصٌ نحوه يُرصد وقد انتُقع لونه وأصابعُه تختلج ؛ فخيَّل لي والله
أَن الإيوان يسير بنا . فلما فرغ منه تقدَّم إليه مُخارق فقبل يده وقال : جعلني الله فداك
أين أنا منك ! ثم لم ينفع مُخارق بنفسه بقيةَ يومه في غنائه ، والله لكأنما كان يتحدَّث .^{١٠}

نسبة هذا الصوت

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ ما بي * أُحِبُّ الغداةَ عُبَّةَ حَقًّا

فتنفَّستُ ثم قلت نعم حبٌّ . ما جرى في العروقِ عِرْفانِ

ما لدعَى عَدِمته ليس يرقًا * إنما يَسْتَهْلِ غَسَقًا فغسقا^(٢)

طربًا نحو ظبية تركت قلبي من الوجد قَرْحَةً ما تفقا^(٤)
١٥

(١) كلما في جـ . وفي أ : « فترنَّم بعضهم » . وفي سائر الأصول : « فترنَّم أحدهم » وكلاهما
تحرير . وفي نهاية الأرب (ج ٤ ص ٢٢٨ طبع دار الكتب المصرية) : « فترنَّم إبراهيم » .
(٢) يرقا : يقطع ، وأصله الهمز . (٣) الغسق : الانصباب ؛ يقال :
غسقت العين غسقا (من باب ضرب) غسقا وغسقانا إذا دمعت . (٤) تفقا : تغلق
وتلتقي ، وأصله الهمز .

٥٦
٩

الشمر لأبي العتاهية . والغناء لفريدة خفيف رمل بالوسطى . وفيه لإبراهيم
ابن المهديّ خفيف رمل آخر . ولفريدة أيضا لحن من الثقل الثاني في أبيات
من هذه القصيدة وهي :

قد لعمري ملّ الطيبُ وملّ الـ * أهل متى مما أداوى وأرقى
ليتي متّ فأسترحْتُ فإني * أبداً ما حديتُ منها ملقى^(١)

أخبرني عمي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم
عن الأمين ناظره ابن المهديّ قال حدّثني عمي منصور بن المهديّ :

أنه كان عند أبي في يوم كانت عليه فيه نوبةٌ لمحمد الأمين ، فشاغل
أبي بالشرب في بيته ولم يَمُضْ ، وأرسل إليه عدّة رُسل فتأخّر . قال منصور :
فلما كان من غدٍ قال : ينبغي أن تعمل على الروح الـ ليمضي إلى أمير المؤمنين
فنترضاه ؛ فـ ؛ أشك في غضبه عليّ . ففعلتُ ومضيتُ . فسألنا عز خيره فأعلمنا أنه
مشرف على حير الوحش وهو مخمور ، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخمار .
فدخلنا ؛ وكان طريقنا على حجرة تُصنع فيها الملاحى . فقال لي أخي : أذهب فاختر
منها عوداً ترضاه ، وأصلحه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج إلى تغييره البتة عند الضرب ؛
ففعلت وجعلته في كفي . ودخلنا على الأمين وظهره إلينا . فلما بصّرنا به من بعيد قال :
أخرج عودك فاخرجته ، وأندفع بغني :

وكأيس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس أتى أمرؤ * أتيت الفتوة من بابها

(١) الملقى : الممتحن الذي لا يزال يلقاه مكروه إثر مكروه .

(٢) الحير : الخطيرة والبستان .

وشاهدنا الجُلَّ واليَّاسِمَ ^(١) * سِينُ والمُسْمِعَاتُ بِقُصَابِهَا
رَبْرَبْنَا دَائِمًا مَعْمَلٌ ^(٢) * فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَرَزَى بِهَا

- فَأَسْتَوَى الْأَمِينُ جَالِسًا وَطَرِبَ طَرِبًا شَدِيدًا وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا عَمُّ وَأُحْيَيْتَ لِي
طَرِبًا ، وَدَعَا بِرَطْلٍ فَشَرِبَهُ عَلَى الرَّيِّقِ وَأَمْتَدَّ فِي شَرِبِهِ . قَالَ مَنْصُورٌ : وَغَنَّى إِبْرَاهِيمُ
يَوْمَئِذٍ عَلَى أَشَدِّ طَبَقَةٍ يُتَنَاهَى إِلَيْهَا فِي الْعُودِ ، وَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ غِنَائِهِ يَوْمَئِذٍ قَطُّ . وَلَقَدْ
رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا عَجِيبًا لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ مَا صَدَّقْتُ ، كَانَ إِذَا ابْتَدَأَ يَغْنَى أَصْغَيْتُ الْوَحْشُ
إِلَيْهِ وَمَدَّتْ أَعْنَاقَهَا ، وَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو مِنَّا حَتَّى تَكَادَ أَنْ تَضَعَ رُءُوسَهَا عَلَى الدُّكَّانِ الَّذِي
كَتَا عَلَيْهِ ، فَإِذَا سَكَتَ تَقَدَّتْ وَبُعِدَتْ مِنَّا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى أُبْعَدِ غَايَةِ يَمْكِنُهَا التَّبَاعُدُ
فِيهَا عَنَّا ، وَجَعَلَ الْإِنْسَانُ يَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنْصَرَفْنَا مِنَ الْجَوَائِزِ بِمَا لَمْ نَنْصَرَفْ بِمِثْلِهِ قَطُّ .

- أَخْبَرَنِي عَمِّي وَالصُّبُولِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى الْكَاتِبُ أَبُو الْجَمَانِ أَنَّ
إِسْحَاقَ كَتَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِّىِّ بِصَوْتِ صَنْعِهِ فِي شِعْرِهِ وَهُوَ :

كتب له إسحاق
بصوت صَنْعِهِ فغناه
وأجاده

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا * وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدَ * تَ وَإِنْ كُنْتَ لِأَعْبَا

- وَيَنْ لَهْ شَعْرَةٌ وَإِقَاعَةٌ وَبَسَاطَةٌ وَبِجْرَاهُ وَإِصْبَعُهُ وَتَجْزِئَتُهُ وَقِسْمَتُهُ وَمَخَارِجُ نَفْثِهِ
وَمَوَاضِعُ مَقَاطِعِهِ وَمَقَادِيرُ أَوْزَانِهِ ، فَغَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ ، ثُمَّ لَقِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَغَنَاهُ لِمَا هُوَ خَرَّمَ مِنْهُ
شَدْرَةً وَلَا نَعْمَةً ، قَالَ : وَفَاقَنِي فِيهِ بِحَسَنِ صَوْتِهِ .

نسبة هذا الصوت

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا * وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدَ * تَ وَإِنْ كُنْتَ لِأَعْبَا

٥٧
٩

- ٢٠ (١) انظر شرح هذا البيت مفصلاً في الأغاني ج ٦ ص ٢٩٩ من هذه الطبعة .
(٢) الربط : العود ، فارسي معرب . وفى أ و م : « وإبريقنا دائماً معمل » .

وأعترفنا بما آذعني * ست وإن كنت كاذبا

فأفعل الآن ما أرد * ت فقد جئتُ ناثما

يقال : إن الشعر لا يحق ، ولم أجده في مجموع شعره . ووجدت فيه لحنًا لحكم الوادئ في ديوان أغانيه ولحنه من الماخوري ، وهو خفيف من خفيف الثقل الثاني (١) بالبصرة . وكذلك ذكرت دناير أنه لحكم الوادئ ، ويشبه أن يكون الشعر لغيره . ولحن إسحاق الذي كتب به إلى إبراهيم بن المهدي ثاني ثقل بالبصرة في مجراها . وفيه ثقل أول مطلق في مجرى البصرة لم يقع إلى نسبه إلى صانعه ، وأظنه لحن حكم .

فتى أبادلف العجل
وأهداه جارية

أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دلف العجلي قال :

كنا مع المعتصم بالقاطول ، وكان إبراهيم بن المهدي في حرّاقته بالجانب الغربي وأبي إسحاق الموصلي في حرّاقتهما في الجانب الشرقي ، فدعاهما يوم جمعة فعبرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير وعلى أقيّة ومنطقة . فلما دنونا من حرّاقة إبراهيم نهض ونهضنا ونهضت بنهوضه صبيّة له يقال لها غصّة ، وإذا في يديه كأسان وفي يديها كأس . فلما صعدنا إليه آندفع ففتى :

حيّا كما الله خليليّا * إن ميتا كنت وإن حيّا

إن قلتما خيرا فأهل له * أو قلتما غيبا فلا غيبا

ثم ناول كلّا منهما كأسا وأخذ هو الكأس التي كانت في يد الجارية وقال : أشربا على ريقكما ، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشربوا ، ثم أخذوا العيدان فدعاهما ساعة

(١) في ١ و ٢ : « وهو خفيف من الثقل الثاني ... الخ » . (٢) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وهو نهر كان في موضع سامرا قبل أن تدمر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصرا سماه أبا الجند . (٣) ظاهر أنه نوع من السفن ولم تقف عليه .

وغنّياه ؛ وضرب وضرباً معه ، وغنّت الجارية بعدهم . فقال لها أبي : أحسنت مراراً . فقال له : إن كانت أحسنت نخذها إليك ، فما أخرجتها إلا إليك .

أخبرني عمي قال حدثنا علي بن محمد بن نصر قال حدثني أبو العيس بن حمدون قال : لما صنع مخارق لحنه في شعر العتّابي :

سمع من مخارق
لحنا فاطراه

- أَخْضَنِي الْمَقَامَ الْغَمْرَ إِنْ كَانَ غَمْرِي * سَنَا خُلْبٍ أَوْ زَلَّتِ الْقَدَمَانِ
غَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ ؛ فقال له : أحسنت وحياتي ما شئت ! فسجد مخارق سروراً بقول إبراهيم ذلك له .

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطراني عن عمرو بن بانه قال : غنّى إبراهيم بن المهدي يوماً :

غنّى عمرو بن بانه
لحنا وحدته حديثه

- ۱۰ أَدَارًا بِجَزْوَى هَيْبٍ لِلْعَيْنِ حَبْرَةً * فَمَاءُ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَقُّ
فَاسْتَحْسَنَتْهُ وَسَأَلَتْهُ إِعَادَتَهُ عَلَى حَتَّى أَخَذَهُ عَنْهُ فَفَعَلَ . ثم قال لي : إنَّ حديث هذا الصوت أحسن منه . قلت : وما حديثه أعزك الله ؟ قال : غنّانيه ابن جامع والصنعة فيه له ، فلما أخذته عنه غنّيته إياه ليسمعه مني ، فاستحسنه جداً وقال : كأني والله ما سمعته قطُّ إلا منك ثم كان صوته بعد ذلك على نسبة هذا الصوت .

- ۱۵ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَاتِبُ قَالَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرْدَةَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ بُسْطَرٍ قَالَ :

قصته مع ابن بسطر
وجاريته شاربه
ومخارق وعلوية

وَجَّهَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ يَوْمًا يَدْعُونِي ، وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ الْمُعْتَصِمِ ، فَصُرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ وَشَارِبُهُ جَارِيَتُهُ خَلْفَ السُّتَارَةِ ، فَقَالَ : إِنِّي قُلْتُ شِعْرًا وَغَنَيْتُ فِيهِ وَطَرَحْتُهُ عَلَى شَارِبَةٍ فَأَخَذَتْهُ وَزَعَمَتْ أَنَّهَا أَحْلَقُ بِهِ مِنِّي ، وَأَنَا أَقُولُ

إني أحذق به منها، وقد تراضينا بك حَكًّا بيننا لموضعك من هذه الصناعة، فأسمعه متى ومنها وأحكم ولا تعجل حتى تسمعه ثلاث مرّات . فقلت نعم . فاندفع ينثني بهذا الصوت :

أَصْنُ بَلِيلِي وَهِيَ غَيْرُ سَخِيَّةٍ * وَتَجَلَّ لَيْلِي بِالْهَوَى وَأَجُودُ

فأحسن وأجاد . ثم قال لها : تَغْنِي ، فغنته فبرّزت فيه حتى كأنه كان معها في أيجاد، ونظر إلى أعراف أتى قد عرفت فضلها عليه ، فقال : على رِسْلِكَ ! وتحدثنا ساعة وشربنا . ثم اندفع غنائه ثانية فأضعف في الإحسان ، ثم قال لها : تَغْنِي ، فغنت فبرعت وزادت أضعاف زيادته ، وكذت أشق ثيابي طرباً . فقال لي : تَلَبَّت ولا تعجل . ثم غناه ثالثة فلم يبق غايته في الإحكام ، ثم أمرها فغنت ، فكانه إنما كان يلعب . ثم قال لي : قل ، فقضيت لها ؛ فقال : أصبت ، فكَمْ تُساوي عندك ؟ فحَمَلَنِي الحسدُ له عليها والنَّفاسَةُ بِمَثَلِهَا أَنْ قُلْتُ : تُساوي مائة ألف درهم . فقال : أو ما تُساوي على هذا الإحسان وهذا التفضيل إلا مائة ألف ! قَبِحَ اللَّهُ رَأْيَكَ ! والله ما أجد شيئاً أبلغ في عقوبتك من أن أَصْرِفَكَ ، فمَ فَأَنْصِرِفَ إلى متلك مذموماً . فقلت له : ما لقولك أخرج من منزلي جواب ، وقمت وأنصرفت ، وقد أخفطني كلامه وأرْمَضَنِي ^(١) . فلما خطوت خُطُواتِ التفتُّ إليه فقلت له : يا إبراهيم ! أَنْظِرْ دُنِي مِنْ مَتْلُوك ! فوالله ما تحسن أنت ولا جاريتك شيئاً . وضرب الدهر ضرباً به ، ثم دعانا المعتصمُ بعد ذلك وهو بالوزيرية في قصر التل ^(٢) ، فدخلتُ أنا ومخارق وعالويه ، وإذا أمير المؤمنين مُصْطَبِحٌ وبين يديه ثلاث جامات : جامُ فضة مملوءة دنانير ^(٣) ، وجامُ ذهب مملوءة دراهم جُدُداً ، وجامُ قواريير مملوءة عنبراً ، فظننا أنها لنا بل لم نَشْكُ في ذلك ، فغنيناه وأجهدنا

٢٠ (١) في ١ ، ٢ : « وأرْمَضَنِي » . (٢) في ب ، س : « قصر الليل » .

أَنْفُسَنَا، فلم يطرب ولم يتحرك لشيء من غنائنا. ودخل الحاجب فقال : إبراهيم بن
المهدي. فَأَذِنَ لَهُ فدخل، فغناه أصواتاً أحسنَ فيها، ثم غناه بصوت من صناعته وهو :

ما بال شمس أبي الخطّاب قد غرّبت * يا صاحبي أظن الساعة آقربت

فأستحسنه المعتصم وطرب له، وقال : أحسنت والله ! فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين
فإن كنت أحسنت فهب لي إحدى هذه الجلمات ؛ فقال : خذ أيّهما شئت، فأخذ

التي فيها الدنانير؛ فنظر بعضنا إلى بعض . ثم غناه إبراهيم بشعره وهو :

فأمرّة قهوة قرقف * شمول تروق يراو فيها^(١)

فقال : أحسنت والله ياعم وسررت. فقال : يا أمير المؤمنين إن كنت أحسنت فهب
لي جاماً أخرى ؛ فقال : خذ أيّهما شئت، فأخذ الجام التي فيها الدراهم ؛ فعند ذلك

أنقطع رجاؤنا منها . وغناه بعد ساعة :

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى * عشير الذي ألقى فيلثم الحب^(٢)

٥٩
١

فارتج بنا المجلس الذي كنا فيه، وطرب المعتصم وأستخفه الطرب فقام على رجليه، ثم

جلس فقال : أحسنت والله ياعم ماشئت أقال : فإن كنت قد أحسنت يا أمير المؤمنين

فهب لي الجام الثالثة ؛ فقال : خذها فأخذها. وقام أمير المؤمنين، ودعا إبراهيم بمندبل

فغناه طائفتين ووضع الجلمات فيه وشده، ودعا بطين نختمه ودفعه الى غلامه، ونهضنا

إلى الانصاف، وقُدِّمت دوابنا. فلما ركب إبراهيم التفت الى فقال : يا محمد بن الحارث،

زعمت أنني أحسن أنا وجاري شيقاً، وقد رأيت ثمرة الإحسان. فقلت في نفسي :

قد رأيت، نخذها لا بارك الله لك فيها ! ولم أجبه بشيء .

(١) المرة والقهوة والقرقف والشمول : من أسماء النجر . والراوق : باطية النجر .

(٢) العشير : جزء من عشرة كالعشر .

نسبة هذه الأصوات

صوت

مابال شمس أبي الخطّاب قد غرّبت * يا صاحبي أظن الساعة أقتربت
 أم لا فبال ريح كنت أملها * غدت على^(١) يصرب بعد ما خبت.
 أشكو اليك أبا الخطّاب جارية * غريرة بفؤادي اليوم قد لعت
 رأيت قيمها يوماً يحدثها * يا ليتها قربت مني وما بها بدت
 الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي رمل بالنصر . وفيه هزج بالنصر، ذكر عمرو
 ابن بانه أنه لإبراهيم الموصلي، وذكر غيره أنه لإبراهيم بن المهدي .

صوت

- ١٠ أَلَا لَيْتَ ذَاتَ الْخَالِ تَلَقَى مِنَ الْهَوَى * عَشِيرَ الَّذِي أَلْقَى فَبِلْتَمَ الْحُبُّ
 وَصَالَكُمْ صَدُّ وَقَرُبُكُمْ قِلَى * وَعَظْفُكُمْ مَخْطُ وَسَلْمُكُمْ حَرْبُ
 الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لإبراهيم .
- وقال ابن أبي طاهر حدثني المؤمل بن جعفر قال : سمعتُ أبي يقول : كانت
 في يد المعتصم باقة نرجس فقال لإبراهيم بن المهدي : يا عم قل فيها أبياتاً وغنّ فيها .
 شعره في باقة نرجس غنّى به المعتصم
- ١٥ فنكت في الأرض بقضيبي في يده هنية ثم قال :

صوت

- ثلاثُ عيونٍ من النرجس * على قائم أخضر أمليس
 يذكرني طيب رياء الحبيب * فيمتعني لذة المجلس
 وصنع فيه لحناً وغاناً به ، فأعجبه وأمر له بجائزة . لحن إبراهيم في هذين البيتين خفيف
 رمل بالنصر، ذكر لي دكأً وغيره ذلك .

(١) ريح صر : شديدة الصوت والبرد . (٢) كذا في ١٠ ، م في ج : « والثاني عندك »
 وفي سائر النسخ : « والشوق يظني » .

غضب عليه المأمون
وسببه فاستعطفه
حتى عفا عنه

أخبرني علي بن سليمان الأقفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي عن الجاحظ،
وأخبرني به محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يَمُوتُ بن المَزْرُوع عن الجاحظ قال :

أرسل إلى ثُمَامَةَ^(١) يوم جلس المأمون لإبراهيم بن المهدي وأمر بإحضار الناس
على مراتبهم فحضروا فخيء إبراهيم، وأخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عليّ قال
حدثني محمد بن عمرو الأنباري من أبناء خراسان قال :

لما نل المأمون إبراهيم بن المهدي أحب أن يؤخّج على رءوس الناس .
قال : خييء إبراهيم يَجْجُل في قيوده، فوقف على طرف الإيوان وقال : السلام عليك
يا أمير المؤمنين ورحمة آت وبركاته . فقال له المأمون : لا سلم الله عليك ولا حِفْظك
ولا رعاك ولا كَلَاك يا إبراهيم . فقال له إبراهيم : على رسلك يا أمير المؤمنين ! فلقد
أصبحت وليّ نأري ، والقدرة تُذهِبُ الحَفِظَةَ ، ومن مدّ له الاعتراض في الأمل هَجَمَتْ
به الأناة على التلّف . وقد أصبح ذنب فوق كلّ ذنب ، كما أت عفوك فوق كلّ عفو
— وقال الحسن بن عليّ في خبره : وقد أصبحت فوق كلّ ذى ذنب ، كما أصبح كلّ
ذى عفو دونك — فإن تُعَاقِبْ فبحقّك ، وإن تَمُفْ فبفضلك . قال : فاطرق ملياً ثم رفع
رأسه فقال : إت هذين أشارا علىّ بقتلك . فاثفت فاذا المتعصم والعباس بن المأمون ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، أما حقيقة الرأي في معظّم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا
عليك به وما غَشَاكَ إذ كان ما كان مني ، ولكنّ الله عودك من العفو عادة جريّت
عليها دافعا ما تتخاف بما ترجو ، فكفاك الله . فتبسّم المأمون وأقبل على ثُمَامَةَ ثم قال :
إنّ من الكلام ما يفوق الدرّ ويغلب السحر ، وإن كلام عمي منه ، أطلقوا عن عمي

٦٠
٩

(١) ثُمَامَةُ بن أشرس أبو من الثمري أحد المعتزلة البصريين ، ورد بغداد واتصل بهارون
الرشيد وغيره من الخلفاء ، وله أخبار ونوادير يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغيره . (انظر تاريخ بغداد
ج ٧ ص ١٤٥) . (٢) انظر في هذا المقام الطبري ق ٣ ص ١٠٧٦ طبع أوربا وتاريخ
بغداد ج ٦ ص ١٤٤ طبع مصر .

حديثة، ورُدُّوه إلى مَكْرَمًا . فلما رُدَّ إليه قال : يا عَمَّ صِرْ إلى المنادمة وأَرْجِعْ إلى الأُنْسِ ، فلن ترى مَتَى أَبَدًا إِلَّا ما تَحِبُّ . فلَمَّا كَانَ مِنَ الغد بعث إليه بِدَرَجٍ فيه :

يا خَيْرَ مَنْ ذَمَلَتْ يَمَانِيَّةٌ بِهِ * بعد الرسول لَأَيُّسَ أَوْ طَامِعِ
وَأَبْرَّ مَنْ عَبْدَ الإِلَهِ عَلَى المُهْدَى * نَفْسًا وَأَحْكَمَهُ بِحَقِّ صَادِعِ
عَسَلُ الْفُورَاعِ مَا أُطْعِمْتُ فَإِنَّ تُهَيِّجُ * فَاَلْمَوْتُ فِي جُرْعِ السَّهَامِ النَّافِعِ ^(٢)
مَتَقِّظًا حَذِيرًا وَمَا يَتَخَشَّى الْعَدَا * نَهَانُ مِنْ وَسَّاتِ لَيْلِ الْمَاجِعِ
وَاللَّهِ يَعْلَمُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهَا * جَهْدُ الْآلِيَةِ مِنْ حَنِيفٍ رَاصِعِ
قَسَمًا وَمَا أَذِلُّ إِلَيْكَ بِجُحَّةٍ * إِلَّا التَّضَرُّعُ مِنْ حُبِّ خَانِصِ
مَا إِنْ عَصِيكَ وَالْعُشْوَةُ تَمُدُّنِي * أَسْبَابُهَا إِلَّا بَنِيَّةٌ طَائِعِ ^(٣)
حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ حَبَائِلُ شِفَاقِي * رَدَّيْ عَلَى حُفْرِ الْمَهَالِكِ هَائِعِ
لَمْ أَدْرِ أَنْتَ لِمِثْلِ ذَنْبِي غَافِرًا * فَأَقَمْتُ أَرْقُبَ أَيِّ حَتْفٍ صَارِعِ
رَدَّ الْحَيَاةَ إِلَيَّ بَعْدَ ذَهَابِهَا * وَرَعُ الْإِمَامِ الْقَاسِرِ الْمُتَوَاضِعِ
أَحْيَاكَ مَرَبٌ وَلَآكَ أَطْوَلُ مَدَّةٍ * وَرَحَى عَدُوِّكَ فِي الْوَتَيْنِ بَقَاطِعِ
إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْفَضْلَ كُلَّ حَازِهَا ^(٤) * فِي صُلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ السَّابِعِ
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ لَا تَحْدِثُنِي بِهَا * نَفْسِي إِذَا آلَتْ إِلَى مَطَامِعِي
أَسَدَيْتَهَا عَفْوًا إِلَى هَنِيئَةٍ * فَشَكَرْتُ مُصْطَفًى لِأَكْرَمِ صَانِعِ
وَرَحِمْتَ أَطْفَالَ كَأَنْفِرَاقِ الْقَطَا * وَعَوِيلَ عَانِسَةٍ كَقُوسِ النَّازِعِ
وَعَفْوَتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ * عَفْوٌ وَلَمْ يَشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعِ
إِلَّا الْعُلُوَّ عَنْ الْعُقُوبَةِ بَعْدَ مَا * ظَفِرْتَ يَدَاكَ بِمُسْتَكِينٍ خَاضِعِ

٢٠ (١) الدرج (بالفتح ويحذف) : ما يكتب فيه . (٢) رواية الطبري :
* فالصَّاب يَزْجُجُ بِالسَّهَامِ النَّافِعِ * (٣) الهاجع هنا : المنشر . (٤) في الطبري : « الخلافة » .

٦١
٩

- قال: فبكي المأمون ثم قال: عليّ به، فأُتي به فخلع عليه وحمله وأمر له بنجمة آلاف دينار، ودعا بالفراش فقال له: إذا رأيت عمي مُقبِلاً فاطرح له نكّاةً، فكان يُنادمه ولا يُنكر عليه شيئاً. وروى بعض هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشمي فقال فيه: لمّا فرغ المأمون من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد الآحول^(١) وقال: هو صديقك نخذه اليك. فقال: وما تُعني صداقتي عنه وأمير المؤمنين ساخطٌ عليه! أمّا إني وإن كنت له صديقاً لا أمتنع من قول الحق فيه. فقال له: قلْ فإنك غير متهم. قال وهو يريد التسألي على العفو عنه: إن قتلتَه فقد قتلتَ الملوك قبلك أقلّ جرماً منه، وإن عفوت عنه عفوت عمن لم يُعَفَّ قبلك عن مثله. فسكت المأمون ساعة ثم تمثّل:
- فلئن عفوت لأعفون جلاً * ولئن سطوت لأوهن عظمي
قومي هم قتلوا أمم أحمى * فإذا ربيت أصابني سهمي
١٠. خذه يا أحمد اليك مكرباً، فأنصرف به. ثم كتب إلى المأمون قصيدته العينية. فلما قرأها رقى له وأمر برده إلى منزله وردّ ما قبض منه من أمواله وأملاكه. وفي خبر عمي عن الحسن بن عليّ قال: حدثني محمد بن إسحاق الأشعري عن أبي داود: أن المأمون تقدّم إلى محمد بن مزداد لمّا أطلق إبراهيم أب يمنعه دارى الخاصّة والعامة، ويؤكّل به رجلاً من قبله يثق به ليعرفه أخباره وما يتكلّم به. فكتب إليه المؤكّل به أن إبراهيم لمّا بلغه منعه من دارى الخاصّة والعامة تمثّل:
- يا مسرحة الماء قد سدّت موارده * أمّا إليك طريق غير مسدود^(٢)

(١) هو أحمد بن أبي خالد الأحول أحد رجالات المأمون وموضع ثقته. (انظر الطبري ج ٣

ص ١٠٣٨، ١٠٤٢، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٧٥). (٢) في الأصول: «قال وهو

يريد التسألي على العفو عنه فقال... الخ» وكلمة «فقال» لا موضع لها في الكلام. (٣) هذا شعر

الحارث بن وطة الذهلي. (انظر أشعار الخنساء ص ٩٦ طبع أوربا). (٤) لعله: «منزله».

(٥) هذا الشعر لإسحاق الموصلي.

لِحَسَائِمِ حَامٍ حَتَّى لَا حَيَاةَ لَهُ * مُحَلَّلٌ عَنْ طَرِيقِ الْمَاءِ مَطْرُودٌ
فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكروماً وإزاله في مرتبته؛ فصار إليه
مجد فبشّره بذلك وأمره بالركوب فركب . فلما دخل على المأمون قبل البساط ثم قال :

الْبِرُّ بِيْ مِنْكَ وَطَا الْعُدْرَ عِنْدَكَ لِي * دُونَ أَعْتَدَارِي فَلَمْ تَعْدِلْ وَلَمْ تَلَمْ
وقام عليك بي فأحتج عندك لي * مقامَ شاهِدٍ عَدِلَ غَيْرِ مُتَّهِمٍ
رددت مالي ولم تمنن عليّ به * وقبل ردك مالي قد حققت هــمى
تعفو بعدلٍ وتسوط إن سطوت به * فلا عِدْمَانَاكَ مِنْ عَافٍ وَمُنْتَقِمٍ
فبؤت منك وقد كافأتها بيد * هي الحياتان من موت ومن عَدَمٍ

فقال له : أجلس يا عمّ آمناً مطمئناً، فلن ترى أبداً مني ما تكوه، إلا أن تُحِلَّتْ حَدَثَا
أو تُتَغَيَّرَ عَنْ طَاعَةٍ؛ وأرجو ألا يكون ذلك منك إن شاء الله .

أخبرني أحمد بن جعفر بحظّة قال حدثني ابن حمدون عن أبيه قال :
بذ أحمد بن يوسف
الكاتب في حسن
المحاضرة

كنت أحب أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن يوسف الكاتب بما
كنت أراه من تقدّم أحمد وغلّبه الناس جميعاً بحفظه وبلاغته وأدبه في كل محضّر
ومجلس . فدخلت يوماً على إبراهيم بن المهدي وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية
الخرزّريّ، فجعل إبراهيم يحدثنا فيضيف شيئاً إلى شيء، مرةً يضحكنا ومرةً يعظّنا
ومرةً يثدنا ومرةً يدكّرنا، وأحمد بن يوسف ساكت . فلما طال بنا المجلس أردتُ
أن أخطب أحمد، فسبقني إليه أبو العالية فقال :

مَالَكَ لَا تَلْتَجِ بِأَكْلِبِ الدَّوْمِ * قَدْ كُنْتَ نَبَاحاً فَمَا لَكَ الْيَوْمَ

فتبسّم إبراهيم ثم قال : لو رأيته في يد جعفر بن يحيى لرحمتني كما رحمت
أحمد مني .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني أبي قال قال لي إسحاق: ليس فيمن يدعى العلم بالغناء مثل إبراهيم بن المهديّ وأبي دُلف القاسم بن عيسى العجليّ. ف قيل له: فأين محمد ابن الحسن بن مُصعب منهما؟ فقال: لو قيل لك إن محمد بن الحسن يُبصر الغناء لكان ينبغي لك أن تقول: وكيف يُبصر الغناء من نَسأَ بخراسان لا يسمع من الغناء العربيّ إلّا ما لا يفهمه! .

أخبرني يحيى قال حدثني أبو العيّس بن حمّدون عن عمرو بن بانه قال: رأيت إسحاق الموصليّ يناظر إبراهيم بن المهديّ في الغناء، فتكلّما فيه بما فهماه ولم نفهم منه شيئاً. فقلت لهما: لئن كان ما أتما فيه من الغناء ما نحن منه في قليل ولا كثير.

أخبرني عمي عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمّدون: أن المأمون قال لإسحاق: غنّ لي لحناً في شعر الأخطل: يا قَلَّ خيرُ اللّوائِي كيف رُغنَ به * فشرُّهُ وشَلَّ منهنَّ تَمَرِدُ^(١) فغناه إياه فأستحسنه، ثم قال لإبراهيم بن انهديّ: هل صنعت في هذا الشعر شيئاً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فهاته؛ فغناه فأستحسنه المأمون وقدمه على صنعة إسحاق، ولم يدفع إسحاق ذلك.

أخبرني أبو الحسن عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى الموصليّ قال ذكر أبي عن جدّي عن عبد الله بن عيسى الماهانيّ قال:

دخلتُ يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة، فرأيتُ عليه مُطَرَفَ نَحْرٍ أسود ما رأيت قط أحسن منه؛ فتحدّثنا إلى أن أخذنا في أمر المطرف فقال: لقد كانت

(١) كذا في ديوان الأخطل (طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩١ م) وفي الأصول: «لشربة». والشرب (بالكسر) هنا: الحظ من الماء. والرشل هنا: القليل. والتصريد: السق دون الري. يريد بهذا الشطران حظه من قليل.

لكم أيامٌ حسنة ودولةٌ عجيبةٌ، فكيف ترى هذا؟ فقلت له: ما رأيتُ مثله. فقال: إن قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب. فقلت له: ما أقومُه إلا نحوًا من مائة دينار. فقال إسحاق: اسمع حديثه: شربنا يومًا من الأيام، فبِت وأنا مُثْمَنٌ، فأنتهت لرسولِ مجد الأمين، فدخل عليّ فقال لي: يقول لك أمير المؤمنين عجل إلى — وكان بجيلا على الطعام فكننتُ أكل قبل أن أذهب إليه — فقمْتُ فتسوّكتُ وأصلحتُ أمرى، وأتجّلتُ الرسول عن الغداء. فدخلت عليه وإبراهيم بن المهديّ جالس عن يمينه وعليه هذا المطرف وجبة نحر دَنَاء. فقال لي محمد: يا إسحاق تغديت؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال: إنك لَتَهْمُ، أهذا وقت فدَاء! فقلت: أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبى تحار، فكان ذلك ممّا حدّاني على الأكل. فقال لهم: كم شربنا؟ فقالوا: ثلاثة أرطال. فقال: أسقوه مثلها. فقلت: إن رأيت أن تفرّقها عليّ! فقال: تُسَقِّ رِطابين ورِطالًا. فُدِفِعْ إلى رِطلان فجعلتُ أشربهما وأنا أنوهم أنّ نفسي تَسِيلُ معهما، ثم دَفِعَ إلى رطلٍ آخر فشربته فكَأَن شِيتًا أنجلي عني. فقال، غنيّ:

كَلِيبٌ لِعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا * وَأَيْسَرَ جُرْمًا مِنْكَ ضُرَجٌ بِالْدَمِ

فغنيته؛ فقال: أحسنت وطرب، ثم قام فدخل. وكان يفعل ذلك كثيرًا، يدخل إلى النساء ويدعنا. فقمْتُ في أثر قيامه فدعوتُ غلامًا لي فقلت: أذهب إلى منزلي وجئني بِزَمًا وِرْدَتَيْنِ وَلَقْهَما في منديل وأذهب رَكْضًا وعَجَل. ففضى الغلامُ بقاءني بهما. فلما وافى الباب ونزل عن الدابة أقطع البرذون فنقق من شدة ما ركضه، فأدخل إلى الزمّا وِرْدَتَيْنِ فأكلتهما ورجعتُ إلى نفسي وعدتُ إلى مجلسي. فقال

(١) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «جراني». (٢) الزماورد: طعام يسمى «لُقمة القاضى» و«لُقمة الست» و«لُقمة الخليفة»، وهو مصنوع من اللحم المقلّى بالزبد والبيض. (انظر كتاب التاج للباحظ ص ١٧٣ هامشة ٣).

لى إبراهيم : إن لى اليك حاجة أحب أن تقضيها لى . فقلت : إنما أنا عبدك
وآبن عبدك، قل ما شئت . قال : تزد على :

* كُليبٌ لعمري كان أكثر ناصراً *

وهذا المطرف لك . فقلت : أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا، ولكي أصبر إليك إلى منزلك
فألقيه على الجوارى وأردّه عليك مراراً . فقال : أحب أن تزد على الساعة وأن تأخذ
هذا المطرف فإنه من لبسك ومن حاله كذا وكذا . فرددت عليه الصوت مراراً حتى
أخذه . ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء بفلس ثم فسدنا ، فشرب وتحدثنا .
فغفاه إبراهيم :

* كُليبٌ لعمري كان أكثر ناصراً *

فكأنى والله لم أسمع قبل ذلك حسناً، وطرب محمد طرباً عجيباً وقال : أحسنت
والله يا عم ! أعط يا غلام عشرين لعمى الساعة، بخاءوا بها . فقال : يا أمير المؤمنين إنك
لى فيها شريكاً . قال : ومن هو ؟ قال : إسحاق . قال : وكيف ؟ قال : إنما أخذته
الساعة منه لما قتلت . فقلت له : ولم ! أضاعت الأموال على أمير المؤمنين حتى
يُشركك فيما تُعطاه ! قال : إنما أنا فأشركك وأمير المؤمنين أعلم . فلب آتصرفنا من
المجلس أعطاني ثلاثين ألفاً وأعطاني هذا المطرف . فهذا أخذ به مائة ألف درهم
وهى قيمته .

أخبرني محمد بن خلف بن البرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
قال لى إبراهيم بن المهدي :

ج مع الرشيد ،
ونصته مع جارية
رأها

جججت مع الرشيد ، فلما صرنا بالمدينة خرجت أدور فى عَرَصاتها ، فأتيت
الى بر وقد عطشت وجارية تستقي منها ، فقلت : يا جارية ، أمتحى لى دلوًا . فقالت :
أؤ والله عنك فى شغل بضريبة موالى على . فنقرت بسوطي على سرجي وغنيت :

صوت

رام قلبي السُّلُوَّ عَرَبِ أَسْمَاءٍ * وَتَعَزَّى وَمَا بِهِ مِنْ عَزَائِ
 سُخْنَةً فِي الشِّتَاءِ بَارِدَةُ الصَّيْدِ * مَفِ سِرَاجٍ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ
 كَفَّنَانِي إِنْ مِتُّ فِي دِرْعٍ أَرَوَى * وَأُمْتَحَالِي مِنْ بَرْ عُرْوَةٍ مَائِي
 ٥ — الشعر للأحوص . والغناء لمعبد رَمَلٍ مُطْلَقٍ فِي تَجْرِي الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاق —
 ونعمام هذه الأبيات :

إِنِّي وَالَّذِي تُحْجَّ قَرِيئُ * يَتَنَّهُ سَالِكِينَ تَقَبَّ كَدَاءِ^(١)
 لَمْ لِمُهَا وَإِنْ أَبْتُ مِنْهَا * صَادِرًا كَالَّذِي وَرَدْتُ بَدَاءِ
 وَلَهَا مَرَبَعٌ بِرُقَّةٍ خَاجِ^(٢) * وَمَصِيفٌ بِالْقَصْرِ قَصْرِ قُبَاءِ
 ١٠ قَلْبَتُ لِي ظَهَرَ الْحَبْنِ فَا مَسْتُ * قَدْ أَطَاعَتْ مَقَالَةَ الْأَعْدَاءِ
 ولمعبد أيضا في البيت الأخير من هذه الأبيات ثم الأول والثاني خفيف ثقيل
 الهشامى . ولا بن سُرَيْجٍ فِي :

* وَلَهَا مَرَبَعٌ بِرُقَّةٍ خَاجِ *
 وَ * كَفَّنَانِي إِنْ مِتُّ فِي دِرْعٍ أَرَوَى *

١٥ رَمَلٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ أَيْضًا . وَإِبْرَاهِيمُ فِي : «رَامَ قَلْبِي» وَمَا بَعْدَهُ ثَانِي ثَقِيلٌ عَنْ حَبَشٍ —
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ فِي الْخَبَرِ : فَرَفَعَتِ الْجَارِيَةُ رَأْسَهَا إِلَى فَقَالَتْ : أَتَعْرِفُ
 بِرُعْرُوةٍ ؟ قُلْتُ لَا . قَالَتْ : هَذِهِ وَاللَّهِ بِرُعْرُوةٍ ، ثُمَّ سَقَتْنِي حَتَّى رَوَيْتُ ، وَقَالَتْ :
 إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُسَيِّدَهُ فَفَعَلْتُ ، فَطَرِبْتُ وَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَا تُحِلُّنَ قِرْبَةً إِلَى رَحْلِكَ ! .
 فَقُلْتُ : أَفْعَلُ ، فَفَعَلْتُ وَجَاءَتْ مَعِيَ تَحْمِلُهَا . فَلَمَّا رَأَيْتِ الْجَلِيشَ وَالْخَدَمَ فَرِزَعْتُ . فَقُلْتُ

٢٠ (١) كدَاءٍ بِاعْلَى مَكَّةَ عِنْدَ الْمُحَصَّبِ . (٢) برقة خاج : قرب المدينة ، وكذلك قباء . ٩

لها: لا بأس عليك! وكسوتها وهبت لها دنانير وحسبتها عندي، ثم صرت إلى الرشيد فحدثته حديثها، فأمر بآبائها وعتقها، فما برحت حتى أشتريت وأعتقت، وأخذت لها منه صلةً وأفترقنا .

حدثني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن خلف بن المَرْزُبَان قالَا حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا الفضل بن مروان قال :

حواره مع المأمون
حين استعطفه
بكلام سعيد بن
العاص لمعاوية

لما أدخل إبراهيم بن المهدي على المأمون وقد ظفر به، كلمه إبراهيم بكلام كان سعيد بن العاص كلم به معاوية بن أبي سفيان في سخطه سخطها عليه وأستعطفه به . وكان المأمون يحفظ الكلام، فقال له المأمون: «يهات يا إبراهيم! هذا كلام سبك به فقل بني العاص بن أمية وقارحهم سعيد بن العاص وخاطب به معاوية . فقال له إبراهيم: ^(١) مه يا أمير المؤمنين ؟ ! وأنت أيضا إن عفوت فقد سبقك فقل بني حرب وقارحهم إلى العفو؛ فلا تكن حالي عندك في ذلك أبعد من حال سعيد عند معاوية، فإنك أشرف منه، وأنا أشرف من سعيد، وأنا أقرب إليك من سعيد إلى معاوية، وإن أعظم الهجنة أن تسبق أمية هاشما إلى مكربة. فقال : صدقت يا عم، وقد عفوت عنك .

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : جرى بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المهدي كلام على التهذيب، فوجد عليه محمد . فلما كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بالطاف فلم يقبلها، فوجه إليه وصيفة مليحة مغنية معها عود معمول من عود هندي، وقال هذه الأبيات وغنى فيها وألقاها عليها حتى أخذت الصنعة وأحكمتها، ثم وجه بها إليه . فوقفت الجارية بين يديه وقالت له : عمك وعبدك يا أمير المؤمنين يحمل لك — وأنذعت تغني بالشعر وهو — :

هتكت الضمير برد اللطف * وكشفت هرك لي فأنكشفت

غضب عليه الأمين
فاستعطفه

(١) في ب، س : « فقال له إبراهيم فكان به يا أمير المؤمنين » وكلمة « فكان » لا موقع لها في الكلام . (٢) كذا في ح . وفي سائر النسخ : « عند » .

وإن كنت تُنكر شيئاً جرى * فتهب للخلافة ما قد سلف
 وجئني بصفحك عن زلتني * فبالفضل يأخذ أهل الشرف
 قال: فسر محمد بها، وبعث إلى إبراهيم فأحضره ورضي عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار
 وتم يومه معه .

٥ أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال أخبرني سعيد بن صالح الأسدي
 قال حدثني جعفر بن محمد الهاشمي قال حدثني بعض خدم إبراهيم بن المهدي قال :
 كانت لإبراهيم بن المهدي جارية يقال لها صدوف، وكان لها من نفسه موضع .
 فحسدها جواريه على حملها منه، فلم يزلن يبلغنه عنها ما يكره . حتى غضب عليها وجفاها
 أياماً ثم شق ذلك عليه وأغم به، ولم يطب نفساً بمراجعتها وصلحها . فدخل عليه
 الأعرابي أخو معللة صاحبة الفضل بن الربيع ، وكان حسن الشعر حلو اللفظ
 فصيحاً ، وكان إبراهيم يأنس به ، فقال له : مالي أرى الأمير منكسراً منذ أيام ؟
 فأمسك . فقال : قد عرفت حال الأمير وقلت في أمره أبياتاً إن أذن لي أنشدته
 إياها . فنبسم وقال : هات ، فأنشده :

١٥ أعتبت أم عتبت عليك صدوف * وعتاب مثلك مثلها تشريف
 لا تقعدن تلوم نفسك دائماً * فيها وأنت بحبها مشغوف
 إن الصريمة لا ينوء بحملها * إلا القوى بها وأنت ضعيف

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار ، وبعث إلى صدوف ففرجت
 إليه ورضي عنها ، وبعث إليه صدوف بمائة دينار .

٢٠ أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أحمد بن علي بن حميدة قال
 حدثني ريق قالت :

قيل له تب واروق
 دفاقر الغناء فقال
 ريق تحفظ كل
 غنائ

مَرِيضُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ مَرَضَةً أَشْرَفَ مِنْهَا عَلَى الْمَوْتِ، فَبَعَلَ بِتَذَكُّرِ شَغْفِهِ
بِالْبِنَاءِ وَمَا سَلَفَ لَهُ فِيهِ وَبِتَنْدَمٍ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : قُتِبَ وَأُحْرِقَ دِفَاتِرُ
الْغِنَاءِ . فَنَزَلَ رَأْسُهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَا مِجَانِينَ ! فَهَبْنِي أُحْرِقْتُ دِفَاتِرَ الْغِنَاءِ كُلَّهَا ، رَيْقُ
أَبِيٍّ أَعْمَلَ بِهَا ؟ أَفَقُتْلُهَا وَهِيَ تَحْفَظُ كُلَّ شَيْءٍ فِي دِفَاتِرِ الْغِنَاءِ !! .

رَأَى عَلِيًّا فِي النَّوْمِ أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ وَالْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُبَرَّدُ عَنْ
أَحْمَدَ بْنِ الْبَيْعِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ قَالَ :

رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ
أَكْثَرُوا فِيكَ وَفِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَمَا عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ لِي : إِخْسَا ! وَلَمْ يَزِدْنِي
عَلَى ذَلِكَ . وَأَخْبَرَنِي الْكُوكَبِيُّ بِهَذَا الْخَبَرِ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

كَانَ إِبْرَاهِيمُ شَدِيدَ الانْحِرَافِ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَخَدَّثَ
الْمَأْمُونُ يَوْمًا أَنَّهُ رَأَى عَلِيًّا فِي النَّوْمِ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .
قَالَ : فَشَيْئًا حَتَّى جِئْنَا فَنُطْرَقَ فَذَهَبَ يَتَقَدَّمُنِي لِعُبُورِهَا ؛ فَأَمْسَكْنَاهُ وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتَ
رَجُلٌ تَدْعِي هَذَا الْأَمْرَ بِامْرَأَةِ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ ! فَمَا رَأَيْتُ لَهُ فِي الْجَوَابِ بِلَاغَةً
كَمَا يُوصَفُ عَنْهُ . فَقَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ قَالَ لَكَ ؟ فَقَالَ : مَا زَادَنِي عَلَى أَنْ قَالَ سَلَامًا
سَلَامًا . فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : قَدْ وَاللَّهِ أَجَابَكَ أَبْلَغَ جَوَابٍ . قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : عَرَّفَكَ
أَنَّكَ جَاهِلٌ لَا يُجَاوِبُ مِثْلَكَ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
سَلَامًا ﴾ . فَخَجَلَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أَحَدِّثْكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ .

أَخْبَرَنِي الْكُوكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمَفْضَلُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
الْمَهْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

قُلْتُ لِلْأَمِينِ يَوْمًا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! فَقَالَ : بَلْ جَعَلَنِي اللَّهُ
فِدَاكَ ؛ فَأَعْظَمْتُ ذَلِكَ . فَقَالَ : يَا عَمَّ لَا تُعْظِمُهُ فَإِنَّ لِي عَمْرًا لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ ؛

تَمَنَّى لَهُ الْأَمِينُ طَوِيلَ
الْعَمْرِ

فجاءني مع الأحبّة أطيب من نجرعني فقدّمهم ، وليس يضرك عيش من عاشر
بعدي منهم .

حدثني بخطّة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي قال :
كنت يوماً بين يدي الأمين أغنيّه ؛ فغنّيته :
غنى للأمين لحناً
فطرب وطالب إليه
أن يلقنه إحدى
جواريه ، وقصة
ذلك

صوت

أَقَوْتُ مَنَازِلُ بِالْمِضَابِ * مِنْ آلِ هِنْدٍ وَالرَّيَابِ
خَطَّارَةٌ بِزِمَامِهَا * وَإِذَا وَنْتُ دُلَّالُ الرِّكَابِ
تَرَى الْحَصَا بِمَنَاسِمِ * صُمِّ صَلَادِمَةٌ صِلَابِ

قال : فاستحسن اللّٰه وسألني عن صناعه ؛ فعرّفته أن ابن جامع حدثني عن سيّاط
أنه لأبن عائشة ؛ فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزّه ، ثم أنصرفنا ليلتنا تلك ، ووافاني رسوله
حين أنتهيت من النوم وأنا أسنالك ، فقال لي : يقول لك : بجيأتني بأجمل لا تستعمل بعد
الصلوة بشيء غير الركوب الى . فصليت وتناولت طعاماً خفيفاً وأنا ألبس ثيابي خوفاً
من رجوع رسوله ، وركبتُ إليه . فلما رآني من بعيد صاح بي : يا عم بجيأتني :
* خطّارة بزمامها *

فلما دخلت المجلس ابتدأته وغنّيته ؛ فأمر باحضار صبيّة كان يتخطّأها ، فأخرجتُ إلى
صبيّة كأنها لؤلؤة في يدها العود . فقال : بجيأتني يا عم ألّفه عليها ! فاعدته مراراً وهو
يشرب ؛ حتى إذا ظننت أنها قد أخذته أمرتها أن تغنيّه فغنّته ، فإذا هو قد استوى لها
إلا في موضع كان فيه وكان صعباً جداً فجهدتُ جهدي أن يقع لها طلباً لمسرته ، وكان
حقيقاً مني بذلك ، فلم يقع لها البتّة . ورأى جهدي في أمرها وتعدّره عليها ، فأقبل عليها

(١) ذال : جمع ذلول وهو السهل المتقاد من الناس والدواب ، الذكر والأنثى فيه سواء .

وقد سكر ثم قال : نُفِيتُ من الرشيد وكلُّ أمةٍ لي حرةٌ وعلى عهد الله لن ! تأخذه
في المرة الثالثة لأُمرنَ بالقائك في دجلة ! قال : ودجلة تطفح وبيننا وبينها نحو ذراعين
وذلك في الربيع ، فتأملتُ القصة ، فإذا هو قد سكر ، وإذا الجارية لاتقوله كما أقوله
أبداً . فقلت : هذه والله داهية ، ويتنصص عليه يومه وأُشرك في دمه ، فعدلتُ عما
كنتُ أغنيته عليه وتركته ما كنتُ أقوله ، وغنيته كما كانت هي تقوله ، وجعلتُ
أردده حتى أقضت ثلاث مرّات أعيده فيها على ما كانت هي تقوله ، وأريته أني
أجتهد ، فلما أقضت الثلاث المرات قلت لها : هاتيه الآن ، فنشئت على ما كان وقع لها .
فقلت : أحسنت يا أمير المؤمنين ، ردّدته معها ثلاث مرّات ، فطابت نفسه
وسكن ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم . قال بحظة : وقد لحفني مثل هذا ؛ فإن طرخان^(١)

حدث بلحظة
مع طرخان
ما حدث له مع
الأمير

ابن محمد بن إسحاق بن كنداجيق أستحسن صوتاً غنيته وهو :
أعياني الشّادن الرّيب * أكتب أشكو فلا يُجيب
من أين أبني شفاء دائي * وإنما دائي الطّبيب

— ولحنه رمل — فقال : أحب أن تطرحه على زهرة جاريتي ، فكنتُ أتردد
إليها شهراً وأكثر وأردده عليها وهو يصلي ويخلع عليّ ويعطيني كلّ شيء حسن
يكون في مجلسه ، فلا تأخذه مني ولا يقع لها . فلما كان بعد شهر قلت له : أيها الأمير
قد والله استحييت من كثرة ما تعطيني بسبب هذا الصوت ، وقد أعياني أن تأخذه
زهرة ، ثم حدثته حديث إبراهيم بن المهدي وقلت له : لولا أني أملك عليها لقلت
أنا كما تقوله هي حتى نتخلص جميعاً . وليس وحياتك تأخذه أبداً كما أقوله ولا فيه
حيله . فقال لي : فدعه إذا .

^(١) كان من الأمراء . (انظر الكلام عليه في صلة تاريخ الطبري ص ٦٣) .

حدثني بحظّة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم قال حدثني محمد بن الحارث بن
بُسَخْر قال :
غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون :

غنى بحضرة
المأمون لحارث أراد
ابن بسخر أن
يأخذه عنه فضله

صوت

يا صاح يا ذا الضامر العنيس * والرّجل ذى الأنساع والحليس
أما النهار فانت تقطعه * رنكاً وتصبح مثل ما تُسمى

— في هذين البيتين لحن لمالك خفيف ثقيل عن يونس والحشاشي . قال : ولعبد فيه
ثقيل أول ، وقد نسب قوم لحن كل واحد منهما الى الآخر . قال محمد بن الحارث
ابن بُسَخْر في الخبر : واللحن لمالك بن أبي السّمح وهو من قيصاره ، هكذا في الخبر —
قال : فأستحسنه المأمون ، وذهبت أخذه ، ففطن لي إبراهيم بفعل يزيد فيه مرةً وينقص
منه أخرى بزوائد التي كان يعملها في الغناء ، وعلمت ما هو يصنع فركنته . فلما قام
قلت للمأمون : يا سيدي إن رأيت أن تأمر إبراهيم أن يلقي عليّ :

* يا صاح يا ذا الضامر العنيس *

قال : أفعل . فلما عاد قال له : يا إبراهيم ألقي عليّ محمد :

* يا صاح يا ذا الضامر العنيس *

فالتقاء على كما كان يغنيه مُغَيَّرًا ، ثم أتقضي المجلس وسكر المأمون . فقال لي إبراهيم :
قم الآن فانت أحنق الناس به ، فخرجتُ وخرج . ثم جئتُه الى منزله فقلت له :
ما في الأرض أعجب منك ! أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعم الخليفة تبخل عليّ
وليّ لك مثلي لا يُفانرك بالغناء ولا يكثرُك بصوت ! فقال لي : يا محمد ما في الدنيا
أضعف عقلًا منك ! والله ما أستبقاني المأمون محبةً لي ولا صِلّةً لرحمي ، ولكنه
سمع من هذا الحرم شيئاً فقدّه من سواه فأستبقاني لذلك . ففاظني فعله . فلما دخت

على المأمون حديثه بما قال لي . فقال المأمون : يا محمد هذا أكفر الناس لنعمة !
وأطرق ملياً ثم قال لي : لا نكدر على أبي إسحاق عقوناً عنه ولا نقطع رحمته ، فدع
هذا الصوت الذي ضنَّ به عليك الى لعنة الله .

قال بيتا يؤكد به
لدعبل

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهزويه قال حدثني
محمد بن يزيد قال :

قلت لدعبل : بالله أسألك أنت القائل :

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة * إذا حُسبوا يوماً وثامنهم كلبُ
فقال : لا والله ! فقلت : من قاله ؟ قال : مرَّ حشا الله قبره ناراً إبراهيم بن المهدي ،
كافاني بذلك عن هجائي إياه لئيشيط بدعي ^(١) .

أخبرني محمد بن مزيريد قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني محمد بن الحارث
ابن بسطمر قال :

خطأ بخارفا في لحن
غناه للمأمون ثم
لقنه إياه على وجهه

لمارضى المأمون عن إبراهيم بن المهدي وناداه ، دخل عليه متبذلاً
في ثياب المغنِّين وزينهم . فلما رآه ضحك وقال : نزع عني ثياب الكبر عن منكيه .
فدخل وجلس ، وأمر المأمون أن يُخلع عليه فأُلِيس الخلع . ثم أبتداً مُحارِق فَنَقَى :

صوت

١٥

خيلي من كعب ألياً هديتاً * بزنب لا يَفْقِدُكَ أبداً كعبُ
من اليوم زوراها فإن مطيناً * غداة غد عنها وعن أهلها نكب ^(٢)

فقال له إبراهيم : أسأت وأخطأت . فقال له المأمون : يا عم إن كان أساء وأخطأ
فأحسن أنت . فغنى إبراهيم الصوت . فلما فرغ منه قال لمُحَارِق : أعده الآن ، فأعاده
فأحسن . فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآن وبينه في أول الأمر ؟

٢٠

(١) أشاط دمه وبدمه : أذهبه . (٢) نكب : ما نلّات ، واحدها أنكب ونكبا .

قال : ما أبعد ما بينهما ! فالتفت إلى مخارق ثم قال : إنما مثلك يا مخارق مثل الثوب الوثي الفاسح ، إذا تغافل عنه أهله سقط عليه الغبار لخال لونه ، فإذا فُفِصَ ، عاد إلى جوهره .

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني شارية الكبرى مولاة إبراهيم بن المهدي ^(١) قالت : سمعت مولا إبراهيم بن المهدي يتحدث قال :

سأله الرشيد عن
أحسن الأسماء
واسمها فأجاب

كنت بين يدي الرشيد جالسا على طرف حرافة من حرافاته وهو يريد الموصل وقد بلغنا إلى السودان ^(٢) والمدادون يمدون السفن ، والشطرنج بيني وبينه ، والدست متوجه له ، إذ أطرق هنيئة ثم قال : لي يا بن أم ، ما أحسن الأسماء عندك ؟ قلت : محمد اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أي شيء بعده ؟ قلت : هارون اسم أمير المؤمنين ، قال : فما أتمم الأسماء ؟ قلت : إبراهيم . فزجرتني ثم قال : ويحك ! أتقول هذا ! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن ! فقلت له : بشؤم هذا الاسم لقي من تمرود ما لقي وطرح في النار . قال : إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا جرم أنه لم يعمر من أجله . قال : إبراهيم الإمام ؟ قلت بحرفة اسمه قتله مروان في حران ^(٣) . وأزديك يا أمير المؤمنين : إبراهيم بن الوليد خلیع ، وإبراهيم بن عبد الله بن حسن قتل ، وعمه إبراهيم بن حسن سقط عليه السجن فمات ، وما رأيت والله أحدا يُسمى

(١) في ب ، س : « جعفر بن محمد بن قدامة » . وقد تقدم هذا الاسم في رجال السند غير مرة .

(٢) ظاهر من السياق أنها موضع . (٣) كذا في الأصول وهو تحريف والمعنى المراد واضح

إذ هو يريد بشؤم اسمه أو نحو ذلك . (٤) في بعض الأصول هكذا : « في جراب النورة »

وفي بعضها : « في جراب النورة » وكلاهما تحريف . والمذكور في كتب التاريخ : أن إبراهيم بن محمد بن

علي بن عبد الله بن عباس القائم بالدعوة العباسية قتله مروان بن محمد وهو في سجنه بحران ، وقيل : إنه مات

بالطاعون فيه ، وقيل : إنه مات مسموما . وحران مدينة عظيمة وهي قصبة ديار مصر على طريق الموصل والشام

والروم . انظر تاريخ الطبري ق ٣ ص ٢٤ — ٢٧ ومعجم البلدان لياقوت في الكلام على « حران » .

بهذا الاسم إلا قُتِلَ أو نُكِبَ أو رَأَيْتُهُ مَضْرُوبًا أو مَقْدُوفًا أو مَظْلُومًا . ثم ما أَقْضَى
الكَلَامَ حَتَّى سَمِعْتُ مَلَأًا يَصِيحُ بآخِر: مُدَّ يَا إِبْرَاهِيمُ يَا عَاضٌ بَظَرُ أُمِّهِ مُدَّ . فَقُلْتُ لَهُ :
أَبْقَى لَكَ شَيْءٌ بَعْدَ هَذَا ! لَيْسَ وَاللَّهِ فِي الدُّنْيَا أَسْمَ أَشْأَمَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَالسَّلَامَ . فَضَحِكَ
وَاللَّهِ حَتَّى أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ .

- ٥ حَدَّثَنِي بَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَشَامِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
دَخَلَ ابْنُ سَهْلٍ عَلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ يَشْرِبُ ، فَقَالَ لَهُ : بِحَيَاتِي وَبِحَقِّي عَلَيْكَ
يَا أَبَا جَمْدٍ لَا شَرِبْتَ مَعِيَ قَدَحًا ، وَصَبَّ لَهُ مِنْ نَبِيذِهِ قَدَحًا . فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ لَهُ :
مَنْ تُحِبُّ أَنْ يَغْنِيَّكَ ؟ فَأَوْمَأَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : غَنَّهُ يَاعَمُّ ؟ فغَنَّا :
* تَسْمَعُ لِلْعَلِيِّ وَسَوَاسًا إِذَا أَنْصَرَفَتْ *

غنى للمأمون لحنا
عرض فيه بالحسن
ابن سهل

- ١٠ يَعْزُّضُ بِهِ لِمَا كَانَ لِحِقِّهِ مِنَ السُّودَاءِ وَالْإِخْتِلَاطِ ، فَفَضِضَ الْمَأْمُونُ حَتَّى ظَنَّ إِبْرَاهِيمَ
أَنَّهُ سَيُوقِعُ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَبَيْتَ إِلَّا كُفْرًا يَا أَكْفَرَ خَلْقِ اللَّهِ لِنِعَمِهِ ! وَاللَّهِ مَا حَقَّنَ
دَمَكَ غَيْرُهُ ! وَلَقَدْ أَرَدْتُ قَتْلَكَ فَقَالَ لِي : إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَعَلْتَ فَعَلًا لَمْ يَسْبِقْكَ
إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَعَفَوْتُ وَاللَّهِ عَنْكَ لِقَوْلِهِ . أَخْفَقَهُ أَنْ تَعْزُّضَ بِهِ وَلَا تَدَّعَ كَيْدَكَ وَلَا دَغْلَكَ !
أَوْ أَنْفَتَ مِنْ إِيْمَانِهِ إِلَيْكَ بِالْغِنَاءِ ! . فَوُثِبَ إِبْرَاهِيمَ قَائِمًا وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
لَمْ أَذْهَبْ حَيْثُ ظَنَنْتَ ، وَلَسْتُ بِعَائِدٍ فَأَعْرِضْ عَنْهُ .

١٥

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَرِيرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ
قَالَ حَدَّثَنِي أُنْسَى عَنْ أَبِي قَالَ :

غنى للمعتصم لحنا
وسمعه أحمد بن
أبي دواد قال للغناء
بعد أن كان يجنبه

- كُنْتُ أَتُحِبُّ الْغِنَاءَ وَأَطْعُنُ عَلَى أَهْلِهِ وَأُذِمُّ لِحَجِّهِمْ بِهِ ؛ فَوَجَّهَ الْمُعْتَصِمُ إِلَى عِنْدِ
خُرُوجِهِ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ : الْحَقُّ بِي ؛ فَلَحِقْتُ بِهِ بَابَ الشَّمَاسِيَّةِ وَمَعِيَ غِلَامِي
زَنْقُظَةٌ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ رَكِبَ الزُّورِقَ ، وَسَمِعْتُ عَنْده صَوْتًا أَذْهَلَنِي حَتَّى سَقَطَ سَوْطِي

٢٠

من يدي ولم أشعر به، ثم أحتجبت وقد أعتق بي رِذْوَني أن أكَفَّهُ بسوطي .
فقلت للغلامى : هاتِ سوطك؛ فقال : سقط والله من يدي لما سِمتُ هذا
الغناء . فغلَبني الضَّحِكُ حتى بان في وجهي . ودخلتُ الى المعتصم بتلك الحال . فلما
رأته قال لى : ما يُضحكك يا أبا عبد الله ؟ فحدَّثته ، فقال : أتوب الآن من الطعن . علينا
في السماع ؟ فقلت له : قَبْلَ ذلك مَنْ كان يُغَنِّيكَ ؟ قال : عمي إبراهيم ، كان يُغَنِّيني .

إن هذا الطويل من آل حَفِص * أَشْرَ المجد بعد ما كان . مانا

ثم قال : أعِده ياعم ليسمعه أبو عبد الله فإنى أعلم أنه لا يَدْعُ مَذْهَبه . فقلت : لى
والله لأدعنه في هذا ولا تُنك عليه . فقال : أنا إذ كانت توبُّه على يدك ياعم
فلقد فزتُ بفخرها وعدلتُ برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا .

فضله محارق على
نفسه وعلى إبراهيم
الموصلى وابن جامع

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدثني طَلْحَة بن عبد الله الطَّلْحِي قال
حدثني الحسين بن إبراهيم ^(٢) قال :

كنتُ أسأل مُخارِقاً : أىُّ النَّاسِ أحسنُ غِناءً ؟ فيُجِيبني جواباً بَجَلًا حتى حَفَفْتُ
عليه يوماً قال : كان إبراهيم الموصلى أحسنَ غِناءً من ابنِ جامع بعشر طبقات ،
وأنا أحسنُ غِناءً من إبراهيم الموصلى بعشر طبقات ، وإبراهيمُ بن المهدي أحسنُ
غِناءً مني بعشر طبقات . قال ثم قال لى : أحسنُ النَّاسِ غِناءً أحسنهم صوتاً ،
وإبراهيم بن المهدي أحسنُ الجنِّ والإنس والوحش والطير صوتاً ، وحسبك هذا .

سمع إصحاق الموصلى
صوتاً من لحنه
وشعره فطرب له
واستعاده طامة
يومه وقصة ذلك

حدثني علي بن هارون المُنْتَجَم قال حدثني محمد بن أحمد بن علي بن يحيى قال
سمعت جدتي علي بن يحيى يقول حدثني محمد بن الفضل الجرجاني قال :

(١) كذا في ج . وفي سائر الأصول : « إذا » وهو تحريف . (٢) في ب ، س : « الحسين
ابن إبراهيم بن رباح » ورد في الأصول المخطوطة كما أثبتناه . (٣) يقال صفه القوم وبه وحواليه
إذا أهدقوا به وأطافوا وعكفوا ، فلهه يريد هنا حتى أحدثت به مضيقاً عليه بالجواب . (٤) كذا
في الطبري (ق ٣ ض ١٣٧٩ ، ١٤٠٧ ، ١٥١٤) وفي الأصول : « الجرجاني » وهو تحريف .

انتهت يوماً مغلساً، فدخل إلى الغلام فقال لى : إسحاق الموصليّ بالباب قبل
أنت أصليّ الغداة . فقلت : يدخل ، في الدنيا إنسان يستأذن لإسحاق ! فدخل
فقال : حملني الشوق إليك على أن بكرت هذا البكور ، وقد حملت معي نبيذى
وعملت على المقام عندك . فقلت : مرحباً بك وأهلاً . ودعوت طبأخى فسألته
عما في المطبخ ، فذكر أشياء يسيرة ، منها قطعة جدي وطبأخى^(١) ودراج معلق . فقال :
ما أريد غير ذلك ، هات الساعة . فقلت للطبأخ : تجلّ بإحضاره ، وعملت على الأكل^(٢)
معه وعلى أن تأخذ في شأننا . فدخل حاجي فقال : رسول الأمير إسحاق بن إبراهيم
بالباب ، وإذا فرائق يذكر أنه وجه به إلى محمد بن الفضل ليحضره . قال فقال لى
إسحاق : قم في حفظ الله وأجتهد في أن تتعجل . قال : فتقدّمت إلى الخادم بإخراج
الحوارى إليه ووضع التبيذ بين يديه ، وليست ثيابي وخرجت وركبت . فلما
سرت قليلاً قلت في نفسي : أنا أخسر الناس صفقة إن تركت إسحاق بن إبراهيم
الموصليّ في منزلي ومضيت إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ ، ولا أدرى ما يريد مني .
فقلت لفرائق : هل لك في خير؟ قال : وما هو؟ قلت : تأخذ ثلاثين درهما وتمضى
فتقول : إنك وجدتني شارب دواء . قال نعم . فدفعْتُ إليه ثلاثين درهماً ، وخنمت له
ختماً ورجعت . فقال لى إسحاق : أسرعت الكثرة ، فأخبرته بما صنعت ، فقال وقفت .
١٥ جلست وكان يأكل فأكلت معه ، فأخذنا في شأننا . وخرج الحواريّ إلينا فغنين
حتى مرّ صوت إبراهيم بن المهديّ في شعره وهو :

جدّد الحبّ بلأياً * أمرها ليس يسيراً

(١) الطبأخ : الكباب . (فارسي معرب) . والدراج : ضرب من الطير يطلق على الذكر والأنثى .

٢ (٢) هو إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والواثق ، وهو من أرباب
المكانة العالية في الرواية والأدب ونقد الفناء . (انظر الحاشية رقم ١ من كتاب التاج للجاحظ ص ٣١) .

— ولحنه من الثقليل الثاني — قال : فطرب إسحاق طرباً ما رأيتُه طرب مثله قط، وعجب من إحسانه في صنّعه وجودة قسمته ، ولم يزل صوتنا يومنا أجمع لا نفقّ غيرَه حتى شرب إسحاق قَطْرَ مِزْهِ^(١) ، وفيه من الشمس الذي كان يشربه ثلاثة عشر رطلاً ، وكلّما حضرت صلاة قام إسحاق يصلي بنا ، فصلّى بنا التّمة وقد فني قَطْرَ مِزْهِ فشرب من نبيذ رطلين على الصوت . قال : وكان محمد بن الفضل ينزل بسوق الثلاثاء وإسحاق ينزل على نهر المهدي . وقد وُزّر محمد بن الفضل للتوكّل قبل عيد الله بن يحيى .

نسبة هذا الصوت

$$\frac{٧٠}{٩}$$

جَدَدَ الحُبِّ بِلَايَا * أَمْرُهَا لَيْسَ يَسِيرَا
كَبِيرَ الحُبِّ وَقِدَمًا * كَانَ إِذْ حَلَّ صَغِيرَا
ذَلَّلَ الحُبِّ رِقَابًا * كَانَ أَدْنَاهَا عَسِيرَا
لَيْسَ لِي مِنْ حُبِّ إِلَهِي * غَيْرُ حَرَمَانِي السَّرُورَا

١ :

الشعر والفيء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقليل .

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال حدثني عبد الوهاب بن محمد بن عيسى قال :

أحب جارية عند
بعض أهله وقال
فيها شعرا

استتر إبراهيم بن المهدي عند بعض أهله من النساء ، فوكلت بخدمته جارية جميلة وقالت لها : إن أردك لشيء فطأو عيه وأعلميه ذلك حتى يتسع له ، فكانت تُوفيه حقه في الخدمة والإعظام ولا تُعلمه بما قالت لها ؛ فجُلّ مقدارها في نفسه إلى أن قبّل يوماً يدها ، فقبّلت الأرض بين يديه . فقال :

١٥

يَا غُرَّالَا لِي إِلَيْهِ * شَافِعُ مِنْ مُقَلَّتِيهِ

(١) القطرميز : قلة كبيرة من الزجاج ، فارسي معرب . (٢) كذا في ج ولعله يعني به تبيذا من الأنبة صنع في الشمس . وفي أ ، م : « المشمش » . وفي ب ، س : « المشمش » . (٣) في أ ، م : « ملك » .

٢٠

والذى أجلتُ خَدَّ * يه فقبلتُ يَدَيْهِ

بأبى وجهك ما أكر * ثر حُسادى عليه

أنا ضيفٌ وجزاءُ الضَّ * يف إحسانٌ إليه

قال : وعمل فيه بعد ذلك لحناً فى طريقة المَرْج .

وقال أحمد بن أبى طاهر :

غنى إبراهيم بن المهدي يوماً والمأمون مُصْطَبِحٌ ، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكُّره :

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتُ مَنى * هوى الدهرُ بى عنها وولى بها عَنى

فَرَّقَ له المأمون لما سمعه ، وقال له : والله لا تذهب نفسك يا إبراهيم على يد

أمير المؤمنين ، قَطِبَ نفساً ؛ فإن الله قد أَمَّنَكَ إلّا أن تُحَدِّثَ حَدَثًا يشهد عليك فيه

عَدْلٌ ، وأرجو إلّا يكون منك حَدَثٌ إن شاء الله .

نسبة هذا الصوت

صوت

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتُ مَنى * هوى الدهرُ بى عنها وولى بها عَنى

فإن أبكٍ نفسى أبكٍ نفساً نفيسةً * وإن أحتسبها أحتسبها على ضَمٍّ

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي ثانى ثَقِيلٍ بالوسطى . وهذا الشعر قاله إبراهيم

ابن المهدي لما أخرج الجُنْدُ عيسى بن محمد ابن أنحى خالد من الحبس ، وله فى ذلك

خبر طويل ، وقد شَرَطْنَا إلّا نذكر من أخباره إلّا ما كان من جنس الغناء .

وفى هذه القصيدة يقول :

(١) كان من القواد ، وقد ناصر إبراهيم بن المهدي فى وثوبه على الخلافة ، وكان من وجوه شيعة

ثم غضب عليه وأمر بضربه وجلسه لثباته ظهرت منه . (انظر تاريخ الطبرى ق ٣ ص ١٠٠٢ ،

١٠٠٤ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠١١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٣٠ — ١٠٣٤) .

غنى المأمون بشعر له
وكان يحنى بطله
فوق له وأمنه

٥

١٥

١٥

٢٠

وَأَفَاتَنِي عَيْسَى وَكَانَتْ خَدِيمَةً * حَلَّتْ بِهَا مُلْكِي وَفُلْتُ بِهَا سِنِي
 قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْخَصِيبِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ :
 غَنَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ يَوْمًا عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَأَحْسَنَ ، وَبَحْضَةُ الْمَأْمُونِ كَاتِبٌ لَطَاهِرٌ
 يُكْنَى أَبَا زَيْدٍ ، فَطَرِبَ حَتَّى وَثَبَ فَاخْذَ طَرَفُ ثَوْبِ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ
 مُنْكَرًا لِفَعْلِهِ . فَقَالَ مَا تَنْظُرُ ! أَقْبَلْهُ وَاللَّهِ وَلَوْ قُتِلْتُ عَلَيْهِ ! فَتَبَسَّمَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ : أُبَيَّتَ
 إِلَّا ظَرْقًا .

١١
٩

قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِنَا يَقُولُ :
 اجْتَمَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَالْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ عِنْدَ الْمَأْمُونِ ؛ فَأَرَادَ الْحَسَنُ أَنْ
 يَضَعَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ أَيُّ صَوْتٍ تَغْنِيهِ الْعَرَبُ أَحْسَنُ ؟ يَرِيدُ
 بِذَلِكَ أَنْ يُشَهِّرَ إِبْرَاهِيمَ بِالْغِنَاءِ وَالْعِلْمِ بِهِ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : بَدَتْ الْأَعْشَى :
 ١٠ * تَسْمَعُ لِلْحَيِّ وَسَوَاسًا إِذَا أَنْصَرَفْتُ *
 أَيُّ إِنَّكَ مُوسْوِسٌ ، وَكَانَ بِالْحَسَنِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا .

غنت مغنية
 بحضرة فداعها

أَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ جَدِّي عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْمُنْجَمِ قَالَ :
 غَنَّتْ مَغْنِيَّةٌ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ حَاضِرٌ :
 ١٥ * مَنْ رَأَى نُورًا غَدَتْ يَخْرَا *

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَنَا رَأَيْتُ هَذَا . قِيلَ لَهُ : وَأَيْنَ رَأَيْتَهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ
 وَلَدَ عَلِيِّ بْنِ رَيْطَةَ يَمْضُونَ فِي السَّحَرِ إِلَى الصَّبَدِ .

سمعه رومية
 أعجبة فبكت
 تأثرا من صوته

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَازِمِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي
 بَعْضُ الْكُتَّابِ عَنْ رَيْقٍ قَالَتْ :

نرجتُ يوما الى سيدي (تعني إبراهيم بن المهدي) وقد صنع لحنه في نه

وإذا تُباع كريمة أو تُشتري * فسواك بائعها وأنت المشتري

وإذا صنعت صديعة أتممتها * بيسدين ليس نذاهما بمكدر

وجارية لنا رومية أعجمية لا تُفصح في أقصى الدار تكُنس، وهو يطرح الصوت

على شارية، والأعجمية تبكي أحرباء سمعته قط، فجعلتُ أعجب من بكائها وأنظر

إليها حتى سكّت، فلما سكّت قطعَت البكاء، فعلِمْتُ أن هذا من غلبته بحسن صوته

لكل طبع فصيح وأنجبي .

أخبرني الحسين بن يحيى وابن المنكي وابن أبي الأزهري عن حماد بن إسحاق
عن أبيه قال :

غنى الأمين
صوتا فأجازه

غنى إبراهيم بن المهدي ليلة محمد الأمين صوتا لم أره في شعر لأبي نواس وهو :

يا كثر التّوح في الدّمن * لا عليها بل على السّكن

سُنة العُشاق واحدة * فإذا أُحببت فاستكين

ظنّ بي من قد كلفْتُ به * فهو يحفوني على الظّن

رَشاً لولا ملاحظه * خَلَّت الدنيا من الفتن

فأمر له بثلاثة ألف درهم . قال إسحاق فقال إبراهيم له : يا أمير المؤمنين قد أُجرتني

إلى هذه الغاية بعشرين ألف درهم، فقال : هل هي إلا خراج بعض الكُور . هكذا

ذكر إسحاق . وقد روى محمد بن الحارث بن بُسُخْر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال :

لما أردتُ الاتصاف قال : أوقروا زورق عمي دنائير، فأنصرفتُ بمال جليل .

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون قال ذكر لي أبو عبد الله الهشامي عن أهله

كان يحسن
الانقياع على العليل
والناسي

قال قال إبراهيم بن المهدي - وقد نخرج إلى ذكر الطُّبَل والإيقاع به - فقال إبراهيم :

(١) في ب ، س : «دينار» . (٢) في ب ، س : «بشرين ألف درهم هل هي الخ» .

هو من الآلات التي لا يموز أن تُبلغ نهايتها. فقيل له: وكيف خُصَّ الطبل بذلك؟ فقال: لأن عمل اليمين فيه عمل واحد، ولا بُدَّ من أن يلحق اليسار فيه نقص عن اليمين، ودعا بالطبل ليرينا كيف ذلك فأوقع إيقاعاً لم نكن نطق أن مثله يكون، وهو مع ذلك يرينا موضع زيادة اليمين على اليسار. قال وقال له الأمين في بعض خلواته: يا عم أشتى أن أراك ترمز. فقال: يا أمير المؤمنين، ما وضعتُ على فمي نائياً قط ولا أضعه، ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة — من موالى المهدي — حتى تنفخ في الناي وأمر يدي عليه. فأحضرت ووضعت الناي على فيها وأمسكه إبراهيم، فكلنا مرّ الهواء أمر أصابعه، فاجمع سائر من حضر على أنه لم يسمع مثله قط.

٧٢
٩

وأخبرني أبو الحسن علي بن هارون أيضاً قال حدثني أبي قال، حدثني عبيد الله حسن ترجمه
في لمن
ابن عبد الله وأبو عبد الله الهشامى قالوا:

كان إبراهيم بن المهدي إذا غنى لحته:

هل تطامسون من السماء نجومها * باكفكم أو تسثرون هلالها
فبلغ الى قوله:

* جبريل بلغها النبي فقالها *

هز حلقه فيه ورجعه ترجيعاً تنزل منه الأرض.

أخبرني محمد بن إبراهيم قريظ قال حدثني عبيد الله بن المعتز قال حدثني
غنت منم المشامية
لحننا فاختلس
إيقاعه منها
الهشامى قال:

كانت منم المشامية ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن
المهدي حاضر، فتغنت منم في الثقبيل الأول:

* لزيب طيف تعتريني طوارقه *

فأشار إليها إبراهيم أن تُعيدَه . فقالت متمٍ للمعتم : يا سيدي إن إبراهيم يهتبعيني
الصوت وأظنه يريد أن يأخذه . فقال لها : لا تُعيديه . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم
حاضراً يجلس المعتم وكانت متمٍ غائبةً عنه ، فأنصرف إبراهيم بالليل إلى منزله ومتمٍ
في منزلها بالميدان وطريقه عليها وهي في منظرٍ لها مُشْرِفةٍ على الطريق وهي تَطْرَح
هذا الصوت على بعض جَواري بني هاشم ، فتقدم إلى المنظرَة على دابته وتطاول
حتى أخذ الصوت ، ثم ضرب باب المنظرَة بِمِقْرَعته وقال : قد أخذناه بلا حَمْدك .

نسبة هذا الصوت

لزيّنَ طيفٌ تَمْتَرِي طَوَارِقُهُ * هُدُوءاً إذا التَّجَمُّمُ أَرْجَحَتْ لَوَاحِقُهُ
سَيُجِيكُ مِرْنَانُ الْعَيْثِي يُجِيئُهُ * لَطِيفُ بَنَانِ الْكَفِّ دُرْمٌ مَرَّافِقُهُ
إذا ما سَاطَ اللَّهُوْ مُدَّ وَقَرَّبَتْ * لِلذَّاتِ أَنْطَاظُهُ وَمَعَارِقُهُ
الشعر للشمري . والغناء لمعبد ، ولحنه من القَدَرِ الأوسط من الثَّقِيلِ الأول بالنصر
في مجراها عن إسحاق . وفيه لمالك خفيف ثَقِيلُ أَوَّلُ بالنصر عن يونس والمُشَامِخِي .

أخبرني علي بن هارون قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

كان محمد بن موسى المنجم يقول : حَكَّتْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدَّى أَحْسَنُ النَّاسِ
كَلِّهِمْ غَنَاءَ بَرَهَانَ ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَرَاهُ يَجَالِسُ الْخُلَفَاءَ مِثْلَ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَمِ يَغْنَى
المغنون ويغنى ، فإذا أبتدأ الصوت لم يبق من الغلمان والمُتَصَرِّفِينَ فِي الخِدْمَةِ وَأَصْحَابِ
الصناعات والمهَن الصَّغَارِ وَالْجَارِ أَحَدٌ إِلَّا تَرَكَ مَا فِي يَدِهِ وَقَرَّبَ مِنْ أَقْرَبِ مَوْضِعٍ
يَمَكِّنُهُ أَنْ يَسْمَعَهُ ، فَلَا يَزَالُ مُضْغِيّاً إِلَيْهِ لَاهِياً عَمَّا كَانَ فِيهِ مَا دَامَ يُغْنَى ، حَتَّى إِذَا
أَمْسَكَ وَتَفَتَّى غَيْرُهُ رَجَعُوا إِلَى التَّشَاغُلِ بِمَا كَانُوا فِيهِ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى مَا يَسْمَعُونَ .

برهان محمد بن موسى
المنجم على أنه
أحسن الناس غناء

(١) أرجح النجم : مال نحو المغرب . (٢) المرنان : الكثير الرنين ، ويقال : سحابة
مرنان وقوس مرنان ، أى كثيرة الرنين . والمراد هنا : آلة الطرب . (٣) درم : جمع آدم
وهو من لاجم لفظاه . (٤) نسب هذا البيت في الكامل للبرد ص ٧٠٨ طبع أوربا لنصيب .

ولا برهانه أقوى من هذا في مثل هذا من شهادة الفطن له واتفاق الطبايع — مع اختلافها وتوسع طريقيها — على الميل إليه والالتقياد له .

كانت له أشياء لم
يكن لأحد مثلها

٧٣
٩

حدثني أحمد بن جعفر بحظّة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال :

قلت للعنصم : كانت لأبي أشياء لم يكن لأحد مثلها . فقال : وما هي ؟ قلت :

شارية وزايرتها معمرة . فقال : أما شارية فعندنا ، فما فعلت الزائرة ؟ قلت : ماتت .

قال : وماذا ؟ قلت : وساقيته مكنونة ، ولم ير أحسن وجهها ولا ألين ولا أظرف

منها . قال : فما فعلت ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : نخلة^(١) كانت تحيل رطباً

طول الرطبة منها شبر . قال : فما فعلت ؟ قلت : بحررتها بعد وفاته . قال : وماذا ؟

قلت : قدحه الضحاح . قال : وما فعل ؟ قلت : الساعة والله تحملي فيه

أبو حرملة فسألته أن يهبه لي ففعل ، ووجهته به إلى منزلي ففيسل ونظف وأعيد

إلى خزائني ، فرأيت أبي فيما يرى النائم في ليلتي تلك وهو يقول لي :

أبتزع^(٢) شخصاحي دماً بعد ما غدت * على به مكنونة^(٣) مئتمراً نحراً

فإن كنت مني أو تحب مسرقي * فلا تفلن قبل الصباح له كسراً

فأنتهت^(٤) فزماً وما فرق الصبح^(٥) حتى كسرته .

كتب إليه إسحاق
الموصلی فأجابہ

فأما النماظة التي كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى في خبر إسحاق منها طرف .

ونذكرها هنا منها ما جرى مجرى عحاسن إبراهيم والقيام بحجته إن كانت له ، وعذره^(٦)

فيما عيب عليه لأنه بذلك حقيق . فن ذلك نسخت من كتاب أعطانيه أبو الفضل

العباس بن أحمد بن توبة رحمه الله بخط إسحاق في قرجاس — وأنا أعرف خطه —

وجواب لإبراهيم بن المهدي في ظهره بخط ضعيف وأظنه خطه ، لأنه لو كان خط

٢٠ (١) بحر النخلة : قطع جمارها . (٢) فرق الصبح : تبين واتضح . (٣) المناظرة :
الخاصة والمناظرة . (٤) في الأصول : « عذر » من غير هاء الضمير . (٥) المناظرة :
الخاصة والمناظرة . (٦) عذره

كأنني لكان أجود من ذلك الخط ، وقد ذهب أول الكتاب فذهب به أول
الابتداء والجواب ، ونسخت بقيته ؛ فكان ما وجدته من ابتداء إسحاق :

وكنْتَ — جُعِلْتُ فِدَاكَ — كتبت في كتابك الى محمد بن واضح تذكر أنك

مولاي وسيدى . فتي دفعتُ ذلك ! وهل لي نغز غيره ! أو لأحد على وعلى أبي رحمه الله
من قبلي نعمة سواكم ! . وأحب ذلك أن يكون ، وأرجو أن أموت قبل أن يتليني

الله بذلك إن شاء الله . فأما ذِكرُك — جُعِلْتُ فِدَاكَ — الصنعة فقد أجل الله
قدرك عن الحاجة الى دفعها والاعتذار عنها . وأما أنا المسكين فانت تعلم أني

لم ألتجئ ما نحن فيه صنعة قط ، وأنى لم أُرُدّها إلّا لكم شكرًا لنعمتكم وجبا للقرب منكم
ولإيكم . فليس ينبغي أن يعينني ذلك عندي ، ولا يجوز لأحد أن يعينني به إذ كان

لكم . وقد علمتُ أنك لم تضعني من علويه وتُحَارِق بحيت وضعتني إلّا لغضب
أحوَجَك الى ذلك ، وإلّا فانت تعلم أنهما لو كانا مملوكين لي لآثرت تعجيل الراحة

منهما بمقتلهما أو تخليص سبيلهما على ثمن أصيبه ببيعهما أو حميد أكتسبه بتمنهما ،
فكيف أظن أنى عندك مثلهما ، أو أنك تقرّني إليهما وتذكرني معهما ! . أو تلومني

الآن على أن أحرص فلا أنطق بحرف ، وإن أفر من الغناء فإراك من الخطأ فيه ،
وأمتعض منه أمتعضك ممن يُخفى عليك شيئاً من علومه ! . كيف ترى — جُعِلْتُ

فِدَاكَ — الآن سباني وأنت ترى أن أحداً لا يحسن السب غيرك ! . قد أحدثت لي —
جعلت فداك — أدباً وزدّتي بصيرة فإني أحب من تركه وترك الكلام فيه .

فإن ظننت أن هذا فرار من الحجّة وتعيّد عن المناظرة ، كما قلت ، فقد ظفرت
وبصرت إلى ما أحببت ؛ وإلّا فانه لا ينبغي للحر أن يتلهّى بما لا تقوم لُذته بمجرّته ،

(١) كذا في ب ، س . وفي سائر النسخ : « كاه » . (٢) كذا في أ ، م . وفي سائر
النسخ : « مولى وسيد » . (٣) كذا في الأصول ولعل صوابه : « ولا أحب ذلك أن يكون الخ » .
(٤) في الأصول : « تقرّني » وهو محريف . (٥) كذا في الأصول . (٦) التعرّيد : الفرار .

٧٤
٩

- ولا لعاقلة أن يبذل ما عنده لمن لا يتحمده، ولعله لا يقلب العين فيه حتى يلحقه ما يكره منه. وأما ما قاله أبي - رحمه الله - من أنه لم يزل يتمنى أن يرى من سادته من يعرفه، قدّره حق معرفته ويبلغ علمه بهذه الصناعة الغاية العظمى حتى رآك، فقد صدّق، ما زال يتمنى ذلك وما زلت أتمناه. فهل رأيت - جعلت فداك - ^(١) حظي منه إلا بأن ساويت به من لم يكن يساوي شسعه، ولعلك لا ترضى في بعض القوم حتى تفضله عليه، لا تنفعه عندك معرفة به، ولا رعاية لطول الصُحبة والخدمة، ولا حفظ الآثار محمودة باقية نذكرها ونحتج بها. ثم ها أنا من بعده تَضَعُ بالموضع الذي تضعني به، وتُسَبِّحُني إلى ما تنسبني إليه؛ لأنّي تَوَخَّيْتُ الصَّوَابَ وأَجْتَهَدْتُ في البذل والمناصحة، لا يدفعك عني حَفَظُ لَسَلَفٍ، ولا صِيَانَةُ خَلْفٍ، ولا آسْتِدَامَةُ لِقَدِيمٍ ما نعلم، ولا مَصَانَعَةُ لِمَا تَطْلُبُ، ولا ولاء مما أكره أن أقوله. فما أرى - جعلت فداك - من معرفتك بما في أيدينا إلّا تَجَرَّعَ الحَسَرَاتِ، وتَطْلُبَكَ لَنَا العَثَرَاتِ، والله المستعان. كيف أصنع جعلت فداك! إن سكّنت لم تقبل ذلك مني، وإن صدقت كذبتني، وإن كذبت ظفرت بي، وإن مَرَحْتُ لأطربك وأضحكك وأقرب من أُنْسِكَ وأخذ بنصيب من كرمك غَضِبْتَ وسببت، ولو كنت قريباً منك لَضَرَبْتَ! وليتك فعلت، فكان ذلك أيسرَ من غَضَبِكَ. ثم من أعظم المصائب عندي أمرُك إِيَّاي أن أسأل محمد ابن واضح عن قول قُلْتَهُ في عند عمرو بن بَانَةَ. فوالله - جعلت فداك - إني لأُبْشِعُ ^(٢) بذكره فكيف أُحِبُّ أن أذكره وأذكر له! وإني لأرئى لك من النّظر إليه، وأُعْجِب من صبرك عليه، مع أفي - أعوذ بالله من ذلك - لو رغبت في هذا منه ومن مثله لكفيتك ونفسي ذلك بأن أَسُوّه ثويني، أو أهابَ له دينارين، أو أقول له أحسنت في صوتين، حتى نبلي أكثر مما أردت لي أو أريده لنفسي. فالحمد لله الذي جعل
- (١) لعله: «حظه» (٢) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «فيه» وهو تحريضه.
- (٣) كذا في الأصول. (٤) بشع بالأمر: ضاق به ذرعاً.

كاتب لكان أجود من ذلك الخط ، وقد ذهب أول الكتاب فذهب منه أول
الابتداء والجواب ، ونسخت بقيته فكان ما وجدته من ابتداء إسحاق :

وكننت — جعلت فداءك — كتبت في كتابك الى محمد بن واضح تذكر أنك
مولاي وسيدى . فتى دفعت ذلك ! وهل لي نحر غيره ! أو لأحد على وعلى أبي رحمه الله

من قبلى نعمة سواكم ! . وأحب ذلك أن يكون ، وأرجو أن أموت قبل أن يتلى
الله بذلك إن شاء الله . فاما ذكرك — جعلت فداءك — الصنعة فقد أجل الله

قدرك عن الحاجة الى دفعها والاعتذار عنها . وأما أنا المسكين فانت تعلم أنى
لم أأخذ ما نحن فيه صنعة قط ، وأنى لم أؤدها إلا لكم شكراً لنعمتكم وحباً للقرب منكم

واليكم . فليس ينبغي أن يعينى ذلك عندكم ، ولا يجوز لأحد أن يعينى به إذ كان
لكم . وقد علمت أنك لم تضعنى من علويه ومخاريق بحيث وضعتى إلا لغضب

أحوجك الى ذلك ، وإلا فانت تعلم أنهما لو كانا مملوكين لى لآثرت تعجيل الراحة
منهما بمقتهما أو تخليص سبيلهما على ثمن أصيبه ببيعهما أو حمده أكتسبه بتمنهما ،

فكيف أظن أنى عندك مثلهما ، أو أنك تقرننى إليهما وتذكرنى معهما ! . أو تلومنى
الآن على أن أنرس فلا أنطق بحرف ، وأن أفر من الغناء فإراك من الخطأ فيه ،

وأمتنع منه أمتعاضك ممن يخفى عليك شيئاً من علومه ! . كيف ترى — جعلت
فداءك — الآن سبابى وأنت ترى أن أحداً لا يحسن السب غيرك ! . قد أحدثت لى —

جعلت فداءك — أدباً وزدتنى بصيرة فيما أحب من ترك الكلام فيه .
فإن ظننت أن هذا فرار من الحجة وتعريد المناظرة ، كما قلت ، فقد ظفرت

وصرت لى ما أحببت ، وإلا فانه لا ينبغي للز أن يتلهم بما لا تقوم لذته بمعرته ،

- ٢٠ (١) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « كتابه » . (٢) كذا فى أ ، م . وفى سائر
النسخ : « مولى وسيد » . (٣) كذا فى الأصول ولعل صوابه : « ولا أحب ذلك أن يكون الخ » .
(٤) فى الأصول : « تقرننى » وهو تحريف . (٥) كذا فى الأصول . (٦) التعريد : الفرار .

٧٤
٩

ولا لعاقِل أن يبذل ما عنده لمن لا يَحْتَدَهُ، ولعلَّه لا يَقلِّبُ العينَ فيه حتى يَلْحَقَهُ ما يَكْرَهُ منه، وأما ما قاله أبي — رحمه الله — من أنه لم يزل يَتَقَيَّ أن يَرى من سادته مَنْ يَعْرِفُ قَدْرَهُ حقَّ معرفته ويُلْعِ عليه هذه الصَّنَاعَةَ الغَايَةَ العَظْمَى حتى رَأَىكَ، فقد صَدَّقَ، ما زال يَتَقَيَّ ذلك وما زِلْتُ أَتَمَّنَاهُ. فهل رَأَيْتَ — جُعِلْتُ فِدَاكَ — حَظِّي مِنْهُ إِلَّا بِأَنْ سَاوَيْتَ بِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَسَاوِي شِئْئَهُ، ولمَّا لَمْ يَرْضَ في بعض القوم حتى تَفَضَّلَ عليه، لا تَنْفَعُهُ عِنْدَكَ مَعْرِفَةُ بِهِ، ولا رِعايَةُ لَطُولِ الصُّحْبَةِ وَالْخِدْمَةِ، ولا حِفْظُ لَأَثَارٍ مَحْمُودَةٍ بَاقِيَةٍ نَذَرَهَا وَنَحْتِجُ بِهَا. ثُمَّ هَا أَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَضَعُنِي بِالْمَوْضِعِ الَّذِي تَضَعُنِي بِهِ، وَتَنْسِبُنِي إِلَى مَنْ تَنْسِبُنِي إِلَيْهِ؛ لِأَنِّي تَوَحَّيْتُ الصُّوَابَ وَأَجْتَهَدْتُ فِي الْبَدَلِ وَالْمُنَاصَحَةِ، لَا يَدْفَعُكَ عَنِّي حِفْظُ لَسَلَفٍ، وَلَا صِيَانَةُ خَلِيفٍ، وَلَا اسْتِدَامَةُ لِقَدِيمٍ مَا نَعْلَمُ، وَلَا مَصَانَعَةُ لِمَا تَطْلُبُ، وَلَا وِلَاءٌ مِمَّا أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَهُ. ثُمَّ أَرَى — جُعِلْتُ فِدَاكَ — مِنْ مَعْرِفَتِكَ بِمَا فِي أَيْدِينَا إِلَّا تَجَرَّعَ الْحَسَرَاتِ، وَتَطَلَّبَكَ لَنَا الْعَثَرَاتِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. كَيْفَ أَصْنَعُ جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنْ سَكَتَ لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ مِنِّي، وَإِنْ صَدَقْتُ كَذَّبْتَنِي، وَإِنْ كَذَبْتُ ظَلِمْتَ بِي، وَإِنْ مَرَحْتُ لِأَطْرِيكَ وَأُضْحِكَكَ وَأَقْرَبَ مِنْ أُنْسِكَ وَأَخَذْتُ بِنَصِيحِي مِنْ كَرَمِكَ غَضِبْتَ وَسَبَيْتَ، وَلَوْ كُنْتُ قَرِيبًا مِنْكَ لَضَرَبْتُ! وَلَيْتَكَ فَعَلْتَ، فَكَانَ ذَلِكَ إِيْسَرًا مِنْ غَضَبِكَ. ثُمَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ عِنْدِي أَمْرُكَ لِمَا بَيَّأْتُ أَنْ أَسْأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي وَاضِعٍ عَنْ قَوْلِ قُلْتَهُ فِي عِنْدِ عَمْرِو بْنِ بَاثَةَ. فَوَاللَّهِ — جُعِلْتُ فِدَاكَ — إِنِّي لَا أَشْعُرُ بِذِكْرِهِ فَكَيْفَ أُحِبُّ أَنْ أَذْكُرَهُ وَأُذَكِّرَ لَهُ! وَإِنِّي لِأَرَى لَكَ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَأَعْجَبَ مِنْ صَبْرِكَ عَلَيْهِ، مَعَ أَنِّي — أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ — لَوْ رَغِبْتُ فِي هَذَا مِنْهُ وَمِنْ مِثْلِهِ لَكُنْتُمْ تَنْفَعُنِي ذَلِكَ بِأَنْ أَكْسُوهُ ثَوْبَيْنِ، أَوْ أَهْبَ لَهُ دِينَارَيْنِ، أَوْ أَقُولَ لَهُ أَحْسَنْتَ فِي صَوْتَيْنِ، حَتَّى يَبْلُغَ أَكْثَرُ مِمَّا أَرَدْتُ لِي أَوْ أُرِيدَهُ لِنَفْسِي. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ

(١) لعله : « حظه » . (٢) كذا في ج . وفي سائر الأصول : « فيه » وهو بحر يضيء .
(٣) كذا في الأصول . (٤) يشع بالأمر : ضاق به ذرعا .

حظي منك هذا ! ومثله غير مستصغر لشأنك ولا مستقلّ لقليل حسن رأبك . والله
 إلهال أن يطيل بقاءك ، ويمسّن جزاءك ، ويجمعاني فداءك . قد طال الكتاب ، وكثر
 العتاب . وجملة ما عندي من الإعظام والإجلال اللّذين لا أخاف أن أجعلهما^(١)
 عندك ، والمحبة التي لا أمتنع منها ولا أعرف سواها ، والسمع والطاعة في تسليم ما تحب
 تسليمه والإقرار بما أحببت أن أقتر به ، وسأشهد على ذلك محمد بن واضح وأشهد
 لك به من أحببت وأؤذي الخراج . ولكن لا بدّ من فائدة وإلاّ آنكسر ، فهات
 — جُعِلْتُ فداءك — وأوف وأستوف فانك واجدٌ صحةً وأستقامةً إن شاء الله . مدّ الله
 في عمرك ، وصبرني عليك ، وقدمني قبلاً ، وجعلني من كل سوء فداءك .

نسخة جواب إبراهيم بعد ما ذهب منه

- ١٠ ... وأية سلامة أقدر لك عليها إلاّ أسوقها إليك ، أعطاني الله ما أحبّ من ذلك لك .
 فأمّا أن أنكّم من ورائك بشيء تستثقله متعمداً ، فما أنا إذا بحر ولا كريم ، معاذ الله
 من ذلك ! . ولئن جمعي وإياك وعلى بن هشام مجلساً لاستشهدته على أشياء لم أذكرها
 لك ، ولم أكتب بها إليك ، إجلالاً لقدّر حالك عندي من اعتدادٍ بمثل ذلك مني ،
 وأنت عنه غافل ، والله به عليم . وأما الرشوة فأرجو أن تحببك على ما تشتهي آتاك^(٢)
 الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكراً . وأما الفوائد التي وعدت ورودها
 علينا فإني لو اتقّ أنك لا تفيدني شيئاً فأنظر فيه إلاّ وجدته في فطناً أجيد تفتيشه
 وأعترف كنهه وأفيدك فيه وفيما استنبطت منه ما لا تجد عند نفسك أكثر منه ،
 فاما غيرك فالهباء المنتور . ويا رأس المشنعين تقول إني صيرك بالصناعة ثم تحتج
 بجهدك في تحريف الأقوال رأ كتساب الحجج ، لتفحيم خصمك ، وتعلي مجتتك ،

٧٥
٩

- ٢٠ (١) كذا في الأصول ولعلها : « وجملة ما عندي الإعظام والإجلال اللذان الخ » .
 (٢) لعل إبراهيم يشير بهذا ونحوه الى أشياء خاصة جرت بينه وبين إسماعيل .
 (٣) كذا في ج وفي سائر الأصول « المغنين » .

- فكيف أعيبك بجأتي إليك، وما أنا داخل فيه معك! لا! ولكني قلت لك: إني لست كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثقل عليك، إنما أنا رجل من مواليك متوسل إليك بما يسرك، أو كصاحب لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه، فليكن ذلك بالإتصاف وطلب الصواب أصبته أو أخطأته، لا بالحجة واللائقة والحيلة لترد الحق بالباطل. هذا معنى قولي؛ وقد استشهدت عليك فيه ٥
- أبا جعفر، وجاءني كتابك وهو عندي يشهد لي. والكتاب الذي هذا فيه بخطي عنده لم يرده علي، فتتبع ما فيه وخذني به. فلعمري لئن كنت قرئتك من ذكرت لأعيبك بالشبهة لك بهم ما عبت غير رأيت، ولا جهلت غير نفسي. ولست أعتد من هذا لأنك تشهد لي بالحق فيه، وإنما تريد أن تحصىني بلا حجة، فيكفني علمك بما عندي، وإلا فأنت إذا بي أجهل متى بك. وقلت: «تذكرني معهما» فقد ذكر ١٠
- الله النار مع الجنة، وموسى مع فرعون، وإبليس مع آدم، فلم يئن بذلك موسى ولا آدم ولا أكرم فرعون وإبليس، فأعفى من المغالطة لي والتحريف لقولي، وأستمع بي وأمتنع بالمصادقة. فإنت أنت لم تفعل بقيت واحداً مستوحشاً، ولم تحيد فيري إن علم ما تعلم لم ينقصك، وإن علم أكثر منك لم يسكنك، وإن أفهمته كافاك، وإن استفهمته شفاك. لا والله ما أردت إلا ما ذكرته لك، ١٥
- ولا أحسبك ظننت في غير ذلك؛ لأنك لا تجهلي فأنا عندك غير جاهل. وواحدة هي لك دوني، والله ما كنت أبالي ألا أسمع من تخارق وعلويه شيئاً حتى أسمع بنعيمها، ولا أراهما حتى أراهما ميتين، وما في هذا غيرك والإعظام لك والإكرام. وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيرتهما ندين تقول فيهما ويقولان فيك، وإنما هما صديقتك ونحريما ٢٠
- (١) في ب، س: «عندك لم ترده علي». (٢) خصمه يخصمه (بكر الصادق المضارح): غلبه في الخصومة. وكمر عين الفعل في المضارع هنا شاذ في هذا الباب. (٣) يريد تخارفاً وعلويه، كما سيأتي في السياق.

تأديك وإن كانا غير طائل . فلو أعرضت عن أنتقا صهما ورفعت ما رفع الله من
 قَدْرِي عن الإفراط في عيبيهما ، لكان ذلك أشبه بك وأجمل بحالك وخطرك ومكانك .
 وكذلك الذي تَرَبُّي له منه وصاحبه محمد بن الحارث ، فوالله ما أُحِبُّ لك في أدبك
 وفضلك ودينك ومحلِّك أن تُشهر نفسك لها بهذا ومثله ، وأن ينتهي إليهما ذلك عنك .
 أقول يعلم الله في ذلك لا لها ^(١) . وإنَّ ذلك ، لو صرت إليه ، لأجل بك وأجل لقدرك .
 وإن كنت لتتخوَّنها به . ولو أردت ذلك ، وإن زهدت فيه ، لم تَضَعْ نفسك ومحلَّك
 مع غلمانٍ أحداثٍ يسْطُون ألسنتهم فيك بما بسطته منهم على نفسك ، ولو لم تفعل
 لكنت أعظم في عيونهم من بعض مواليم الذين تولَّوا مِنْتهم . هذا رأيي لك بما
 هو أكبر لأمرِك وأشبه بحالك . والله ما غَشَشْتُك ولا أوطأتك عشواء ، فأختر لنفسك
 ما رأيت . ولا والله لا سمعاً بهذا أبداً ولا بما قلته في إلا خرياً حتى يموتا ، ولا أردتُ
 — يشهد الله — بهذا غيرك . وأما مَنْ ذكرتُ أنَّ أسويه بأبي إسحاق رحمه الله وهو
 لا يساوي شِسْعَه فإنك عَنَيْتَ ابنَ جامع . وإنَّك لا تدخل بيني وبين أبي إسحاق رضى
 الله عنه ، ولا أظنك والله أشدَّ حباً له مني ، ولا كان لك أشدَّ حباً منه لى ، فقد تعلم
 كيف كان لى ، ولكن لا أظلم ابنَ جامع كما تظلمه أنت يا أظلم البشر . ولئن خَمِئَتْ
 أن تُنصِفَنِي لأُكَلِّمَنَّكَ فيه بما لا تدفعه ، ولكنى لا أكلمك في شيء حتى أَتَقَّ بهذا
 منك ، وإلا وسعنى من السكوت ما وسعك . ومن العَجَب الذى لم أر مثله والمكابرة
 التى لا يشبهها شيء أعْتَدَأْتُكَ علىَّ فى التجزئة حيث تقول ^(٢) :

حَيِّياً أَمْ يَعْمَرَا * قَبْلَ تَحْطِطِ مِنَ النَّوَى

(١) كذا في الأصول . ولعل صواب العبارة : « أقول — يعلم الله — ذلك لك لا لها » .

(٢) في ج ، ب ، س : « حتى » .

يا أخو- وحيب نفسي فأَنْظِرْ كم في هذا من العيوب!! قولك: «يا» ليكون مثل «تَحْطِط» في الوزن، أيكون مثل هذا في الكلام! وقولك في الجزء الثاني «حَى» حتى يكون مثل «قبل»، هل يكون مثل هذا! أو ليس في «يا» المشددة أربع ياءات، وفي «حَى» التي عطف بها ثلاث فتصير سبع ياءات، وإنما هي ثلاث في الأصل: الباء المشددة وياء الاثنين حيث تقول «حييا»! . والناس في هذا بيني وبينك بهائم، فَنَ اسْتَعِدِّي عليك! ولو أنصفت لعلمت أنه لا يمكن في:

* حَيَّيَا أُمَّ يَعْمرَا *

غير ما جرأت أو إلا بهذا اللط الذي لا يحول من تحريك ساكن تجعله أول الكلام فقد زدت قبله حرفا، أو تسكين متحرك فتريد بعده حرفا، كقولك «أم يعمر قابل شطن» حيث جعلت قبل الباء ألفا، وكقولك «أم يعمرن قبلا» فزدت الألف لتسكت عليها لأن السكوت على متحرك لا يمكن. فأية حجة هذه! أو من يصبر لك على هذا! وإنما أردت أنا ما يجوز بغيري بجزئية واحدة، لا أريد غير ذلك منك. مالك يا أخى تنفس على الصواب فيما لا هيبة عليك فيه ولا عيب، ثم اتخذت محمدى إليك، بما قلت لك أن تسأل محمدا عن قوليك بظهر الغيب، ذنباً بطبعك على الظلم والتحريف؛ حتى كأني أعلمك أن أحدا تنقصك لم يمت لذلك، ولم يكن غير الرد عليه. والله ما مثلي بمن هذا، ولكني كنت إذا تحدثت مع محمد خالياً كلمته بمثل ما أكلت به من الرد والجدل، فلما كان عندنا من محنتهم كان كلامي بما يجب أن أتكم به من الإكرام والتقديم، فقال لي: أي شيء هذا الذي أرى؟ فقلت له: هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأئس. فأردت بإعلامك هذا أن تعلم أنني لا أريد بما أنازعك فيه شيئاً يزيغ عما تعرف مني، وأني أذكرك

(١) في ج، ب، س: «حَى». (٢) في الأصول: «من». (٣) في الأصول: «يجب».

بما يشبهك في موضعه . فلو آتيت الله وأقيت على الإخاء لما كنت تحرفه هذا
بشيء ، وهو جميل أرضاه من نفسي ، فتصبره قبيحاً تريد أن أعتذر إليك منه .

وأما أداء الخراج والإشهاد ، فهذا شيء لم أطلبه منك ، إنما أنت طلبته مني
ظالماً لي . وذلك لأنني لم أنازعك إلا منازعة مناظرٍ يُحب أن يعرف حسنَ خصمه
وثاقبَ نظيره .

وأما الرئاسة فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل ، ولا رياسة لي عليهم
ولا لك عليّ ؛ لأنني في العلم مناظر وفي العمل مثلاً . فلا تظلمني ولا تفسك لي .

ومن بعد فإني أحب أن تحبرني كيف أنت اليوم بعد . والله غممتي ، لا غمك الله
ولا غمي بك . ولو شئت أرسلت إلى يحيى بن خالد طبيب أني عيبه الله فإنه
رفيقٌ مباركٌ عليم ، وهو منك قريب في دار الروم ، فأخذت برأيه ومن علاجه .
وهب الله لك العافية ووهبها لي فيك برحمته .

وإنما ذكرت هذا الابتداء وجوابه على طولها ، وهما قليل من كثير من
مكاتباتهما ، لتعرف بهما طرقاً من مقدارهما في المنازعة والمجادلة ، وأن إسحاق كان
يريد من إبراهيم التواضع له والخنوع برياسته ويتحامل عليه في بعض الأوقات ،
وينحو إبراهيم نحوه ما فعله به ؛ لأن نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه ، فيستعمل معه
من المباينة مثل ما استعمله ، ويكونان في طرفين من الظلم يُبعد كل واحد منهما عن
إنصاف صاحبه . وقد روى يوسف بن إبراهيم أخباراً فيما جرى بينهما — فوجدت
كلامهما مرسوفاً رصفاً إبراهيم بن المهدي ومنظوماً نظم منطبقه — فيها تحامل على
إسحاق شديد ، وحكايات يسب من قَلَّها إلى جهل بصناعته كان إسحاق بعيداً من
مشله ، فعملت أن إبراهيم عمل ذلك وألّفه وأمر يوسف بنشره في الناس ليدور
في أيديهم ذكر له بفضل به . وذلك بعيد وقوعه ، ولن تدفع الحقائق بالأكاذيب ، ولا يُزيل

الخطأ الصواب، ولا انخلط السداد. وكفى من نصح عن إسحاق بأن أغانى إبراهيم ابن المهدي لا يكاد يُعرف منها صوت ولا يُروى منها إلا اليسير، وأن كلامه في تجنيس الطرائق أطرح، ونعمل على مذهب إسحاق، وأنقضى الصنع لإبراهيم بذلك مع آقضاء مدته، كما يضمحل الباطل مع أهله. فعدلت عن ذكر تلك الأخبار؛ لأنها لم تقع إلى، ولكنها أخبار يتبين فيها التعامل والحق، وتتضمن من السب لإسحاق والشتم والتجهيل ما يعلم أنه لم يكن يقضى على مثله لأحد ولو خاف القتل، فاستبدت ذلك وأطرحته، وأعتمدت من أخبار إبراهيم على الصحيح، وما جرى مجرى هذا الكتاب من خبر مستحسن وحكاية ظريفة دون ما يجري مجرى التعامل؛ فقد مضى في صدر الكتاب من أخبارهما وإغصاص إسحاق إياه بريته وتجريعه أمر من الصبر ما ينبئ عن بطلان غيره.

١٠



ومن صنع من أولاد الخلفاء عليّة بنت المهدي، ولا أعلم أحدا منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدمها. وكان يقال: ما أجمع في الجاهلية ولا الإسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وعليّة أخته. وأخبارها تُذكر بعد هذا تالية لما أذكره من غنائها. فمن صنعتها:

١٥

صوت

تضحك عما لو سقت منه شفا * من أقحوان بلّة قطر الندى
أغرّ يجلو عن غشا العين العشا * حلو يعنى كل كهل وقى
إن فؤادى لا تسليّ الرقى * لو كان عنى صاحباً لقد صحّا
الشعر لأبى النجم العجلى. والغناء لعليّة بنت المهدي رمل بالوسطى.

٢٠

(١) في هذه الجملة غموض. ولعلها تصح على هذا الوجه «... ما يعلم أنه لم يكن يقضى بمثله على أحد ولو خاف القتل» أو نحو ذلك.

أخبار أبي النجم ونسبه

قال أبو عمرو الشَّيباني : اسمه الْمُفَضَّل ، وقال ابن الأعرابي : اسمه الفضل
ابن قُدَّامة بن عُبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إلياس
ابن عَوْف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عَجَل بن لُحَيْم بن صَعْب بن علي بن بكر
ابن وائل بن قاسط بن هَنْب بن أَفْصَى بن دُعْمَى بن جَدِيلَةَ بن أَسَد بن ربيعة .
ابن زرار . وهو من رُجَّاز الإسلام المُفْحُول المُقَدِّمِينَ وفي الطبقة الأولى منهم .

أصله ونسبه ، وهو
في الطبقة الأولى
من الرجاز

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُبَّاب الجُمَيْحِي إجازةً عن محمد بن سَلَام وذكر
ذلك الأصمعيّ أيضًا قالا قال أبو عمرو بن العلاء :
كان أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج .

هو أبلغ في النعت
من العجاج

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكَيْع قال حدثني أبو أيوب المَدِينِي قال حدثني الفضل
ابن العباس الهاشمي عن أبي عبيدة قال :
ما زالت الشعراء تَغْلِبُ حتى قال أبو النجم^(١) :

انصف مع الرجاز
من الشعراء
٧٨
٩

* الحمد لله الوهُوبِ المُجْبَزِلِ *

وقال العجاج :

١٥ * قد جبر الدين الإلهُ جَبْرَ *

وقال رؤبة :

* وقائم الأعماق خاوي الخُتْرُقِ^(٢) *

فانتصفوا منهم .

(١) كذا في ج . وفي سائر النسخ : « تفصّر الرجاز حتى ... الخ » . (٢) المحترق : المر

ووجدتُ في أخبار أبي النجم عن أبي عمرو الشَّيْبَانِيّ قال :
 قال له فتیانٌ من عَجَلٍ : هذا رؤبةٌ بالربد ^(١) يجلس فيسمع شعره ويُشيد الناس
 ويجتمع إليه فتیان من بني تميم ، فما يمنعك من ذلك ؟ قال : أوتجِبُون هذا ؟
 قالوا نعم . قال : فأتوني بعس من نبيذ فأتوه به ، فشربه ثم نهَض وقال :
 إذا أصطبحتُ أربعاً عرفتنی * ثم تجشمتُ الذي جشمتنی
 فلما رآه رؤبة أعظمه وقام له عن مكانه وقال : هذا رجّاز العرب . وسألوه أن
 يُشدهم فأشدهم :
 * الحمد لله الوهوبُ المُجَزِلُ *

وكان إذا أنشد أزد ووحش بيا به (أى رمى بها) . وكان من أحسن الناس لإنشاداً .
 فلما فرغ منها قال رؤبة : هذه أمُّ الرَجَز . ثم قال : يا أبا النجم ، قد قريت مرعاها
 إذ جعلتها بين رجل وأبيه . يؤهم عليه رؤبة أنه حيث قال :
 تبقتُ من أول التَّبْقِلِ ^(٢) * بين رِمَاحَى مالكٍ ونَهْشِلِ

أنه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم . فقال له أبو النجم :
 هيئات ! الكُرُ تَنَابَهُ ^(٤) . أى إني إنما أريد مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة
 ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل . ونهشل قبيلة من ربيعة وهؤلاء يرعون الصَّمان ^(٥)

(١) يعنى مربد البصرة وهو من أشهر محالها ، كانت به سوق الابل قديماً ثم صار محلة عظيمة سكنها
 الناس ، وبه كانت مقارنات الشعراء ومجالس الخطباء . (٢) العس : القدح الكبير .
 (٣) تبقت : خرجت لطلب البقل . (٤) الكُر : جمع كُرة ، وهى رأس الذكر . يريد
 أن الرجال اختلطت عليك . وقد صار هذا مثلاً ، ولفظه «الكُر أشباه الكُر» . (٥) الصمان :
 أرض فيها غلظ وارتماع ، وفيها قيعان واسعة ورياض معشبة ، وإذا أخضبت ربعبت العرب جميعاً .
 وكانت الصمان في قديم الدهر لبني حنظلة ، والحزن لبني يربوع ، والدهناء لجماعهم ، والصمان متأخم
 للدهناء . والمرض : الوادى .

أعظمه رؤبة
 وقام له عن مكانه

٥

١٠

١٥

٢٠

وعرض الدهناء . قال أبو عمرو : وكان سببُ ذِكْرِ هاتين القبيلتين (يعني بني مالك ونهشل) أنَّ دماءَ كانت بين بني دَارِمٍ وبني نَهْشَلٍ وحروباً في بلادهم ، فتحامى جميعهم الرِّعَى فيما بين قَلِيجٍ وَالصَّيَّانِ خَافَةً أَنْ يُعْرُوا بِشَرِّ حَتَّى عَفَا كَاؤُهُ وَطَالَ ، فذَكَرَ أَنَّ بَنِي عَجَلٍ جَاءَتْ لِعِزِّهَا إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَرَعَّتْهُ وَلَمْ تَخَفْ مِنْ هَذَيْنِ الْحَيَيْنِ ، فَفَضَّرَ بِهِ أَبُو النَّجْمِ . قال : ويدلُّ على ذلك قول الفرزدق :

أترج بالأحياء سعدُ بن مالك * وقد قتلوا مَنِيَّ بَطْنَةَ وَاحِدٍ
فلم يبقَ بين الحَيِّ سعدُ بن مالك * ولا نَهْشَلٍ إِلَّا دَمَاءُ الْأَسَاوِدِ^(١)

ترتيب الرجا في رأى بعض الرواة
وقال الأصمعي : قيل لبعض رُؤَاةِ العرب : مَنْ أَرْجُ النَّاسِ ؟ قال : بنو عَجَلٍ ثم بنو سعد ثم بنو عَجَلٍ ثم بنو سعد . (يريد الأغلب ثم العجاج ثم أبا النجم ثم رؤبة) .

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال طاهر بن عبد الملك المسمعي :
كان رؤبة فيكفه عنه المسمعي
كان رؤبة وأبو النجم يجتمعان عندى فأطلب لهما النبذ ، فكان أبو النجم يتسرع إلى رؤبة حتى أكفَّه عنه .

ونسختُ من كتاب أبي عمرو الشَّيباني قال حدثني بعض البصريين منهم
أبو بَرَزَةَ الْمُرِّيُّ — قال وكان مالِكاً رَاوِيَةً — قال :

خرج العجاج متحفلاً عليه جبة نَزَّ وِعِمَامَةٌ نَزَّ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ قَدْ أَجَادَ رَحْلَهَا حَتَّى وَقَفَ بِالْمِرْبَدِ وَالنَّاسُ يَجْتَمِعُونَ ، فَأَنشَدَهُمْ قَوْلَهُ :

* قَدْ جَبَرَ الدِّينَ إِلَهُ الْفَجْرِ *

(١) قَلِيج : علم على مدَّة مواضع . (٢) يَمُرُّوا : يَصَابُوا . وفي الأصول : « يَفُرُّوا »
بالتنوين المعجمة وهو تصحيف . (٣) عَفَا : كَثُرَ . (٤) الْفَاتَةُ : الْهَبَةُ .

(٥) الْأَسَاوِدُ : شَخُوصُ الْقَتْلِ ، وَهُوَ جَمْعُ الْجَمْعِ لِلْأَسْوَدِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعَنِيِّ :
تَاهَيْتُمْ عَنَّا وَقَدْ كَانَ فِيكُمْ * أَسَاوِدُ صَرَعِي لَمْ يَسْوَدْ قَتِيلُهَا
(٦) مُتَحَفِّلاً : مُزَيَّناً .

٧٩
٩

فذكر فيها ربيعةً وهجاءً . بقاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيتيه
فقال له : أنت جالسٌ وهذا العجاج يهيجونا بالمربد قد اجتمع عليه الناس ! قال :
صِف لي حاله وزِيَّه الذي هو فيه ، فوصف له . فقال : أُنِيتُ بِحَمَلٍ طَحَنًا قَدْ أَكْثَرَ
عليه من الهناء ، بقاء بالجل إلى . فأخذ سراويل له بفعل إحدى رجله فيها وأُتِرَ
بالأخرى وركب الجمل ودفع خِطَامَه إلى مَنْ يَقوده ، فَأَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى الْمِرْبَدَ .
فلما دنا من العجاج قال : أَخْلَعُ خِطَامَه نَفْلَه ، وَأَنْشُد :

* تَذَكَّرُ الْقَلْبُ وَجَهْلًا تَمَّا ذَكَرَ *

بفعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يُفْسِدَ ثِيَابَه وَرَحْلَه
بالقِطْرَانِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

* شَيْطَانُهُ أَتْنَى وَشَيْطَانِي ذَكَرَ *

تعلق الناس هذا البيتَ وهرب العجاجُ عنه .

ونسخت من كتاب أبي عمرو قال حدثني أبو الأزهر ابن بنت أبي النجم عن
أبي النجم أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ - وَيُقَالُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ - يَوْمًا
وعنده جماعة من الشعراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدق ، وجارية واقفة على رأس
سليمان أو عبد الملك تَدَبُّبُ عَنْهُ ، فَقَالَ : مَنْ صَبَحَنِي بِقَصِيدَةٍ يَفْتَخِرُ فِيهَا وَصَدَّقَ
فِي نَفْرِهِ فَلَهُ هَذِهِ الْجَارِيَةُ . فَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ قَالُوا : إِنَّ أَبَا النِّجْمِ يَغْلِبُنَا بِمَقْطَعَاتِهِ
(يَعْنُونَ بِالرَّجَزِ) ، قَالَ : فَإِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا قَصِيدَةً . فَقَالَ مَنْ لَيْتَهُ قَصِيدَتُهُ الَّتِي
نَفَرَ فِيهَا وَهِيَ :

* عَلِقَ الْهَوَى بِجِبَائِلِ السُّنَّاءِ *

غلب الشعراء
عند عبد الملك بن
مروان أو سليمان
ابن عبد الملك
وظفر منه بجارية

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشدوه، حتى إذا بلغ إلى قوله :

مِنَّا الَّذِي رُبِعَ الْجِيُوشَ لَظْهَرُهُ ^(١) * عَشْرُونَ وَهُوَ يُعَدُّ فِي الْأَحْيَاءِ

فقال له عبد الملك : قِفْ، إِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ فِي هَذَا الْبَيْتِ فَلَا تُرِيدُ مَا وَرَاءَهُ.

فقال الفرزدق : وَأَنَا أَعْرَفُ مِنْهُ سِتَّةَ عَشَرَ، وَمَنْ وَلَدَ وَلَدَهُ أَرْبَعَةَ كُلُّهُمْ قَدْ رُبِعَ.

فقال عبد الملك أوسليمان : وَلَدَ وَلَدِهِ هُمْ وَلَدُهُ، إِدْفِعْ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ يَا غُلَامَ. قال :
فَقَلْبُهُمْ يَوْمئِذٍ.

قال : وبلغني من وجه آخر أنه قال له : فَإِذَا أَقْرَرْتَ لَهُ بِسِتَّةَ عَشَرَ فَقَدْ وَهَبْتُ

لَهُ أَرْبَعَةَ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ، فَقَدِمَ بِهَا الْبَادِيَةَ فَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ شُرٌّ مِنْ أَجْلِهَا.

وقال أبو عمرو :

بَعَثَ الْجَلِينِدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرِّيَّ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ بِسَبْعِي ١٠

مِنْ الْهِنْدِيِّينَ، لِيُفْعَلَ بِهِمْ لِأَهْلِ الْبَيْتِ كَمَا هُوَ لِلزُّجَلِ مِنْ قَرِيشٍ وَمِنْ وَجْهِ

النَّاسِ، حَتَّى يَقِيَتْ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ بِحِمْلَةٍ كَانَتْ يَدْنِيهَا وَعَلَيْهَا ثِيَابُ أَرْضِهَا فُوطَتَانِ.

فَقَالَ لِأَبِي النَّجْمِ : هَلْ عِنْدَكَ فِيهَا شَيْءٌ حَاضِرٌ وَتَأْخُذُهَا السَّاعَةُ ؟ قَالَ : نَعَمْ

أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! فَقَالَ الْعُرْيَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ السَّنَعِيُّ : كَذَبَ وَاللَّهِ مَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ.

فَقَالَ أَبُو النَّجْمِ :

عَلِقْتُ خَوْدًا مِنْ بَنَاتِ الرُّطِّ * ذَاتَ جِهَازٍ مُضْفَطٍ مُلَطِّ ^(٢) ^(٤)

رَأَيْتُ الْمَجَسَّ جَيِّدَ الْمَحَطِّ * كَأَنَّمَا قُطِّعَ عَلَى مِقَطِّ

إِذَا بَدَأَ مِنْهَا الَّذِي تُغَطِّي * كَأَن تَحْتَ ثَوْبِهَا الْمُنْعَطِّ ^(٥)

(١) ربع الجيوش : أخذ ربع أموالهم، وكان ذلك حظ الرئيس عند الغلبة، واسم هذا الصليب

المرباع . (٢) الرط : جبل أسود من السند . (٣) الجهازها : فرج المرأة . ٢٠

(٤) ملط : مستور، من ألت التي إذا ستره . (٥) انعط الثوب : انشق .

وصف جارية
تلاها بن عبد الله
القسري لساعته
فوهبها له

شَطَا رَمِيتَ فَوْقَهُ بِشَسْطٍ * لَمْ يَسْتَرْ فِي الْبَطْنِ وَلَمْ يَحِطْ^(١)
فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَدَى التَّمَطَّى * كَهَامَةِ الشَّيْخِ الْيَمَانِيِّ الثَّنَطِّ^(٢)

وَأَوَّمَا بِيَدِهِ إِلَى هَامَةِ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ . فَضَحِكَ خَالِدٌ وَقَالَ لِلْعُرْيَانِ : كَيْفَ تَرَى !
أَحْتَاجَ إِلَى أَنْ يَرَوْى فِيهَا يَا عُرْيَانُ ؟ ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! وَلَكِنَّهُ مَلْعُونٌ أَبْنُ مَلْعُونٍ :

وقال أبو عمرو في هذه الرواية وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا
محمد بن يزيد المبرد قال حدثني محمد بن المغيرة بن محمد عن الزبير بن بكار عن فليح^(٣)
ابن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير قال :

ورد أبو النجم على هشام بن عبد الملك في الشعراء . فقال لهم هشام : صَبُّوا لِي ٨٠
إِبْلًا فَقَطَّرُوهَا وَأَوْرِدُوهَا وَأَصْدِرُوهَا حَتَّى كَأَنَّي أَنْظُرَ إِلَيْهَا ، فَأَنْشِدُوهُ وَأَنْشِدْهُ أَبُو النَّجْمِ : ٩
* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمُجْزِلِ * ١٠

حتى بالغ إلى ذكر الشمس فقال «وهي على الأفق كعين...» وأراد أن يقول «الأحول»
ثم ذكر حوالة هشام فلم يُتِمَّ البيتَ وأرْتَجَّ عليه . فقال هشام : أَجِرَ الْبَيْتَ . فقال
« كعين الأحول » وأتمَّ القصيدة . فأمر هشام فُوجئَ عَنْقَهُ وَأُخْرِجَ مِنَ الرِّصَافَةِ ،
وقال لصاحب شُرْطَتِهِ : يَا رَبِيعَ لِمَا لَكَ وَأَنْ أَرَى هَذَا ! . فَكَلَّمَ وَجْهَ النَّاسِ صَاحِبَ
الشُّرْطَةِ أَنْ يَقْرَهُ فَعَلَّ ، فَكَانَ يُصِيبُ مِنْ فَضُولِ أَطْعَمَةِ النَّاسِ وَيَأْوِي إِلَى الْمَسَاجِدِ . ١٥
وقال الزبير في خبره قال أبو النجم : ولم يكن أحدٌ بالرِّصَافَةِ يُضَيِّفُ إِلَّا سُلَيْمٌ بْنُ كَيْسَانَ
الْكَلْبِيِّ وَعَمْرُو بْنُ بَسْطَامٍ التَّغْلَبِيِّ ، فَكَانَتْ آتِي سُلَيْمًا فَأَتْنَدَّى عِنْدَهُ ، وَآتَى عَمْرًا
فَاتَعَشَى عِنْدَهُ ، وَآتَى الْمَسْجِدَ فَأَبْدَتْ فِيهِ . قَالَ : فَأَهَمَّ هِشَامَ لَيْلَةً وَأَمْسَى لَيْسَ النَّفْسُ

(١) الشط : جانب السنام . (٢) الثنط : الحفيف اللينة . (٣) يروى : يترى ويفكر .

(٤) في ١ ، م : « المغيرة بن محمد » . (٥) فطر الايل : قرب بعضها من بعض على نسق . ٢٠

(٦) في ب ، م : « بوجء عنقه وإخراجه » . يقال رجاء باليد وبالسكين إذا صر به .

غضب عليه هشام
ثم سمر معه ليلة
فرضى عنه

- وأراد محدثاً يحديثه، فقال لخادم له: انبغي محدثاً أعربياً أهوج شاعراً يروى الشعر.
 فخرج الخادم الى المسجد فإذا هو بأبي النجم، فضر به برجله وقال له: قم أجب
 أمير المؤمنين. قال: إني رجل أعرابي غريب. قال: إياك أنبي، فهل تروى الشعر؟
 قال: نعم وأقوله. فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق الباب، قال: فأيقن بالشعر،
 ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صغير، يلته وبين نسائه ستر رقيق والشمع^٥
 بين يديه ترهر. فلما دخل قال له هشام: أبو النجم؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين
 طريدك. قال: اجلس. فسأله وقال له: أين كنت تأوى ومن كان يترك؟ فأخبره
 الخبر. قال: وكيف أجمع لك؟ قال: كنت أتغدى عند هذا وأتعشى عند هذا.
 قال: وأين كنت تبيت؟ قال: في المسجد حيث وجدني رسولك. قال: وما لك
 من الولد والمال؟ قال: أما المال فلا مال لي، وأما الولد في ثلاث بنات وبني^{١٠}
 يقال له شيبان. فقال: هل زوّجت من بناتك أحدا؟ قال: نعم زوّجت اثنتين،
 وبقيت واحدة تجوز في أبحاثنا كأنها نعامة. قال: وما وصيت به الأون؟ — وكانت
 تسمى «برة» بالراء — فقال:

- أوصيت من برة قلباً حراً * بالكلب خيراً والحمّة شراً
 لا تسامي ضرباً لها وجرّاً * حتّى ترى حلوا الحياة مرّاً^{١٥}
 وإن كسنتك ذهباً ودراً * والحيّ عميهم بشر طراً

فضحك هشام وقال: فما قلت للأخرى؟ قال قلت:

سبي الحمّة وأبهي عليها^(٤) * وإن دنت فأزدلني إليها
 وأوجي بالفهر ركبتيها^(٥) * ومزقها وأضرب جنتيها

- (١) زهر السراج: تلاً. (٢) في ح، ب، س: «أخرجت». (٣) جز:
 عدا وأمرع. (٤) بهت: قلده بالباطل. وهي هنا على تضمين ابهى معنى أنرى عليها فتعدى بعل.
 (٥) الفهر: الحجر بلاء الكف.

ر وظاهري النذر لها عليها * لا تُحْزِي الدَّهْرَ بهِ أَبْنَيْهَا
قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذُه وسقط على قفاه . فقال : وَيَحْك ! ما هذه
وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين . قال : فما قلت
لثلاثة ؟ قال قلت :

أَوْصِيكَ يا بَنِي فإني ذاهِبُ * أَوْصِيكَ أَنْ تَحْدِكَ القَرَائِبُ
والجارُّ والضيْفُ الكَرِيمُ السَّاعِبُ * لا يُرْجِعِ المسْكِينُ وهو خَائِبُ
ولا تَنِي أَظْفَارُكَ السَّلاهِبُ * مِنْهُمْ في وجهه الحِجَاءُ كَاتِبُ
* والزَّوْجَ إِنْ الزَّوْجَ بَشِ الصَّاحُ ، *

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج ؟ وأى شيء قلت في تأخير تزويجها ؟ قال
قلت فيها :

كَأَنَّ ظَلَامَةَ أَخْتِ شَيْبَانُ * يَتِيْمَةٌ ووالداها حَيَّارِبُ
الرَّأْسُ قُلُّ كُلِّهِ وَصَيْبَانُ * وَلَيْسَ في السَّاقِيْنَ إِلَّا خَيْطَانُ
* تِلْكَ الَّتِي يَفْزَعُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ *

قال : فضحك هشام حتى ضحك النساءُ لضحكك ، وقال للحِصَى : كم بقي من نفقتك ؟
قال : ثلثائة دينار . قال : أَعْطِهِ إِيَّاهَا لِيَجْعَلَهَا في رِجْلِ ظَلَامَةٍ مَكَانَ الْخَيْطَيْنِ .

وقال الأصمعيّ أخبرني عمي وأخبرني ببعض هذا الحديث ابنُ بنت أبي النّجم
أن أبا النّجم قال :

* الحمد لله الوهوبُ المُجْزِلُ *

في قَدَرِ ما يَمْشِي الإنسان من مسجد الأشياخ الى حاتم الجزار . ومقدار ما بينهما
عُلُوٌّ أَوْ نُحُوٌّ . قال : وكان أسرع الناس يديهةً .

(١) السلاهب : الطويلة . (٢) الصبان : جمع صوبة وهي بيضة القمل .

(٣) العلو : رمية سهم أبدا ما يقدر عليه ، ويقال : هي قدر ثلثة ذراع الى أربعة .

سئل الأصمعي
أى الرجز أحسن
وأجود فقال
رجز أبي النجم

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا
رجز الأسود النوحشاني قال :
مرّ أبي بالأصمعي وأنا عنده فقال له : يا أبا سعيد أى الرجز أحسن وأجود؟
قال : رجز أبي النجم .

سأله هشام بن
عبد الملك عن رأيه
في النساء فأجابته

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال :
دخل، أبو النجم على هشام بن عبد الملك وقد أتت له سبعون سنة . فقال له
هشام : ما رأيك في النساء ؟ قال : لئن لم ينظر اليهن شرراً وينظرن إلى تحزراً .
فوهب له جارية وقال له : أعُدْ عليّ فأعلمني ما كان منك . فلما أصبح غدا عليه .
فقال له : ما صنعت ؟ فقال : ما صنعتُ شيئاً ولا قدرتُ عليه ، وقد قلتُ في ذلك
أبياتاً . ثم أنشدته :

نظرتُ فأعجبها الذي في ذرعها * من حُسْنِه ونظرتُ في سِرِّها ليا
فراحتُ لها كفلاً يميلُ بِخَصْرِها * وَعَفَا رَوادِفُه وَأَجْمُ جَائِها
ورأيتُ مُنْتَشِرَ العجائبِ مُقْلَصاً * رَخَوا مفاصِلُه وَجِلْدُها باليا
أُذِنِي له الرِّكَبُ الحَلِيقُ كَأَنما * أُذِنِي لِيهِ عَقارِباً وأفاعيا
إِنَّ النَّدَامَةَ والسَّدَامَةَ فَأَعْلَمَنَ * لو قد صَبَرْتُكَ لِلوَأَسَى خالِيا
ما بَالُ رَأْسِكَ من ورائي طالِعاً * أَظَنَنْتَ أَنَّ حِرَّ الفَتاةِ ورائِيا
فَأَذْهَبَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ لا تُرْتَجَى * أَبَدَ الأَبِيدِ وَلَوْ عَمِرْتَ لِيالِيا

(١) كذا في الأصول . ولم تقف على هذه النسبة فيما لدينا من كتب الأنساب . والظاهر أنها محرقة
عن « الوشجاني » نسبة إلى نوحجان بلدة بفارس .

(٢) الشرر : النظر بجانب العين في إعراض . والنزور : هو أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه .
وتسكين الزاى في الخزولقة . (٣) الوعث : اللين . (٤) الكتاتية هنا ظاهرة .
(٥) العجائب : القضيبي المدود من الخصية إلى الدبر . (٦) الركب : الفرج .

أَنْتِ الْغُرُورُ إِذَا حُجِرْتَ وَرَبِّهَا * كَانِ الْغُرُورُ لِمَنْ رَجَاهُ شَافِيَا
لَكِنَّ أَيْرَى لَا يَرْجَى نَفْعُهُ * حَتَّى أَعُودَ أَخَا فَنَاءٍ نَاشِيَا
فَضِيحِكَ هَشَامُ وَأَمْرُهُ بِجَانِزَةِ أُخْرَى .

قال أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ قال ابنُ كُثَّامَةَ :

حدث هشام بن
عبد الملك عن نفسه
فأضحك

قال هشام بن عبد الملك لأبي النجم : يا أبا النجم حدثني . قال : عني أو عن
غيري ؟ قال : لا بل عنك . قال : لِمَا كَرِهْتُ عَرَضَ لِي الْبَوْلُ ، فَوَضَعْتُ عِنْدَ
رَجُلٍ شَيْئًا أَبُولُ فِيهِ . فَقَعْتُ مِنَ اللَّيْلِ أَبُولُ ، فَخَرَجْتُ مَتَى صَوْتُ فَتَشَدَّدْتُ ، ثُمَّ عُدْتُ
فَخَرَجْتُ مَتَى صَوْتُ آخَرٍ ، فَأَوَيْتُ إِلَى فَرَاشِي . فَقُلْتُ : يَا أُمُّ الْخِيَارِ هَلْ سَمِعْتِ شَيْئًا ؟
فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ وَلَا وَاحِدَةً مِنْهُمَا ! فَضَحِكَ . قَالَ : وَأُمُّ الْخِيَارِ الَّتِي يَعْنِي بِقَوْلِهِ :
فَدَأْبُهَا أَصْبَحْتُ أُمُّ الْخِيَارِ تَدْعِي * عَلَى ذَنْبِهَا كُلِّهَا لَمْ أَصْنَعْ
وَهِيَ أَرْجُوزَةٌ طَوِيلَةٌ .

ذكر فاة في شعره
مزوجت

وقال أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ :

أَنْتَ مَوْلَاةُ لَبْنَى قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ أَبَا النِّجْمِ فَذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ بَنَاتَهَا أَدْرَكْتُ مِنْهُ
سَلْتَيْنِ ، وَهِيَ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَمْدَهُنَّ قَامَةً وَلَمْ يَخْطُبْهَا أَحَدٌ ، فَلَوْ ذَكَرْتَهَا فِي الشُّعْرَا !
فَقَالَ : أَفْعَلْ ، فَمَا اسْمُهَا ؟ قَالَتْ : نَفِيسَةٌ . فَقَالَ :

نَفِيسٌ يَا قَتَالَةَ الْأَقْوَامِ * أَفْصَدْتَ قَلْبِي مِنْكَ بِالسَّهَامِ
وَمَا يُصِيبُ الْقَلْبَ إِلَّا رَامٌ * لَوْ يَعْلَمُ الْعِلْمُ أَبُو هَشَامِ
سَاقٍ إِلَيْهَا حَاصِلَ الشَّامِ * وَجِزْيَةَ الْإِثْهَوَازِ كُلِّ عَامِ
وَمَا سَقَى النَّيْلُ مِنَ الطَّعَامِ * إِذْ ضَاقَ مِنْهَا مَوْضِعُ الْإِدْغَامِ^(١)

(١) الكناية في « موضع الإدغام » ظاهرة يفسرها البيت التالي .

أَجْمُ جَائِثٌ مُسْتَدِيرٌ حَامٍ * يَعْصُ فِي كَيْنٍ لَهُ تَوَامٌ^(١)
 * عَصَّ التَّجَارَى عَلَى اللَّبَامِ^(٢) *

فَقَالَتْ : حَسْبُكَ حَسْبُكَ ! وَوَفَدَ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا رَجَعَ سَمِعَ الزَّمْرَ وَالْجَلْبَةَ ، فَقَالَ :
 مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : نَفِيسَةٌ تَزُوجَتْ .

وصف فهود
 عبد الملك بن بشر
 ابن مروان
 قال أبو عمرو وذ كر على بن المِسُور بن عمرو عن الأصمعي قال أخبرني بعض
 الرواة وحدثني ابن أخت أبي النعمان :

أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ بَشَرَ بْنَ مَرْوَانَ قَالَ لِأَبِي النِّعَمِ : صِفْ لِي فَهُودِي هَذِهِ . فَقَالَ :

إِنَّا نَزَلْنَا خَيْرَ مَازِلَاتٍ * بَيْنَ الْجُمَيْرَاتِ الْمُبَارَكَاتِ
 فِي لَحْمٍ وَحَيْسٍ وَحُبَارِيَّاتٍ * وَإِنَّا أَرَدْنَا الصَّيْدَ ذَا اللَّذَاتِ^(٣)
 جَاءَ مُطِيعًا لِمُطَاوَعَاتٍ * عَلَّمَنَّا أَوْ قَدْ كُنَّا عَالِمَاتِ
 فَسَكَنَ الطَّرْفَ بِمُطَرَفَاتٍ * تُرَبِّكُ أَمَّا قَا مَحْطَطَاتِ

١٠

ونسخت من كتاب الخزاز عن المدائني عن عثمان بن حفص أن أبا النعمان مدح
 الجحاج برجز يقول فيه :
 ملح الجحاج برجز
 وطلب اليه واديا
 في بلاده

وَيْلَ أُمِّ دُورٍ عِزَّةٌ وَنَجْدٍ * دُورٌ تَقِفُ بِسَوَاءِ نَجْدٍ
 * أَهْلُ الْحَصُونِ وَالْخِيُولِ الْجُرْدِ *

فَأَعْجَبَ الْجَحَّاجَ رَجَزُهُ وَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ تُقْطَعُنِي ذَا الْجَبِينِ . فَوَجِمَ لَهَا
 وَسَكَتَ ، ثُمَّ دَمَا كَاتِبَهُ فَقَالَ : أَنْظِرْ ذَا الْجَبِينِ مَا هُوَ ! فَإِنْ ذَا الْأَعْرَابِيِّ سَأَلْنِيهِ لَعَلَّهُ
 نَهَرَ مِنْ أَنْهَارِ الْعِرَاقِ . فَسَأَلُوهُ عَنْهُ فَقِيلَ : وَادٍ فِي بِلَادِ بَنِي عَجَلٍ أَعْلَاهُ حَشْفَةٌ^(٤) وَأَسْفَلُهُ
 سَبْحَةٌ يَخَاصِمُهُ فِيهِ بَنُو عَمٍّ لَهُ . فَقَالَ : أَكْتُبُوا لَهُ بِهِ . قَالَ : فَأَهْلُهُ بِهِ إِلَى الْيَوْمِ .

(١) الكئين : لم باطن الفرج . (٢) لم نعر على هذه النسبة في مظاهنا . ولعله يريد به فرسا
 زيم التجار . (٣) حباريات : مفردتها حبارى وهو طائر يضرب به المثل في البلاهة والحق .
 (٤) الحشفة : حفرة رخوة في سهل من الأرض . والسبخة : أرض ذات تروملح .

٢٠

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثني أبو أيوب المدينيّ قال قال الأصمعيّ :
أخطأ أبو النجم في أشياء أخذت عليه، منها قوله :
وهي على عذيق روى المنهل * دخل أبي المرقال خير الأدحل
* من تحت عادي في الزمان الأول *

أخطأ في أشياء
أخذت عليه

قال الأصمعيّ : الدحل لا توردّه الإبل إنما تورد الركايا ^(١) . وقد عيب بهذا وعيب
بقوله في البيت الذي يليه : إن هذا الدحل من تحت عاد . قال : والدحلان لا تخفر
ولا تفتح ، إنما هي خروق وشعاب في الأرض والجبال لا تصيبها الشمس ، فتبقى فيها
المياه ، وهي هوة في الأرض يضيق فيها ثم يتسع فدخل ماء السماء .

٨٣
٩

قال الأصمعيّ : وقال يصف فرسه وقد أجراه في حلبه :

* تسبح أحرأه ويطفو أوله *

قال الأصمعيّ : أخطأ في هذا ؛ لأنه إذا سبح أحرأه كان حبار الكساح أسرع
منه . قال الأصمعيّ : وحدثني أبي أنّه رأى فرسه هذا فقومه بسبعين درهما .
ولمّا يوصف الجواد بأنه تسبح أولاه وتلحق رجلاه . قال : وخير عدو الذكور
أن تُشرف ، وخير عدو الإناث أن تبيسط ^(٢) وتصغى كعدو الذئب .

(١) الركايا : جميع ركة وهي البر . (٢) تصغى : تميل .

١٥

أخبارُ عَلِيَّةَ بِنْتِ المَهْدِيِّ ونَسَبُها وتُف من أحاديثها

عَلِيَّةُ بِنْتُ المَهْدِيِّ أُمُّها أُمٌ وَلِدَ مُغْنِيَةٌ يُقَالُ لَهَا مَكْنُونَةٌ، كَانَتْ مِنْ جَوَارِي المَرْوَانِيَّةِ المَغْنِيَّةِ .
 أمها مكنونة أم ولد
 اشترت للمهدي
 في حياة أبيه

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ أَنَّ
 (١) أبن القَدَّاحَ حَدَّثَهُ قَالَ :

كَانَتْ مَكْنُونَةٌ جَارِيَةٌ المَرْوَانِيَّةِ - وَلَيْسَتْ مِنْ آلِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ،
 هِيَ زَوْجَةُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - مُغْنِيَّةٌ، وَكَانَتْ
 أَحْسَنَ جَارِيَةٍ بِالْمَدِينَةِ وَجَهًّا، وَكَانَتْ رَحْمَاءً، وَكَانَ بَعْضُ مَنْ يَمَازِحُهَا يَبْعَثُ بِهَا
 فَيَصِيحُ : طَلَسْتُ طَلَسْتُ . وَكَانَتْ حَسَنَةَ الصَّدْرِ وَالْبَطْنِ ، فَكَانَتْ تُوضِعُ بَيْنَهُمَا
 (٢) وَتَقُولُ : وَلَكِنْ هَذَا ! . فَاشْتَرَيْتِ لِلْمَهْدِيِّ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ ،
 (٣) حَتَّى كَانَتْ الْخَبِيرُزَّانُ تَقُولُ : مَا مَلَكَ أَمْرًا أَغْلَظَ عَلَى مِنْهَا . وَاسْتَرَّ أَمْرَهَا عَنْ
 الْمَنْصُورِ حَتَّى مَاتَ ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَلِيَّةُ بِنْتُ المَهْدِيِّ .

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّوْقَلِيُّ عَنْ عَمِّهِ قَالَ :

كَانَتْ عَلِيَّةُ بِنْتُ المَهْدِيِّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَأَطْرَفَهُمْ تَقُولُ الشَّعْرُ الْجَيِّدُ
 وَتَصَوِّغُ فِيهِ الْأَلْحَانَ الْحَسَنَةَ ، وَكَانَ بِهَا عَيْبٌ ، كَانَ فِي جَبِينِهَا فَضْلٌ سَعَةٍ حَتَّى
 (٤) تَسْمَحُ ، فَاتَّخَذَتِ الْعَصَائِبَ الْمَكَلَّلَةَ بِالْجَوْهَرِ تَلْسُتُ بِهَا جَبِينَهَا ، فَأَحْدَثَتْ وَاللَّهِ شَيْئًا
 مَا رَأَيْتُ فِيمَا أَبْتَدَعَتْهُ النِّسَاءُ وَأَحْدَثَتْهُ أَحْسَنَ مِنْهُ .

(١) فِي أ ، م : « أَبَا الْقَدَّاحِ » . (٢) الرِّجَاءُ : الْقَلِيلَةُ لَحْمِ الْعِجْزِ وَالْقَطْعُ مِنْ .

(٣) لَعَلَّ الْمُرَادَ تَشْبِيْهَهَا فِي اسْتَوَاءِ عِجْزِهَا مَعَ ظَهْرِهَا وَتَغْلِيْظِهَا بِاسْتَوَاءِ قَمَرِ الطَّلَسِ . (٤) فِي ب ، م :

« وَيَكُنِّي هَذَا » . (٥) فِي أ ، م : « تَسْفَحُ » (بِتَشْدِيدِ الْقَاءِ) . وَفِي ح : « تَسْجَحُ » .
 وَبَعَارَةُ النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ (ج ٢ ص ١٩١ طبع دار الكتب المصرية) : « وَكَانَ فِي جَبْهَتِهَا سَعَةٌ تَشْبِيْهُهَا بِهَا » .

بعض صفاتها

أخبرني الحسين بن يحيى ووكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال سمعت إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول :

كانت حسنة الدين
ولا تقرب ولا تقف
إلا أيام حوضها

كانت عليّة حسنة الدين، وكانت لا تقف ولا تشرب التبذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة، فإذا طهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب، فلا تملأ بشيء غير قول الشعر في الأحيان، إلا أن يدعوها الخليفة إلى شيء فلا تقدر على خلافه. وكانت تقول : ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيها حلالاً منه عوضاً، فبأي شيء يحتج عاصيه والمتنكب لحرماته! وكانت تقول: لا غفر الله لي فاحشة أرتكبتها قط، ولا أقول في شعري إلا عبثاً .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد الكندي قال سمعت عبد الله ابن العباس بن الفضل بن الربيع يقول :

لم يجمع في الاسلام
أخ وأخت أحسن
غناء منها ومن أخيها

ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة، وكانت تقدم عليه .

أخبرني محمد قال حدثنا عون بن محمد الكندي قال حدثنا سعيد بن إبراهيم قال : كانت عليّة تحب أن ترأسل بالأشعار من تحتضه، فأختصت خادماً يقال له "طل" من خدم الرشيد، فكانت ترأسله بالشعر، فلم تره أياماً، فشتت على ميزاب وحديثه وقالت في ذلك :

كانت تحب
المكاتب بالشعر
وكانت طلاً
فمنها الرشيد

٨٤
٩

قد كان ما كلفته زمناً * يا طل من وجد بك يكفى

حتى أتيتك زائراً عجلاً * أمشي على حنق إلى حنق

خلف عليها الرشيد ألا تكلم طلاً ولا تسمعه باسمه، فضمنت له ذلك . وأسمع عليها يوماً وهي تدرس آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَصْبِرْهَا ^(١) ٢٠

(١) كذا في أكثر النسخ . وفي ١ ، م : « تريد » وهي محرفة عن « تدبر » بالذال بمعنى تقرأ .

وَأَيْلٌ قَطْلٌ ﴿ وأرادت أن تقول : « قَطْلٌ » فقالت : فالذي نهانا عنه أمير المؤمنين .
فدخل فقبل رأسها وقال : قد وهبتُ لك طَلًّا ، ولا أملكُ بعد هذا من شيء
تريدينه . ولما في طَلٍّ هذا عِدَّةُ أشعارٍ فيها لها صنعة . منها :

صوت

- ٥ ياربِّ لِمَني قد غَرَضْتُ بهجرها * فإليك أشكو ذاك يا ربَّاهُ
مولاةٌ سَوِيَّةٌ تستهينُ بعِبدِها * نِعَمَ الغلامِ وبئسَتِ المولاةُ
« قَطْلٌ » ولكنِّي حُرِمْتُ نعيمه * ووصالَه إِن لم يُفِئني الله
ياربِّ إِن كانت حياتي هكذا * ضرًّا عليَّ فإريد حياه
الشعر والغناء له خفيفٌ ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى . وقد ذكر ابنُ خُرداذبَه
أن الشعر والغناء لُتِيبَه الكوفي ، وأنه هَوِيَّ جارية تُغَنِّي ، فتعلمُ الغناء من أجلها وقال
١٠ الشعر ، ولم يزل يتوصَّل إليها بذلك حتى صار مُقَدِّمًا في المغنِّين ، وأن هذا الشعر له
فيها والصنعة أيضًا .

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي قال حدثني محمد بن صالح بن شيخ
ابن عمير عن أبيه قال :
حُجِبَ عَنْهَا طَلٌّ

حُجِبَ عَنْهَا طَلٌّ
فَقَالَتْ فِيهِ شِعْرًا
وَصَحَّفَتْ اسْمَهُ

- ١٥ حُجِبَ طَلٌّ عَنْ عَلِيَّةَ فَقَالَتْ وَصَحَّفَتْ اسْمَهُ فِي أَوَّلِ بَيْتٍ :

أَيَا سُرُورَ الْبَسْتَانِ طَال تَشْوَقُ * فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ لَدَيْكَ سَبِيلُ
مَتَى يَلْتَقِي مَنْ لَيْسَ يُقْضَى خُرُوجُهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ
عَسَى اللَّهُ أَنْ نَزْأَحَ مِنْ كُرْبَةٍ لَنَا * فَلَيْتَ أَغْتَبَا طَا حُلَّةً وَخَلِيلُ

(١) غرضت بهجرها أي ضجرت . وفي الأصول : « عرضت » بالعين المهملة وهو تصحيف

(٢) السرد : شجر حسن الهيئة تقيم الساق ، وقد فسره صاحب القاموس العرعر .

عروضه من الطويل . الشعر والغناء لعليّة خفيف رَمَل . كذا ذكر ميمون بن هارون ،
وذكر عمرو بن بانه أنه لسلسل خفيف رَمَل بالوسطى . وأول الصوت :

* متى يلتقي مَنْ ليس يُقضى خروجه *
وذكر حبش أنه للهذليّ خفيف رَمَل بالنصر .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطالقاني قال
حدثني أبو عبد الله أحمد بن الحسين الهاشمي قال :
قالت عليّة في طَلّ وصحفت أسمه في هذا الشعر وغنت فيه :

صوت

سَلَّم على ذاك الغزال * الأَعْد الحسن الدلال
سَلَّم عليه وقُل له * يا غُلّ ألباب الرجال
خَلَيْتَ جسمي ضاحياً * وسكنت في ظلّ المجال^(١)
وبلغت مَنى غاية * لم أدْرِ فيها ما أحتالي
الشعر والغناء لعليّة خفيف رَمَل . وُذكر غي هذا أن الغناء لأحمد بن المكيّ في هذه الطريقة .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون عن محمد بن عليّ بن عثمان
الشَّطرنجيّ :
كانت تقول الشعر
في خادمها رشا
وتكنى عنه بزئب

أن عليّة كانت تقول الشعر في خادم لها يقال له « رشا » وتكنى عنه . فمن
شعرها فيه وكنت عنه بزئب :

صوت

وجَدَ الفؤادُ بزئبنا * وجَدًا مُدبداً مُتعباً
أصبحتُ من كَلَفِي بها * أدعى سَقِيماً مُنصباً^(٢)

(١) المجال : جمع جلة وهي ستر العروس في جوف البيت . (٢) في أ ، م : « شقيفاً » .

ولقد كَثَبْتُ عَنْ أَسْمَا * عَمْدًا لَكِي لَا تَنْفَضِبُ
 وجعلتُ زِينَةَ سُرَّةٍ * وَكَتَمْتُ أَمْرًا مُعْجِبًا
 قالت وقد عَزَّ الوَصَا * لَوْلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبًا
 والله لَا نَلَتْ الْمَوَدَّةَ أَوْ تَنَالَ الْكُوكِبَا

- هكذا ذكر ميمون بن هارون، وروايته فيه عن المعروف بالشطرنجي ولم يحصل ما رواه . وهذا الصوت شعره لأبن رُهَيْمَةَ المَدَنِي . والغناء ليونس الكاتب، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وهو من زِيَانِبِ يونس المشهورات وقد ذكرته معها . والصحيح أن عَلِيَّةَ غَنَّتْ فيه لحنًا من الثقيل الأول بالوسطى ،^(١) حكى ذلك ابن المكي عن أبيه ، وأخبرني به دُكَّاء عن القاسم بن زُرَّور .

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجماز قال^(٢)
 حدثني عبيد الله بن العباس الرِّبَّيْعِيُّ قال :

لَمَّا عَلِمَ مِنْ عَلِيَّةَ أَنَّهَا تَكُنِّي عَنْ رِشَاءِ بَرْنَبٍ قَالَتْ :

صوت

- القلبُ مشتاقٌ إِلَى رَبِّ * يَا رَبَّ مَا هَذَا مِنَ الْعَيْبِ
 قد تَيَمَّتْ قَلْبِي فَلَمْ أَسْتَطِعْ * إِلَّا الْبَكَاءَ يَا عَالِمَ الْغَيْبِ
 خَبَأْتُ فِي شَعْرِي لِسْمَ الَّذِي * أَرَدْتُهُ كَالْخَلْبِ فِي الْجَلْبِ
 قال : وَغَنَّتْ فِيهِ لَحْنًا مِنْ طَرِيقَةِ الرَّمْلِ الْأَوَّلِ فَصَحَّفَتِ أَسْمَا فِي رَبِّ .

(١) انظر الجزء الرابع من الأغاني من هذه الطبعة ص ٤٠٢ وما بعدها . (٢) مر هذا الاسم

في الجزء الخامس ص ٢٧٣ باسم « الحسين بن يحيى أبي الجمان » وفي الجزء السابع ص ٢٠٨ باسم

« الحسين بن يحيى أبي الجمار » .

قال : وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طُغْيَانُ ، فَوُشَّتْ بِعُلْيَّةَ إِلَى رِشَا وَحَكَّتْ
عنها ما لم تفل ، فقالت عُلْيَّةُ :

لَطُغْيَانُ خُفِّ مُذْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً * جَدِيدٌ فَلَا يَبِيلِي وَلَا يَتَحَوَّقُ
وَكَيْفَ بَلِي خُفِّ هُوَ الدَّهْرُ كُلُّهُ * عَلَى قَدَمَيْهَا فِي الْهَوَاءِ مُعَلَّقُ
فَمَا تَحَرَّقَتْ خُفًّا وَلَمْ تُبَلِّ جَوْرًا * وَأَمَّا سَرَاوِيلَاتُهَا فَمُتَزَقُ

شعرها حين امتنع
رشا عن شرب
النبيذ

قال : وحلَفَ رِشَا أَلَّا يَشْرَبَ النَّبِيذَ سَنَةً ، فقالت :

صوت

(١) قَدْ ثَبَتَ الْخَالِمْ فِي خِصْرِي * إِذْ جَاءَنِي مِنْكَ تَجَنُّبِي
حَرَمْتُ شَرْبَ الرِّاحِ إِذْ عَفَيْتَهَا * فَلَسْتُ فِي شَيْءٍ أَطَايِبِي
فَلَوْ تَطَوَّعْتَ لِعَوْضَتِي * مِنْهُ رُضَابَ الرِّيقِ مِنْ فِيكَ
فِيهَا عِنْدِي مِنْ نَعْمَةٍ * لَسْتُ بِهَا مَاعِشْتُ أَجْزِيكَ
يَا زَيْنَبَا قَدْ أُرْقَتْ مُقَاتِي * أَمْتَمْنِي اللَّهُ بِحَبْسِكَ
غُنْتُ فِيهِ عَلَيْهِ هَزَجًا .

٨٦
٩

أَخْبَرَنِي بَجَظَّةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَا حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ حَدَّثَنِي
الْحُسَيْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَافِعٍ قَالَ : قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى الْهَادِي :
كُنْتُ عِنْدَ الْمُعْتَصِمِ وَعِنْدَهُ مُحَارِقٌ وَعَلَوِيَّةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ وَعَقِيدٌ ، فَتَغَنَّى
عَقِيدٌ وَكُنْتُ أَضْرِبُ عَلَيْهِ :

عنى عقيد المعتصم
بشعر فسأل عنه
فقال محمد بن
إسماعيل إنه لما
فغضب وأعرض
منه

صوت

نَامَ عُدَالِي وَلَسَمَ أَنَسِمَ * وَأَشْتَبَى الْوَاشُونَ مِنْ سَقَمِي
وَإِذَا مَا قُلْتُ بَنِي أَلَسْمُ * شَكَّ مَنْ أَهْوَاهُ فِي أَلْمِي

(١) التكاية هنا غير مفهومة وإن كان المعنى الإجمالي واضحاً . (٢) فب ، س : « الحسبي » .

فطرب المعتصم وقال: لمن هذا الشعر والغناء؟ فأمسكوا . فقلت : لعلية ، فأعرض عني ، فعرفت غلطى وأت القوم أمسكوا عمدًا ، ففقطع بي . وتبين حالي ، فقال : لا تُرْع يا محمد ، فإن نصيبك فيها مثل نصيبي . الغناء لعلية خفيف رمل . وقد قال قوم : إن هذا اللحن للعباس بن أشرس الطنبوري مولى خُزاعة ، وإن الشعر لخالد الكاتب .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد قال حدثني أبي قال :
نكا عند المتصر، فغناه بنان لحنا من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل :

غنى بنان للتصر
بلحن لها في شعر
الرشيده

صوت

يَا رَبَّةَ الْمَثَلِ بِالْبِرِّك * وَرَبَّةَ السُّلْطَانِ وَالْمُلْكِ
تَمَحَّرَجِي بِاللهِ مِنْ قَتْلِنَا * لَسْنَا مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْتَرَكِ

١٠ فضحكك . فقال لي : يم ضحكك ؟ قلت : من شرف قاتل هذا الشعر ، وشرف من عمل اللحن فيه ، وشرف مستمعه . قال : وما ذاك ؟ قلت : الشعر فيه للرشيده ، والغناء لعلية بنت المهدي ، وأمير المؤمنين مستمعه . فأعجبه ذلك وما زال يستعيده .

حدثني إبراهيم بن محمد بن بكشة قال سمعت شيخا يحدث أبي وأنا غلام فحفظت عنه ما حدثه به ولم أعرف اسمه ، قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال :
عملت في أيام الرشيد لحنا وهو :

أخذت من إسحاق
لحنا وغنته الرشيد
ثم غناه هؤلاء
فنفسه

١٥

صوت

سَقِيَا لَأَرْضِ إِذَا مَا نَمَبُ نَهْنِي * بَعْدَ الْهَدُوءِ بِهَا قَرْعُ التَّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سَوَسْنَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ * عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَاوِيسِ

(١) قطع بي : يريد سدت على مسالك القول . (٢) البرك : علم على عدة مواضع .

- قال : فاعجبني وعلمتُ على أن أباكر به الرشيد . فلقيني في طريق خادمٍ لعلية بنت المهدي ، فقال : مولاتي تأمرك بدخول الدهلين لتسمع من بعض جواريسها غناءً أخذته عن أبيك وشككت فيه الآن . فدخلتُ معه إلى حجرة قد أُفردت لي كأنها كانت معدة ، فجلسْتُ ، وقُدِّم لي طعامٌ وشرابٌ فلبت حاجتي منهما ، ثم خرج إلي خادم فقال لي : تقول لك مولاتي : أنا أعلم أنك قد غدوت إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددت له مُحَدِّث ، فاسمعه ولك جائزة سنية تتجملها ، ثم ما يأمر به لك بين يديك ، ولعلنا لا يأمر لك بشيء أو لا يقع الصوت منه بحيث توحّيت ، فيذهب سعيك باطلاً . فاندفعتُ فغنيتهُ ليأياه ، ولم تزل تستعيده مراراً ، ثم أخرجتُ إلى عشرين ألف درهم وعشرين ثوباً ، وقالت : هذه جائزتك ، ولم تزل تستعيده مراراً . ثم قالت : اسمعه متى الآن ؟
- ١٠ فغنيته غناءً ما حرق سمعي مثله . ثم قالت : كيف تراه ؟ قلت : أرى والله ما لم أر مثله . قالت : يا فلانة أعيدى له مثل ما أخذتُ ، فاحضرتُ لي عشرين ألفاً أخرى وعشرين ثوباً . فقالت : هذا ثمنه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين ^(١) ، أبداً أغني به ، وأخبر أنه من صنعتي . وأعطى الله عهداً لئن نطقتُ أن لك فيه صنعة لا تقتلُك ! هذا إن نجوت منه إن علم بمصيرك إلي . فخرجتُ من عندها والله إنني لك الموفى بما أكره
- ١٥ من جائزتها أسفاً على الصوت ، فما جَسَرْتُ والله بعد ذلك أن أتغنم به في نفسي فضلاً عن أن أظهره حتى مات . فدخلتُ على المأمون في أول مجلس جلس له للهو بعدها ، فبدأتُ به أول ما غنيت . فتغير لون المأمون وقال : من أين لك ويلك هذا ؟ ! قلت : ولي الأمان على الصدق ؟ قال : ذلك لك . فحدثته الحديث . فقال : يا بنيض ! فما كان في هذا من النفاسة حتى شهرته وذكرته هذا منه مع ما قد أخذته من العوض ! وهجنتُ فيه هجنةً وددتُ معها أني لم أذكره . فآليتُ ألا أغنيه
- ٢٠ (١) في ب ، س : « ولنا أبداً بقاء غيره » . (٢) في أ ، م : « ورواه الله أن لا كاد موت بما أكره الخ » .

بعدها أبدا . الشعر في هذا الصوت لإسماعيل بن يسار النّسائي ، وقيل : إنه لإسحاق .
ولحنه من الثّقيل الأوّل مُطْلَق في مجرى الوسطى . وذكر حبش أنه للهذليّ ،
ولم يحصل ما قاله .

أخبرني عمي قال حدّثني الحسن بن عليّ بن العزّيّ : قال حدّثنا عبد الله بن
أبي سعد قال قال لي يثشو المعنّي حدّثني أبو أحمد بن الرشيد قال :

طارحت أخاها
إبراهيم النّفاء
وسمها من في مجلس
المأمون

كنت يوما عند المأمون وإلى جانبي منصور وإبراهيم عمّاي ، فجاء بإسرا دخلة
فسأز المأمون . فقال المأمون لإبراهيم : إن شئت يا إبراهيم فأنهض ، فنهض . فنظرتُ
إلى ستر قد رُفِع مما يليّ دار الحُرَم ، فما كان بأسرع من أن سمعت شيئا ألقني .
فنظرتُ إلى المأمون وأنا أميل فقال لي : يا أبا أحمد مالك تمل ؟ فقلت : إني سمعت
شيئا ما سمعتُ بمثله . فقال : هذه عمّتك عُلَيّة تطارح عمك إبراهيم :
* مالي أرى الأبصار بي جافية *

نسبة هذا الصوت .

صوت

مالي أرى الأبصار بي جافية * لم تلتفت مني إلى ناحية
لا ينظر الناس إلى المُبتَلّ * ولما الناس مع العافية
تَحَيّ سَلُوا رَبُّكم العافية * فقد ذهني بعدكم داهية
صارمّي بعدكم سيّدي * فالعين من هجرانه باكية

الشعر لأبي العتاهية ، وذكر ابن المعتز أنه لعلية وأن اللحن لها خفيف رمل . وذكر
أنه لغيرها خفيف رمل مطلق ، ولحن عُلَيّة مزموّم .

أخبرني عمي قال حدثني أبو العباس أن بشرًا المرزدي قال قالت لي ربي :
كنت يومًا بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان ، فدخلت إليه
خلوب^(١) (جارية لعلية) ومعها كأسان مملوءان وتحتان ، ومع خادم يتبعها عودٌ ، فغنتهما
قائمة والكأسان في أيديهما والتحتان بين أيديهما :

أرسلت إلى الرشيد
ومنصور شربا
مع خلوب وغنتها
بلحن لها

صوت

حيا كما الله خليليّا * إن ميتا كنت وإن حيا

إن قلتما خيرا فغير لكم * أو قلتما غيا فلاغيا

٨٨
٩

فشربا . ثم دفعت إليهما رقعة فإذا فيها : «صنعت يا سيدي أختك هذا الفن اليوم ،
وألقته على الجوارى ، وأصطحبت فبعثت لكما به ، وبشت من شرابي إليك ومن
تحتاني وأحدق جوارى لتغنيكما . ها كما الله وسركا وأطاب عيشكما وعيشي بكما» .

أخبرني عمي قال حدثني بخبر من هذا أبو عبد الله بن المرزبان قال حدثني
إبراهيم بن أبي دلف العجلي قال :

دعا إبراهيم بن
المهدي إسحاق
وأبا دلف وغنتها
جاريته لحنا لها

كنا مع المعتصم بالقاطول وكان إبراهيم بن المهدي في حراقة بالجانب الغربي ،
وأبي وإسحاق بن إبراهيم الموصلي في حراقتيهما بالجانب الشرقي . فدعاهما في يوم
جمعة ، فعبرا إليه في زلال وأنا معهم وأنا صغير ، على أقيّة ومنطقة . فلما دنونا من
حراقة إبراهيم قرأنا نهض ونهضت بنهوضه صبيّة له يقال لها «غضة» وإذا في يديها
كأسان وفي يده كأس . فلما صعبدا إليه أندفع ففني :

(١) في ١ ، ٢ : « خلوى » . (٢) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وهو نهر
كان في موضع سامرا قبل أن تدمر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصرا .
(٣) ظاهر من السياق أنه نوع من السفن كالزورق ونحوه . وقد ورد هذا الاسم في كتاب تزيين
الأسواق لداود الأنطاكي صفحة ٢٥٨ طبع حجر بمصر سنة ١٢٧٩ هجرية في قوله : « فعزمت على واسط
لأن لي بها صديقا من الكتاب بحثت فأريت زلالا مهيا فطلبت الزول معهم فقالوا تحملك بدرهمين ، ولكن
الزلال لها شي لا يريد معه غربيا ، فزري بزينا كأنك بعض الملاحين ... » وكتب مصححه بالهامش :
« قوله زلالا كأنه نوع من السفن كالزورق كما يظهر من بقية الكلام » اه وانظر الكلام عليه في قاموس دويهي .

حَيَّاكُمْ الله خَلِيلِيَا * إِنْ مَيَّتَا كُنْتُ وَإِنْ حَيَّا
 إِنْ قَلَّمَا خَيْرًا فَأَهْلًا بِهِ * أَوْ قَلَّمَا غَيًّا فَلَا غَيَّ^(١)

- ثم ناول كل واحد منهما كأساً، وأخذ هو الكأس الثالث الذى في يد الجارية وقال :
 هَلَمْ نُشْرَبْ عَلَى رِيقِنَا قَدَحًا . ثم دما بالطعام فأكلنا ، وَوُضِعَ البَيْدُ فُشِرْنَا ، وَغَنِيَاهُ
 وَغَنَاهُمَا وَضَرَبَا مَعَهُ وَضَرَبَ مَعَهُمَا ، وَغَنَّتِ الصَّبِيَّةُ ، فَطَرِبَ أَبُو قَالَ لَهَا : أَحْسَنْتِ .
 أَحْسَنْتِ ! . فقال له إبراهيم : إِنْ كَانَتْ أَحْسَنْتِ نَحْنُهَا ، فَمَا أَخْرَجْتُمَا إِلَّا لَكَ .

- أخبرنى على بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس قالاً حدثنا أبو هفان قال :
 أَهْدَيْتُ إِلَى الرَّشِيدِ جَارِيَةً فِي غَايَةِ الْجَمَالِ وَالْكَامِلِ ، نَحَلَا مَعَهَا يَوْمًا وَأَخْرَجَ كُلَّ قَبِيلَةٍ
 فِي دَارِهِ وَأَصْطَبَحَ ، فَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ حَضْرِهِ مِنْ جَوَارِيهِ الْمَغْنِيَّاتِ وَالْحَدَمَةِ فِي الشَّرَابِ
 زُهَاءٌ أَلْفَى جَارِيَةٍ فِي أَحْسَنِ زِيٍّ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَالْجَوْهَرِ . وَأَتَّصَلَ
 الْخَبِيرُ بِأُمِّ جَعْفَرٍ فَعَلَّظَ عَلَيْهَا ذَلِكَ ، فَارْسَلَتْ إِلَى عُلَيَّةَ تَسْكُو إِلَيْهَا . فَارْسَلَتْ إِلَيْهَا عَلَيْهِ :
 لَا يَهْوُلُنِكَ هَذَا ، فَوَاللهِ لَأُرْدَنَّهُ إِلَيْكَ ، قَدْ عَزِمْتُ أَنْ أَصْنَعَ شِعْرًا وَأَصُوغَ فِيهِ لَحْنًا
 وَأَطْرَحَهُ عَلَى جَوَارِيٍّ ، فَلَا تَبْقَ عِنْدَكَ جَارِيَةٌ إِلَّا بَعَثْتُ بِهَا إِلَى وَأَلْبِسِيهَا أَلْوَانَ الثِّيَابِ
 لِيَأْخُذَنَّ الصَّوْتَ مَعَ جَوَارِيٍّ ، فَفَعَلْتُ أُمُّ جَعْفَرٍ مَا أَمَرَتْهَا بِهِ عَلَيْهِ . فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ
 صَلَاةِ الْعَصْرِ لَمْ يَشْعُرِ الرَّشِيدُ إِلَّا وَعُلَيَّةٌ قَدْ حَرَجَتْ عَلَيْهِ مِنْ مُجَرَّتِهَا ، وَأُمُّ جَعْفَرٍ مِنْ
 حَجَرَتْهَا مَعَهَا زُهَاءُ أَلْفَى جَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا وَسَائِرِ جَوَارِي الْقَصْرِ ، عَلَيْهِنَّ غِرَابُ
 اللَّبَاسِ ، وَكُلَّهِنَّ فِي لَحْنٍ وَاحِدٍ هَزَجٍ صَنَعْتَهُ عَلَيْهِ :

صوت

منفصل عني وما * قلبي عنه منفصل

- ٢٠ يا قاطعي اليوم لمن * نويت بعدى أن تصل

(١) كذا في ح . وفي أ ، م : « فأهلا له » . وفي ب ، س : « نغير لكم » .

(٢) كذا في الأصول . ويلاحظ أن الكأس مؤنثة .

شكت اليها أم جعفر
 اقتطاع الرشيد
 فقالت شعرا
 وغنت به فرجع اليها

فطرب أنرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أمّ جعفر وعليّة وهو على غاية السرور، وقال : لم أراك اليوم قطّ . يا مسرور لا تُثَقِّين في بيت المال درهمًا إلا ثرتة . فكان مبلغ ما ثره يومئذ ستة آلاف ألف درهم، وما سُيِّع بمثل ذلك اليوم قطّ .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال : كانت تحب لمن
الزمل
كانت عليّة تقول : من لم يُطْرِبه الزمل لم يُطْرِبه شيء . وكانت تقول : من أصبح وعنده طبّاهجة باردة^(١) ولم يصطبج فعليه لعنة الله .

حدّثني عمّي قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال قالت لي عريب : أحسن يوم رأيته وأطيبه يوم أجمعت فيه مع إبراهيم بن المهديّ عند أخته عليّة وعندهم أخوهم يعقوب، وكان أحذق الناس بالزمر . فبدأت عليّة ففتنهم من صنعتها وأخوها يعقوب يزمر عليها :

صوت

تَحَبَّبْ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ * وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقَرَبِ
وَعَنَى إِبْرَاهِيمَ فِي صِنْعَتِهِ وَزَمَرَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ :

صوت

يَا وَاحِدَ الْحَبِّ مَا لِي مِنْكَ إِذْ كَلَفْتُ * نَفْسِي بِحَبِّكَ إِلَّا أَلَمٌ وَالْحَزَنُ
لَمْ يُفْسِدْ لَكَ سُرُورٌ لَا وَلَا حَزَنٌ * وَكَيْفَ لَا! كَيْفَ يُنْسَى وَجْهُكَ الْحَسَنُ
وَلَا خَلَا مِنْكَ قَلْبِي لَا وَلَا جَسَدِي * كُلُّيْ بَكَلَّكَ مَشْغُولٌ وَمُرْتَمِنٌ
نُورٌ تَوَلَّدَ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ * حَتَّى تَكْمُلَ مِنْهُ الرُّوحُ وَالْبَدَنُ
فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُمَا قَطُّ، وَأَعْلَمُ أَنِّي لَا أَسْمَعُ مِثْلَهُ أَبَدًا .

(١) الطباخجة : ضرب من الخمر المقل .

تمارت خشف
وعريب في عدد
أصواتها بحضرة
المتوكل

- قال ميمون بن هارون قلت لعريب :
- رأيتُ في النوم كأتى سألتُ عُلَيَّةَ بنتَ المهديّ عن أغانيها فقالت لي : هي
- نيفة وخمسون صوتاً . فقالت لي عريب : هي كذلك . وقد أخبرني بنحو هذا الخبر
- عبد الله بن الربيع الربيعيّ قال حدثني وسوسة وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم
- قال حدثتني خشف الواحِشِيَّة أنها تمارت هي وعريب في غناء عُلَيَّة بحضرة المتوكل
- أو غيره من الخلفاء ، فقالت هي : هي ثلاثة وسبعون صوتاً ، فقالت عريب : هي اثنتان
- وسبعون صوتاً . فقال المتوكل : غنياً غناءها ، فلم تزلّا تغنيان غناءها حتى مضى
- اثنتان وسبعون صوتاً ، ولم تذكر خشف الثالث والسبعين ففُطِعَ بها وأستولت
- عريب عليها وأنكسرت . قالت : فلما كان الليل رأيتُ عُلَيَّةَ فيما يرى النائم فقالت :
- يا خشفُ خالفك عريبُ في غنائِي ! قلت : نعم ياسيدي . قالت : الصواب معك ،
- أفدري ما الصوتُ الذي أُسَيِّتُهُ ؟ قلت : لا والله ! ولَوَدِدْتُ أني فدّيتُ ما جرى
- بكلِّ ما أملك . قالت هو :

صوت

- يُني الحبُّ على الجَـوَرِ فَلَوْ * أَنْصَفَ المَعشُوقُ فِيهِ لَسَمِعَ
- ليس يُسْتَحْسَنُ في حَكَمِ الهوى * عاشقٌ يُحْسِنُ تَالِيفَ الحُجَجِ
- لا تَعِينِ من حُبِّ ذِلَّةٍ * ذِلَّةُ العاشِقِ مِفْتَاحُ الفرجِ
- وقليلُ الحبِّ صِرَافاً خالِصاً * لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُرِّجِ
- وكأَنها قد أندفعتُ تَغَيَّبِي به ، فما سمعتُ أحسنَ مما غَنَّتْهُ ، ولقد زادت لي فيه أشياء
- في نومي لم أكن أعرفها . فَأَنْتَبَهْتُ وأنا لا أعقلُ فرحاً به . فبَاكَرْتُ الخليفةَ وَذَكَرْتُ
- له القِصَّةَ . فقالت عريب : هذا شيءٌ صنعته أنتِ ليَ جرى بالأُمس ، وأما الصوت
- فصحيح . فخلعتُ للخليفة بما رَضِيَ به أَنَّ القِصَّةَ كما حَكَيْتُ . فقال : رُؤْيَاكَ والله

أعجب، ورحم الله عليّة! لما تركت ظرفها حيّة وميتة، وأجازني جائزة سيّدة . ولعليّة في هذا الصوت أعنى :

* بُني الحب على الجوّ فلو *

لحنان : خفيف ثقيل وهزّج . وقيل إن الهزّج لغيرها .

- ٥ ونسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني أحمد بن محمد الفيرزان^(١) قال حدثني بعض خدام السلطان عن مسرور الكبير، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابن الفيرزان^(١)، وفيهما خلاف يذكر في موضعه، قال : اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصلي يوماً، فركب حماراً يقرب من الأرض، ثم أمر بعض خدام الخاصة بالسعي بين يديه، ونخرج من داره، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم . فلما أحسّ به استقبله وقبّل رجله . وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قوم ثم مَضَوْا، ورأى عيداناً كثيرة، فقال : يا إبراهيم ما هذا؟ فجعل يدافع . فقال : هـ ! يلك ! أضدقني . فقال : نعم يا أمير المؤمنين، جاريّتان أطرح عليهما . قال : هاتهما . فأحضر جاريّتين ظريفتين، وكانت الجاريّتان لعليّة بنت المهدي بعثت بهما يطرح عليهما . فقال الرشيد لإحدهما : غني، ففنتت — وهذا كله من رواية محمد بن طاهر —

بُني الحب على الجوّ فلو * أنصف المعشوق فيه لسمج

ليس يُستحسن في حكم الهوى * عاشقٌ يحسن تأليف الجحج

لا تعين من محبّ ذلّة * ذلّة العاشق مفتاح الفرج

وقليل الحب صرفاً خالصاً * لك خير مـزّة كثير قد مُرّج

٢٠ فأحسنّت جداً، فقال الرشيد : يا إبراهيم لمن الشعر؟ ما أمله! وإن اللحن؟ ما أظرفه!

فقال : لا أعلم لي . فقال للجارية، فقالت: لستى . قال : ومن سيّتك؟ قالت : عليّة

سمع الرشيد لحنها
من جاريّتها عند
إبراهيم الموصلي
فرجع إليها وسميها
منها ويدعها

أُخْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قال : الشعرُ واللحن ؟ ! قالت نعم ! فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلى الأخرى فقال : غنيّ ؛ فغنّنت :

صوت

تَحَبَّبَ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ * وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقَرِيبِ
تَبَصَّرَ فَإِنَّ حُدُثَتْ أَنْ أَخَا هَوَى * نَجَا سَالِكًا فَارُجَ النَّجَاةِ مِنَ الْحَبِّ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًا * فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَالِ وَالْكُنْبِ

- الغناء لعلية خفيفة تقبيل . وفي كتاب علويه : الغناء له — فسأل إبراهيم عن الغناء والشعر؛ فقال : لا أعلم لي يا أمير المؤمنين . فقال للجارية : لمن الشعر واللحن ؟ فقالت لستى . قال : وَمَنْ سِتِّكَ ؟ فقالت : عُلَيَّةُ أُخْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجاريتين ، ومضى فركب حماره وأنصرف إلى عُلَيَّةَ . هذا كله في رواية محمد بن طاهر ، ولم يذكره محمد بن الحسن ، ولكنه قال في خبره : إن الرشيد زار الموصلي هذه الزيارة ليلاً ، وكان سببها أنه آتبه في نصف الليل فقال : هاتوا حمارى فَأَتَيْنِي بِحَمَارٍ كَانَتْ لَهُ أَسْوَدَ يَرْكَبُهُ فِي الْقَصْرِ قَرِيبٌ مِنَ الْأَرْضِ ، فركبه وخرج في دُرَاعَةٍ وَشِيٍّ مِثْلًا بِعَامَةِ وَشِيٍّ مُلْتَحِفًا بِرَدَاءٍ وَشِيٍّ ، وخرج بين يديه مائة خادَمٍ أبيض سوى الفَرَّاشِينَ . وكان مسرور القُرْفَانِي جريئاً عليه لمكانته عنده ، فلما خرج على باب القصر قال : أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردتُ مَازِلَ الموصلي . قال مسرور : فضي ونحن بين يديه حتى آتته إلى منزل إبراهيم ، فتلّقه وقبّل حافر حماره وقال : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداك ، أفى مثل هذه الساعة تظهر ! ! قال : نعم ! شوقٌ طَرَقَ بِي . ثم نزل بخلّس في طَرَفِ الْإِيوَانِ وأجلس إبراهيم . فقال له إبراهيم : ياسيدي

٩١
٩

(١) في الأصول : « سببه » . (٢) الدراعة : ضرب من الثياب ، أو هي جبة مشقوفة المقدم .

أَتَشَطُّ لشيءٍ تَأْكُلُهُ؟ قال: نعم، وما هو؟ قال: خَامِيزٌ طَيِّبٌ. فَأَتَيْتُ بِهِ كَأَنَّمَا كَانَ مُعَدًّا لَهُ
فَأَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا سَيِّئًا، ثُمَّ دَعَا بِشَرَابٍ كَانَ حُمْلٌ مَعَهُ. فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ:
أَوْفَعَيْتِكَ يَا سَيِّدِي أَمْ يَفْنِيكَ إِمَاؤُكَ؟ فَقَالَ: بَلِ الْجَوَارِي. نَخْرُجُ جَوَارِي إِبْرَاهِيمَ
فَأَخَذَنِي صَدْرُ الْإِيوَانِ وَجَانِبِيهِ. فَقَالَ: أَيَضْرِبَنَّ كُلُّهُمْ أُمَّ وَاحِدَةً وَوَاحِدَةً؟ فَقَالَ:
بَلِ تَضْرِبُ اثْنَتَانِ اثْنَتَانِ وَتَعْنِي وَاحِدَةً وَوَاحِدَةً. ففعلن ذلك حتى مرَّ صَدْرُ الْإِيوَانِ
وَأَحَدُ جَانِبِيهِ وَالرَّشِيدُ يَسْمَعُ وَلَا يَنْشُطُ لشيءٍ مِنْ غَنَائِمٍ، إِلَى أَنْ غَنَتْ صَبِيَّةٌ
مِنْ حَاشِيَةِ الصَّفِّ:

صـ مـ و ت

يَا مُورِي الزَّيْدُ قَدْ أُعِيَتْ قَوَادِحُهُ * أَقْبِسْ إِذَا شِئْتَ مِنْ قَلْبِي بِمِقْبَاسِ

مَا أَقْبَحَ النَّاسَ فِي عَيْنِي وَأَسْمَجَهُمْ * إِذَا نَظَرْتُ فَلَمْ أَبْصُرْكَ فِي النَّاسِ ١٠

فَطَرِبَ لْغَنَائِمِهَا وَاسْتَعَادَ الصَّوْتَ مِرَارًا وَشَرِبَ أَرْطَالًا، ثُمَّ سَأَلَ الْجَارِيَةَ عَنْ صَانِعِهِ
فَأَمْسَكَتْ، فَأَسْتَدْنَاهَا فَتَقَاعَسَتْ، فَأَمَرَ بِهَا فَأَقِيمَتْ إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَتْهُ بِشَيْءٍ أَسْرَتْهُ إِلَيْهِ.
فَدَعَا بِجَمَارِهِ فَأَنْصَرَفَ وَالتَفَتَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: مَا عَلَيْكَ أَلَّا تَكُونَ خَلِيفَةً! فَكَادَتْ
نَفْسُهُ تَخْرُجُ، حَتَّى دَعَا بِهِ بَعْدَ وَأَدْنَاهُ. هَذَا نَقَطُ رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ فِي خَبَرِهِ. وَقَالَ
مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ فِي خَبَرِهِ: فَقَالَ لِلْمُوصِلِيِّ: أَحْتَفِظُ بِالْجَارِيَتَيْنِ، وَرِكَبَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى عَلِيَّةَ ١٥
فَقَالَ: قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَشْرَبَ عِنْدَكَ الْيَوْمَ. فَتَقَدَّمْتُ فِيمَا تُصَابِحُهُ، وَأَخَذْنَا فِي شَأْنِنَاهَا.
فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي آخِرِ الْوَقْتِ حَمَلٌ عَلَيْهَا بِالْبَيْزِ، ثُمَّ أَخَذَ الْعُودَ مِنْ حِجْرِ جَارِيَةٍ فَدَفَعَهُ
إِلَيْهَا، فَكَابَرَتْ ذَلِكَ. فَقَالَ: وَتَرِيَّةَ الْمَهْدِيِّ لَتَغْنَنَّ! . قَالَتْ: وَمَا أَغْنَى؟ قَالَ: غَنَى:

* نُبِّيَ الْحَبَّ عَلَى الْجَوَّارِ فُلُو *

فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ وَقَفَ عَلَى الْقِصَّةِ فَنَغَّيْتُهُ . فَلَمَّا أَتَتْ عَلَيْهِ قَالَ لَهَا غَيٌّ :

* تَحَيَّبْ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ *

فَلَجَلَجَبَتْ ثُمَّ غَشَّتْهُ . فَقَامَ وَقَبَّلَ رَأْسَهَا وَقَالَ : يَا سَيِّدَتِي هَذَا عِنْدَكَ وَلَا أَعْلَمُ ! وَتَمَّمَ
يَوْمَهُ مَعَهَا .

- ٥ . حَدَّثَنِي بِحُظَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْعَيْسَى بْنُ حَمْدُونَ قَالَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ :
مَا خَجِلْتُ قَطُّ نَجَلَتِي مِنْ عُلْيَا أُخْتِي . دَخَلْتُ عَلَيْهَا يَوْمًا عَائِدًا فَقُلْتُ : كَيْفَ أَنْتِ
يَا أُخْتِي جُعِلْتُ فِدَاكَ وَكَيْفَ حَالُكَ وَجِسْمُكَ ؟ فَقَالَتْ : بِخَيْرٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . وَوَقَعَتْ
عَيْنِي عَلَى جَارِيَةٍ كَانَتْ تَذُبُّ عَنْهَا فَتَشَاغَلْتُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا فَأَعْجَبَتْنِي وَطَالَ جُلُوسِي ، ثُمَّ
أَسْتَحْيَيْتُ مِنْ عُلْيَا فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهَا فَقُلْتُ : وَكَيْفَ أَنْتِ يَا أُخْتِي جُعِلْتُ فِدَاكَ وَكَيْفَ
حَالُكَ وَجِسْمُكَ ؟ فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى حَاضِنَةٍ لَهَا وَقَالَتْ : أَلَيْسَ هَذَا قَدْ مَضَى مَرَّةً
وَأَجَبْنَا عَنْهُ ! نَحْجِلْتُ نَحْجَلًا مَا خَجِلْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَقَعْتُ وَأَنْصَرَفْتُ .

عادها أخوها
إبراهيم ركرر
السؤال عنها فحجل
من جوابها

أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ الرَّبِيعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ قَالَ :

أمرها الرشيد
بالغناء فغتنه من
وراء ستار وكان
معه جعفر فرفقه بها

- شَهِدْتُ أَبِي جَعْفَرَ وَأَنَا صَغِيرٌ وَهُوَ يَحْكُمُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ جَدِّي فِي بَعْضِ مَا كَانَ
يُخْبِرُهُ بِهِ مِنْ خَلَوَاتِهِ مَعَ الرَّشِيدِ ، قَالَ : يَا أَبَتِ ، أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى شُجْرَةٍ
يَخْتَرِقُهَا حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى شُجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ فَفَتَحَتْ لَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ مِنْ كَانَ مَعَنَا مِنَ الْخَدَمِ ،
ثُمَّ صَرْنَا إِلَى شُجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ فَفَتَحَهَا بِيَدِهِ وَدَخَلْنَا جَمِيعًا وَأَغْلَقَهَا مِنْ دَاخِلِ بَيْدِهِ ،
ثُمَّ صَرْنَا إِلَى رِوَاقٍ فَفَتَحَهُ فِي صَدْرِهِ مَجْلِسَ مَغْلَقٍ فَقَعَدَ عَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ ، فَتَقَرَّ هَارُونَ
الْبَابَ بِيَدِهِ فَتَقَرَّاتِ فَسَمِعْنَا حَسًّا ، ثُمَّ أَعَادَ النِّقْرَ فَسَمِعْنَا صَوْتَ عَوْدٍ ، ثُمَّ أَعَادَ النِّقْرَ ثَلَاثَةً
فَنَغَّيْتُ جَارِيَةً مَا ظَنَنْتُ وَاللَّهِ أَتَى اللَّهُ خَلْقَ مِثْلِهَا فِي حُسْنِ الْغِنَاءِ وَجُودَةِ الصَّرَبِ .
٢٠ . فَقَالَ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ أَنْ غَنَّتْ أَصْوَاتًا : غَيٌّ صَوْتِي ، فَنَغَّيْتُ صَوْتَهُ ، وَهُوَ :

صنوت

وَمُحَمَّدٌ شَهِيدُ الرَّفَافِ وَقَبْلَهُ * غَنَى الْجَوَارَى حَامِراً وَمُنْقَباً
لَيْسَ الدَّلَالُ وَقَامَ يَنْقَرُ دَهْهُ * قَرَأَ أَقْرَبَهُ الْعِيُونَ وَأَطْرَباً
إِنَّ النِّسَاءَ رَأَيْنَهُ فَعَشِقْتَهُ * فَشَكُونُ شِدَّةَ مَا بَيْنَهُمَا فَكَذَبَا

— في هذا اللحن خفيف رمل نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج ولم يصح له ، وفيه خفيف ثقيل في كتاب عليّة أنه لها ، وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات أنه لريق . واللحن مأخوذ من :

* إِنَّ الرِّجَالَ لَمْ يَلِكْ وَسِيلَةٌ *

وهو خفيف ثقيل للهذلي ، ويقال إنه لابن سريج ، وهو يأتي في موضع آخر — قال : فطربت والله طرباً هممت معه أن أطلع برأسي الحائط . ثم قال غني :

* طال تكذيبي وتصديقي *

فغننت :

صنوت

طال تكذيبي وتصديقي * لم أجِدْ عهداً مخلوق
إِنَّ نَاساً فِي الْمَوْتِ غَدَرُوا * أَحَدُنَا قَضَ الْمَوَاتِيْقُ^(١)
لَا تَرَانِي بَعْدَهُمْ أَبَدًا * أَشْتَكِي عِشْقاً لِمَعشُوق

— لحن عليّة في هذا الصوت هزج . والشعر لأبي جعفر محمد بن حميد الطوسي وله فيه لحن خفيف ثقيل ، ولعريب فيه ثقيل أول وخفيف ثقيل آخر — قال : فرقص الرشيد ورقصت معه ، ثم قال : أمض بنا فإني أخاف أن يبدو منا ما هو أكثر من هذا ، فضئنا . فلما صرنا إلى الدهليز قال وهو قابض على يدي : أعرفت هذه المرأة ؟ قال قلت : لا يا أمير المؤمنين . قال : إني أعلم أنك تسأل عنها ولا تكتم ذلك ، وأنا أخبرك

(١) في ب ، س : « حنوا » .

أُنها عَلِيَّةٌ بِنْتُ المهديّ، ووالله لئن لَفَظْتَ به بين يَدَيَّ أَحَدٍ وبلغني لأَقْتُلَنَّكَ، قال :
فسمِعْتُ جَدِّي يقول له : فقد والله لَفَظْتَ به ، ووالله ليقتلَنَّكَ ! فأصنع ما أنت صانع .

نسبة الصوت الذي أخذ منه :

* وَخَنَنْتُ شَهِدَ الزَّفَافَ وَقَبْلَهُ *

صوت

إِنَّ الرِّجَالَ لَمْ يَلِكْ وَسِيلَةٌ * إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْجَلِي وَتَحْضِي
وَأَنَا أَمْرُؤٌ إِنْ يَأْخُذُونِي عَنَوَةً * أَقْرَنُ إِلَى سَيْرِ الرِّكَّابِ وَأُجَنِّبُ
وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودُ وَحِدَجُهُ ^(١) * وَأَبْنُ النِّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي

٩٣
٩

الناس يَرَوْنُ هذه الأبيات لعنترة بن شدّاد العبّسيّ، وذكر الجاحظ أنها لخزّ بن
لؤدّان، وهو الصحيح، وخزّز شاعرٌ قديمٌ يقال إنه قبل أمرئ القيس . وقد اختلف
في معنى قوله «أَبْنُ النِّعَامَةِ» فقال أبو عبيدة والأصمعيّ : النعامَةُ فرسه وأَبْنُهَا ظِلُّهَا .
يقول : أقاد في المَلاحة إلى جَنِبِهَا فيكون ظِلِّي كالراكب لظِلِّهَا . وقال أبو عمرو
الشَّيبانيّ : ابنُ النِّعَامَةِ مُقَدِّمُ رِجْلِهِ مِمَّا يَلِي الْأَصَابِعَ . يقول : فلا يكون لي مَرْكَبٌ
إِلَّا رِجْلِي . وقال خالد بن كلثوم : ابنُ النِّعَامَةِ الخشبة التي يُصَلِّبُ عليها . يقول :
أَقْتُلُ وَأُصَلِّبُ فتكون الخشبة مَرْكَبِي . واحتجَّ مَنْ ذَكَرَ أَنَّهُ يَعْنِي ظِلَّ فَرَسِهِ وَأَنَّهُ يَكُونُ
كالراكب له يقول الشاعر :

إِذْ ظَلُّ يَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ فَارَسًا * وَيَرَى نِعَامَةَ ظِلِّهِ فَيَحُولُ

قال : وَأَبْنُ النِّعَامَةِ : ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ . وقد مضى هذا الصوت مفردًا مع خبره
في موضع آخر .

٢٠ (١) القعود : من الإبل ما اتخذته الراعي الركوب وحمل الزاد والمتاع . والحدج : مركب من
مراكب النساء نحو المودج والمحفة . (٢) كذا في القاموس (في مادة «لوذ») . وفي الأصول :
«حزن» وهو تحريف .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن يزيد المَهَلِّيّ قال حدثنا حماد بن إسحاق قال :
زار الرّشيدُ عَلِيَّةَ فقال لها : بالله يا أُخْتِي غَنِيْنِي . فقالت : وحياتِكَ لأَعْمَلَنَّ
فيكَ شعراً ولأَعْمَلَنَّ فيه لحناً ، فقالت من وقتها :

صوت

تَفْدِيكَ أُخْتُكَ قَدْ حَبَوْتَ بِنِعْمَةٍ * لَسْنَا نَعُدُّ لَهَا الزَّمَانَ عَدِيلاً
إِلَّا الْخُلُودَ ، وَذَاكَ قَرْبُكَ سَيِّدِي * لَا زَالَ قَرْبُكَ وَالْبَقَاءُ طَوِيلاً
وَحَدَّثْتُ رَبِّي فِي إِجَابَةِ دَعْوَتِي * فَرَأَيْتُ حُبِّي عِنْدَ ذَاكَ قَلِيلاً
وَعَمِلْتُ فِيهِ لِحْنًا مِنْ وَقْتِهَا فِي طَرِيقَةِ خَفِّ الرِّمْلِ ، فَاطْرَبَ الرَّشِيدُ وَشَرِبَ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ .
قال : وقالت للرّشيد أيضاً وقد طلب أختها ولم يطلها .

طلب الرّشيد أختها
ولم يطلها فقالت
شعراً وبعثت من
غناه له فأحضرها

صوت

مَالِي نَسِيتُ وَقَدْ نُوْدِي بِأَصْحَابِي * وَكُنْتُ وَالِدُكُ عِنْدِي رَائِحٌ غَادِي
أَنَا الَّتِي لَا أَطِيقُ الدَّهْرَ فُرْقَتَكُمْ * فَفَرَّقَ لِي يَا أَخِي مِنْ طَوْلِ إِبَاعِدِ
قال : وَغَنَّتْ فِيهِ لِحْنًا مِنَ التَّقِيلِ الثَّانِي ، وَبَعَثَتْ مِنْ غَنَائِهِ لِلرّشِيدِ ، فَبَعَثَ فَأَحْضَرَهَا .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عَوْنُ بن محمد قال حدثني زُرْزُورُ الكبير غلام جعفر بن موسى الهادي :
أَنَّ عَلِيَّةَ حَجَّتْ فِي أَيَّامِ الرّشِيدِ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَتْ أَقَامَتْ بِطَيْرِ تَابَازَ (٢) ، فَأَتَتْهُ
ذَلِكَ إِلَى الرّشِيدِ فَنُغِضَ . فقالت عَلِيَّةُ :

حجت وتأخرت
فصكر الرّشيد
فظلمت شعراً
وغته فرضى عنها

(١) في ١ ، ٢ : « في البقاء » . (٢) كذا في معجم البلدان لياقوت . وطير تَابَازَ :

موضع بين الكوفة والقادسية ، كان من أئمة المواضع محفواً بالكرم والشجر والحانات والمعاصر ، وكان من المواضع المقصودة للهو والبطالة . وفي الأصول : « طير تَابَازَ » وهو تحريف .

صوت

- أَيُّ ذَنْبٍ أَذْنِبْتُ أَيُّ ذَنْبٍ * أَيُّ ذَنْبٍ لَوْلَا رَجَائِي لِرَبِّي
بِمُقَامِي بِطَيْرِنَا بَادٍ يَوْمًا * بَعْدَهُ لَيْلَةٌ عَلَى غَيْرِ شُرْبٍ
ثُمَّ بَاكَرْتُهَا عَقَارًا شُمُولًا * تَفَقُّنُ النَّاسِكَ الْحَلِيمَ وَتُصْبِي
قَرَقَقًا قَهْوَةً تَرَاهَا جَهُولًا * ذَاتَ حِلْمٍ فَرَّاجَةً كُلَّ كَرْبٍ
- قال: وصنعت في البيتين الأولين لحناً من خفيف الثقيل، وفي البيتين الأخيرين لحناً من الرمل. فلما جاءت وسميع الشعر والخمسين رضى عنها.

٩٤

٩

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله بن إبراهيم بن المهدي قال : اشتاق التزويد إلى عمتي عليّة بالزفة، فكتب إلى خالها يزيد بن منصور
- اشتاقتها الرشيد وهو بالزفة فطلبها بغائه وقالت شعرا وعملت فيه لحنا
- في إخراجها إليه فأخرجها . فقالت في طريقها :

صوت

- اشْرَبْ وَغَنِّ عَلَى صَوْتِ النَّوَاعِيرِ * مَا كُنْتُ أَعْرِفُهَا لَوْلَا ابْنُ مَنْصُورٍ
لَوْلَا الرَّجَاءُ لَمْ أُمَلِّتْ رُؤْيَتَهُ * مَا جُرْتُ بِسَدَادٍ فِي خَوْفٍ وَتَغْرِيرٍ
وَعَمِلْتُ فِيهِ لِحْنًا فِي طَرِيقَةِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ .

١٥

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا الهشام بن أبو عبد الله قال :
- كانت مع الرشيد في الرى لحنت إلى العراق بشرفردها

لما خرج التزويد إلى الرى أخذ أخته عليّة معه . فلما صار بالمرج عملت شعراً وصاغت فيه لحناً في طريقة الرمل وغنت به ، وهو :

- (١) المرج : يريد به مرج القلعة ، بينه وبين حلوان منزل إلى جهة همدان . كذا ذكر باقوت .
- في معجمه وذكر البيتين الواردين في هذه القصة .

٢٠

صوت

وَمُعْتَرِبٍ بِالْمَرْجِ يَبْكِي لِشَجْوِهِ * وَقَدْ غَابَ عَنْهُ الْمُسْعِدُونَ عَلَى الْحَبِّ
إِذَا مَا أَتَاهُ الرَّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ * تَلْشَقُ يَسْتَشْفِي بِرَائِحَةِ الرَّكْبِ
فَلَمَّا سَمِعَ الصَّوْتَ عَلِمَ أَنَّهَا قَدْ أَشْتَاقَتْ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَهْلِيهَا بِهِ فَرَدَّهَا .

ونسخت من كتاب هارون بن محمد الزيات حدثني بعض موالى أبي عيسى بن
الرشيد عن أبي عيسى: أن عليّة غنّت الرشيد في يوم فطر:

صوت

طالَتْ عَلَى لَيَالِي الصَّوْمِ وَأَتَّصَلْتُ * حَتَّى لَقَدْ خِئْتُهَا زَادَتْ عَلَى الْإَيْدِ
شَوْقًا إِلَى مَجْلِسِ يُهَيَّ بِصَاحِبِ * أُعِيدُهُ بِجَلَالِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ

١٠ الغناء لعلية ثانی ثقیل لا یُسَلِّتَ فیه، وذكر بعض الناس أنه للوائق، وذكر آخرون
أنه لعبد الله بن العباس الریعی . والصحيح أنه لعلية . وفيه لعريب ثقیل أول غنّته
المُعْتَمِدَ يَوْمَ فِطْرٍ فَأَمَرَ لَهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

وقال ميمون بن هارون حدثني أحمد بن يوسف أبو الجهم قال :
كان لعلية وكل يقال له سباعٌ، فوقفت على خيانتة فضربتة وحبسته، فأجتمع
جيرانه إليها فعزفوها جميل مذهبه وكثرة صدقه، وكتبوا بذلك رقعة، فوقعت فيها:

أَلَا أَيُّهَاذَا الزَّاكِبُ الْعَيْسَ بَلَّغَنَ * سِبَاعًا وَقُلْ إِنْ ضَمَّ دَارَكُمْ السَّفَرُ^(١)
أَسْأَلُنِي مَالِي وَإِنْ جَاءَ سَائِلٌ * رَقَقْتُ لَهُ إِنْ حَطَّه نَحْوُكَ الْفَقْرُ^(٢)
كُشَاةِ الْمَرْضَى بِعَائِدَةِ الزَّوْنَا * تَوَمَّلْ أَجْرًا حَيْثُ لَيْسَ لَهَا أَجْرُ

(١) كذا في الأصول . والأظهر أن تكون «ضم ركبك» أو «حل — أوجاز — داركم السفر»

٢٠ أو نحو ذلك . (٢) السفر: القوم المسافرون .

ضربت وإليها
سباعا وحبسته
نجيانه فتشفع فيه
جيرانه فقالت شعرا

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني عَمُّ السَّمَاءِ
 جارية عبد الله بن موسى الهادي أنها شهدت عُلَيَّةَ غَنَّتْ الأَمِينَ في شعرها ، وهو
 آخر شعر قالته فيه ، وطريقته من الثقيل الثاني . وكانت لما مات الرشيد جَزَعَتْ
 جَزَعًا شديدًا وتركَت النَّبِيذَ والغِنَاءَ . فلم يزل بها الأَمِينُ حتى عادت فيها
 على كَرِهٍ . والشعر :

تركت الغناء لموت
 الرشيد فآلح عليها
 الأمين فغنته

صوت

أَطْلَيْتِ عَادِلَتِي لَوَيْحِي وَتَفْنِيدِي * وَأَنْتِ جَاهِلَةٌ شَوْقِي وَتَسْهِيدِي
 لَا تَشْرِبِ الرَّاحِ بِبَيْنِ الْمُسْمِعَاتِ وَزُرْ * طَبِيبًا غَيْرِيًّا نَفِيَّ الْخَدِّ وَالْحِيدِ
 قَدْ رُنَحْتَهُ شَمُولٌ فَهُوَ مُنْجَدِلٌ * يَخْصِي بِوَجْهِهِ مَاءَ الْعَنَاقِيدِ
 قَامَ الْأَمِينُ فَأَغْنَى النَّاسَ كُلَّهُمْ * فَمَا فَقِيرٌ عَلَى حَالٍ بِمَوْجُودِ
 لَحْنُ عُلَيَّةَ فِي هَذَا الشَّعْرَانِي ثَقِيلٌ . وَلَعَرِيبَ فِيهِ هَزَجٌ ، وَقِيلَ إِنَّ الْهَزَجَ لِإِبْرَاهِيمَ
 ابْنِ الْمَهْدِيِّ .

٩٥
 ٩

وقال ميمون بن هارون حدثني محمد بن أبي عون قال حدثني عَرِيبُ أَنَّ عُلَيَّةَ
 قَالَتْ فِي لُبَانَةٍ بَنَتْ أَخِيهَا عَلَى بَنِ الْمَهْدِيِّ شَعْرًا وَغَنَّتْ فِيهِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ :

قالت شعرا في لبانة
 بنت أخيها على بن
 المهدي وغنت فيه

صوت

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَجْلِسِ كُنَيْتِ زَيْنَةَ * رَسُولُ أَمِينٍ وَالنِّسَاءُ شُهُودُ
 فَقُلْتُ لَهُ كَرَّ الْحَدِيثَ الَّذِي مَضَى * وَذِكْرُكَ مِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
 وَقَدْ ذَكَرَ الْهَيْشَامِيُّ أَنَّ هَذَا اللَّحْنَ لِإِسْحَاقَ غَنَّاهُ بِالرَّقَّةِ . وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ .

(١) في هـ : « فقلت لما كرى » . (٢) في ب ، س : « من بين الحديث » .

أخبرني محمد بن يحيى عن عَوْن بن محمد عن أبي أحمد بن الزّشيد، ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عَوْن بن محمد عن أبي أحمد بن الزّشيد واللفظ له قال : دخل يوماً إسماعيل بن الهادي إلى المأمون ، فسمع غناءً أذهله . فقال له المأمون : مالك ؟ قال : قد سمعتُ ما أذهلني ، وكنتُ أكذب بأن الأرض الرّويّة يقتل طرباً ، وقد صدقتُ الآن بذلك . قال : أو لا تدري ما هذا ؟ قال : لا والله ! قال : هذه عمّتك عليّة تُلقِي على عمّك إبراهيم صوتاً من غنائها . إلى هاجنا رواية محمد ابن يحيى . وفي رواية محمد بن الحسن قال : هذه عمّتك تُلقِي على عمّك إبراهيم صوتاً استحسنه من غنائها . فاصغيتُ إليه فإذا هي تُلقِي عليه :

صوت

ليس خطبُ الهوى بخطبِ يسير * ليس يُنبيك عنه مثلُ حير
ليس أمرُ الهوى يدبُّ بالراً * ي ولا بالقياس والنفكير
الحنّ في هذا لعليّة ثقيلٌ أوّل . وفيه لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثقيل عن الهشام .

أخبرني بَحْظَةُ قال حدّثني هبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه :
أَنَّ عَلِيَّةَ بِنْتَ الْمَهْدِيِّ وُلِدَتْ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَةَ ، وَتُوفِّيَتْ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَتَيْنِ (١)
ولها خمسون سنة . وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن عباس . وأخبرني محمد بن يحيى عن عَوْن بن محمد قال حدّثني محمد بن عليّ بن عثمان قال : ماتت عليّة سنة تسع ومائتين ، وصَلَّى عليها المأمون . وكان سبب وفاتها أَنَّ المأمون ضَمَّها إِلَيْهِ وجعل يقبل رأسها ، وكان وجهها مُغَطًى ، فشرقت من ذلك وسعلت ثم مُحِتَتْ بِعَقِبِ هَذَا أَيَّاماً يسيرةً وماتت .

توفيت ولها
خمسون سنة ،
وسبب وفاتها

(١) في الأصول : « ست عشرة مائتين » والتصويب عن نهاية الارب والنجوم الزاهرة .

وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن الرشيد

فرنـ صنعته :

صوت

قام بقلبي وقعد * ظي نقي عني الجلد
خلفني مدفا * أهي في كل بلد
أسهرني ثم رقد * وما رثي لي من كد
ظي إذا أزددت له * تذللأ تاه وصد
واعطشا إلى فسيم * يمج نحرأ من برد

٩٦
٩

- عروضه من مجزوء الرجز. وأنشعر والغناء لأبي عيسى بن الرشيد، ولحنه فيه ثقل أول
مطلق في مجرى الوسطى من روايتي عبد الله بن المعتز والهشامى. وذكر الهشامى أن
له أيضا فيه لحنأ من ثقل الرمل، وذكر حبش أن الرمل لحسين بن محرز. وفيه
لأبي العيس بن حمدون خفيف ثقل.

أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه

إسمه أحمد، وقيل بل اسمه صالح بن الرشيد. وهذا النسب أشهر من أن يُشرح. شيء من أوصافه وأمه أم ولد بربرية. وكان من أحسن الناس وجهاً ومجالسة وعشرة، وأجبنهم وأحدهم نادرة وأشدّهم عبثاً. وكان يقول شعراً ليّناً طيباً من مثله.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال كان جميل الوجه حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر أنه سمع أباة يقول : سمعتُ أبي (يعني طاهر ابن الحسين) يحدث أنه سمع الرشيد يقول للأُمون: أنت تعلم أنك أحب الناس إلى، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني مسيح بن حاتم الكلبي قال حدثنا ١٠ إبراهيم بن محمد قال :

كان يقال : انتهى بحال ولد الخلافة إلى أولاد الرشيد، ومن أولاد الرشيد إلى محمد وأبي عيسى . وكان أبو عيسى إذا عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثرهما يجلسون للخلفاء .

حدثني محمد قال حدثني يعقوب بن بيان قال حدثني علي بن الحسين الإسكافي قال : ١٥ كنتُ عند أبي الصقر إسماعيل بن بلبل وعنده عريب، فسمعتها تقول : انتهى بحال الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى ، ما رأى الناس مثلهما ، وكان المعتز في طرازهما . قال : وسمعتها تقول لأبي العباس بن حمدون : ما غناؤك من غناء أبي عيسى ابن الرشيد ! وما سمعتُ قط غناء أحسن من غنائه، ولا رأيت وجهاً أحسن من وجهه .

(١) كذا في ١ ، ٢ ، ٣ . وفي ح : « في غناؤك من غناء أبي عيسى الخ » . وفي ب ، س : « في غناؤك مشابهة من غناء أبي عيسى الخ » . ٢٠

مدحت عريب
حسه وغناه

- أخبرني محمد قال حدثني الغلابي قال حدثنا يعقوب بن جعفر قال .
 قال الرشيد من
 جواب له في صباه
 وقبله
 قال الرشيد لأبي عيسى ابنه وهو صبي : ليت جالك لعبد الله (يعني المأمون) .
 فقال له : على أت حفظه منك لي . فعجب من جوابه على صباه وضمه إليه وقبله .
 وأخبرني الحسن بن علي وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالوا حدثنا عبد الله بن
 أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال :
 ٥
 حدثني من شهد المأمون ليلة وهم يترأئون هلال شهر رمضان وأبو عيسى
 أخوه معه وهو مستلق على قفاه ، فأرأوه وجعلوا يدعون . فقال أبو عيسى قولاً أنكر
 عليه في ذلك المعنى . كأنه كان متسخطاً لورود الشهر ، فما صام بعده .
 أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحسين بن فهم قال : قال أبو عيسى بن الرشيد :
 ١٠
 دهاني شهر نصوم لا كان من شهر * وما ضمت شهراً بعده آخر الدهر
 فلو كان يُعديني الإمام بقدرة * على الشهر لاستعدت جهدي على الشهر
 فناله بعقب قوله هذا الشعر صرع ، فكان يُصرع في اليوم مرات إلى أن مات ، ولم
 يبلغ شهراً آخر .
 وذكر علي بن الهشام عن جده ابن حمدون قال : قلت لإبراهيم بن المهدي :
 ١٥
 من أحسن الناس غناء ؟ قال : أنا . قلت : ثم من ؟ قال : أبو عيسى بن الرشيد .
 قلت : ثم من ؟ قال : مخارق .
 أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله
 ابن طاهر قال حدثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصمدي^(١) قال :
 ٢٠
 كان أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين يتغديان مع المأمون ، فأخذ
 أبو عيسى هندباء فغمسها في الخل وضرب بها عين طاهر الصبيحة . فغضب طاهر^(٢)
 (١) هذه النسبة إلى صعدة ، وهي من بلاد اليمن . (٢) الهندباء : صنفان من النبات : أحدهما
 قريب الشبه من الخس عريض الورق ، والآخر أدق وأرق منه وفي طعمه سراقة . (انظر مفردات
 ابن اليطار طبعة بلاق ج ٢ ص ١١٨) .

مدح إبراهيم بن
 المهدي غناه
 ٩٧
 ٩

عاب طاهر بن
 الحسين أمام
 المأمون فغضب
 فترشاه

وَسَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِحْدَى عَيْنَيَّ ذَاهِبَةً ، وَالْأُخْرَى عَلَى يَدَيَّ عَدْلٌ ، يُفْعَلُ هَذَا بِي بَيْنَ يَدَيْكَ ! ! فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : يَا أَبَا الطَّيِّبِ إِنَّهُ وَاللَّهِ لَيَعْبَثُ ^(١) بِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الْعَبَثِ .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ طَاهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عِيْسَى بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عِيْسَى بْنُ مَاهَانَ قَالَ :

عزس يعقوب بن
المهدي فضحك
المأمون ونهاه

بَيْنَا الْمَأْمُونُ يُخْطَبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمَنْبَرِ بِالرَّصَافَةِ وَأَخُوهُ أَبُو عِيْسَى بَقَاءَ وَجْهِهِ فِي الْمَقْصُورَةِ ، إِذْ أَقْبَلَ يَعْقُوبُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَكَانَ أَفْسَى النَّاسِ ، مَعْرُوفًا بِذَلِكَ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ وَضَعَ أَبُو عِيْسَى كَفَّهُ عَلَى أَنْفِهِ ، وَفَهِمَ الْمَأْمُونُ مَا أَرَادَ فَكَادَ أَنْ يَضْحَكَ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ بَعَثَ إِلَى أَبِي عِيْسَى فَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ لَمَمَّمْتُ أَنْ أَبْطَحَكَ فَأَضْرِبَكَ مِائَةَ دِرَّةٍ ! وَلَيْكَ ! أَرَدْتُ أَنْ تَفْضَحَنِي بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ يَوْمَ جُمُعَةٍ وَأَنَا عَلَى الْمَنْبَرِ ! يَاكَ أَنْ تَعُودَ لِمِثْلِ هَذِهِ ! . قَالَ : وَكَانَ يَعْقُوبُ بْنُ الْمَهْدِيِّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُمْسِكَ الْفُسَاءُ إِذَا جَاءَهُ ، فَأَتَّخَذَتْ لَهُ دَايَةً مُثْلَةً وَطَئِيئَةً وَتَنَوَّقَتْ فِيهَا . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا تَحْتَهُ فَمَا ، فَقَالَ : هَذِهِ لَيْسَتْ بِطَئِيَّةٍ . فَقَالَتْ لَهُ الدَّايَةُ : فَدَيْتُكَ ! هَذِهِ قَدْ كَانَتْ طَئِيَّةً وَهِيَ مُثْلَةٌ ، فَلَمَّا رُبِعَتْهَا فَسَدَتْ . قَالَ : وَكَانَ يَعْقُوبُ هَذَا مُحَقَّقًا ، كَانَ يَخْطُرُ بِبَالِهِ الشَّيْءُ فَيَسْتَهِيهِ فَيُنْبِتُهُ فِي إِحْصَاءِ خَزَائِنِهِ . فَضَجَّ خَازِنُهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَانَ يُنْبِتُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُنْبِتُ تَحْتَهُ أَنَّهُ لَيْسَ عَنْده ، وَإِنَّمَا أَثْبَتَهُ لِيَكُونَ ذِكْرُهُ عَنْده إِلَى أَنْ يَمْلِكَهُ . فَوُجِدَ فِي دَفْتَرِهِ فِيهِ ثَبْتُ ثِيَابٍ : « ثَبْتُ مَا فِي الْخِزَانَةِ مِنَ الثِّيَابِ الْمُثْقَلَةِ الْإِسْكَدَرَانِيَّةِ وَالْهَشَامِيَّةِ ، لِأَشْيَاءٍ — أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ — بَلْ عِنْدَنَا مِنْهَا زُرْحِيَّةٌ كَانَتْ لِلْمَهْدِيِّ . الْفُصُوصُ الْيَاقُوتُ الْأَحْمَرُ الَّتِي مِنْ حَالِهَا كَذَا وَكَذَا لَا شَيْءَ — أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ — بَلْ عِنْدَنَا مِنْهَا دُرَجٌ كَانَ فِيهِ

٢٠ (١) في ح ، ب ، س : « معي » . (٢) كذا في ح . وفي مازر الأصول : « ... دقتر عنه

له فيه » . (٣) ظاهر من السياق أنها ضرب من الثياب ، ولم نعرطها فيما عرفناه من مظان :

للهدى خاتم هذه صفته . فحُفِلَ ذلك الدفر إلى المأمون ، فضحك لما قرأه حتى فُصِّصَ برجله وقال : ما سمعتُ بمثل هذا قط . .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا سليمان بن داود المهلب قال حدثني الهيثم بن محمد بن عباد عن أبيه قال :

كان المأمون يحبه ويتقرب إلى الأمر بعده

كان المأمون أشد الناس حباً لأبي عيسى أخيه ، كان يُعِدُّه للأمر بعده ، وتذاكرنا ذلك كثيراً . وسمِعته يقول يوماً : إنه ليسهل على أمر الموت وفقد الملك ، وما يسهل شيء منهما على أحد ، وذلك لحبتي أن يلي أبو عيسى الأمر من بعدى لشدة حُبِّي لِيَأْه .

أخبرني محمد بن علي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال :

كان يحب صيد الخنازير فوقع عن دابته ، وكان ذلك سبب موته

كان سبب موت أبي عيسى بن الرشيد أنه كان يحب صيد الخنازير ، فوقع عن دابته فلم يسلم دماغه ، فكان يتخبط في اليوم مرات إلى أن مات .

١٠

حدثني محمد قال حدثنا أبو العيَّان قال حدثنا محمد بن عباد المهلب قال :

عزاه محمد بن عباد المأمون فيه

لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلت إلى المأمون وعِمامتي على ، فخلعت عِمامتي ونبتتها وراء ظهري — والخلفاء لا تُعزى في العمام — ودنوت . فقال لي : يا محمد ، حال القدر دون الوطر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كل مصيبة أخطأتك تهن ، فجعل الله الحزن لك لا عليك .

٩٨
٩

١٥

أخبرنا محمد قال حدثنا جَعُون بن محمد قال سمعت هبة الله بن إبراهيم يقول : مات أبو عيسى بن الرشيد سنة تسع ومائتين ، وصلى عليه المأمون ونزل في قبره ، وامتنع من الطعام أياماً حتى حاف أن يضر ذلك به .

مات سنة تسع ومائتين

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو العيَّان قال سمعت محمد بن عباد يقول :

وجد عليه المأمون وجداً شديداً

٢٠

لَمَّا تَوَفَّى أَبُو عَيْسَى بْنُ الرَّشِيدِ وَجَدَ الْمَامُونُ عَلَيْهِ وَجَدًا شَدِيدًا، وَكَانَ لَهُ مُجِبًا
وإليه مائلاً . فَرَكِبَ إِلَى دَارِهِ حَتَّى حَضَرَ أَمْرَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَحَضَرَهُ النَّاسُ ، وَكَثُرَتْ
فِيهِمْ حَضَرٌ ، فَمَا رَأَيْتُ مُصَابًا حَزِينًا قَطُّ أَجْمَلَ أَمْرًا فِي مُصِيبَةٍ وَلَا أَأَحْرَقَ وَجَدًا
مِنْهُ مِنْ رَجُلٍ صَامَتِ تَجْرِي دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ مِنْ غَيْرِ كَلْعٍ وَلَا اسْتِنْتَارٍ ^(١) .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ سَعْدٍ الْوَرَّاقُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ :
دَخَلْتُ عَلَى الْمَامُونِ فِي أَوَّلِ صَبْحَتِي إِيَّاهُ وَقَدْ تَوَفَّى أَخُوهُ أَبُو عَيْسَى وَكَانَ لَهُ مُجِبًا
وَهُوَ يَبْكِي وَيَمَسِّحُ عَيْنَيْهِ بِمَسْدِلٍ ، فَقَعَدْتُ إِلَى جَنْبِ عَمْرِو بْنِ مَسْعُودَةَ وَتَمَثَّلْتُ
قَوْلَ الشَّاعِرِ :

نَقَصُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَسْبَابُهَا * نَقَصُ الْمَنَايَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ سَاعَةً يَبْكِي ، ثُمَّ مَسَحَ عَيْنَيْهِ وَتَمَثَّلَ :

سَابِكُكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ نَقَصُ * فَحَسْبُكَ مَنَى مَا تُبْجِنُ الْجَوَانِحُ
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سَوَاكَ وَلَمْ تَنْعُ * عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَانِحُ

ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : هَيْه يَا أَحْمَدُ ! تَمَثَّلْتُ قَوْلَ عَبْدِ بْنِ الطَّيِّبِ :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ * وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَرْحَمَا

تَحِيَّةَ مَنْ أَوْلَيْتَهُ مِنْكَ نِعْمَةً * إِذَا زَارَ عَنْ تَخْطِئِ بِلَادِكَ سَلَمًا

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلَكًا هَلَكًا وَاحِدٍ * وَلَكِنَّهُ بَنِيَانُ قَوْمٍ تَهْدِمَا

فَبَكَى سَاعَةً ثُمَّ التَفَتَ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَسْعُودَةَ فَقَالَ : هَيْه يَا عَمْرُو ! قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

بَكُوا حَذِيقَةً لَمْ تَبْكُوا مِثْلَهُ * حَتَّى تَعُودَ قِبَائِلُ لَمْ تُخْلَقِ

(١) كَذَا فِي الْأُمُودِ . وَالَّذِي فِي كِتَابِ الْفَسَاةِ : كَلَعَ وَجْهَ الرَّجُلِ كُلُّوْجًا وَكَلَاخًا (كَفَرَاب) :

تَكَثَّرَ فِي عَمْرٍو أَوْ عَيْسَى فَأَنْرَطُ فِي تَعْبِهِ . وَالْإِسْتِنَارُ : إِتْرَاجُ مَا فِي الْأَنْفِ مِنْ أَدَى .

بكاء المامون وتمثل
شعرا وعزاء فيه
ابن أبي دواد
وعمر بن مسعود
وناخت عليه عريب

فإذا عَرِيبٌ وَجَوَارٍ مَعَهَا يَسْمَعَنَّ مَا يَدُورُ بَيْنَنَا، فَقُلْنِ : اجْعَلُوا لَنَا مَعَكُمْ فِي الْقَوْلِ نَصِيرًا . فقال لها المأمون : قُؤُولِي ، قُرْبُ صَوَابٍ مِنْكَ كَثِيرٌ . فقالت :

كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَقْدَحِ الْأَمْرُ * وليس لعينٍ لم يَقْضِ مَأْوَها عُذْرُ^(١)

كَأَنَّ بَنِي الْعَبَّاسِ بِسُومِ وَفَاتِهِ * نَجُومُ سَمَاءٍ نَحَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدَرُ

فبَكَى وَبَكَيْنَا . ثم قال لها المأمون : نُوحِي ، فَنَاحَتْ وَرَدَّ عَلَيْهَا الْجَوَارِي . فبَكَى الْمَأْمُونُ .

حتى قُلْتُ : قد خَرَجْتُ نَفْسُهُ ، وَبَكَيْنَا مَعَهُ أَحْرَبَ بَكَاءٍ ، ثُمَّ أَمْسَكْتُ . فقال لها المأمون :

أَصْنَعِي فِيهِ لَحْنًا وَغَنًى بِهِ . فَصَنَعْتُ فِيهِ لَحْنًا عَلَى مَذْهَبِ النَّوْحِ وَغَنَّتْهُ لِمَيَّاهِ عَلَى

الْعُودِ ، فَوَالَّذِي لَا يُحْلَفُ بِأَجَلٍ مِنْهُ لَقَدْ بَكَيْنَا عَلَيْهِ غَنَاءً أَكْثَرَ مِمَّا بَكَيْنَا عَلَيْهِ نَوْحًا .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا الطَّبِيبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَاهِلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُوسَى

ابن سعيد عن أخيه عمرو قال :

طلب المأمون من
أبي العتاهية أن
يسليه عنه

٩٩
٩

لَمَّا مَاتَ أَبُو عَيْسَى بْنُ الرَّشِيدِ وَجَدَ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ وَجْدًا شَدِيدًا حَتَّى آمْتَنَعَ مِنَ

النَّوْمِ وَلَمْ يَطْعَمْ شَيْئًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : حَدِّثْنِي بِبُحْبُوحِ إِسْحَاقَ

بِحَدِيثِ بَعْضِ الْمَمْلُوكِ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِنَا وَفَارَقَهَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ

سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخْفَرَ ثِيَابَهُ وَمَسَّ أَطْيَبَ طَابِ بِهِ وَرَكِبَ أَفْرَهُ خَيْلِهِ وَتَقَدَّمَ إِلَى جَمِيعِ

مَنْ مَعَهُ أَنْ يَرْكَبَ فِي مِثْلِ زِيَّتِهِ وَأَكَلَ سِلَاحَهُ ، وَنَظَرَ فِي مِرْآةِهِ فَأَعْجَبَتْهُ هَيْئَتُهُ وَحُسْنُهُ ،

فَقَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ ، ثُمَّ قَالَ لِلْجَارِيَةِ لَهُ : كَيْفَ تَرَيْنَ ؟ فَقَالَتْ :

أَنْتَ نَعِمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى * عَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ

أَنْتَ خَلَوْتَ مِنَ الْعُيُوبِ وَمِمَّا * يَكْرَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنْكَ فَاثِي

(١) يلحظ أن هذا الشعر لأبي تمام في رثاء محمد بن حديد الطوسي ، وقد قتل هذا الأمير في حرب كانت

بينه وبين أصحاب بابك الخرمي سنة ٢١٤ هجرية . والمراد هنا أن أبا عيسى بن الرشيد مات سنة ٢٠٩ هجرية ،

فأما هذا . وأصل الشعر « كان بنو نهان » فغير وجعل « كان بنو العبَّاس » .

(٢) في ب ، س : « الطيب »

فأعرض بوجهه ، فلم تدُر عليه الجمعة إلّا وهو في قبره . قال : فبكي المأمون والناس ،
فما رأيت باكيًا أكثر من ذلك اليوم . قال : وهذان البيتان لموسى شهورات .
ومن غناء أبي عيسى وجيد صنعته ، والشعر له ، وطريقته من الثقليل الثاني مطلق
في مجرى البصر . وذكر حبش أن فيه لحسين بن محرز أيضًا صنعة من خفيف الرمل :

صوت

رَقَدْتُ عَنْكَ سَلَوَى * وَالْهَوَى لَيْسَ يَرْقُدُ
وَأَطَارُ السَّهَادُ نَوَى * مَيَّ فَنَوِي مُشْرَدُ
أَنْتَ بِالْحُسْنِ مِنْكَ يَا * حَسَنَ الْوَجْهِ تَشْمَدُ
وَفُوَادَى بِحُسْنِ وَجْ * هَكَ يَسْقَى وَيَكْدُ

ومن غنائه أيضًا وهو من صدور صنعته في شعر الأخطل — ولحنه من الثقليل الأول — :

صوت

إِذَا مَا زِيَادٌ عَلَنِي ثُمَّ عَلَنِي * ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهْنٌ هَدِيدُ
نَحْرَجْتُ أَجْرَ الذَّبَلِ حَتَّى كَانَنِي * عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
وَلَا يَحِقُّ فِي هَذَا الشَّعْرِ رَمْلٌ بِالْبَصْرِ عَنْ عَمْرُو .

ومن عُرفَت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن موسى الهادي
فمن صنعته :

صوت

صوته في شعره

تَقَاضَاكَ دَهْرُكَ مَا أَسْلَفَا * وَكَدَّرَ عَيْشَكَ بَعْدَ الصَّفَا
فَلَا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ الزَّمَانَ * رَهِيْنٌ بِتَشْتِيتِ مَا أَلْفَا
وَمَا زَالَ قَلْبُكَ مَاوَى السَّرُورِ * كَثِيرَ الْهَوَى نَاعِمًا مَتَرَفَا
أَلَحَّ عَلَيْكَ بِرَوْعَاتِهِ * وَأَقْبَلَ يَرْمِيكَ مُسْتَهْدَفَا
الشعر والغناء لعبد الله بن موسى . ولحنه ماخوَرِي وهو خفيف الثقليل الثاني بالوسطى :

اختلف مع ثقيف
الخدام في صوت
فضرب ثقيف
رأسه بالعود فلم
عليه، وكان معربداً

١٠٠
٩

أخبرني أحمد بن جعفر بنحطة قال حدثني أبو حشيشة قال :

- ب كان عبد الله بن موسى الهادي أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناءً . وكان له غلام أسود يقال له قلم ، فعلمه الصوت وحذقه ، فأشترته منه أم جعفر بثلاثة ألف درهم . قال أبو حشيشة فحدثني دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال : كنت أنا وثقيف الخدام الأسود مولى الفضل بن الربيع نضارب مولاي عبد الله بن موسى . وقد أخذ النبيذ من الجماعة . فضرب عبد الله وثقيف صوتاً فاختلفا فيه وتشاجرا . فقال عبد الله : كذا أخذته من منصور زلزل . وقال ثقيف : كذا أخذته منه ، وطال تشاجرهما فيه . وكان ثقيف معربداً يذهب عقله من أدنى شيء يشربه ، وكان عبد الله أيضاً معربداً . فغضب ثقيف ورفع العود وهو لا يعقل ، فضرب به رأس عبد الله ابن موسى فطوقه إياه . وأبتدر خدم عبد الله ؛ فقال لهم عبد الله بن موسى : لا تمسوه وأخرجوا العود من عنقي فأخرجوه . وكان عبد الله بن موسى أشد خلق الله عريداً أيضاً ، فزق في ذلك اليوم حلهما لم ير مثله ، وقال لخدمه : إن قتلتني قتل كلباً وتحدث الناس بذلك ، ولكن آخلعوا عليه وهبوا له ولا يدخل منزلي أبداً .

قال بنحطة قال أبو حشيشة أخبرني الحفصي العزقي قال :

دعا الحفصي قاتر
عليه أخاه إسماعيل

- ١٥ دعاني عبد الله بن موسى يوما ودعاني أخوه إسماعيل ؛ فآثرت إسماعيل لما كان في عبد الله من العريضة . فلم نشعر إلا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على يذون أشهب متقلداً سيفاً وهو سكران . فلما رأيناه تطايرنا في الحجر ، فنزل عن دابته وجلس . وجنا إسماعيل بين يديه إجلالاً له ، وقال له : ياسيدي قد سررتني بتفضلك ومصيرك إلى . قال : دعني من هذا ، من عندك ؟ قال : فلان وفلان ، فعد جماعة من كان عنده . قال له : هاتهم . فدعا بنا فخرجنا وقد مثنا قزعا . فأقبل علي من بينهم فقال لي : يا حفصي ! أبعث إليك ثلاثة أيام تباعاً فتدعني وتجيء إلى إسماعيل ! وضرب بيده إلى سيفه ،

٢٠

فقام إسماعيل بنى وبينه وقال : نَعَمْ ! يَجِبُنِي وَيَدْعُكَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدَكَ إِلَّا بِسَجِيَّةٍ أَوْ عَرَبْدَةٍ مَعَ جِرْمَانٍ ، وَلَا يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِي إِلَّا بِرٍّ مَعَ خِلْعَةٍ وَوَعْدٍ مُحْصَلٍ ، أَقْلُوهُ عَلَى ذَلِكَ ! . فَكَفَّ عَبْدُ اللَّهِ وَكَانَ شَدِيدَ الْعَرَبْدَةِ وَقَامَ وَأَنْصَرَفَ .

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ شَعْرًا فِي خَادِمٍ لَصَالِحِ بْنِ الرَّشِيدِ عَنْ أَبِيهِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ — وَكَانَ يَكْتُبُ لِأَبْنِي جَعْفَرَ — قَالَ :

كَنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْهَادِي ، فَتَزَبَّاهُ خَادِمٌ لَصَالِحِ بْنِ الرَّشِيدِ . فَقَالَ لَهُ : مَا أَسْمُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : اِسْمِي «لَا تَسَلْ» . فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهُ وَحُسْنُ مَنْطِقِهِ فَقَالَ لِي : قُمْ بِنَا حَتَّى تُسَرَّ الْيَوْمَ بِذِكْرِ هَذَا الْبَدْرِ ، فَقُمْتُ مَعَهُ . فَأَنْشَدَنِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ :

وَشَادِنٍ مَرَّ بِنَا * يَجْرَحُ بِاللَّحْظِ الْمُقْبِلَ

مَظْلُومَ خَصْمٍ ظَالِمٍ * مِنْهُ إِذَا يَمْشِي الْكَفْلُ

اعْتَدَلْتُ قَامَتُهُ * وَاللَّحْظُ مِنْهُ مَا عَدَلُ

بَدْرٌ تَرَاهُ أَبَدًا * طَالِعَ سَعِيدٍ مَا أَقْبَلُ

سَأَلْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ ۖ فَقَالَ لِي اِسْمِي «لَا تَسَلْ» ،

وَأُطْلِعَتُ فِي وَجْنَتَيْهِ * بِهِ وَرْدَتَانِ مِنْ تَجَمُّلِ

فَقُلْتُ مَا أَخْطَأَ مَرْنُ * سَمَّاكَ بَلْ قَالَ الْمَثَلُ

لَا تَسْأَلُنْ عَنْ شَادِنٍ * فَاقْ جَمَالًا وَكَمَلُ

قَالَ : وَقَالَ فِيهِ — وَقَدْ قِيلَ لِمَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ — :

عَرَّ الَّذِي تَهَوَّى وَذَلَّ * صَبَّ الْفَوَادِ مُحْتَبَلُ

جَلَّ بِهِ الْهَجْرُ وَذَا الِ * هَجْرٌ إِذَا جَلَّ قَتْلُ

مَنْ شَادِنٍ مُتَطَيِّقٍ * فَاقْ جَمَالًا وَكَمَلُ

تَنَاصَفَ الْحُسْنُ بِهِ * فَلَا تَسَلْ عَنْ «لَا تَسَلْ»

وقال حدثني محمد بن أحمد المكي عن أبيه قال :

كان له ابن جيد
الضرب وطلب إلى
المكي أن يقوم
مهما أنه مملوك

دعاني عبد الله بن موسى يوما فقال لي : أتعوم غلاماً ضارباً مغنياً قيمةً عدلٍ
لا حيفَ فيه على البائع ولا على المشتري ؟ فقلت نعم . فأنخرج إلى ابنه القاسم
وكنت قد عرفته ، وهو أحسن من القمر ليلة البدر ، فأخذ عوداً فضرب ، فأكببتُ
على يديه أقبلهما . فقال لي عبد الله : أتقبل يدَ غلامٍ مملوك ! ! قلت : بأبي وأمي
هو من مملوك ! وقببتُ رجله أيضا . فقال : أما إذ عرفته فأحب أن تضاربه ، ففعلت ،
فلما رأى الغلامُ زيادتي عليه في الضرب أغمَّ وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر من
ذنبه : إنا متلذذٌ وهذا مُتكسبٌ . فضجحتُ وقلت : هو ذاك ياسيدي . وعجبت
من حدة جوابه معتذراً على صغريته .

أخبرني الصولي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال :

كان كريما ممدحا

كان عبد الله بن موسى جواداً كريماً ممدحاً ، وفيه يقول الشاعر — وفيه لعلويه
لحن من خفيف الثقليل الأول بالينصر — :

صوت

أعبد الله أنت لنا أمسيرُ * وأنت من الزمان لنا مجيرُ
حكيت أباك موسى في العطايا * إمامُ الناس والمملك الكبيرُ
قال محمد بن يحيى والعتابي : ولعبد الله بن موسى غناء في قول عمر بن أبي ربيعة -

غنى بشعر لعمر بن
أبي ربيعة

صوت

إن أسماء أرسلتُ * وأخوال الشوق مُرسِلُ
أرسلتُ تستريرني * وتُمَدِّدني وتَمِيلُ
ولحنه فيه رملٌ . قال : وفيه لأبن سرجي والغريض ومالك الحانٌ .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدثني أبو سعيد
السكري عن محمد بن حبيب قال :

كان عبد الله بن موسى الهادي معريدا ، وكان قد أحفظ المأمون ^(١) مما يعريده
عليه إذا شرب معه ، فأمر بأن يُحبس في منزله فلا يخرج منه ؛ وأُقعد على باب حرسا .
ثم تذا من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابيه ، ثم ناداه فعرّب عليه
أيضا وكلمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مغرما بالصيد ، فأمر المأمون خادما من
خواص خدمه يقال له "حسين" فسمه في درّاج وهو بمرسى أباد ، فدعا عبد الله
بالعشاء ، فاتاه حسين بذلك الدراج فأكله . فلما أحسّ بالسم ركب في الليعل
وقال لأصحابه : هو آخر ماتروني . قال : وأكل معه من الدراج خادمان ، فأتا أحدهما
فقات من وقته ، وأما الآخر فبقي مدة ثم مات ، ومات عبد الله بعد أيام .

١٠



١٠٢
٩

وممن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن محمد الأمين

فمن مشهور صنعته :

ألا يا ديرَ حنْظَلَةَ الْمُفْدى * لقد أوزمتني سَقَمًا وكَدًّا
أزف من العُقار إليك دَنًّا * وأجعل تحته الورق المُندى ^(٢)

١٥

الشعر والغناء لعبد الله بن محمد الأمين ، أخبرني بذلك محمد بن يحيى الصولي عن
عبد الله بن المعتز وله فيه لحنان خفيف رمل وخفيف ثقيل . وفيه لعبد الله بن
موسى الهادي رمل . وفيه ثاني ثقيل ، وذكر حبش — وهو ممن لا يحصل قوله —
أنه لحنين ، ولم يصح عندنا من صائعه .

٢٠

(١) في ج : « وكان قد أحصل بالمأمون » أي أعياه أمره وضاق به الحيل فيه .

(٢) لم تقف على هذا الموضع . (٣) سيذكر المؤلف هذا الدر في ص ٢٠٠ — ٢٠١

من هذا الجزء . (٤) في أ ، م ، ح : « زفا » بالفاء وهي مصحفة عن « زفا » بالفاء .

أخبار عبد الله بن محمد ونسبه

نسبه
عبد الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . وأمُّ عبد الله بن محمد أم ولد . وكان ظريفاً غزيراً لا يقول شعراً لبيّاً ويصنع صنعةً صالحةً . وأمُّ محمد الأمين زبيدة بنت جعفر بن المنصور . وزبيدة لقبٌ غلب عليها ، وأسماها أمة العزيز . وكان المنصور يرقصها وهي صغيرة — وكانت سمينةً حسنة البدن — فيقول لها : يا زبيدة يا زبيدة ، فغلب عليها ذلك .

كان صديقاً لأبي نهشل فأحب جارية اشتراها أخوه فكتب له شعراً فآخذها له منه
أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال :
كانت بين عبد الله بن محمد الأمين وبين أبي نهشل بن حميد مودة . فاعترض عبد الله جارية مغنية لبعض نساء بني هاشم وأعطى بها مالاً عظيماً . فعرفت منه رغبةً فيها فزادت عليه في السوم ، فتركها ليكرههم . بغاء أخ لأبي نهشل بن حميد فأشتراها وزاد . فتبعها نفس عبد الله ، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزول له عندها ، فسأله ذلك فوعده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبي نهشل :

يا بن حميد يا أبا نهشل * مِفْتَاحُ بابِ الْحَدِيثِ الْمُفْقِلِ
يا أكرمَ الناسِ وداداً وأر * هاهم لحق ضائعٍ مُهمَلِ
أحسنْتَ في ودَى وأجملتَ بِل * جُرْتَ فَعَالَ الْمُحْسِنِ الْمُجْمَلِ
بيْتُكَ في ذِي يَمَرْبِ شائِخ * تَقْصُرُ عَنْهُ فُتًى يَدْبِلِ
خَلَقْتَ فينا حاتمًا ذا التَّدَى * وَجُدْتَ جَوْدَ الْعَارِضِ الْمُسْبِلِ
أَيُّ أَخٍ أَنْتَ لِذِي وَحْدَةٍ * تَرْكَبُهُ بِالْعِزِّ فِي بَحْفَلِ

نجومُ حَطَى مِنْكَ مَسْعُودَةً * فَيَا أَرْجَى لَسَنَ بِالْأَفْئَلِ
فَصَدَّقِ الظَّرَبَ بِمَا قَلَّتْهُ * وَسَهِّلِ الْأَمْرَ بِهِ يَسْهَلِ
لَا تَحْرِمْنِي وَلَدَيْكَ الْمُتَى * بِاللَّهِ صَيِّدَ الرِّشَاءِ الْأَحْلِلِ
رُمِيتُ مِنْهُ بِسِهَامِ الْهَوَى * وَمَا دَرَى بِالرُّمِيِّ فِي مَقْتَلِ
أَدْنَيْتَنِي بِالْوَعْدِ فِي صَيِّدِهِ * إِذْ نَاءَ عَطَشَانٍ مِنَ الْمَنْهَلِ
ثُمَّ تَسَايَتِ وَأَسْكَمَتَنِي * إِلَى مِطَالٍ مُوحِشِ الْمَنْزِلِ
تَزَكَّنِي فِي جُلَّةِ عَائِمَا * لَا أَعْرِفُ الْمُدْرِمَ مِنْ مُقْبِلِ
صَرَخَ بِأَمْرٍ وَاضِحٍ بَيْنَ ^(١) * لَا خَيْرَ فِي ذِي لَبْسٍ مُشْكِلِ
قال : فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نزل له عنها .

١٠٣
٩

وأخبرني الصولي أيضا بغير إسناد، ووجدت هذا الخبر في كتاب محمد
ابن الحسن الكاتب يرويه عن أبي حسان الفزاري قال :
كان أبو نهشل بن حميد صديقاً لعبد الله بن محمد الأمين ونديماً ^(٢) وكانت لعبد الله
صبيعة بالسواد تُعرف بالعمرية ، فخرج ^(٣) وأقام بها أياماً . فكتب إليه أبو نهشل :
سقى الله بالعمرية الغيث منزلاً * حَلَلْتُ بِهِ يَا مُؤْنَسِي وَأَمِيرِي .
فأنت الذي لا يخلُق الدهرَ ذكركُ * وأنت أخي حَقًّا وَأَنْتَ سِرُّوْرِي
فأجابه عبد الله :

لئن كنتُ بالعمرية اليومَ لاهياً * فإفكُ هواكم حيثُ كنتُ ضَمِيرِي
فلا تحسبني في هواكم مُقَصَّراً * وَكُنْ شَافِعِي مِنْ تُخْطِطُكُمْ وَجَمِيرِي
قال محمد بن الحسن في خبره : وصنع عبد الله في هذه الأبيات الأربعة لحناً، وصنع
فيها ^(٣) سُلَيْمٌ بن سَلَامٍ لِحْنًا آخَرَ .

(١) في ح : « ما الرمي » . (٢) حرّك لضروبة الشعر . (٣) في الأصول : « فيه » .

خرج الى ضيعته
وتكاتب هو ونديمه
أبو نهشل بشعر

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتر قال :
كان عبد الله بن محمد الأمين ينادم الواصل ثم نادى بعده سائر الخلفاء إلى المعتد .
قال : وأنشدني له في المعتد :

نادم الواصل
والخلفاء من بعده
إلى المعتد ،
وشعره فيه

رَأَيْتُ الْهَلَالَ عَلَى وَجْهِكَ * فَمَا زِلْتُ أَدْعُو إِلَهِي لَكَ
فَلَا زِلْتُ تَحِيًّا وَأَحْيَا مَعًا * وَأَمْنِي إِلَهِي مِنْ فَقْدِكَ
قال : ومن شعره — وله فيه لحن من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل — :

صوت

يَا مَنْ كُلُّ خَلْقٍ * تَرَاهُ صَبًّا مُتَمِّمًا
وَمَنْ تَجَالَلَتْ فِيهَا * فِيهَا تَرَاهُ يُكَلِّمُ
لَا شَيْءَ أَعْجَبُ عِنْدِي * مِمَّنْ يَرَاكَ فَيَسْلَمُ

فأما دير حنظلة الذي ذكره في شعره وفيه الغناء المذكور من صناعته متقدما ،
فإنه دير بالجزيرة أخبرني بخبره هاشم بن محمد أبو دلف الخزازي قال حدثنا الرياشي
قال أنشدني أبو المحلّم الحنظلة بن أبي عفراء أحد بني حية الطائيين وهم رهط
أبي زيد ورهط إلياس بن قبيصة :^(١)

وَمَهْمَا يَكُنْ رَبِّبُ الزَّمَانِ فَإِنِّي * أَرَى قَمَرَ اللَّيْلِ الْمُغْرَبِ كَالْفَتَى
يَهْلُ صَغِيرًا ثُمَّ يَعْظُمُ ضَوْؤُهُ * وَصُورُهُ حَتَّى إِذَا مَا هُوَ أَسْتَوَى
تَقَارِبُ يَخْبُو ضَوْؤُهُ وَشُعَاعُهُ * وَيَمْضَحُ حَتَّى يَسْتَسِرَّ فَلَا يَرَى^(٢)

(١) هو حرملة بن المنذر بن معد بن الطائي ، كان نصرانيا وهو من أدرك الجاهلية والإسلام .

(انظر ترجمته في الأغاني ج ١١ ص ٢٤ طبع بلاق) . (٢) كان واليا لكسرى على الحيرة بعد

قتله النعمان بن المنذر . (انظر تاريخ ابن الأثير ج ١ ص ٣٥٦ — ٣٦٩) . (٣) مصحح :
ذهب وأقطع .

يَكْذِبُكَ زَيْدُ الْمَرْءِ ثُمَّ أَنْتَقِصُصِهِ * وَتَكَرَّرُهُ فِي دَهْرِهِ بَعْدَ مَا مَضَى ^(١)
تَصْبِحُ أَهْلَ الدَّارِ وَالْدَّارُ زِينَةٌ * وَتَأْتِي الْجِبَالَ مِنْ شِمَارِ يَنْحَا الْعُلَا ^(٢)
فَلَا ذَا غَيٍّ يُرِجُّنَ عَنْ فَضْلِ مَالِهِ * وَإِنْ قَالَ أُخْرَى وَخُذْ رِشْوَةً أَبَى ^(٣)
وَلَا عَنْ فَقِيرٍ يَأْتِيخُونَ لِقَعْرِهِ * فَتَنْفَعَهُ الشُّكُورَى إِلَيْهِ إِنْ شَكَلَ

٥ قال : وكان حَنْظَلَةُ هذا قد تعبد في الجاهلية وتفكر في أمر الآخرة وتنصر وتبني ديراً بالجزيرة؛ فهو الآن يُعرف به يقال له دَيْرُ حَنْظَلَةَ . وفيه يقول الشاعر
يَا دَيْرَ حَنْظَلَةَ الْمَهْيِجِ لِي الْمَوَى * قَدْ تَسْتَطِيعُ دَوَاءَ عَشْقِي الْعَاشِقِ



وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن المتوكل

١٠ كان عبد الله بن المتوكل جمع له صنعة مقدارها أكثر من ثلثمائة صوت، منها الجيد الصنعة وقلها المتوسط، قد سمعنا كثيراً منها؛ إلا أني أذكر من ذلك ما عرفتُ شاعره وكان له خبر يتصل به حسب ما شرطنا في هذا الكتاب وصنمناه إياه من الأخبار، ثم أذكر أخبار أبي عيسى بعد ذلك

قال ابن المعتز حدثني النعماني قال سمعت أبا عيسى بن المتوكل يقول : إذا أتممتُ
١٥ صنعة ثلثمائة صوت وستين صوتاً عدت أيام السنة تركتُ الصنعة، فلما صنعها ترك الصنعة . فنها — وهو لعمري من جيد الغناء وفاخر الصنعة، ولو لم يصنع غيره لكفاه — في شعر أبي العتاهية :

(١) في معجم البلدان : « في إثره » . (٢) في الأصول : « ربة » والتصويب عن معجم البلدان . (٣) يلاحظ أن الضائر في هذا البيت والذي بعده متباينة ، والمراد بها واحد هو الموت ، فإذا كان ضمير جمع فالمراد المتنا . ٢٠

صوت

يَضْطَرِبُ الخَوْفُ والرجاءُ إِذَا * حَرَّكَ موسى القَضِيبَ أَوْ فَكَّرَ
ولحنه من الثَّقِيلِ الأول . والشعرُ لأبي العتاهية، وقد مَضَتْ أخبارُه؛ وإنما قَدِمْتُ
ذِكْرَ بِنُجُودَةِ صَنَعَتِهِ وَأَنَّهُ شُبِّهَ فِيهِ بِصَنَعَةِ الفَحُولِ وَمُحْكَمِ أَغَانِي الْأَوَائِلِ .

ومنها :

صوت

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحَمَّلُ * وللدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجْجُورُ وَتَعْدِلُ
وعاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ حِمْلَةٌ * وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّجَمُّلُ
الشعرُ لعلِّ بْنِ الْجَنِّهِمِ . والغناءُ لأبي عيسى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ ، ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى .

أخبار علي بن الجهم ونسبه

هو علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كراز بن كعب
 ابن مالك بن عينة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي^(١)
 ابن غالب . هكذا يدعون ، وقريش تدفعهم عن اللبس وتسميهم بنى ناجية ،
 يُنسبون إلى أمهم ناجية ، وهي امرأة سامة بن لؤي . وكان سامة ، فيما يقال ، خرج
 إلى ناحية البحر بن مغاضباً لأخيه كعب بن لؤي^(٢) في مُمَاطة كانت بينهما ، فطاطأت
 ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العشب ، فعلق بمشقرها أفعى فعضته على قنبا
 فحكته به ، فدبب الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامة فقتله . فقال أخوه يرثيه :
 عين جودي لسامة بن لؤي * علقف ساق سامة العلافه^(٣)
 رب كاس هرقتها ابن لؤي * حذر الموت لم تكن مهرافه^(٤)

وقال من يدفع بنى سامة من نسابي قريش : وكانت معه امرأته ناجية . فلما مات
 تزوجت رجلاً من أهل البحر بن فولدت منه الحارث ، ومات أبوه وهو صغير . فلما
 ترعرع طمعت أمه في أن تلحقه بقريش ، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي . فرحل

(١) في ابن خلكان : « بن كعب بن جابر بن مالك » . (٢) في ابن خلكان : « عتية » .
 (٣) في ابن خلكان : « ... ابن الحارث بن قطن بن خديج بن قطن بن أحم بن ذهل بن عمرو بن مالك
 بن عبيدة بن الحارث بن سامة ... الخ » . (٤) المبالغة : المبالغة والمنازعة . (٥) ورد في لسان
 العرب (في مادة « فوق ») أن امرأة رجل من الأزد هي التي قالت هذا الشعر ترثيه وكان سامة نزل على زوجها
 ضيقاً . فلما أصبح تعدى بيتن ، فنظرت إليه زوجة الأزد فأعجبها . فلما رى سواكه أخذتها فصفا .
 فنظر إليها زوجها ، فغلب ناقة وجعل في حلاجها سماً وقدمه إلى سامة ، فغمرته المرأة ففراق اللين ونرج يسير .
 فينما كان في موضع يقال له جوف الخيلة نهش أفعى ، كما جاء في الأصل . وانظر بقية هذا الشعر في لسان
 العرب . (٦) العلاقة : في الأصل المنية . ويريد بها هنا الحية .

نسبه ونسب قبيلة
 بنى سامة

١٠

١٥

(١) من البحرين إلى عمه كعب وأخبره أنه ابن أخيه سامة. فعرف كعب أمه وطنه صادقاً في دعواه. ومكث عنده مدة، حتى قدم مكة ركباً من أهل البحرين، فأروا الحارث فسلموا عليه وحادثوه ساعة. فسالهم عنه كعب بن لؤي ومن أين يعرفونه، فقالوا له: هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان، وشرحوا له خبره. فنفاه كعب ونفى أمه، فرجعا إلى البحرين فكانا هنالك، وتزوج الحارث وأعقب هذا العقب. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عمي سامة لم يعقب»، وكان بنو ناجية ارتدوا عن الإسلام. ولما ولي علي بن أبي طالب رضى الله عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام، فأسلم بعضهم وأقام الباقيون على الوحدة فسباهم وأسترقهم، فاشترهم مصقلة ابن هبيرة منه وأذى ثلث ثمنهم وأشهد بالباقي على نفسه، ثم أعتقهم وهرب من تحت ليله إلى معاوية، فصاروا أحراراً، ولزمه الثمن، فشتعت على بن أبي طالب شيئاً من داره، وقيل بل هدمها، فلم يدخل مصقلة الكوفة حتى قُتِل علي بن أبي طالب رضى الله عنه.

وزعم ابن الكلبي: أن سامة بن لؤي وثد غالب بن سامة وأمهم ناجية، ثم هلك سامة نخلها عليها ابنه الحارث بن سامة، ثم هلك أبنا سامة ولم يعقباً، وأت قوماً من بني ناجية بذت جرم بن ريان علف أدعوا أنهم بنو سامة بن لؤي، وأن أمهم ناجية

(١) في الأصول: «من أهل البحرين». (٢) انظر هذه القصة مفصلة في الطبري ق ١ ص ٣٤٣٩ — ٣٤٤٢. (٣) يريد أنه نقض بعضاً منها.

(٤) في ١، ٢: «ثم هلك ابن سامة ولم يعقب». (٥) في الأصول هنا: «ابن جرم».

(٦) ريان علف: بالراء المهملة المفتوحة والباء الموحدة المشددة، وليس في العرب غيره، ومن سواه في الأوزى المعجمة. وقد ورد هذا الاسم في الأصول محرفاً بصورتي، وفي أكثرها زيادة «ابن» بين ريان وعلف، وهما لشخص واحد، كما ذكر ذلك المؤلف في الصفحة التالية. (راجع القاموس وشرحه في مائتي ريان وعلف).

هذه ونسبها هذا النسب، وأتمموا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم علي بن أبي طالب إلى مضقلة. قال: ودليل ذلك وأن هؤلاء بنو ناجية بنت جرم قول طعنة الخصى التميمي أحد بني ربيعة بن مالك:

زعمتم أن ناجي بنت جرم * عجوز بعد ما بلي السنام
فإن كانت كذاك فاليسوها * فإن الحلي للأبني تمام

وهذا أيضا قول الهيثم بن عدي. فأما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش وقال: هم قريش العازبة. وإنما سُموا العازبة لأنهم عَزَبُوا عن قومهم فَنُسِبُوا إلى أُمِّهم ناجية بنت جرم بن ربان وهو عَلاف، وهو أول من اتخذ الرِّحالَ العِلافيةَ فَنُسِبَتْ إليه، وأسم ناجية ليلي؛ وإنما سُميت ناجية لأنها سارت في مَقَاذِرٍ معه فَعَطِشَتْ فَاسْتَسْقَمَتْ ماء، فقال لها: الماءُ يَنْبِ يدريك، وهو يريها السَّراب، حتى جاءت الماءَ فَنَشِرت ومُتِمَّت ناجية. وللزبير في إدخالهم في قريش مذهب وهو مُحَالِفَةٌ فَعِلَ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وميله إليهم لإجماعهم على بُغْضِهِ رضي الله عنه، حَسَبَ المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك.

وكان علي بن الجهم شاعرا فصحا مطبوعا، وخص بالتوكل حتى صار من جلسائه، ثم أبغضه لأنه كان كثير السعاية إليه بندمائه والذكر لهم بالقبح عنده، وإذا خلا به عرفه أنهم يعيرونه ويثلبونه ويتقصونه، فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة، فنفاه بعد أن حبسه مدة. وأخبره تذكر علي شرح بعد هذا. وكان ينحون مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشيعة، وهو القائل:

ورافضة تقول بشعيب رضوى * إمام، خاب ذلك من إمام
إمام من له عشرون ألفا * من الأتراك مشرعة السهام

كان شاعرا فصحا
اختص بالتوكل
وهما عليا وشيعته

١٥

٢٠

1.

10

(١) الرغشاء : أصلها عصب أو عرق في الثدي يدرك اللبن . واستعملها البحترى هنا في الأب .

(٢) في ديوان البحري طبع مطبعة الجوائب :

२.

(٣) هو بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع الأكبر المنتطب . (انظر الطبري ق ٣ ص ٦٦٧ ،

• (179.6 1227 1237

هي الأيام تَكَلَّمْنَا وتَأَسُّو * وتَأْتِي بالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ
وما يُجِدِي الثَّرَاءُ عَلَى غِنَى * إِذَا مَا كَانَ مُحْظُورَ الْعَطَاءِ
حَلَبْنَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَمَرَّتْ * بِنَا عَقِبَ الشَّدَائِدِ وَالرَّخَاءِ
وَجَرَّبْنَا وَجَرَّبَ أَوْلُونَا * فَلَا شَيْءَ أَعَزَّ مِنَ الْوَفَاءِ
وَلَمْ نَدْعِ الْحِيَاءَ لِمَسَّ ضَرْ * وَبِمَضِّ الضَّرِّ يَذْهَبُ بِالْحِيَاءِ
وَلَمْ نَحْزَنْ عَلَى دُنْيَا بَوَلَّتْ * وَلَمْ نُسَبِّقْ إِلَى حَسَنِ الْعَزَاءِ
تَوَقَّ النَّاسَ يَا بَنَ أَبِي وَأُمِّي * فَهَمَّ تَبِعَ الْخَافَةِ وَالرَّجَاءِ
وَلَا يَقْرُرْكَ مِنْ وَغْدٍ إِخَاءُ * لِأَمْرٍ مَا غَدَا حَسَنَ الْإِخَاءِ
أَلَمْ تَرَوْهُمْ يَرِينَ عَلَى عَيْبَا * وَهُمْ بِالْأَمْسِ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ
فَلَمَّا أَنْ يُلَبَّتْ غَدَوُوا وَرَاحُوا * عَلَى أَشَدِّ أَسْبَابِ الْبَلَاءِ
أَبَتْ أَخْطَارُهُمْ أَنْ يَنْصُرُونِي * بِمَالٍ أَوْ بِجَاهٍ أَوْ نِسَاءِ
وَخَافُوا أَنْ يَقَالَ لَهُمْ خَذَلْتُمْ * صَدِيقًا فَأَدْعُوا قِدَمَ الْخَفَاءِ
تَصَافَرَتِ الرُّوَا فِضُّ وَالنَّصَارَى * وَأَهْلُ الْإِعْتِرَالِ عَلَى هِجَاؤِي

— يعني بأهل الاعتزال علي بن يحيى المتهجم وقد كان بلغه عنه ذكر له : —

وطابوني وما ذنبني إليهم * سوى عَنِي بِأَوْلَادِ الزَّهَاءِ
فَبَحْتِشُوْهُ يَشْهَدُ لَابْنِ عَمْرُو * وَعَزُّوْهُ لَهَاوُونَ الْمِرَاؤِي
وَمَا الْجَدْمَاءُ بَنَتْ أَبِي سُمَيْرٍ * بِجَذْمَاءِ اللِّسَانِ عَنِ الْخَفَاءِ
إِذَا مَا عُدَّ مِثْلَكُمْ رَجَالًا * فَمَا فَضَّلُ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ
عَلَيْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ أَبْتَدَاءُ * وَعَوْدًا فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْمَسَاءِ

(١) العقب : جمع عقبه وهي التوبة . (٢) كذا في ح . وفي سائر الأصول : « عتبا »

وهو تصحيف .

إذا سُمِّمَ للنَّاسِ قالوا * أولئك شرٌّ من تحت السماء
أنا المتوكِّلُ هَوَى ورأياً * وما بالواقية من خفاء
وما حبسُ الخليفة لي بعارٍ * وليس بمؤيسٍ منه التناي

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال قال لي أبو الشَّيْبِ البرُّجَمي : ما شعر على
ابن الجهم في الحبس بدون شعر عدي بن زيد .^(١)

قال أبو الشَّيْبِ
شعره في الحبس
كشعر عدي بن زيد

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال :

حبسه المتوكل
بسعاية جلسائه
ونقاه إلى خراسان
فصليه طاهر بن
عبد الله فقال شعرا

كان سبب حبس المتوكل على بن الجهم أن جماعة من الجلساء سَعَوْا به إليه
وقالوا له : إنه يَجْمَشُ الخدم وَيَغْزِهِمْ ، وإنه كثيرُ الطعن عليك والعيب لك والإزراء
على أخلاقك ؛ ولم يزالوا به يُوغِرُونَ صدره فحمله حتى حبسه ؛ ثم أبلغوه عنه أنه
هجاه . فنقاه إلى خراسان وكتب بأن يُصَلَّبَ إذا وَرَدَها يوماً إلى الليل . فلما وصل إلى
الشاذيخ حبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر بها ، ثم أُخرج فُصِّلَ يوماً إلى الليل
مجرداً ثم أُنْزِلَ . فقال في ذلك :

لم ينصبوا بالشاذيخ عَشِيَّةَ الإثنين مسبوقاً ولا مجهولاً
نصبوا بحمد الله مِلءَ قلوبهم * شرفاً ومِلءَ صدورهم تَنَجِيلاً
ما أزداد إلا رفعةً بُنْكُولُهُ * وأزدادت الأعداءُ عنه نُكُولاً^(٢)
هل كان لآلِ الليث فارق غيلة * فرأيتَه في تَجَمُّلٍ محمولاً

- (١) عدي بن زيد الشاعر حبسه النعمان ، وله شعر في حبسه . (انظر ترجمته في الجزء الثاني ص ٩٧)
وما بعدها من هذه الطبعة) . (٢) يجمش الخدم : يلاصهم ويقربهم . (٣) الشاذيخ :
من ضواحي نيسابور أم بلاد خراسان ، وكانت قديماً بيتنا لعبد الله بن طاهر بن الحسين ملاصقاً بمدينة
نيسابور ، فبنى فيه داراً له ، ثم أمر الجند بالبناء حولها فعمرت حتى اتصل بناؤها بنيسابور وصارت
من جملة محالها . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) يريد بتكوله الأولى التثنية به ، وبالثانية
الفرار عنه والاحجام . و يلاحظ في الأولى أنه يقال : نكل به تنكيلاً ونكل به تخفف والام نكالاً بالفتح .

لَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ مِنْ شِدَاتِهِ * شَدًّا يَفْصِلُ هَامَهُمْ تَفْصِيلاً
مَا عَابَهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ لِبَاسُهُ * فَالْسَيْفُ أَهْوَلَ مَا يُرَى مَسْئُولاً
إِنْ يُتَسَدَّلُ فَالْبِدْرُ لَا يُزْرَى بِهِ * أَنْ كَانَ لَيْلَةَ تَمِّهِ مَبْذُولاً
أَوْ يَسْلُبُوهُ الْمَالُ يُخْزِنُ فَقْدَهُ * ضَيْقاً أَلَمَ وَطَارِقاً وَنَزِيلاً
أَوْ يُجْبِسُوهُ فَلَيْسَ يُجْبَسُ سَائِرُ * مِنْ شَعْرِهِ يَدْعُ الْعَزِيزُ ذَلِيلاً
إِنَّ الْمَصَائِبَ مَا تَعَلَّتْ دِينَهُ * نَعْمَ وَإِنْ صَبَبَتْ عَلَيْهِ قَلِيلُ
وَاللَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْ أَمْرِهِ * وَكَفَى بِرَبِّكَ نَاصِراً وَوَكِيلاً
وَلَتَعْلَمَنَّ إِذَا الْقُلُوبُ تَكْشَفَتْ * عَنْهَا الْأَكْتَةُ مِنْ أَضَلِّ سَبِيلِ

كتب المتوكل
لطايف باطلاقة
فاطلقة فقال شعراً

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

كتب المتوكل الى طاهر بن عبد الله بإطلاق علي بن الجهم . فلما أطلقه قال :
أَطَاهِرُ إِنِّي عَنْ نُرَّاسَانَ رَاحِلُ * وَمُسْتَخْبِرٌ عَنْهَا فَمَا أَنَا قَائِلُ
أَأَصْدُقُ أَمْ أَكْذِبُ عَنْ الصَّدَقِ أَيُّمًا * تَخَيَّرْتُ أَذْنُهُ لِيَكُ الْحَافِلُ
وَسَارَتْ بِهِ الرُّجَانُ وَأَصْطَفَقَتْ بِهِ * أَكْثَفُ قِيَانٍ وَأَجَنَّبَهُ الْقَبَائِلُ
وَبِإِنِّي بِغَالِي الْحَمْدِ وَالذَّمِّ عَالِمٌ * بِمَا فِيهَا نَامِي الرِّمِيَةِ نَاضِلُ
وَحَقًّا أَقُولُ الصَّدَقَ إِنِّي لَمَائِلُ * لِيَلِيكَ وَإِنْ لَمْ يَحْطَ بِالْوَدِّ مَائِلُ
أَلَا حُرْمَةٌ تُرْعَى أَلَا عَقْدُ ذَمِّهِ * لِحَارِ أَلَا فِعْلُ لَقَوْلٍ مُشَاكِلُ
أَلَا مُنْصِفٌ إِنْ لَمْ يُجِدْ مُتَفَضِّلًا * عَلَيْنَا أَلَا قَاضٍ مِنَ النَّاسِ عَادِلُ

(١) قأءم : «وليعلم» بالياء المثناة من تحت . (٢) في ٤١م : «عن الحق» . (٣) الرمية
النامية : التي أصيبت ثم غابت عن الرامي وماتت ؛ يقال أحمى فلان الصيد فحمى ؛ قال امرؤ القيس يهجو :
فهر لا تبتى رمية * ماله لا عة من قعره
يريد علي بن الجهم أنه يصيب غرامه . وناضل : واصل . وصف من نضل إذا سبقه أرغله في المناضلة
وهي المباراة في الرمي .

فلا تَقْطَعَنَّ غَيْظًا عَلَيَّ أَنَا مَلَأَ * فَعَيْلِكَ مَا عَصَيْتَ عَلَيَّ الْأَنَامُ
أَطَاهِرٌ إِنْ تُحْسِنُ فَإِنِّي مُحْسِنٌ * إِلَيْكَ وَإِنْ تَجْهَلُ فَإِنِّي بَاخِلٌ
فَقَالَ لَهُ طَاهِرٌ : لَا تَقُلْ إِلَّا خَيْرًا فَإِنِّي لَا أَفْعَلُ بِكَ إِلَّا مَا تُحِبُّ فَوَصَلَهُ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ .

أخبرني عمي قال حدثني محمد قال :

بحسب جارية فباعته
فقال شعرا فأجابته

كان ثعلبي بن الجهم في مجلس فيه قينة، فعابها وجمشها، فباعته وأعرضت عنه، فقال فيها :

خَفِيَ^(١) اللَّهُ فِيمَنْ قَدْ تَبَلَّتْ فَوَادَهُ * وَغَادَرْتَهُ نِيضًا كَأَنَّ بِهِ وَقْرًا
دَعَى الْبِخْلَ لَا أَسْمِعُ بِهِ مِنْكَ لَأَمْبًا * سَأَلْتُكَ أَمْرًا لَيْسَ يُعْرَى لَكُمْ ظَهْرًا
فَقَالَتْ لَهُ : صَدَقْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ، لَيْسَ يُعْرَى لَنَا ظَهْرًا، وَلَكِنَّهُ يَلَأُ بَطْنًا !!

: أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنَا
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبَرِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ قَالَ

كان يتشامم به
الحارثي فرآه فقال
شعرا

كان الحارثي يجيء إلى حلوان وأنا أتولأها — وكان علي بن الجهم على مظالمها —
فإذا وردها وقع الإرجاف^(٢)، فلم يزل متصلاً حتى يخرج، فإذا خرج سكن الإرجاف .
فأتاني مرة وظهر كوكب الذنب في تلك الليلة، فقلت :

لَمَّا بَدَأَ أَيْقَنْتُ بِالْعَطَبِ * فَسَأَلْتُ رَبِّي خَيْرَ مُنْقَلَبٍ
لَمْ يَطْلُبْ إِلَّا لَأْسِدَةً^(٤) * الْحَارِثِيُّ وَكُوكِبُ الذَّنْبِ

(١) . كذا في الأصول بإثبات الياء في «خفي» في هذا البيت، وفي «دعوى» في البيت بعده .
ونحسب أن هذه الياء من زيادات النساخ، وأن الخطاب للذكر والمراد به أنثى، كما يدل عليه سياق الكلام .
ولا فيريد أن يقع مثل علي بن الجهم في هذا الخطأ اللغوي؛ إذ الأمر من «خاف» للخطابة «خافى» .
(٢) . حلوان : مدينة بالعراق . (٣) الإرجاف هنا : الزلزلة ؛ يقال رجفت الأرض
وارجفت . (٤) الأبدية : الداهية الخالدة الذكر، والأمر العظيم تنفر منه وتستوحش .

قال ابن المدبر: وكان الحارثي أعور مَصْبِح الوجه، وفيه يقول أبو علي البصير:

يَا مَعْشَرَ الْبَصَرَاءِ لَا تَنْتَظِرُوا^(١) * جِيئَ وَلَا تُتَعَرَّضُوا لِلنَّكِيرِ
رُدُّوا عَلَيَّ الْحَارِثِيَّ فَإِنَّهُ * أَعْمَى يُدَلِّسُ نَفْسَهُ فِي الْعُورِ^(٢)

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال أشدني إبراهيم بن المدبر نعلني^(٣) تخلف شعرا لإبراهيم
ابن العباس

ابن الجهم وذكر أن علياً أنشده لإياه نفسه :

أَيْلُ مَعَ الذَّمَامِ عَلَى ابْنِ أُمِّي * وَأَخْذُ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ
وَلَمَّا أَفْقَيْتَنِي حُرًّا مُطَاعًا * فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفَرَّقَ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنِّي * وَأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقِيقِ

فقال إبراهيم : كذب والله علي بن الجهم وأثم . والله لهذا الشعر أشهر بإبراهيم بن
العباس من إبراهيم بالعباس أبيه .

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مَهْرُويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال^(٤) قال المتنوكلي
قال المتنوكلي

عَلَى بْنِ الْجَهْمِ أَكْذَبُ خَلْقِ اللَّهِ . حَفِظْتُ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِخُرَّاسَانَ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى وَأُنْسِي مَا أَخْبَرَنِي بِهِ ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِالْتَّغُورِ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى وَأُنْسِي الْحِكَايَتَيْنِ جَمِيعًا ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِالْجَبَلِ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ،
فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَى هَذَا وَعَلَى التَّقْلِيلِ مِائَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَلِأَنَّمَا يُرَآهُ سَنَةٌ
الْخَمْسِينَ سَنَةً . فَلَيْتَ شِعْرِي أَيْ فَائِدَةٌ لَهُ فِي هَذَا الْكَذْبِ وَمَا مَعْنَاهُ فِيهِ !!

١٠٩
٩

(١) تَطَرُّفُ الشَّيْءِ : تَحْقِيقُهُ وَأَخْذُ مِنْ أَطْرَافِهِ . (٢) كَذَا فِي ح . وَفِي سَائِرِ النُّسخِ

« بِالْعُورِ » . (٣) فِي ب ، سِمَ : « أَشْبَهَ » . (٤) يلاحظ أن مجموع السنين التي ذكرها
لا يبلغ مائة وخمسين .

أخبرني محمد بن إبراهيم قال حدثنا عبدالله بن المعتز، وحدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

مر يد عليه بعض
ولد علي بن هشام
فهجاهم

اجتمع علي بن الجهم مع قوم من ولد علي بن هشام في مجلس ، فعرّب عليه بعضهم ، فغضب وخرج من المجلس ، وأتصل الشر بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه وأغتابوه . فقال يهجوهم :

- ٥
- بني مقيم هل تدرون ما الخبر * وكيف يُستّر أمر ليس يستتر
حاجيتكم : من أبوكم يابني عصب * شتّى ولكنّا للعاهر الحجر
قد كان شيخكم شيتلاً له خطر * لكن أمكم في أمرها نظر
ولم تكن أمكم - والله يكلّوها - * محجوبة دونها الحراس والسُر
كانت مغنية الفتيان إن شربوا * وغير ممنوعة منهم إذا سكبوا
وكان إخوانه غراً غطارفة * لا يمكن الشيخ أن يعصى إذا أمروا
قوم أعفأ إلا في بيوتكم * فأت في مثلها قد تلح الأدر
فأصبحت كمرّاج الشول حافلة * من كلّ لافية في بطنها درر
بفتحتم عصباً من كلّ ناحية * نوا مخائيت في أعناقها الكبر^(٢)
فواحد كسروى في قرّاطقه^(١) * وآخر قرشي حين يختبر^(٣)
١٥ ما علم أمكم من حلّ مئرها * ومن رماها بكم يأيها القدر

(١) في الأصول : « كرج » والمراح : ماوى الإبل . والشول من النوق : التي شغل لهنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية ، فلم يبق في ضرعها إلا شول من اللبن أى بقية مقدار ثلاث ما كانت تحلب حدثان (كسر أزه وسكون ثانية) نتاجها . واحداثها شائلة ، وهو جمع على غير قياس . وأما الناقة الشائل (غير س) فهي اللامح التي فشول بذنبها للفحل أى رفعه ، فذلك آية لفاحها . وترفع مع ذلك رأسها وتشمع بأفئها ، وهي حينئذ شامد ، وجمعها شول وشيد . والمراد من البيت ظاهر .
(٢) كذا في الأصول أى وهما نوا مخائيت ... الخ ، فسرهما في البيت الثاني ، وإن كان مع ذلك يستعمل أنها حرفت عن كلمة على وزن فعل بضم أوله جمعا لأفضل ، مثل نوك جمع أنوك أرنحو ذلك .
(٣) الكبير : الطويل . معرب . (٤) القراطين : جمع قرطيق وهو القباء .

يوم إذا تُسبوا فالأثم واحدة * والله أعلم بالآباء إذ كُتروا
لم تعرفوا الطعن إلا في أسافلكم * وأنتم في الخازي فتية صبر
أحببت إعلامكم إلى بأمركم * وأمر غيركم من أهلكم خير
تفكّهون بأعراض الكرام وما * أنتم وذركم السادات ياعمر
هذا الهجاء الذي تبتقى ميسره * على جباهكم ما أورد الشجر

سعى عند المتوكل
بند مائه وبلغه أنه
هجاه خبسه ،
وأحسن شعره
في الحبس

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال :
كتب صاحب الخبر إلى المتوكل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح أحترق
فمات . فقال علي بن الجهم : قد بلغني أنّ العامل قتله وصانع صاحب الخبر حتي
كتب بهذا . وكان يسعى بالجلساء إلى المتوكل فأبغضه وأمره بأن يلزم بيته ، ثم بلغه
أنه هجاه خبسه . وأحسن شعر قاله في الحبس قصيدته التي أولها :

قالت حبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأى مهني لا يغمد^(٣)
أوما رأيت الليث يألّف غياله * كبرا وأوباش السباع تردد^(٤)
والشمس لولا أنها عجوبة * عن ناظر ليك لأضاء الفرقد^(٥)
والبدر يذكره السرار فتنجلي * أيامه وكأنه متجدد^(٦)
والغيث يحصره الغمام فما يرى * إلا وريقه يروع ويرعد^(٧)
والزاعية لا يقيم كموها * إلا الثفاف وجدوة تشوقد^(٨)
والنار في أبحارها مخبوءة * لا تصطلي إن لم تثرها الأزند

١١٠
٩

(١) المرر : جمع عرة وهو الرجل يكون شين القوم ؛ يقال : فلان عرة أهله .
(٢) الميام : جمع ميم (بكسر الميم) وهو هنا أثر الوسم والجمع مواسم على الأصل باعتباره من وسم ،
وميام على اللفظ . (٣) في ب ، ص : « قالوا » . (٤) السرار : (بالفتح والكسر)
أثر أيام الشبر . (٥) في الأصول : « براع » . (٦) الزاعية : دماغ منسوبة إلى
رجل من الخوارج يقال له زاعب كان يعمل الأسته . (٧) الثفاف : آلة من خشب تسوى بها الرماح

والحبس ما لم تغشه لذنيّة * شنعاء نعم المنزل المتشود^(١)
 بيت يحدّ للكرم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحدّ
 لو لم يكن في الحبس إلا أنه * لا يستذلّك بالحجاب الأعبد
 كم من عليل قد تحطّاه الردى * فنجّا ومات طبيبه والعود
 يا أحمد بن أبي دؤاد إنما * تدعى لكلّ عظيمة يا أحمد
 أبلغ أمير المؤمنين فدونه * خوؤ الردى وخاؤ لا تنفد
 أنتم بنو عم النبي محمد * أولى بما شرع النبي محمد
 ما كان من كرم فاتم أهله * كرمت مغارسكم وطاب الخيد
 من السويّة يا بن عم محمد * خصم تقرّبه وآخر تبع
 إن الذين سعوا إليك بباطل * حساد نعمتك التي لا تحيد
 شهدوا وغنبا عنهم فتحكوا * فينا وليس كغائب من شهد
 لو يجمع الخصماء عندك مجلس * يوماً لبان لك الطريق الأقيص
 فبأي جرّم أصبحت أعراضنا * نهباً تقسمها للثيم الأوغد

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو الفضل
 الربيعي قال قال لي علي بن الجهم^(٢) :

دخلت على المتوكل وقد بلغني أنه كلم قبيحة جاريته فأجابته بشيء أغضبه،
 فرماها بمخدة فأصاب عيها فأثرت فيها، فتأوهت وبكت وبكى المعتر لبكائها، فخرج
 المتوكل وقد حم من الغم والغضب، فلما بصري دعاني وإذا الفتح يرى^(٣) يتخيشع
 القارورة ويشاوره فيها، فقال لي: قل يا علي في علقى هذه شيئاً وصف أن الطبيب
 ليس يدرى ما بي، فقلت :

دخل على المتوكل
 والطبيب يفحص
 عله وكانت جاريته
 قبيحة أغضبه
 فضرها ثم اغتم
 لذلك فقال هو
 في ذلك شعرا

(١) المتورد : الذي يورد ويزار مثل المتورد . وفي ب، سه : " المتورد " وهو تحريف .

(٢) في ١ ، ٢ : « الربيعي » . (٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل وتدينه .

- تَنْصُرُ حَالَ عَلِيٍّ الطَّيِّبُ * وقال أَرَى بِجِسْمِكَ مَا يَرِيْبُ
جَسَسْتُ الْعِرْقَ مِنْكَ فَدَلَّ جَسِّي * عَلَى أَلَمٍ لَهُ خَيْرٌ عَجِيبُ
فَمَا هَذَا الَّذِي بَكَ هَاتِ قُلْ لِي * فَكَانَ جَوَابَهُ مِنِّي النَّجِيبُ
وَقُلْتُ أَيَا طَيِّبُ الْمُهْجَرِ دَائِي * وَقُلِي يَا طَيِّبُ هُوَ الْكَثِيبُ
فَرَّكَ رَأْسَهُ عَجَبًا لِقَبْلِي * وقال الحب ليس له طَيِّبُ
فَاعْجَبْنِي الَّذِي قَدْ قَاتَ جِدًّا * وَقُلْتُ بَلَى إِذَا رَضِيَ الْحَبُّ
فَقَالَ هُوَ الشِّفَاءُ فَلَا تُقَصِّرْ * فقلت أَجَلٌ وَلَكِنْ لَا يُجِيبُ
أَلَا هَلْ مُسْعِدٌ يَبْكِي أَشْجَوِي * فَأَنَّى هَانُمُ قَرْدٌ غَرِيبُ
فَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَحَيَاتِي! يَا غِلَامَ اسْقِنِي قَدَحًا، بَاجَاءَ بَقْدَحٍ فَتَرِبَ وَسُقِيَتِ الْجَمَاعَةُ
مِثْلَهُ، وَخَرَجَتْ إِلَيْهِ فَضَّلُ الشَّاعِرَةُ بِأَبْيَاتٍ أَمَرَتْهَا قَبِيحَةً أَنْ تَقُولَهَا عَنْهَا، فَقَرَأَهَا فَذَا هِيَ: ١٠
لَا كُنْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْ حُرْقٍ * حَتَّى أَمُوتَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ النَّاسُ
وَلَا يَقَالُ شَكَا مَنْ كَانَ يَعْشَقُهُ * إِنَّ الشَّكَاةَ لَمَنْ تَهَوَّى هِيَ الْيَأْسُ
وَلَا أَبُوحُ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَكْتُمُهُ * عِنْدَ الْجُلُوسِ إِذَا مَا دَارَتْ الْكَأْسُ
فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ: أَحْسَنْتَ يَا فَضْلُ. وَأَمَرَ لَهَا وَلِي بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَدَخَلَ إِلَى
قَبِيحَةٍ قَرَضَهَا. ١٥

١١١
٩

خرج مع جماعة
الى الشام فقطع
عليهم الأعراب
الطريق ففر أصحابه
وثبت هو وقال
شعرا

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ :
خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ إِلَى الشَّامِ فِي قَافِلَةٍ ، خَرَجَتْ عَلَيْهِمُ الْأَعْرَابُ فِي خُسَافٍ (١) .
فَهَرَبَ مِنْ كَانَ فِي الْقَافِلَةِ مِنَ الْمُتَأَنِّلَةِ ، وَثَبَّتَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ،
وَتَابَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَدَفَعَهُمْ وَلَمْ يَحْطُوا بِشَيْءٍ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

٢٠ (١) فِي الْأَصُولِ «خُسَافٌ» بِالْهَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَخُسَافٌ : بَرِيَّةٌ بَيْنَ النَّاسِ وَحَابٍ .
(مَعْنَى الْبُلْدَاتِ لِيَاقُوتَ) .

صَبَرْتُ وَمِثْلِي صَبْرُهُ لَيْسَ يُنْكَرُ * وَلَيْسَ عَلَى تَرْكِ التَّقَحُّمِ يُعْذَرُ
 غَرِيزَةُ حَرًّا أَخْتَلَا تُكَلِّفُ * إِذَا خَامَ^(١) فِي يَوْمِ الْوَعَى الْمُتَصَبِّرُ
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْمَوْتَ تَهْفُو بُسُودُهُ * وَبَانَتْ عَلَامَاتُ لَهُ لَيْسَ تُنْكَرُ
 وَأَقْبَلْتُ الْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * وَنَارَ نَجَاجٍ أَسْوَدُ اللَّوْنِ أَكْذَرُ
 بِكُلِّ مُشِيحٍ مُسْتَمِيتٍ مُشَعَّرٍ * يَجُولُ بِهِ طَرْفُ أَقْبُ^(٢) مُشَمَّرُ
 بَارِضٍ خُسَافٍ حِينَ لَمْ يَكْ دَافِعٌ * وَلَا مَانِعٌ إِلَّا الصَّبِيحُ الْمُدَكَّرُ^(٣)
 فَقَلَّلَ فِي عَيْتِي عُظْمَ جَمْعِهِمْ * عَزِيمَةُ قَلْبٍ فِيهِ مَا جَلَّ يَصْغُرُ
 مُعْتَرِكٍ فِيهِ الْمَنَايَا حَوَاسِرُ * وَنَارُ السَّوْغَى بِالْمَشْرِفَةِ تُسْعَرُ
 فَمَا ضَبْتُ وَجْهِي عَنْ طُبَاتِ سِيوفِهِمْ * وَلَا أُنَحِزْتُ عَنْهُمْ وَالْقَنَا تَنْكَسَرُ
 وَلَمْ أَلْكَ فِي حَرْ الْكَرِيمَةِ مُحْيِيًا * إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرْبِ لِلْوَرْدِ مُضِدُّ
 إِذَا سَاعَدَ الطَّرْفُ الْفَتَى وَجَنَانَهُ * وَأَسْتَمِرُّ خَطِيَّ وَأَبْيَضُ مِبْتَرُ^(٤)
 فَذَاكَ، وَإِنْ كَانَ الْكَرِيمُ بِنَفْسِهِ، * إِذَا أَصْطَلَكَتِ الْأَبْطَالُ فِي النَّفْسِ عَسْكَرُ
 مَنَعْتَهُمْ مِنْ أَنْ يَنْأَلُوا قُلَامَةً * مَكَنْتُ شَجَاهِمُ وَالْأَسِنَّةُ تَقْطُرُ
 وَتَلْكَ سَحَابَانَا قَدِيمًا وَحَادَثًا * سَهَا عُرِفَ الْمَاضِي وَعَمَّ الْمُؤَخَّرُ
 أَبْتُ لِي قُرُومُ أَنْجَبَتِي أَنْ أَرَى * وَإِنْ جَلَّ خَطْبُ خَاشِعًا أَنْضِجُرُ
 أُولَئِكَ آلُ اللَّهِ فَهَرُ بْنُ مَالِكٍ * بِهِمْ يُخْبِرُ الْعَظْمُ الْكَسِيرُ وَيُكْسَرُ
 هُمْ الْمُنْكَبُ الْعَالِي عَلَى كُلِّ مَنَكِبٍ * سِيُوفُهُمْ تَفْنِي وَتُغْنِي وَتُقْفِرُ

(١) خام : تكسر وجبه . (٢) المشيخ : المجذ . (٣) الطرف : الكريم

من الخيل . والأقرب : الدقيق المنصر الضاهر البطن . (٤) الصفيح هنا : السيف العريض .

(٥) المعروف في كتب اللغة أن يقال سيف ياتر وبتار (بتشديد التاء) وبتار (وزان غراب) وبتور؛

ولكن على بن الجهم استعمل هنا هذه الصيغة، فربحنا هذا الضبط؛ إذ المستعمل في القطع من هذه المادة

إنما هو « بتر » الثلاثي، واسم الآلة منه مبر .

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق والحسن بن علي قالوا جميعا حدثنا محمد ابن القاسم بن مهرويه قال حدثني عيسى بن أبي حَرْب قال حدثني علي بن الجهم قال : حسبي أبي في الكتاب ، فكتبت إلى أمي :

يا أمنا أفديك من أم * أشكو إليك فظاظة الجهم
قد سرح الصبيان كلهم * ويقيت محصوراً بلا جرم

قال : وهو أول شعر قلته وبعتت به إلى أمي ، فأرسلت إلى أبي : والله لئن لم تطلقه لأخرجن حاسرة حتى أطلقه . قال عيسى حدثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبر فقال : علي بن الجهم كذاب ، وما يمنعه من أن يكون ولد هذا الحديث وقال هذا الشعر وله ستون سنة ، ثم حدثكم أنه قاله وهو صغير ، ليرفع من شأن نفسه !

١١٢
٩

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كان أحمد بن أبي دؤاد متحرِّفاً عن علي بن الجهم لأعتقاده مذهب الحشوية . فلما حبس علي بن الجهم مدح أحمد بن أبي دؤاد عدة مدائح ، وسأله أن يقوم بأمره ويسقِّع فيه ، فلم يفعل وقعد عنه . ففنها قوله :

يا أحمد بن أبي دؤاد إنما * تدعى لكل عزيمة يا أحمد
أبلغ أمير المؤمنين ودونه * خوض الردى ومحاول لا تنفذ
أتم بنو عم النبي محمد * أولى بما شرع النبي محمد

وهذه الأبيات من قصيدته التي أولها :

* قالت حبست فقلت ليس بضائري ،

مدح أحمد بن
أبي دؤاد وكان
متحرِّفاً عنه ليشفع
له في حبسه فقعد
عنه فهجاه وشمته
به بعد أن نفاه
المتوكل

(١) الحشوية : طائفة يقولون : حكم الأحاديث كلها واحد ، وعندهم أن تارك النفل تخارك القرض .

وهم فرقة من المرجفة . (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ١٦٢ طبع دار الكتب المصرية) .

فلَمَّا نَفَى الْمُتَوَكِّلُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ سَمِيَّتَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ وَهَجَاهُ فَقَالَ :

يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ دَعْوَةٌ * بَعَثْتُ إِلَيْكَ جُنَادِلًا وَحَدِيدًا

مَا هَذِهِ السِّدْعُ الَّتِي سَمِيَّتْهَا * بِالْجَهْلِ مِنْكَ الْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ

أَفْسَدْتَ أَمْرَ الدِّينِ حِينَ وَلَيْتَهُ * وَرَمَيْتَهُ بِأَبِي الْوَلِيدِ وَلَيْدًا

لَا مُحْكَمًا جَزَلًا ، وَلَا مُسْتَطَرَفًا * كَهَلًا ، وَلَا مُسْتَحْدَثًا مَعْمُودًا ^(٤)

شَرِّهَا ، إِذَا ذُكِرَ الْمَكَارِمُ وَالْعَلَا * ذَكَرَ انْقِلَابًا مُبْدِيًا وَمُعِيدًا ^(٥)

وَيُوَدُّ لَوْ مُسِيخَتْ رَبِيعَةٌ كُلُّهَا * وَبَنُو إِيَادٍ حَقِيقَةٌ وَتَرْسِدَا

وَإِذَا تَرَجَّعَ فِي الْمَجَالِسِ خِلَّتَهُ * ضَبْعًا وَخَلَّتْ بَنَى أَبِيهِ قُرُودَا

وَإِذَا تَبَسَّسَ ضَاخَكًا شَبَّهَتْهُ * شَرَفًا تَعَجَّلَ شُرْبُهُ مَرْدُودَا

لَا أَصْبَحَتْ بِالْخَيْرِ عَيْنٌ أَبْصُرَتْ * تِلْكَ الْمَنَاحِرَ وَالنَّيَا السُّودَا

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ قَالَ :

كُتِبَ عَلَى بْنِ الْجَهْمِ إِلَى طَاهِرٍ مِنَ الْحَبْسِ :

إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَلِي حُرْمَةٌ * وَالْحَقُّ لَا يَدْفَعُهُ الْبَاطِلُ

وَحُرْمَتِي أَعْظَمُ مِنْ زَلَّتِي * لَوْ نَالَنِي مِنْ عَذْلِكُمْ نَائِلُ

وَلِي حَقُوقٌ غَيْرُ مَجْهُولَةٍ * يَعْرِفُهَا الْعَاقِلُ وَالْجَاهِلُ

وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَهُ مَذْهَبٌ * وَأَهْلٌ مَا يَفْعَلُهُ الْفَاعِلُ

وَسِيرَةُ الْأَسْلَافِ مَقُولَةٌ * لَا جَائِزٌ يُخَفِّي وَلَا عَادِلُ

وَقَدْ تَعَجَّلْتُ الَّذِي خِفْتُهُ * مِنْكَ وَلَمْ يَأْتِ الَّذِي أُمِّلُ

كتب من حبسه
شعرا لطاهر بن
عبد الله بن طاهر
ابن الحسين

(١) أبو الوليد هو محمد بن أحمد بن أبي دواد، كان يتولى المظالم بسامرا وعزله المتوكل سنة ٢٣٧ هـ.

(٢) الجزل هنا : الجيد الرأي أصيله . (٣) لعلها « مستطرفا » بالظاء المجعومة أى معدودا ظرفا .

(٤) لعلها : « محمودا » . (٥) القلايا : المتقلبات ، مفردة تلية . (٦) بعد هذه

الكلمة وقبل الشعر كلمة « صوت » في ح ، ب ، س ؛ ولم يذكر فيه أحيانا حتى يكون لهذه الكلمة موقع .

شعره في مقين
كان ينزل عنده
في جماعة بالكرخ

جحدني عني قال حدثنا محمد قال :

كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من قتيان بغداد لما أُطلق من حبسه وردَّ من النفي، وكانوا يتقايئون ببغداد، ويلزمون منزل مقين بالكرخ يقال له المفضل. فقال فيه علي بن الجهم :

٥
نزلنا بباب الكرخ أطيّب منزل * على محسنات من قيان المفضل
فلا بن سريج والفريرض ومعبّد * بدائع في أسماعنا لم تبدل
أولئس ما للضيف منهن حشمة * ولا رهت بالجليل المجل
يسر إذا ما الضيف قلّ حياؤه * ويفضل عنه وهو غير مفضل
ويكثر من ذم الوفار وأهله * إذا الضيف لم يأنس ولم يتدل
ولا يدفع الأيدي المريسة غيرة * إذا نال حظ من لبّوس وماكل
١٠
وبطرق أطراق الشجاع مهابة * ليطلق طرف الناطق التأمل
أشربيد وأعجز بطرف ولا تحف * رقيباً إذا ما كبت غير مبجل
وأعرض عن المصباح والهج بمنزلة * فإن تمد المصباح فادن وقبل
وسل غير ممنوع وقول غير مسكت * وتم غير مدعور وقم غير معجل
١٥
لك البيت ما دامت هداياك جمّة * وكنت ملياً بالنبيذ المعسل
فبادر بأيام الشباب فإنها * تقضى وتفتي والغواية تتجلى
ودع عنك قول الناس أتلف ماله * فلان وأحنى مبدراً غير مفضل
هل الدهر إلا ليلّة طرحت بنا * أو آخرها في يوم لمومعجل

(١). ظاهر أن معناه : يجالسون القيان ، وأن معني مقين صاحب قيان .

سقى الله باب الكرخ من منزه * إلى قصر وضاح فيركه زلزل^(٢)
 مسح أذبال القيان ومسح ال * حسان ومثوى كل خرق معدل^(٣)
 لوأت أمرأ القيس بن حجير يحلها * لأفصر عن ذكر الدخول وحومل^(٤)
 إذا لراى أن يمنح الود شادنا * مقصر أذبال القبا غير مسيل^(٥)
 إذا الليل أدنى مضجعى منه لم يقل^(٦) * عقرت يعرى يا أمرأ القيس فأنزل

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهوريه قال حدثني إبراهيم بن المدبر
 قال أنشدني علي بن الجهم لنفسه :

وإذا جرى الله أمرأ بفعله * فجزى أخا لي ماجدا ستم
 ناديته عن كربة فكأتما * أطلعت عن ليل به صبا

أنشد إبراهيم بن
 المدبر شعرا لنفسه
 فكذبه وقال إن
 الشعر لإبراهيم بن
 العباس

١٠. فقلت له : وإليك ! هذا لإبراهيم بن العباس يقوله في محمد بن عبد الملك الزيات !
 بحدني وكابر . فدخل يوما علي بن الجهم إلى إبراهيم بن العباس وأنا عنده . فلما
 رآني قال : اجتمع الإبراهيمان . فتركته ساعة ثم أنشدت البيتين ، وقلت لإبراهيم بن
 العباس : إن هذا يزعم أن هذين البيتين له . فقال : كذب ، هذان لي في محمد

- (١) قصر وضاح : قصر بني الهدي قرب رصافة بغداد ، وقد تولى النخبة عليه رجل من أهل الأنبار يقال له
 وضاح فنسب إليه . وقيل وضاح من موالى المنصور . وقال الخطيب : لما أمر المنصور ببناء الكرخ قل ذلك رجلا
 يقال له الوضاح بن شبا ، فبنى القصر الذي يقال له قصر الوضاح . (معجم البلدان لياقوت) . (٢) بركة زلزل :
 يتعداد بين الكرخ والصرافة (فتح أوله) وباب المحول (يتشديد الواو مع فتحها) وسويقة أبي الورد فنسب
 إلى زلزل الضارب . (معجم البلدان لياقوت) . (٣) الخرق من الرجال : الكريم الذي يخرق في كرمه
 أي يتسع فيه . والمعدل : الذي يكثر الناس عنده ولومه على إسرافه في الكرم . (٤) رواية معجم البلدان :
 منازل لا يستقيم الفيت أهلها * ولا أرجه اللذات عنها بمعزل
 ٢٠. منازل لو أن أمرأ القيس حلها * لأفصر عن ذكر الدخول فحومل

(٥) في ياقوت :

إذا لراى أنمنح الود شادنا * مقلص

(٦) في الأصول : «لم أقل» . والتصويب من معجم البلدان لياقوت عند الكلام على قصر وضاح .

أبن عبد الملك الزيات . فقال له علي بن الجهم بقمحة : ألم أنهك أن تتجمل شعري ! فغضب إبراهيم وجعل يقول له بيده : سوءة عليك سوءة لك ! ما أوخك ! وهو لا يشكر في ذلك ولا يتجمل . ثم التفتينا بعد مدة فقال : رأيت كيف أحرقت إبراهيم أبن العباس ! ! فجعلت أعجب من صلابته وجهه .

حدثني عمي قال أشدنا محمد بن سعد لعل بن الجهم وفيه غناء : شعر له في الفراق

١١٤
٩

أعلى يا أحب شيء إلينا * أت شوق إليك قاض عليها
إن قصه الله لي رجوعاً إليك * لا ذكرت الفراق ما دمت حياً
إن حر الفراق انحلت جسمي * وكوى القلب منك بالشوق يكاً

كانت محمد بن
عبد الملك الزيات
منحرفاً عنه وبسبه
عند الخليفة فهاج

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفاً عن علي بن الجهم وكان يسببه عند الخليفة ويبيئه ويدكره بكل قبيح . فقال فيه علي بن الجهم :

لعمري الله متابعات * مصبات ومهجرات
على أبن عبد الملك الزيات * عرض تمل الملك للشقات
وأنفذ الأحكام جازات * على كتاب الله ذاريات
وعن عقول الناس خارجات * يرمي الدواوين بتوقعات
معتقدات كركي الحيات * سبجان من جل عن الصفات
بعد ركوب الطوف في القرات * وبعد يتبع الزيت بالحيات

(١) في حـ، ب، سـ : « لا يفكر » . (٢) في ب، سـ، حـ : « قال حدثني الخ »
وكلمة « قال » هنا لا موقع لها . (٣) يسبه (من باب سرب ومنع) شتمه وقع فيه . وهذه
الكلمة محرقة في الأصول ، ففي ب، سـ : « يسبه » وفي أ، م : « يشمه » وفي حـ : « يسبه » .
(٤) كذا في الأصول بالذال المعجمة . وذاريات من ذرت الريح التراب تذروه وتذريه : فرفسه
وأطارته . يريد أنها تعني تخاب الله . ويحتمل أن يكون زاريات بالزاي أى عاتبات .
(٥) العاوت : قرب ينفخ فيها ويشد بعضها إلى بعض كهيئة السطح يركب عليها في الماء ويحمل عليها .

صرتَ وزيراً شامخَ الثَّباتِ ^(١) * هارونَ ^(٢) يابنَ سَيِّدِ السَّادَاتِ
أَمَّا ترى الأُمُورَ مُهْمَلَاتٍ * تشكو إليك عَدَمَ الكُفَاةِ
فَعَاجِلُ العِلْجِ بِمُرَهَفَاتٍ * مِنْ بَعْدِ أَلْفِ حُجُبِ الأصْوَاطِ ^(٣)
بِمُخْمَرَاتٍ غَيْرِ مُورِقَاتٍ * تُرى بِمَتْنِيهِ مَرْضَضَاتٍ ^(٤)
* تَرَضُّفَتِ الأَسْنَانُ فِي اللُّثَاثِ * .

استرشد عمر بن
الفرج فلم ير فده
ثم قبض على عمر
فشمت به وقال
شعرا

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال :
كان علي بن الجهم سأل عمر بن الفرج الرُّحَيْجِيَّ معاونته ^(٥)، واسترَفَدَه في نكبتِه
فلم يُعَاوِنَه ولم يُرَفِدَه ، ثم قُبِضَ على عمر بن الفرج وأُسلِمَ إلى نِجَاحٍ ليصادره . فقال
علي بن الجهم له :

أَبْلِغْ نِجَاحًا بَنِي الْفَيْتَانِ مَالِكَةً * تَمُضِي بِهَا الرَّجُّ إِضْدَارًا وَإِرَادَا
لَنْ يَرْجُ الْمَالُ عَفْوًا مَنْ يَدْنِي عُمَرُ * أَوْ يُغَمِّدَ السِّيفُ فِي قُودِيهِ إِعْمَادَا
الرُّحَيْجِيُّونَ لَا يُؤْفُونَ مَا وَعَدُوا * وَالرُّحَيْجِيَّاتُ لَا يُخْلِفْنَ مِيعَادَا
قال وقال في عمر بن الفرج أيضا :

جَمَعْتُ أَمْرَيْنِ ضَاعَ الْحَزْمُ بَيْنَهُمَا * تَبَيَّنَ الْمَسْلُوكُ وَأَفْعَالُ الْمَالِكِ

(١) كذا في الأصول والنفس غير من تاحة لها (٩) :

١٥٥

(٢) يريد هارون الواثق الخليفة العباسي . (٣) يريد ألقا من السياط .

(٤) مثرات : لها عمر . والجمرة من السوط : عقدة في طرفه تشبها بالفرج في الهيئة والتدلي عنه كشدلي النمر .

(٥) كان هو وأبوه فرج من أعيان الكُتَّابِ في أيام المأمون إلى أيام المتوكل . غضب عليه المتوكل ،

لأن الواثق وكهده حين أغضب عليه ، يكتب عنه ويحفظ أخباره . فلما دلى الخلافة نكبه في شهر رمضان

سنة ٢٣٣ هـ وأمر بجبته ومصادرة أمواله . (راجع الطبري ق ٣ ص ١٣٧٠ و ١٣٧٧) .

٢٠

(٦) - هو نِجَاحُ بْنُ سُلَيْمٍ أَبُو الْقُضَلِ ، كان على ديوان التوقيع والتبليغ على النعال في عهد المتوكل ، ثم نكبه

عنده حميد الله بن يحيى بن خاقان نسبة ٢٤٥ هـ ، وكان متبليا من المتوكل وإليه الوزارة وجامعة أعماله .

(راجع الطبري ق ٣ ص ١٤٤٠ + ١٤٤٧) . (٧) المألكة : الرسالة .

أُخْبِرَتْ شَكْرًا بِسَلَا بِرٍ وَمَرْزِيَّةٍ * لَقَدْ سَلَكْتَ طَرِيقًا غَيْرَ مَسْلُوكٍ
ظَنَنْتَ عِرْضَكَ لَا يُرْمَى بِقَارِعَةٍ * وَمَا أَرَاكَ عَلَى حَالٍ بِمُتْرَوْلَةٍ

تمثل بشعره نديم
لسليمان بن وهب
وكان عربدا عليه
واشتهر فرضي عنه

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال :
كَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ وَهَبٍ نَدِيمٌ يَأْتِسُ بِهِ وَيَأْلَفُهُ ، فَعَرَبَدَ عَلَيْهِ لَيْلَةً مِنْ ^(٢) ~~الليالي~~
عَرَبْدَةٍ قَبِيحَةٍ ، فَأَطْرَحَهُ وَجْهًا ~~فوقه~~ . فَوَقَفَ لَهُ عَلَى الطَّرِيقِ . فَلَمَّا مَرَّ بِهِ وَثَبَ ^(٣)
إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، أَلَا تَكُونُ فِي أَمْرِي كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ :

الْقَوْمُ إِحْوَاهُ صَنِيقٌ بَيْنَهُمْ تَسَبُّ * مِنَ الْمَوَدَّةِ لَمْ يُعَدِّلْ بِهَا تَسَبُّ
تَرَاضَعُوا دِرَّةَ الصُّبْهَاءِ بَيْنَهُمْ * فَأَوْجِبُوا لِرَضِيعِ الْكَأْسِ مَا يَجِبُ
لَا تَحْفَظُنَّ عَلَى السَّكَّانِ زَلَّتْهُ * وَلَا تَرَيْنَنَّكَ مِنْ أَخْلَاقِهِ رَيْبُ

١١٥
٩

١٠ فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : قَدْ رَضِيتَ عَنْكَ رَضًا صَحِيحًا ، فَقَدْ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ مِنْ مَلَازِمِي .
وَأَوَّلُ هَذِهِ ~~البيات~~ :

الْوَرْدُ يَضْحَكُ وَالْأَوْتَارُ تَصْطَلِخُ ~~هـ~~ إِيَّ النَّأْيِ يَنْدُبُ أَشْجَانًا وَيَنْتَحِبُ
وَالرَّاحُ تُعْرِضُ فِي نَوْرِ الرَّبِيعِ ~~كـ~~ * تُجَلِّيُ الْعُرُوسَ عَلَيْهَا الدُّرُّ وَالذَّهَبُ
وَاللَّهُوُ يُلْحِقُ مَقْبُورًا بِمُصْطَلِحِ * ^(٤) ~~والدور~~ سَيَّانٍ مَحْشُوتٍ وَمُنْتَحِبِ
وَكُلُّهُ أَنْسَكِبَتْ فِي الْكَأْسِ أَوْنَةً * أَقْسَمْتُ أَنْ شُعَاعَ الشَّمْسِ يَنْسَكِبُ

١٥

^(١) يقال : رزاه ماله من باب قطع وعلم رزوا ومرزوة إذا أصاب منه خيرا .

^(٢) هو أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد . كتب لنا مؤلف وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم
لأشناس ، ثم ولي الوزارة للهندي بالله ثم للتمند على الله ، وقد مدح خلق كثير من أعيان الشعراء كأبي تمام
والبحتري . ويتنقل سليمان المذكور في الدواوين الكبار والوزارة . ولم يزل كذلك حتى توفي مقبوضا عليه
في منتصف صفر سنة ٢٧٢ . (راجع ابن خلكان) .

٢٠

^(٣) سبق لب بن وهب ، ^(٤) « عليه » . (٤) كذا في الأصول .

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثني أسلم مولى عبد الله بن طاهر قال :

أشد عبد الله بن طاهر شعرا وكان معاً فسرى عنه

دخل علي بن الجهم يوماً على عبد الله بن طاهر في غُدوة من غُدوات الربيع وفي البهاء غيم المطر يحيى قليلاً ويسكن قليلاً ، وقد كان عبد الله عزم على الصبوح . فغاضبته حظية له ، فتغصص عليه عهدهم وقتراً . فخبّر علي بن الجهم بالخبر . وقيل له : فله في هذا المعنى شيئاً ، لعله ينشط للصبوح . فدخل عليه فأنشده :

صوت

أما تترى اليوم ما أضحى شمائله * تحوَّ وغيم وإبراق وإرعاد
كانه أنت هاهنا لا شبيه له * وَهَلْ وَجَّهٌ وَتَقَرِّيبٌ وَإِبْعَادُ
مَا كَرَّ الرَّاحُ وَأَشْرَبَهَا مُعْتَقَةً * لَمْ يَدْخُرْ مِثْلَهَا كِسْرَى وَلَا عَادُ
وَأَشْرَبَ عَلَى الرُّوضِ إِذْ لَاحَتْ زَخَارِفُهُ * زَهْرٌ وَنَوْرٌ وَأَوْرَاقُ وَأَوْرَادُ
كَأَمَّا يَوْمُنَا فَتَهْلُ الحَيِّبُ بِنَا * بَذَلٌ وَبُخْلٌ وَإِبْعَادُ وَمِيعَادُ
وَلَيْسَ يَذْهَبُ عَنِّي كُلُّ فَعْلَكُمُ * نَعْيٌ وَرُشْدٌ وَإِصْلَاحٌ وَإِفْسَادُ
فَأَسْتَحْسِنُ الْآيَاتِ وَأُحْمَرُ لَهُ بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ . وَحَمَلَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُغْنَى
فِي الْآيَاتِ . الْغِنَاءُ لِبَذَلِ الطَّاهِرِيَّةِ ، خَفِيفُ رَمَلٍ . وَفِيهِ لَغْوٌ هَزَجٌ . ١٥

حدثني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال حدثني رجل من أهل خُراسان قال :
رأيت علي بن الجهم بعد ما أُطلق من حبسه جالساً في المقابر ؛ فقلت له :
ويحك ! ما يُجاسك هاهنا ؟ ! فقال :

جلس في المقابر
بعد خروجه من
السجن وقال شعرا

يشتاق كُلُّ غَرِيبٍ عِنْدَ غُرَبَتِهِ * وَيَذْكُرُ الْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ وَالْوَطَنَ
فَلَيْسَ لِي وَطَنٌ أَمْسَيْتُ أَذْكُرُهُ * إِلَّا الْمَقَابِرَ إِذْ صَارَتْ لَهُمْ وَطَنًا ٢٠

حدثني عمي قال أنشدنا أحمد بن عبيد ومحمد بن سعد علي بن الجهم وفيه غناء : شهر له وفيه غناء .

صوت

لو نَصَلَتْ إلينا * لو هَبْنَا لك ذَنْبَكَ
بأبي ما أَبْغَضَ العِد * شَ إِذَا فَارَقْتُ قُرْبَكَ
لَيْتَنِي أُمْلِكُ قَلْبِي * مِثْلَ مَا تَمْلِكُ قَلْبَكَ
أَيُّهَا الْوَائِقُ بِاللَّهِ لَقَدْ نَاحَتْ رَبُّكَ
بِتَنَا رَأَى النَّاسُ إِمَامًا * أَتَهَبُ الْأَمْوَالَ تَهَبُكَ
أَصْبَحْتَ مُجْتَمِعُ الْعَد * يَا وَحْزِيئُ اللَّهِ حِزْبَكَ
الْفَنَاءُ لَعَرِيبٌ رَمَلٌ . وفيه لغزها هجج .

مدح أبا أحمد بن
الرشيد فلم يعطه
شيئا فجهاد

١١٦
٩

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :
كانت علي بن الجهم قد مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيئا فقال يهجوه :

يا أبا أحمد لَا يُنْهَى عِجِي مِنَ الشَّعْرِ الْفِرَارُ
لَبْنِي الْعَبَّاسُ أَحْلَى * م عِظَامُ وُوقَارُ
وَلَهْمُ فِي الْحَرْبِ إِقْدَا * م وَرَأَى وَأَصْطَبَارُ
وَلَهْمُ أَلْسِنَةُ تَبَّ * يَرَى كَمَا تَبْرَى الشَّفَارُ
وَوَجْوهُ كَنَجُومِ اللَّيْلِ تَهْدِي مِنَ بَحَارُ
وَنَسِيمُ كَنَسِيمِ الرُّوْضِ جَادَتْهُ الْقِطَارُ
وَلِعِطْفَيْكَ عَنِ الْحَج * د شَيْئَانِ وَأَزْرَارُ
إِنْ تَكُنْ مِنْهُمْ بَلَا شَعْكُ فَلْعُودِ قَتَارُ

(١) القنار : ربح المود المحرق .

حَدَّثَنِي بِحُظَّةٍ وَعَمِّي قَالَا حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ
دَخَلَ إِلَيْنَا عَلَى بْنِ الْجَهْمِ بِعَقِبِ مَوْتَ أَبِي وَالْجُلُوسُ حَافِلٌ بِالْمَعَزِّينَ، فَنَلَّ قَائِمًا
وَأَنشَدَنَا يَرْثِيهِ :

رثى عبد الله بن
طاهر بشعره وأنشده
ابنه يزيه

أَيُّ رُكْنٍ وَهِيَ مِنَ الْإِسْلَامِ * أَيُّ يَوْمٍ أَخْنَى عَلَى الْأَيَّامِ
جَلَّ رُزُّهُ الْأَمِيرُ عَنْ كُلِّ رُزْيٍ * أَلَّا كَتَبَهُ خَوَاطِرُ الْأَوْهَامِ
سَلَبَتْهُ الْأَيَّامُ ظِلًّا ظَلِيلًا * وَأَبَاحَتْ جَمِّي عَزِيزَ الْمَرَامِ
مَا بَنَى مُصْعَبٍ حَلَّتُمْ مِنَ النَّاسِ * سَاحَلُ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ
فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنَ الْفُلْهِ رَيْبٌ * عَمَّ مَا خَصَّكُمْ بِجَمِيعِ الْأَنَامِ
أَنْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ إِلَّا دُمُوعًا * شَاهَدَاتٍ عَلَى قُلُوبٍ دَوَامِ
مَنْ يَدَاوِي الدُّنْيَا وَمَنْ يَكْلَأُ الْمُدَّ * لَكَ لَدَى فَادِحِ الْخَطُوبِ الْعِظَامِ
نَحْسُ بُنَا بِمَوْتِهِ وَأَجَلُ الْإِلَ * خُطِيبُ مَوْتِ السَّادَاتِ وَالْأَعْلَامِ
لَمْ يَمُتْ وَالْأَمِيرُ طَاهِرٌ حَيٌّ * دَائِمُ الْإِنْتِقَامِ وَالْإِنْعَامِ
وَهُوَ مِنْ بَعْدِهِ نِظَامُ الْمَعَالِي * هُوَ تَوَامُ الدُّنْيَا وَسَيْفُ الْإِمَامِ
قَالَ : لَمَّا أَذْكَرَ أَنِي بِكَيْتٍ أَوْ رَأَيْتُ فِي دُورِنَا بَابِكَا أَكْثَرَ مِنْ يَوْمَعِدٍ .

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الدَّهْقَانَةِ النَّدِيمُ قَالَ :
دَخَلْنَا يَوْمًا إِلَى الْمُعْتَرِّ وَهُوَ مُصْطَبِحٌ عَلَى صَوْتِ اخْتَارِهِ وَاقْتَرَحِهِ عَلَى عَرِيبٍ ،
وَأُظُنُّ الصَّنْعَةَ لَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ، فَلَمَّا سَكَرَ أَمَرَ لَهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ ، وَفَرَّقَ عَلَى الْجُلَسَاءِ كُلِّهِمُ الْجَوَازِ وَالطَّيِّبَ وَالخَلْعَ . وَالصَّوْتُ :

غنت عريب المعتز
بشعره فطرب
وفوق مالا

(١) يريد طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين .

العينُ بعدَكَ لم تنظر إلى حَسَنِ * والنفسُ بعدَكَ لم تسكن إلى سَكَنِ
كَأَنَّ نفسِي إِذَا مَا غَبَتَ غَائِبَةٌ * حتى إِذَا عُدَّتْ لِي عَادَتُ إِلَى بَدَنِي
والشعرُ لعلِّي بنَ الجَهمِ .

حدثني جَحْظَةُ ومحمد بن خَلْفٍ وَكِيعٌ وعُمَى قالوا جميعاً حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ :
نرج مع عبد الله
ابن طاهر للصيد
وغثرتوا فقال شعرا
يصف ذلك

لَمَّا أَطْلَقَ أَبِي طَاهِرٌ عَلَيَّ بَنَ الْجَهْمِ مِنَ الْحَبْسِ أَقَامَ مَعَهُ بِالشَّادِ بِحَدَّةٍ، فَخَرَجُوا
يَوْمًا إِلَى الصَّبِيِّ ، وَاتَّفَقَ لَهُمْ مَرْجٌ كَثِيرٌ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ ، وَكَانَتْ أَيَّامُ الرَّعْمَرَانِ ،
فَاصْطَادُوا صَيْدًا كَثِيرًا حَسَنًا ، وَأَقَامُوا يَشْرَبُونَ عَلَى الرَّعْمَرَانِ . فَقَالَ عَلِيٌّ بَنُ الْجَهْمِ
يُصِفُ ذَلِكَ :

وَطِئْنَا رِيَاضَ الرَّعْمَرَانِ وَأَمْسَكْتُ * عَلَيْنَا الْبَزَاءُ الْبَيْضُ حُمَرَ الدَّرَاجِ (٢)
وَلَمْ تَحْمِهَا الْأَدْعَاؤُ مِنَّا وَإِنَّمَا * أَبْجَحَا حِمَاهَا بِالْكَلَابِ النَّوَاجِ (٣)
بُسْتَرَوْحَاتٍ سَابِجَاتٍ بِطُونُهَا (٤) * عَلَى الْأَرْضِ أَمْثَالُ السَّهَامِ الزَّوَالِجِ (٥)
وَمُسْتَشْرِفَاتٍ بِالْهَوَادِي كَأَنَّهَا (٦) * وَمَا عَقَفَتْ مِنْهَا رَعُوسُ الصَّوَالِجِ (٧)
وَمِنْ دَالِعَاتٍ أَلْسُنًا فَكَأَنَّهَا * لِحَى مِنْ رِجَالٍ خَاضِعِينَ كَوَائِجِ

١١٧
٩

- (١) راجع الحاشية رقم ٣ صفحة ٢٠٨ من هذا الجزء . (٢) الدراج : جمع دراج
وهو طير جميل المنظر ملون الريش . وفي الأصول : « الدراج » وهو تحريف . (٣) نواج الكلب :
نباحه . وفي « ح ، م » : « النواج » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . وفي « ب ، ص » :
« البواج » وهو تحريف . (٤) استروح الشيء : تشمه . وسابجات : سريعات .
(٥) الزوالج : هنا بمعنى السريعة . يقال سهم زالج أى يزلج على وجه الأرض ثم يعضى .
(٦) الهوادى هنا : الأعناق . وعقفت : عطفت وعوجت .
(٧) دالعات ألسنا : مخرجات ألسنها من أفواهها . والكويج : الذى لحيته على ذقنه لا على عارضيه .

فَلَيْتَ بِهَا الْغِيْطَانَ قَلِيًّا كَأَنَّمَا * أَنَامُلُ إِحْدَى الْغَانِيَاتِ الْحَوَائِجِ^(١)
 فَقُلْ لِبُعَاةِ الصَّيْدِ هَلْ مِنْ مُفَاحِشٍ * بِصَيْدٍ وَهَلْ مِنْ وَاصِفٍ أَوْ مُخَارِجِ^(٢)
 قَرَنًا بُرَّةً بِالصُّقُورِ وَحَوَمَتٍ * شَوَاهِينَا مِنْ بَعْدِ صَيْدِ الرَّمَامِجِ^(٣)

عَدْنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ :

كُتِبَ عَلَى بَنِي الْجَهْمِ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ وَهُوَ خَجَبِيٌّ :

كتب من حبه
إلى المتوكل، شعرا

صوت

أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ * تَتَبَّكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى
 وَيَقْذُوكَ بِالنَّعْمِ السَّابِقَاتِ * وَلَيْدًا وَذَا مَبْعَةٍ أَمْرَدًا
 وَتَجَرِي مَقَادِيرُهُ بِالَّذِي * تُحِبُّ إِلَى أَنْ بَلَغْتَ الْمَدَى
 وَيُعْلِيكَ حَتَّى آوَأْتَ السَّمَاءَ * تُسَالُ لِحَاوِزَتِهَا مُصْعِدًا
 فَا بَيْنَ رَبِّكَ جَلَّ أَسْمُهُ * وَبَيْنَكَ إِلَّا نَبِيَّ الْمُدَى
 فَشُكْرًا لَا نَعْمِيهِ إِنَّهُ * إِذَا شُكِرَتْ نِعْمَةٌ جَدَّدَا
 وَعَفَاكَ عَنْ مُذْنِبٍ خَاضِعٍ * فَرَنْتَ الْمُقِيمَ بِهِ الْمُقْعِدَا
 إِذَا أَدْرَعَ اللَّيْلَ أَقْضَى بِهِ * إِلَى الصُّبْحِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْقُدَا
 عَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِلَّا حُرْمَةً * تَعُوذُ بِفَضْلِكَ أَنْ أَبْعِدَا
 لَنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْ * لِأَنْتَ أَجَلٌ وَأَعْلَى يَدَا
 أَلَمْ تَرَّ عَمْدًا عَدَا طَوْرَهُ * وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى

(١) حواجج : جمع حاجة وهي حاجة . ف. القطن حتى يخلص الحب منه .

(٢) خارجه : أأهده . يريد : هل من مناهض يناهضنا في الصيد . (٣) كذا في أكثر

الأمسول . والربايج : جمع زنج (وزان سكر) وهو نوع من الطير يصاد به دون العقاب ، تغلب على لونه
 الحمرة . وفي ب ، س : « الربايج » . جمع راج ، وهو ملوحي تصاد به الجوارح كالصقور ونحوها .
 وهذا لا يصلح في هذا المقام .

وَمُفْسِدَ أَمْرِ تَلَا فَيْتَهُ * فَعَادَ فَأُصْلِحَ مَا أُنْفَسِدَا
فَلَا عُدْتُ أَعْيِكَ فَيَا أَمْرَ * تَ حَتَّى أَزُورَ التَّرَى مُلْحَدَا
وَالَا نَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ * وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعِفْتُ النَّدَى
وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنَ عَمْرٍو * مُبِيعَ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا
يَكْثُرُ فِي الْبَيْتِ صَبِيَانَهُ * يَغِيظُ بِهِمْ مَعْشَرًا حُسَدَا

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

ثبت بأحد بن
أبي درادحين فليج
وقال شعرا يهجو

لَمَّا فُلِجَ ابْنُ أَبِي دُرَادٍ شَمِتَ بِهِ بَعْضُ بَنِي الْجَهْمِ وَأَظْهَرَ ذَلِكَ لَهُ وَقَالَ فِيهِ :

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سِوَى خَيَالِكَ لَا مَعَا * فَوْقَ الْفِرَاسِ مُمَهَّدًا بُوَسَادِ
فَرَحْتُ بِمَضْرَعِكَ السَّبْرِيَّةُ كُلُّهَا * مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُوقِنًا بِمَعَادِ
كَمْ جُمُوسٍ لَمْ يَلِمْسْ لَكَ قَدَ عَطَلْتَهُ * كَيْ لَا يُحَدِّثَ فِيهِ بِالْإِسْنَادِ
وَلَكِنْ مَصَابِيحُ لَنَا أَطْفَأْتَهَا * حَتَّى يَزُولَ عَنِ الطَّرِيقِ الْهَادِي
وَلَكِنْ كَرِيمَةٌ مَعْتَبَرٌ أَرْمَلْتَهَا * وَمُحَدِّثٌ أَوْتَقَتْ فِي الْأَقْيَادِ
إِنَّ الْأَسَارَى فِي السُّجُونِ تَفَرَّجُوا * لَمَّا أَتَتْكَ مَوَاصِبُ الْعُودَادِ
وَعَدَا لِمَصْرَعِكَ الطَّيِّبِ فَلَمْ يَجِدْ * شَيْئًا لِدَاثِكَ حِيلَةَ الْمُتَرَدِّدِ
فَذِقْ الْهَوَانَ مُعْجَلًا وَمُؤْجَلًا * وَاللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ بِالْمُرْصَادِ
لَا زَالَ فَالْجُلُوكَ الَّذِي بَكَ دَائِبًا * وَجُعْتَ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالْأَوْلَادِ

أنشدني عمي لأبن الجهم وفيه غناء لعريب :

شعره غنت فيه
عريب

نَطَقَ الْهَوَى يَجُودِي هُوَ الْحَقُّ * وَمَلَكَتْنِي فَلَيْمَنِكَ الرَّقْ
رِفْقًا بِقَلْبِي يَا مَعْدَبَهُ * رَفَقًا وَلَيْسَ لِنَظْمٍ رِفْقُ
وَإِذَا رَأَيْتُكَ لَا تَكَلِّمْنِي * ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَالْأَفْقُ

وأُشدني له وفيه غناء أيضا ، ويقال إنه آخر شعر قاله :

يارحمةً للغريب بالبلد الذ * لارج ماذا بنفسه صَبَعَا

فَارَقَ أَحِبَّاءَهُ فَا آتَفَعُوا * بالعيش من بعده وما آتَفَعَا

وقال لمغنٍ حضّر معه مجلسًا وكان غير طيب :

هما مغنيا بشعر

كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ مُغَنٍّ آل * نعيم كم بيننا وبين الشتاء

فَذَرَعْتُ الْبِسَاطَ مِنِّي إِلَيْهِ * قُلْتُ هَذَا الْمَقْدَارُ قَبْلَ الْغِنَاءِ

فَإِذَا مَا عَزَّ هَهُنَا أَنْ تَتَغَنَّى * أَدْرَبَ الْحُرُّ كُلَّهُ بِانْقِضَاءِ

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال :

استشفع بقيصة

إلى المتوكل وهو

في حبسه فأرسلت

إليه ابنا المعتز

لما حبس أمير المؤمنين المتوكل على بن الجهم ، وأجمع الجلّساء على عداوته

وإبلاغ الخليفة عنه كل مكروه ووصفهم مساويه ، قال هذه القصيدة يمدحه ويذكره

١٠

حقوقه عليه ، وهي :

عفا الله عنك ألا حرمة * تعوذ بعفوك أن أبعدا

ووجه بها إلى بيدون الخادم ، فدخل بها إلى قبيصة وقال لها : إنك على بن الجهم

قد لاذ بك وليس له ناصر سواك ، وقد قصده هؤلاء الندماء والكُتّاب لأنه رجل

من أهل السنة وهم روافض ، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله . فدعت المعتز

وقالت له : اذهب بهذه الرقعة يا بني إلى سيدك وأوصلها إليه ، بخاء بها ووقف بين

يدى أبيه . فقال له : ما معك فديتك ؟ فدنا منه وقال : هذه رقعة دفعتها إلى أمي .

فقرأها المتوكل وضحك . ثم أقبل عليهم فقال : أصبح أبو عبد الله — فديته —

خصمكم . هذه رقعة علي بن الجهم يستقبل ، وأبو عبد الله شفيعه ، وهو ممن لا يرّد ،

وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله :

فلا عدتُ أعصيك فيما أمرت * إلى أن أحلّ السرى مُلحدًا

(١) يستقبل : يطلب الإفاة من ذنبه والمقوعه .

- وإلا نخالفُ رَبَّ السماء * وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعِفْتُ النَّدَى

وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍو * مُبِيعَ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَا

وَبِأَبْنِ حَمْدُونَ وَقَالَ لِلْعَتَرِ: يَا سَيِّدِي فَمَنْ دَفَعَ هَذِهِ الرُّقْعَةَ إِلَى السَّيِّدَةِ؟ قَالَ
يَبْدُونَ الْحَادِمَ: أَنَا، فَقَالُوا لَهُ: أَحْسَنْتَ! تُعَادِينَا وَتُوصِلُ رُقْعَةً عَدُونًا فِي هِجَانِنَا!!
فَأَنْصَرَفَ بِيدُونَ وَقَامَ الْمُعْتَرِ فَأَنْصَرَفَ. وَأَسْتَلَبَ أَبْنُ حَمْدُونَ قَوْلَهُ:

وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍو * مُبِيعَ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَا

١١٩
٩

بِفَعْلِ يُبْشِدُهُمْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَشْتُمُونَ أَبْنَ حَمْدُونَ وَيَضْجُونَ وَالمُتَوَكِّلُ يَضْحَكُ وَيَصْفَقُ
وَيَشْرَبُ حَتَّى سَكْرٍ وَنَامَ، وَسَرَقُوا قَصِيدَتَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ الْمُتَوَكِّلِ وَأَنْصَرَفُوا، وَلَمْ يَوْقِعْ
بِإِطْلَاقِهِ وَنَسِيَهُ. فَقَالُوا لِأَبْنِ حَمْدُونَ: وَيْلَكَ! تُعِيدُ هِجَانِنَنَا وَنَسْنَا! فَقَالَ: يَا حَمِيَّ وَاللَّهِ
لَوْ لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ فَيَضْحَكُ وَيَشْرَبُ حَتَّى يَسْكُرَ وَيَنَامَ لَوْقِعَ فِي إِطْلَاقِهِ وَوَقَعْنَا مَعَهُ
فِي كُلِّ مَا نَكْرَهُ.

أَخْبَرَنِي عَلَى بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ هَارُونَ بْنِ زِيَادٍ قَالَ حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ:

لَمَّا أَفْتَحَتْ أَرْمِيذَةُ وَقَتْلَ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ دَخَلَ عَلَى بَنِ الْجَهْمِ فَأَنْشَدَ
الْمُتَوَكِّلُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يُهْنِيهِ فِيهَا بِالْفَتْحِ وَيَمْدَحُهُ، فَقَالَ فِيهَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الرَّسُولِ
الْوَارِدِ بِالْفَتْحِ وَرَأْسَ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ * جِئْتَ بِمَا يَشْفِي مِنَ الْقَلِيلِ

بِجَلَّةٍ تُغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ * بِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ

* قَهْرًا بِلَا خَتَلٍ وَلَا تَطْوِيلٍ *

(١) فِي الْأَصُولِ: « فَوْبِ » (٢) هُوَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ، ظَفَرِيهِ نَافِ

٢٠

وَأَرْحَقَ مَدِينَةَ قَفْلَيْسَ سَنَةَ ٢٣٨ هـ

هَذَا الْمُتَوَكِّلُ بَفَتْحِ
أَرْمِيذَةَ

فاستحسن جميع من حَضَرَ اِتِّجَالَهُ هذا وابتدأه ، وأمر له المتوسِّل بثلاثين ألف درهم ، وتمَّ القصيدة . وفيها يقول :

جَاوَزَ نَهْرَ الْكَرِّ بِالْحَيُولِ * تَرْدَى بَيْتَيْنِ كَأَسَدِ الْغِيلِ
مُعَوَّدَاتٍ طَلَبَ الدُّحُولِ * تُخْزِرُ الْعَيُونَ طَبِيْعَ النَّصُولِ
شُعْتُ عَلَى شُعْتُ مِنَ الْفَحُولِ * جَاءَتْ يَلْفُ الْحَزْنِ بِالسُّهُولِ
كَأَنَّهُ مَعْتَلِجُ السُّيُولِ * يُسَوِّسُهُ كَهْلٌ مِنَ الْكُهُولِ
لَا يَنْتَنِي لِلصَّعْبِ وَالذُّلُولِ * عَلَى أَغْرَ وَاضِحِ الْخُجُولِ
حَتَّى إِذَا أَحْصَى لِلْخُذُولِ * أَجَزَّ بِصَارِمِ صَقِيلِ
ضَرْبًا طَلْحَفًا لَيْسَ بِالْقَلِيلِ * وَمِنْجَنِيْقٍ مِثْلَ حَلْقِ الْفِيلِ
تَرْفُضُ عَنْ خُرْطُومِهِ الطُّوِيلِ * صَوَاعِقُ مِنْ حَجَرِ السَّجِيلِ
تَتْرَكُ كَيْدَ الْقَوْمِ فِي تَضْلِيلِ * مَا كَانَ إِلَّا مِثْلَ رَجْعِ الْفِيلِ
حَتَّى تَهْتَلَتْ عَنْ حَزْبِهِ الْمَفْلُولِ * وَعَنْ نِسَاءٍ حُسْرِ دُهِوْلِ
صَوَارِيخُ يُعَثِّرْنَ فِي الدُّيُولِ * تَوَاكَلِ الْأَوْلَادُ وَالْبُعُولِ
لَا وَالَّذِي يُعْرِفُ بِالْعُقُولِ * مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ وَلَا تَمَثِيلِ
مَا قَامَ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ * بِالْدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَبِالتَّنْزِيلِ
* خَلِيفَةُ بَكْعَفَرِ الْمَأْمُولِ *

(١) الكر (بضم أوله) : نهريْن أرمينية وأزان يشق مدينة تفلِس . وتردى الخيل رديا ورديانا : ترجم الحصا بجوافرها من شدة وطئها . (٢) في أكثر الأصول : « الدخول » بالدال والحاء وهو تصحيف وفي ج : « الدحول » بالدال والحاء المهملين . والدحول : جمع ذحل وهو الثأر .

(٣) نَزَر : جمع أُنْزَرَ ونَزَرَاء . ونَزَرَ العَيْن : ضيقها ، وهو كناية عن الغضب .

(٤) في ج : « طيب » . وفي أ ، م هـ كذا : « حَيَّى » . وفي ب ، سـ : « صَيَّى » .

(٥) اعتلجت الأمواج والسيول : التعلّمت . (٦) أحضر : برز . (٧) طلحفا : شديدا .

(٨) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة . فارسي معرَّب . (٩) السجيل : حجارة كالندر .

مدح المتوكل
بقصيدة وأرسلها
من حبسه مع علي
ابن يحيى

أ.أ. برني علي بن العباس قال حدثني محمد بن عبد السلام قال :
رأيت مع علي بن يحيى المنجم قصيدة علي بن الجهم بمدح المتوكل ويصف
الهاروني ، فقلت له : يا أبا الحسن ، ما هذه القصيدة معك ؟ فضحك وقال :

قصيدة لعلي بن الجهم سألني عرضها على أمير المؤمنين فعرضتها . فلما سمع قوله :

وَقَبَّةٌ مَلِكٌ كَأَنَّ النَّجْوَى * مَ تَصْنَعِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا

تَحْرِقُ الْوُفُودَ هُـ . إِذَا مَا تَجَلَّتْ لِأَبْصَارِهَا

وَقَوَارِ ثَارِهَا فِي السَّمَاءِ * فَلَيْسَتْ تُقْصِرُ عَنْ ثَارِهَا

تَرْدُ عَلَى الْمُزْنِ مَا أُنْزِلَتْ * إِلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ مِدَارِهَا

تهلل وجهه وأستحسنها . فلما انتهت إلى قوله :

تَبَوَّأَتْ بَعْدَكَ قَعَرَ السَّجُونِ * وَقَدْ كُنْتُ أَرَى لِرِزْوَارِهَا

غضب وتردد وجهه وقال : هذا بما كسبت يدها ، ولم يسمع تمام القصيدة .

شاع مذهبه وشبه
فصافر لحب قتل
في الطريق وقال
شعرا قبل موته

أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن موسى قال :

لما شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشبهه وذكره كل أحد بسوء من
صديقه وعدوه تحاماه الناس ، فخرج عن بغداد إلى الشام ، فاتفقنا في قافلة إلى حلب .

ونخرج علينا نفر من الأعراب ، فتسرع إليهم قوم من المقاتلة ، وخرج فيهم فقاتل

قتالا شديدا وهزم الأعراب . فلما كان من غد نخرج علينا منهم خلق كثير ، فتسرع
إليهم المقاتلة وخرج فيهم فأصابته طعنة قتله ، جئنا به واحتملناه وهو يتزرف دمه .

فلما رأني بكى وجعل يوصيني بما يريد . فقلت له : ليس عليك بأس . فلما أمسينا

قلقي قلقا شديدا وأحس بالموت ، فجعل يقول :

(١) الهاروني : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الراجي بالله . وهو على دجلة بينه وبين

سامراء ميل . (٢) يحتمل جدا أن تكون : « تفضي » .

أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلُ * أَم سَالَ بِالصَّبْحِ سَيْلُ
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ^(١) * وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلُ

فأبكى كلَّ من كان في القافلة ، ومات مع السَّحَر ، ودُفِنَ في ذلك المنزل على مرحله
من حلب .

*
*

ومن صنعة أبي عيسى بن المتوكل

صوت

إِنَّ النَّاسَ غَطَّوْنِي تَغَطَّتْ عَنْهُمْ * إِنْ بَحْثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ
وَإِنْ حَقَرُوا لِيَرَى حُفَرَتِ بَنَاهُمْ * فَسَوْفَ تَرَى مَاذَا تُشِيرُ النَّبَاطُ^(٢)

الشعر لأبي دلالة . والغناء لأبي عيسى بن المتوكل ، ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ عن المعتز .

(١) دجيل : نهر يخرج من أعلى بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامراء .

(٢) النبائط : جمع بنية ، وهي تراب البر .

أخبار أبي دلّامة ونسبه

- أبو دلّامة زَند بن الجَوْن . وأكثر الناس يُصَحِّف اسمه فيقول "زيد" بالياء ، وذلك خطأ ، وهو زَند بن النون . وهو كوفيٌّ أسودٌ ، مولى لبنى أسد . كان أبوه - بدأ لرجل منهم يقال له فضافض فأعتقه . أدرك آخر أيام بني أمية ، ولم يكن له في أيامهم نباهة ، ونسب في أيام بني العباس ، وأقطع إلى أبي عباس وأبي جعفر المنصور والمهدي - فكانوا يقدّمونه ويصلونه ويستطيون مجالسته ونوادره . وقد كان أتقطع إلى رَوْح بن حاتم المهلبيّ أيضًا في بعض أيامه . ولم يصل لك أحد من الشعراء موصل إلى أبي دلّامة من المنصور خاصّة . وكان فاسد الدين ، ردىء المذهب ، مرتجأ للحارم ، مُضَيِّعًا للفروض ، مجاهرًا بذلك ، وكان يُعلم هذا منه ويُعرف به ، فيُتجاف عنه لَلطُفِ محلّه . وكان أوّل ما حُفِظ من شعره وأُسْنِيتِ الجوائز له به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم . فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنى محمد بن داود بن الجراح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حبيب قال : لما قال أبو دلّامة قصيدته في قتل أبا مسلم التي يقول فيها :
- أبا مُسلمٍ خَوَّفَتْنِي القَتْلَ فَأَتَيْتُ * عليك بما خَوَّفَتْنِي الأسدُّ الورْدُ
أبا مسلمٍ ما غيّر الله نعمةً * على عبده حتى يغيّرها العبدُ
- أنشدها المنصور في محفل من الناس ، فقال له : أحتم . قال : عشرة آلاف درهم ، فأمر له بها . فلما خلا به قال له : إياه ! أما والله لو تعدّيتها لقتلتك .
- أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنى علي بن مُسلم عن أبيه قال : سمى لي أبو دلّامة نفسه زَندًا (بالنون) ابن الجَوْن . وأسلم مولاه فضافض ، وله أيضًا شعر ، وكان في الصّحابة .

نسبه وهو مولى
لبنى أسد وكان
فاسد الدين مرتجأ

أول شعر عرف به
١٢١
٩

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني جعفر
ابن الحسين المهلبّي قال :

أعفاء المنصور
من ليس السواد
والقلانس دون
الناس

كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدنم
بعيا من داخلها ، وأن يعلقوا السيوف في المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم :
(فَسَيَكْفِيكَمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ، فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزيّ . فقال
له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شرّ حال ، وجهي في نصفي ، وسيفي في آسفي ،
وكتاب الله وراء ظهري ، وقد صبغت بالسواد ثيابي . فضحك منه وأعفاه وحده
من ذلك ، وقال له : إياي أن يسمع هذا منك أحد .

ونسختُ من كتاب لابن النطّاح فذكر مثل هذه القصة سواء زاد فيها :

- ١٠ وكنا نرى من إمام زيادة * جاد بطول زاده في القلانس
تراها على هام الرجال كأنها * دنانير هود جلّت بالبرانس
فضحك منه وأعفاه .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحويّ قال حدثني
الجاحظ قال .

طلب من المنصور
أر السفاح ، كلب
صيد ثم تدرج
في الطلب إلى أشياء
كثيرة

- ١٥ كان أبو دلامة بين يدي المنصور واقفاً — وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة
أنه كان واقفاً بين يدي السفّاح — فقال له : سلني حاجتك . قال أبو دلامة : كلبٌ
أتصيد به . قال : أعطوه إياه . قال : ودابة أتصيد عليها . قال : أعطوه . قال : وغلّام
يصيد بالكلب ويقوده . قال : أعطوه غلاماً . قال : وجارية تُصلح لنا الصيّد وتطعمنا
منه . قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بدّ لهم من دارٍ
يسكنونها . قال : أعطوه داراً تجمعهم . قال : فإن لم تكن لهم ضيعة فمن أين

يعيشون ! قال : قد أعطيتك مائة جريب عامرة ^(١) ومائة جريب غامرة . قال : وما العامرة ؟ قال : مالا نبات فيه . فقال : قد أقطعك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب عامرة من قياسي بنى أسد . فضحك وقال : اجعلوها كلها عامرة . قال : فأذن لي أن أقبل بذلك . قال : أما هذه فدعها . قال : والله ما منعت عيالي شيئا أقل ضرراً عليهم منها . قال الجاحظ : فأنظر إلى حذفه بالمسألة ولطفه فيها . ابتدأ بـكـلب فسئل القصة به ، وجعل يأتي بما يليه على ترتيب وفكاهة ، حتى نال ما لو ساله بـديهة لمّا وصل إليه .

أخبرني علي بن سليمان الأقفش قال حدثني السكّري عن محمد بن حبيب قال :
 اسم أبي دلامة زند بالنون ، ومن الناس من يرويه بالياء ، وكُنّي أبا دلامة باسم جبل
 بمكة ١٢٢
 بمكة يقال له أبو دلامة ، كانت قريش تئد فيه البنات في الجاهلية ، وهو بأعلى مكة .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرني عيسى
 قال حدثني الكزّاني عن العمري عن الهيثم قال :

دخل أبو دلامة على المنصور فأشده قصيدته التي يقول فيها :

لئن الخليل أجدّ البين فأتبعوا ^(٢) * وزودوك خبالاً بكس ما صنعوا
 والله يعلم أن كادت لي بينهم * يوم الفراق حصاة القلب تنصدع
 عجبت من صينتي يوماً وأهمهم * أمّ الدلّامة لمّا حاجها الجزع
 لا بارك الله فيها من منبهة * هبت تلوم عيالي بعد ما هبعوا
 ونحن مشتهرو الألوان أوجهنا * سود قباحت في أسمائنا شمع
 إذا تشككت إلى الجوع قلت لها * ما هاج جوعك إلّا الرّي والشّع

(١) الجريب من الأرض : ثلاثة آلاف وستائة ذراع ، وقيل : عشرة آلاف ذراع . (٢) كان الأنضل
 أن يكون « أجدر البين فأتبعوا » لينق الضميران . على أنه يجوز أن يكون ضمير « الخليل » مفرداً وجمعا .

أشده المنصور
 شعرا فأجازه

— ويروى وهو الجيد :

أَذَابَكَ الْجُوعُ مَذْصَارَتْ عِيَانُنَا * عَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْهُ الرَّئُ وَالشَّيْبُ —
لَا وَالَّذِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى * لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسْبَابِهَا الرِّفْعُ
مَا زِلْتُ أَخْلِصُهَا كَسْبِي فَنَأْكُلُهُ * دُونِي وَدُونِ عِيَالِي ثُمَّ تَضْطَجِعُ
شَوْهَاءُ مَشْنَأَةً فِي بَطْنِهَا تَجَلُّ * وَفِي الْمَفَاصِلِ مِنْ أَوْصَالِهَا فَدَعِ
ذِكْرُهَا بِكِتَابِ اللَّهِ حُرْمَتَنَا * وَلَمْ تَحْصَنْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَنْتَفِعُ
فَاخْرُظْ لَمْ تَقُلْ وَهِيَ مُغْضِبَةٌ * أَنْتِ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ بِالْكُفِّ
أُخْرِجْ لِنَا مَالًا وَمَزْرَعَةً * كَمَا لِحَيْرَانَنَا مَالٌ وَمَزْدَرَعُ
وَأَخْذَعْ خَلِيفَتَنَا عَنْهَا بِسْأَلَةٍ * إِنَّ الْخَلِيفَةَ لِلسُّؤَالِ يَنْخَدَعُ

- ١٠ فضحك أبو جعفر وقال: أرضوها عني وأكتبوا له بما تبي جريب عامرة ومائتي جريب
غامرة — وقال الهيثم: بسمائة جريب عامرة وغامرة — فقال له: أنا أقطعك يا أمير
المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف، وإن شئت زدتك،
فضحك وقال: اجعلوها كلها عامرة .

- ١٥ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الطَّلَاسِ أَنَّهُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنْ
الْمَدَائِنِيِّ قَالَ :
شَهِدَ أَبُو دُلَامَةَ بِشَهَادَةِ بِلْحَارَةِ لَهُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَلَى أَنَّهُ نَازِعُهَا فِيهَا رَجُلٌ ،
فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الشَّهَادَةِ قَالَ : أَسْمِعْ مَا قُلْتُ فِيكَ قَبْلَ أَنْ آتِيكَ ثُمَّ أَفِضْ مَا شِئْتَ .
قَالَ : هَاتِ ، فَأَشْهَدُهُ :

شهد عند ابن أبي ليلى
بلحارة له وقال شعرا
فأماضي ابن أبي ليلى
شهادته

- (١) التجل : عظم البطن واسترخاؤه . والفدع : الاعوجاج . (٢) انخرطمت : رفعت أنفها
واستكبرت وغضبت . (٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قاضي الكوفة . أول من استقصاه
على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي واستقصاه بعد ذلك بنو العباس .

إِنَّ النَّاسَ غَطَوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ * وَإِنْ بَحَسُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ
وَأِنْ حَفَرُوا بِرِي حَفَرْتُ بِثَارِهِمْ * لِيُعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تَمَكَّ النَّبَاتُ.

ثم أقبل على المرأة فقال : أَتَبِيعِينِي الْآنَ ؟ قالت نعم . قال : بكم ؟ قالت :
بمائة درهم . قال : ادفعوها إليها ففعلوا . وأقبل على الرجل فقال : قد وهبها لك ،
وقال لأبي دُلّامة : قد أَمْضَيْتُ شَهَادَتَكَ ولم أبحث عنك ، وَأَبْتَعْتُ مِمَّنْ شَهِدَتْ
له ، ووهبتُ مِلْكَى لِمَنْ رَأَيْتُ . أَرْضَيْتَ ؟ قال نعم ، وَأَنْصَرَفَ .

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة قال
حدثنا محمد بن سلام عن علي بن إسماعيل قال :
كنتُ أَسْقِي أبا دُلّامة والسَّيِّدَ ، إِذْ خَرَجْتُ بِنْتُ لَأْبِي دُلّامة ، فقال فيها
أبو دُلّامة :
١٠

فَا وَلَدَتِكَ مَرْيَمُ أُمُّ عِيسَى * وَلَا رَبَّكَ لَقَمَاتُ الْحَكِيمِ
أَحْزَا يَا أَبَا هَاشِمٍ . فقال السيد :

وَلَكِنْ قَدْ تَضَمُّكَ أُمُّ سَوْءٍ * إِلَى لَبَّاتِهَا وَأَبُ لَعِيمٍ

ففضحك لذلك . ثم غذا أبو دُلّامة إلى المنصور فألقاه في الرَّحْبَةِ يُصَلِّحُ فِيهَا شَيْئًا
يريده ، فأخبره بقصة بنته وأنشده البيتين ، ثم أُنْذِفَ فأنشده بعدها :

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرِيمٍ * قَوْمٌ لَقِيلَ أَقْعَدُوا يَا آلَ عَبَّاسٍ

ثم أَرْتَقُوا فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ كُلُّكُمْ * إِلَى الْمَاءِ فَاتَمَّ أَظْهَرُ النَّاسِ

وَقَدَّمُوا الْقَسَائِمَ الْمَنْصُورَ رَأْسَكُمْ * فَالْعَيْنُ وَالْأَنْفُ وَالْأُذُنَانِ فِي الرَّاسِ

(١) كذا في ح . وفي سائر النسخ : « السندى » . وقد رجحنا رواية ح لأن أبا هاشم كنية السيد
الجزري . وسبق في الصفحة التالية هذا الخبر بين أبي دلّامة وأبي عطاء السندى . فعمل ذلك هو الذي أوقع
النساج في هذا اللبس .

شرب مع السيد
الجزري أراي عطاء
السندى فذم ابنته
وأخبر المنصور
فأكرمه

فَأَسْتَحْسِنُهَا، وَقَالَ لَهُ : بَأَى شَيْءٍ تَحِبُّ أَنْ أُعِينَكَ عَلَى قُبْحِ ابْنَتِكَ هَذِهِ ؟ فَأَخْرَجَ
نَحْرِيَّةً قَدْ كَانَ خَاطُهَا مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : تَمَلَّأْ لِي هَذِهِ دَارَهُمْ، فَمِلْتُ فَوَسِعَتْ أَرْبَعَةَ
آلَافٍ دِرْهَمٍ .

وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الْكُرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ
ابْنِ عَدِيٍّ قَالَ :

دَخَلَ أَبُو عَطَاءٍ السَّنْدِيُّ يَوْمًا إِلَى أَبِي دُلَامَةَ مَا حَتَبَتْهُ عَنْدهُ، وَدَعَا بِطَعَامٍ فَأَكَلَا
وَشَبِعَا، وَنَحِرَتْ إِلَى أَبِي دُلَامَةَ صَبِيَّةٌ لَهُ فَعَمَلَهَا عَلَى كَتْفِهِ، فَبَالَتْ عَلَيْهِ فَنَبَذَهَا عَنْ
كَتْفِهِ، ثُمَّ قَالَ :

بَلَّيْتُ عَلَى - لَأَخْيَيْتُ - ثَوْبِي * فَبَالَ عَلَيْكَ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ
فَمَا وَلَدَتْكَ مَرْيَمُ أُمُّ عِيسَى * وَلَا رَبَّكَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ

ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى أَبِي عَطَاءٍ فَقَالَ لَهُ : أَجِزْ . فَقَالَ :

صَدَقْتَ أَبَا دُلَامَةَ لَمْ تَلِدْهَا * مُطَهَّرَةٌ وَلَا فُجْلٌ كَرِيمٌ
وَلَكِنْ قَدْ حَوَّثَهَا أُمُّ سَوَّءٍ . إِلَى لِبَائِهَا وَأَبٌ لَشِيمٌ

فَقَالَ لَهُ أَبُو دُلَامَةَ : عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ ! مَا حَلَّكَ عَلَى أَنْ بَلَغْتَ بِي هَذَا كُلَّهُ ! وَاللَّهِ
لَا أَنَا زَيْعٌ بَيْتَ شَعْرٍ أَبَدًا . فَقَالَ أَبُو عَطَاءٍ : لِأَنْ يَكُونَ الْهَرَبُ مِنْ جَهَنَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ :

لَمَّا تَوَفَّى أَبُو الْعَبَّاسِ السَّقَّاحُ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ وَالنَّاسِ عَنْدهُ يَعْزُونه ؛
فَأَنشَأَ أَبُو دُلَامَةَ يَقُولُ :

أَمْسَيْتُ بِالْأَنْبَارِ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ * لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عُقْرِهَا تَحْوِيلًا
وَوَيْلٌ عَلَيْكَ وَوَيْلٌ أَهْلُ كُلِّهِمْ * وَيْلًا وَعَوَّلًا فِي الْحَيَاةِ طَوِيلًا

رَأَى السَّقَّاحَ عِنْدَ
الْمَنْصُورِ فَغَضِبَ
وَأَرَادَ إِخْرَاجَهُ إِلَى
الْحَرْبِ فَاسْتَرْضَاهُ

فَلْتَبْكِينَ لَكَ النِّسَاءُ بَعْبَةً * وَلْيُبْكِينَ لَكَ الرِّجَالُ عَوِيلاً
مَاتَ النَّدَى إِذْ مِتَّ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ * بِجَعْلَتِهِ لَكَ فِي الشَّرَاءِ عَدِيلاً^(١)
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ * فَوَجَدْتُ أَسْمَحَ مَنْ سَأَلْتُ بِخِيَلَا
أَلِشَّقَوَاتِي أَخَّرْتُ بَعْدَكَ لَتِي * تَدْعُ الْعَزِيزَ مِنَ الرِّجَالِ ذَلِيلَا
فَلَا خِلْفَ يَمِينَ حَقِّ بَرَّةٍ * بِاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بَعْدَكَ سُوْلَا^(٢)

١٢٤
٩

قال : فَأَبْكِي النَّاسَ قَوْلُهُ . فَغَضِبَ الْمَنْصُورُ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ : إِنَّ سَمْعَتَكَ تَنْشُدُ
هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لَا تُطْعَمَنَّ لِسَانَكَ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ لِي مُكْرِمًا وَهُوَ الَّذِي جَاءَ بِي مِنَ الْبَدُو كَمَا جَاءَ اللَّهُ بِأَخُوتهِ يَوْسُفَ إِلَيْهِ ،
فَقُلْ كَمَا قَالَ يَوْسُفُ لِإِخْوَتِهِ : (لَا تَحْزِنُوا عَلَيَّ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) .
فُسِّرَى عَنِ الْمَنْصُورِ وَقَالَ : قَدْ أَقْلَنَّاكَ يَا أَبَا دُلَامَةَ ، فَسَلْ حَاجَتَكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
المؤمنين ، قَدْ كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَمْرًا لِي بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَخَمْسِينَ ثَوْبًا وَهُوَ مَرِيضٌ
وَلَمْ أَقْبِضْهَا . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَمَنْ يَعْرِفُ هَذَا ؟ فَقَالَ : هَؤُلَاءِ ، وَأَشَارَ إِلَى
جَمَاعَةٍ مِمَّنْ حَضَرَ . فَوَثَبَ سَلْيَانُ بْنُ مُجَالِدٍ وَأَبُو الْجَهْمِ فَقَالَا : صَدَقَ أَبُو دُلَامَةَ ،
نَحْنُ نَعْلَمُ ذَلِكَ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ لِأَبِي أَيُّوبَ الْخَازِنِ وَهُوَ مَغِيظٌ : يَا سَلْيَانُ أَدْفَعْهَا إِلَيْهِ
وَسِيرَهُ إِلَى هَذَا الطَّاغِيَةِ (يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ) ، وَقَدْ كَانَ خَرَجَ بِنَاحِيَةِ الشَّامِ ،
وَأُظْهِرَ الْخِلَافَ . فَوَثَبَ أَبُو دُلَامَةَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي أُعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ أُخْرِجَ
مَعَهُمْ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَمَشْهُومٌ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : إِمِضْ فَإِنْ يُمْنَى يَغْلِبُ شُؤْمَكَ فَانْخُرُجْ .

(١) الثراء : لغة في الترى . وسيرد في الصفحة التالية رواية أخرى : « بالقراب » . (٢) السؤل

(عمر ولا يهزم) : ما سألته . (٣) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة المنصور ،
خرج عليه ستة وست وثلاثين ومائة ودعا لنفسه ؛ فوجه إليه المنصور أبا مسلم الخراساني ووقعت له معه وقعة
هائلة دارت فيها الدائرة أخيرا على عبد الله .

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحبُّ لك أن تجرب ذلك منى على مثل هذا العسكر؛
 فإنى لأدرى أيهما يغلب : أئمنك أم شؤمى ، إلا أنى بنفسى أوثق وأعرف وأطولُ
 تجربةً . قال : دَعْنِي من هذا فما لك من الخروج بد . فقال : إني أَصْدُقُك الآنَ ، شهدتُ
 والله تسعةَ عشرَ عسكرًا كُلُّها هُزِمَتْ ؛ وكنتُ سببها . فإن شئت الآن على بصيرةٍ
 أن يكون عسكرُك العشرين فافْعَلْ . فَأَسْتَغْرِبُ أَبو جعفر ضَحِكًا ، وأمره أن يتخلف
 مع عيسى بن موسى بالكوفة .

أغضب المنصور
 لكثرة مدحه
 السفاح

أخبرنى عمى قال حدثنا الكزائى قال حدثنى العمري عن الهيثم بن عدي قال :
 لما مات أبو العباس السفاح وولى المنصور ، دخل عليه أبو دلامة ، فقال له
 أبو جعفر : ألسنتي القائل لأبي العباس :

وَكُنَّا بِالْخَلِيفَةِ قَدْ عَقَدْنَا * لِوَاءِ الْأَمْرِ فَانْتَقَضَ اللِّوَاءُ
 فنحن رعيةً هلكت ضياعاً * تسوق بنا إلى الفتن الرءاءُ
 قال : ما قلت هذا يا أمير المؤمنين . قال : كذبت والله ! أفلسَتِ القائل :
 هلك الندى إذ بنت يا بن محمد * فجعلته لك في التراب عديلاً
 ولقد سألت الناس بعدك كلهم * فوجدت أكرم من سأل بخيلاً
 ولقد حلفت على يمينٍ برّة * بالله ما أُعطيْتُ بعدك سُولا

فقال أبو دلامة : إن أخاك صلى الله عليه غابنى على صبرى ، وسلبنى عزيمتى ، وعزيتى
 بإحسانه إلىّ وجزعى عليه ، فقلت ما لم أتأمله ، وإنى أرغب فى الثن فاستغفرت
 السُّلعةَ حياً وميتاً . فإن أُعطيْتُ ما أعطى ، أخذت ما أخذ ، فأمر به فحُيس ثلاثاً
 ثم خلى سبيله ودعاه إليه فوصله ، ثم عاد له إلى ما كان عليه .

(١) أى أكثر من الضحك وبالع فيه . (٢) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي
 العباسي أمير الكوفة . وكان ولي عهد المنصور بهمد من السفاح ثم قدم المنصور عليه في ولاية العهد ابنة المهدي ،
 ثم خلفه المهدي من ولاية العهد .

أمره روح بن
حاتم بمبارزة
خارجي نخذه

١٢٥
٩

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني أبو دلامة قال :

أتني بني المنصور أو المهدي وأنا سكران ، فحلف لي بخرجي في بعث حرب ، فأنخرجني مع روح بن حاتم المهلب^(١) لقتال^(٢) الشراة . فلما ألتقي الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتي فرسك ومعى سلاحك لأنتهت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ، ولأخذتك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلي ، ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلما حصل ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع ، قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائد بك ، وقد قلت بيتين فاستمعهما . قال : هات ، فأنشدته :

إني أستعجرك أن أقدم في الوغى * لتطاعرب وتنازل وضرب
فهب السيف رأيتها مشهورة * فتركها ومضيت في الهرب
ماذا يقول لما يحى وما يسرى * من واردات الموت في النشاب

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرز رجل من الخوارج يدعو للبارزة ، فقال : انخرج إليه يا أبا دلامة . فقلت : أنشدك الله أيها الأمير في دمي . قال : والله لتخرجن . فقلت : أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جامع ما شيعت مني جارحة من الجوع ، فمروني بشيء آكله ثم أنخرج . فأمر لي برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف . فلما رآني الشاري أقبل نحوى عليه فروعاً وقد أصابه المطر فأبتل ، وأصابته الشمس فأفعل^(٣) وعيناه قدان ، فأسرع إلى .

(١) هودج بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، ولي إريقية والبصرة وغيرهما ، وكان جليلاً شجاعاً جواداً . (٢) الشراة : الخوارج . (٣) كذا في ح . وافعل : تقبض . وفي سائر النسخ : « فافعل » . هو تحريف .

- فقلت له : على رَسْلِكَ يا هذا كما أنت ، فوقف . فقلت : أقتل مَنْ لا يقاتلك ؟ قال لا . قلت : أقتل رجلاً على دينك ؟ قال لا . قلت : أفستحِلُّ ذلك قبل أن تدعو مَنْ تقاتله إلى دينك ؟ قال : لا ، فأذهب عَنِّي إلى لعنة الله . قلت : لا أفعل أو تسمع مِنِّي . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا قُطْعُ عداوةٍ أو تَرَكَّةٌ ، أو تعرفُنِي بِحالٍ تُحْفِظُكَ عَنِّي ، أو تعلم بين أهلي وأهلك وِثْراً ؟ قال : لا والله . قلت : ولا أنا والله لك إلا بحيل الرأى ، وإني لأهواك وأتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أَرادَه لك . قال : يا هذا جزاك الله خيراً فأَنصِرْف . قلت : إن معي زاداً أُحِبُّ أن أَكُلَه معك ، وأُحِبُّ مَوَالِكَكَ لتتَوَكَّدَ المودةُ بيننا ، ويَرى أهلُ العسكرِ هوانهم علينا . قال : فأفعل . فتقدمتُ إليه حتى اختلفتُ أعناقُ دوابِّنا وجعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا صَحْكَنا . فلما اسْتَوَيْنَا ودَعَيْني . ثم قلت له : إن هذا الجاهل إن أَقَمْتُ على طلب المبارزة ندبني إليك فتتعبني وتتعَبُ . فإن رأيتَ ألا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلتُ ، ثم أَنصرفتُ وَأَنصرفتُ . فقلت لروح : أما أنا فقد كُنيتُكَ قِرْنِي فقل لغيري أن يكفِيكَ قِرْنَه كما كَفَيْتُكَ ، فامسك . ونخرج آخر يدعو إلى البراز ، فقال لي : اخرج إليه . فقلت : ^(١)

- ١٠ إلى أَمُودَ بَرُوجٍ أن يقدِّمَنِي * إلى البرازِ فتخزِي بني بَنُو أَسَدٍ
إِنِّي البرازُ إلى الأقرانِ أعلمُهُ * مما يفرِّقُ بينَ الروح والجسدِ
قد حالفتُكَ المنايا إذ صمَدتُ لها ^(٢) * وأصبحتُ لجميع الخلق بالِرَّصَدِ

(١) وردت هذه الأبيات في وفيات الأعيان لابن خلكان هكذا :

- ٢٠ إلى أَمُودَ بَرُوجٍ أن يقدِّمَنِي * إلى القتال فيخزِي بني بَنُو أَسَدٍ
إِنِّي المهلبُ حب الموتِ أودُّكُمْ * ولم أرث أنا حب الموت من أحد
إِنِّي الدُّقُّ إلى الأعداء أعلمُهُ * مما يفرِّق بين الروح والجسدِ

(٢) في الأصول : « إن صدمت » وهو تحريف .

إِنَّ الْمَهْلَبَ حُبُّ الْمَوْتِ أَوْرَثَكُمْ * وَمَا وَرِثَ أَخْيَارَ الْمَوْتِ عَنْ أَحَدٍ
لَوْ أَنَّ لِي مَهْجَةً أُخْرَى بَلَدْتُ بِهَا * لَكُنْهَا خَلَقْتُ فَرَدًّا فَلَمْ أَجِدْ .
فَضَحِكَ وَأَعْفَانِي .

أمره مروان
ابن محمد بمبارزة
خارجي قفرته
١٢٦.
٩

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال أبو دلالة :

كُنْتُ فِي عَسْكَرِ مَرْوَانَ أَيَّامَ زَنْحَفٍ إِلَى سِنَانِ الْخَارِجِيِّ ، فَلَبَّ التَّقِيَّ الرَّحْفَانَ
خَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلٌ فَنَادَى : مَنْ يَبَارِزُ ! فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنْجَلَهُ . فَلَمْ يَنْجُهِهِ ، فَعَاظَ
ذَلِكَ مَرْوَانَ وَجَعَلَ يَسْدُبُ النَّاسَ عَلَى تَحْشِيائِهِ ، فَقُتِلَ أَصْحَابُ الْخَمْسِيَّةِ ، فَزَادَ
مَرْوَانَ وَتَدَبَّرَهُمْ عَلَى أَلْفٍ ، وَلَمْ يَزَلْ يَزِيدُهُمْ حَتَّى بَلَغَ خَمْسَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ . وَكَانَ تَحْتَى
فَرَسٍ لَا أَخَافَ خَوْفَهُ ، فَلَمَّا سَمِعْتُ بِالْخَمْسَةِ آلَافِ تَرْقِيَتِهِ وَأَفْتَحَمَتِ الصَّبْفَ . فَلَبَّ
نَظَرُنِي الْخَارِجِيَّ عِلْمَ أَنِّي خَرَجْتُ لِلطَّمْعِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيَّ مُتَهَيِّئًا وَإِذَا عَلَيْهِ فَرَسٌ قَدْ أَصَابَهُ
الْمَطَرُ فَأَبْتَلَّ ، ثُمَّ أَصَابَتْهُ الشَّمْسُ فَأَقْفَعَلَّ ، وَإِذَا عَيْنَاهُ تَفْدَانٍ كَأَنَّهُمَا مِنْ غَوْرِهِمَا
فِي وَقَبَيْنِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي أَنَشَأُ يَقُولُ :

وَأَخَارِجْ أَخْرَجَهُ حُبُّ الطَّمْعِ * فَزَ مِنْ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعَ
* مَنْ كَانَ يَتَوَى أَهْلَهُ فَلَا رَجَعَ *

فَلَمَّا وَقَرْتُ فِي أَدْنَى أَنْصَرَفْتُ عَنْهُ هَارِبًا . وَجَعَلَ مَرْوَانُ يَقُولُ : مَنْ هَذَا الْفَاضِحُ ؟
إِتَيْنِي بِهِ ، فَدَخَلْتُ فِي غِمَارِ النَّاسِ فَتَجَوْتُ .

أعطاه موسى
ابن داود مالا
ليجئ معه فهرب
إلى السواد وسك
١١٤١

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد قال حدثنا الزبير قال
حدثنا جعفر بن الحسين اللهي قال :

(١) يعني مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية . (٢) نهته : كفه وزجره . وسياق الكلام
يقضي أن يكون « ولم يمهله » . (٣) في الأصول : « عن » . (٤) هذه لغة ضعيفة
وأفصح اللغات : « بخمسة الآلاف » . (٥) ترقبه : رصده . (٦) الووب هنا : قفرة
في الجبل يجتمع فيها الماء .

(١) عزم موسى بن داود بن علي الهاشمي على الحج . فقال لأبي دُلَامَة : اُجْبِئْ مَعِيَ
وَلَكْ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَم . فقال : هَاتِيهَا ، فُدِعْتُ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهَا وَهَرَبَ إِلَى السَّوَادِ ،
بِجَلٍّ يُنْفِقُهَا هُنَاكَ وَيَشْرِبُ بِهَا الْخَمْرَ . فَطَلَبَهُ مُوسَى فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَخِشَى قَوْتَ الْحِجِّ
فَفَرَجَ . فَلَبَّى شَارِفَ الْقَادِسِيَّةِ إِذَا هُوَ بِأَبِي دُلَامَةِ خَارِجًا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى أُخْرَى
وَهُوَ سَكْرَانٌ ، فَأَمَرَ بِأَخْذِهِ وَتَقْيِيدِهِ وَطَرَحَهُ فِي تَحْمِيلٍ بَيْنَ يَدَيْهِ فَفَعِلَ ذَلِكَ بِهِ . فَلَمَّا
سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ أَقْبَلَ عَلَى مُوسَى وَنَادَاهُ :

(٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا أَجْمَعُونَ مَعًا * صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى مُوسَى بْنِ دَاوُدَ
كَأَنَّ دِيَابَجَتِي خَذَبَهُ مِنْ ذَهَبٍ * إِذَا بَدَأَ لَكَ فِي أَثْوَابِهِ السُّودَ
لَمَنِي أَعْبَادُ دَاوُدَ وَأَعْظَمُهُ * مِنْ أَنْ أَكْلَفَ حَجًّا يَا بْنَ دَاوُدَ
خُبِرْتُ أَنَّ طَرِيقَ الْحِجِّ مَعْطُوشَةٌ * مِنَ الشَّرَابِ وَمَا شَرِبْتَنِي بِتَصْرِيدٍ
(٤) وَاللَّهِ مَا نِيَّ مِنْ أَجْرِ تَطَلُّبِهِ * وَلَا نَشَاءَ عَلَى دِينِي بِمُحَمَّدٍ
فَقَالَ مُوسَى : أَلْتَوَهَّ لَعَنَهُ اللَّهُ عَنِ الْحَمَلِ وَدَعُوهُ يَنْصَرِفُ ، فَأَلْقَى وَعَادَ إِلَى قَصْفِهِ
(٥) بِالسَّوَادِ ، حَتَّى نَفِدَتِ الْعَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَم .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ الْحُسَيْنِ اللَّهْمِيِّ ،
وَأَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ الْكُرَّانِيِّ عَنْ الْعُمَرِيِّ عَنْ الْهَيْثَمِيِّ بْنِ عَدِيِّ قَالَ :
١٥ قَالَ أَبُو أَيُّوبَ الْمُوْرِيَانِيُّ لِأَبِي جَعْفَرٍ ، وَكَانَ يَشْنَأُ أَبَا دُلَامَةَ ، : إِنَّ أَبَا دُلَامَةَ
مَعْكَفٌ عَلَى الْخَمْرِ فَمَا يَحْضُرُ صَلَاةً وَلَا مَسْجِدًا ، وَقَدْ أَفْسَدَ فِتْيَانُ الْعَسْكَرِ . فَلَوْ أَسْرَتَهُ

أمره المنصور
بملازمة الجماعة
في مسجد القصر
فقال شعرا يستغفبه

- (١) هو ابن عم السفاح ، كان أبوه داود أمير مكة والمدينة ، واستخلف حين احتضر على عمله ولده
موسى . فاستعمل السفاح خاله زياردا على مكة ، وموسى بن داود هذا على إمرة المدينة .
(٢) في الأصول : « خارج » . (٣) في الأصول المخطوطة : « أجمعين » .
(٤) مراد شرابه : قطعه . (٥) راجع الحاشية رقم ٤ في الصفحة السابقة .
(٦) كذا في ح . وفي سائر الأصول : « قال » وهو تحريف .

بالصلاة معك لأُحرّت فيه وفي غيره من فتيان عسكريك بقطعه عنهم . فلما دخل عليه أبو دلّامة قال له : يا ابن الخنّاء ، ما هذا المحجّون الذي يُلغني عنك ! . قال أبو دلّامة : يا أمير المؤمنين ما أنا والمحجّون وقد شارفتُ بابَ قبري ! . قال : دعني من أستكانتك وتضرّعتك ، وإياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر في مسجدي . فلئن فاتتاك لأُحسِن أدبك ولأُطيلن حبسك . فوقع في شرّ ولزم المسجد أياماً ، ثم كتب قصّته ^{١٢٧} ودفعها إلى المهديّ فاوصلها إلى أبيه ، وكان فيها :

ألم تعلمَا أن الخليفة لَزَنِي ^(١) * بمسجده والعصر مالى وللقصّر !
أصَلّي به الأولى جميعاً وعصرها * فويلى من الأولى وويلى من العصر ^(٢)
أصلّيهما بالكّره في غير مسجدي * فإلى في الأولى ولا العصر من أحر
لقد كان في قومي مساجدُ جمّة * سواه ولكن كان قدراً من القدر
يكلفني من بعد ما شئتُ خُطّة * يحطُّ بها عنى الثّقل من الوزر
وما ضمرّه والله يغفر ذنبه * لو أنّ ذنوب العالمين على ظهرى
قال : فلما قرأ المنصور قصّته ضحك وأباه من الحضور معه ، وأحلفه أن يصلى الصلاة في مسجد قبيلته .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبير عن عمّه ، ^{١٥}
ونسخت من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخزاز عن أبيه عن الهيثم بن عديّ
وروايته بعض من روى عن الزُّبير .

أنا أبو جعفر كان يُحبّ العبث بأبي دلّامة — وقال الآخر : إنا أبا العباس السّفّاح
كان يحبّ ذلك — فكان يسأل عنه فيوجد في بيوت التجّارين لا يُفْضَل فيه . فعاتبه

٢٠ (١) لَوْ بَكْدَا : أُلْهِمَ إِيَّاهُ . (٢) فِي جَد : « رَعَى » . (٣) فِي ح : « الْخُرْزَى » .
وفي ١ ، ٢ : « الْخُرْزَى » .

على انقطاعه عنه ؛ فقال : إنما أفعل ذلك خوفاً أن تملّني . ففعل أنه يُحَاجِرُهُ ،
فأمر الربيع أن يوكل به من يُحضِرُه الصلوات معه في جماعة في الدار . فلما طال
ذلك عليه قال :

- ألم تر يا أبا الخليفة لَزَنِي * بمسجده والقصر مالى وللقصر!
فقد صدّنى عن مسجد أسئلته * أعلاً، فيه السماع وبالبحر
وكلفنى الأولى جميعاً وعصرها * فويل من الأولى وعوئى من العصر
أصلبهما بالكه في غير مسجدى * فالى من الأولى ولا العصر من أحر
: يكلفنى من بعد ما شئتُ توبه * يحطُّ بها عنى الماثقل من وزرى
لقد كان فى قومي مساجدُ جمّة * ولم ينشرح يوماً لغشيانها صدرى
ووالله مالى نيّة فى صلاته * ولا البر والإحسان والخير من أمرى
وما ضره والله يغفر ذنبه * لو أنّ ذنوب العالمين على ظهري

- فبلغته الأبيات فقال : صدق ! ما يضرّنى ذلك ، والله لا يصلح هذا أبداً ، فدعوه
يعمل ما يشاء . وقال الهيثم فى خبره : فقال له أبو جعفر : قد أعفيناك من هذه الحال ،
ولكن على ألا تدع القيام معنا فى ليلى شهر رمضان فقد أظلم^(١) . فقال : أفعل . قال :
إنك إن تأمّرت لشرب الخمر علمت ذلك . ووالله لئن فعلت لأحدثك . فقال أبو دلامة :
البلية فى شهر أصلح منها فى طول الدهر ، سمعاً وطاعة . فلما حضر شهر رمضان
لزم المسجد . وكان المهديّ يبعث إليه فى كل ليلة حرسياً يحمي به ؛ فنشق ذلك عليه ،
وفزع الى الخيزران وأبى عبيد الله وكلّ من كان يلوذ بالمهديّ ليشقّعوا له فى الإغفاء

أثره المنصور
بالقيام شهر رمضان
فكتب الى ربيعة
شعرا يستشفع بها
للهدى

- (١) يعنى : يخلص منه ويتحلّ المعاذير الباطلة لانقطاعه عنه . (٢) أظلم : غشى وأشرف
وأقبل . (٣) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري الكاتب الوزير . كان من رجال
المنصور ثم المهدي . عزله المهدي عن الوزارة ثم جعله على ديوان الرسائل ، ثم عزله عنه سنة ١٦٧ هـ

من الأيام ، فلم يُجِهم . فقال له أبو عبيد الله : الدالُّ على الخير كفاحه ، فكيف
شُكركَ ؟ قال : أتم شكر . قال : عليك رِيطَةٌ ^(١) فإنَّه لا ينفكها . قال : صدقت والله ،
ثم رفع إليها رُقعةً يقول فيها :

أَلِفًا رِيطَةً أَنَّى * كُنْتُ عَبْدًا لَهَا
فَضَى يَرْحَمُهُ اللّٰه * هـ وَأَوْصَى بِي إِلَيْهَا
وَأَرَاهَا نَسِيَّتِي * مِثْلَ نَسِيَانِ أَخِيهَا
جَاءَ شَهْرَ الصَّوْمِ مِثْلِي * مِثْلِي مَا أَشْتَمِيهَا
قَائِدًا لِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ * رِكَائِي أَسْتَعِيهَا
تَنْطُحُ الْقِبْلَةَ شَهْرًا * جَبَّهَتِي لِأَنَاتِلِيهَا
وَلَقَدْ عَشْتُ زَمَانًا * فِي فَيَافِيٍّ وَجِيهَا
فِي لَيْالٍ مِنْ شِتَاءٍ * كُنْتُ شَيْخًا أَصْطَلِيهَا
قَاعِدًا أَوْ قَدْ نَارًا * لِيَضِيَابِ أَشْتَوِيهَا
وَصَبُوحٍ وَغَبُوقٍ * فِي عِلَافٍ أَحْتَسِيهَا
مَا أَبَالِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ * وَلَا تُسْمِعُنِيهَا
فَاطِلِي لِي فَرْجًا مِنْهَا * مَهَا وَأَجْرِي لَكَ فِيهَا

١٠

١٥

فلما قرأت الرُقعة صَحِيكَتُ وأرسلتُ إليه : اصْطَبِرْ حَتَّى تَمُتَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ . فكتب
إليها : إِنِّي لَمْ أَسْأَلْكَ أَنْ تَكَلِّمَنِي فِي إِعْفَائِي عَامًا قَابِلًا ، وَإِذَا مَضَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فَقَدْ
فَنِيَ الشَّهْرُ . وكتب تحتها أبياتًا :

(١) رِيطَةٌ : هي ابنة الخليفة أبي العباس السفاح وزوجة المهدي . (٢) العلاب : جمع

علبة وهي قدح خضيم من جلود الإبل أو هي قدح من خشب . (٣) لا هنا نافية ، وهو خبر
يراد به النهي .

- خافي إلهك في نفس قد آحتضرت * قامت قيامتها بين المصلية
 ما ليلة القدر من همى فأطلبها * إني أخاف المنيا قبل عشرينا
 يا ليلة القدر قد كثرت أرجلنا * يا ليلة القدر حقا ما ثمنينا؟
 لا بارك الله في خير أومله * في ليلة بعد ما قنا ثلاثين
 فلما قرأت الأبيات نحيكت ، ودخلت إلى المهدي فشفت له إليه ، وأنشدته
 الشعرين ، فضحك حتى استلقى ، ودعا به وريلة معه في الحجة فدخل ، فأخرج رأسه
 إليه وقال : قد شققتنا ريلة فيك ، وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم . فقال : أما شفاعتي
 سيدي في حتى أعفيتني فأعفاها الله من النار . وأما السبعة الآلاف فما أعجبنى ما فعلته ،
 إنا أن تيمها بثلاثة آلاف فتصير عشرة ، أو تنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف ،
 فإني لا أحسن حساب السبعة . فقال : قد جعلتها خمسة . قال : أعيدك بالله أن
 تختار أدنى الحالين وأنت أنت . فعيت به المهدي ساعة ثم تكلمت فيه ريلة فأمها
 له عشرة آلاف درهم .

أنشد المهدي شعره
 في نخاس فضحك
 منه

- أخبرني الحسين بن علي عن حماد عن أبيه قال :
 مر أبو دلامة بنخاس يبيع الرقيق ، فرأى عنده منهن من كل شيء حسن ،
 فانصرف مهموماً ، فدخل إلى المهدي فأنشده :

إن كنت تبني العيش حلوا صافياً * فالشعر أعز به وكن نخاسا
 تنيل الطوائف من ظراف نهدي
 والربح فيما بين ذلك راهب * ستمحا بيسعك كنت أو مكاسا^(٢)
 دارت على الشعراء خرفة نوبة^(٣) * فتجزعوا من بعد كاس كاسا

١٢٩
٩

- (١) الحجة : بيت يزين بالثياب والأمره والستور . (٢) مكس في البيع يمس (من باب
 ضرب) : نقص الثمن . والمراد هنا المشاحة في البيع والشراء . (٣) لعل صوابها : «نوبة حرة» .

وَسَرَّ بَلَوْا قُمْصَ الْكَسَا فَاوَلَوْا * بَالْتَحَسَّ كَسْبًا يَذْهَبُ الْإِفْلَاسَا
بِفَعْلِ الْمَهْدَى يَضْحَكُ مِنْهُ .

لَقِيَ رُؤْيَا لِلْمَنْصُورِ
وَأَخَذَ مِنْهُ ثِيَابًا

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ ابْنِ النَّطَّاحِ قَالَ :

دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَأَنشَدَهُ :

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي * ثِيَابًا جَمَّةً وَقَضَيْتَ دِينِي

فَكَانَ بِنَفْسِي الْخَزْفِيهَا * وَسَاجُ نَاعِمٍ^(١) فَاتِمٍّ زَيْسِي

فَصَدَّقْ بِأَدْنَاكَ النَّفْسَ رُؤْيَا * رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَلِكَ عَيْنِي

فَامْرَأَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ لَهُ : لَا تَعُدْ أَنْ نَحْلُمَ عَلَى ثَانِيَةٍ ، فَاجْعَلْ حُلْمَكَ أَضْغَاثًا وَلَا أَحْقَاقَهُ .

حَبَسَهُ الْمَنْصُورُ
لِسُكْرِهِ فَبَعَثَ لَهُ مِنَ
الْحَبْسِ شِعْرًا فَعَفَا
عَنْهُ

ثُمَّ نَجَّاهُ مِنْ عِنْدِهِ وَمَضَى فَشَرِبَ فِي بَعْضِ الْحَانَاتِ فَسُكِرَ وَأَنْسَرَفَ وَهُوَ يَمِيلُ .
فَلَقِيَهُ الْعَسَسُ فَأَخَذُوهُ ، وَقِيلَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ وَمَا دِينُكَ ؟ فَقَالَ :

دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي الْعَبَّاسِ * مَا خُتِمَ الطِّينُ عَلَى الْقِرْطَاسِ

إِنِّي أَصْطَبِحْتُ أَرْبَعًا بِالْكَاسِ * فَقَدْ أَدَارْتُ سُرْبَهَا بِرَأْسِي

* فَهَلْ بِمَا قُلْتُ لَكُمْ مِنْ بَاسٍ *

فَأَخَذُوهُ وَمَضَوْا ، وَخَرَقُوا ثِيَابَهُ وَسَاجَهُ وَأَتَى بِهِ أَبُو جَعْفَرٍ — وَكَانَ يُرَى بِكُلِّ مَنْ أَخَذَهُ

الْعَسَسُ — فَحَبَسَهُ مَعَ الدَّجَاجِ فِي بَيْتٍ . فَلَمَّا أَفَاقَ جَعَلَ يَنَادِي غَلَامَهُ مَرَّةً وَجَارِيَتَهُ

أُخْرَى فَلَا يَجِيبُهُ أَحَدٌ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَسْمَعُ صَوْتَ الدَّجَاجِ وَزُقَاءَ الدُّيُوكِ . فَلَمَّا

أَكْثَرَ قَالَ لَهُ السَّجَّانُ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : وَبَيْتُكَ مَنْ أَنْتَ وَأَيْنَ أَنَا ؟ قَالَ :

فِي الْحَبْسِ ، وَأَنَا فَلَانُ السَّجَّانِ . قَالَ : وَمَنْ حَبَسَنِي ؟ قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :

(١) السَّاجُ : الطَّبْلَسَانُ الْأَخْضَرُ وَقِيلَ الْأَسْوَدُ وَقِيلَ الْمَقْزُورُ يَنْسُجُ كَذَلِكَ . وَفِي الْأَسَاسِ : « لَبَسُوا

السَّجَّانَ وَهِيَ الطَّبْلَسَانَةُ الْمُدَوَّرَةُ الْوَاسِعَةُ » . (٢) فِي ب ، س : « النَّاسِ » .

(٣) مَحْمَدُ فَلَانٌ : قَالَ حَلَمْتُ بِكَذَا وَهُوَ كَاذِبٌ .

وَمَنْ حَرَقَ طَبْلَسَانِي ؟ قال : الحَرَس . فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس ففعل ،
فكتب إلى أبي جعفر :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَتَكَ نَفْسِي * عَلَامَ حَبْسَتِي وَحَرَقَتَ سَاجِي
أَمِنْ صَفَرَاءَ صَافِيَةِ الْمِزَاجِ * كَأَنَّ شُعَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ
وَقَدْ طُيِّخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى * لَقَدْ صَارَتْ مِنَ التُّطِيفِ النَّضَاجِ ^(١)
تَشْبِيْهَا لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَبِيْهَا * إِذَا بَرَزْتَ تَرْتَفِقُ فِي الرُّجَاجِ ^(٢)
أَقَادَ إِلَى السُّجُونِ بَغِيرِ جُرْمٍ * كَأَنِّي بَعْضُ عُمَالِ الْخَرَاجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُسْنُ لَكَانٍ سَهْلًا * وَلَكِنِّي حُسْنُ مَعَ الدَّجَاجِ
وَقَدْ كَانَتْ تُحْبِرُنِي ذُنُوبِي * بِأَنِّي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَاقَيْتُ شَرًّا * لَخَيْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي

فَدَعَا بِهِ وَقَالَ : أَيْنَ حُسْنُ يَا أَبَا دُلَامَةَ ؟ قال : مع الدجاج . قال : فَاكُنْتَ
تَصْنَعُ ؟ قال : أَقْبَوِيْ مَعَهُنَّ حَتَّى أَصْبَحْتُ . فَضَحِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ وَأَمَرَ بِهِ بِجَائِزَةٍ .
فَلَمَّا نَجَحَ قَالَ لَهُ الرَّبِيعُ : إِنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَهُ ؟ وَقَدْ طَبِخَتْ
بِنَارِ اللَّهِ ” (يعني الشمس) . فَأَمَرَ بِرَدِّهِ ثُمَّ قَالَ : يَا خِيَّتِ شَرِبْتَ الْخَمْرَ ؟ قَالَ لَا .
قَالَ : أَفَلَمْ تَقُلْ ” طُيِّخَتْ بِنَارِ اللَّهِ ” نَعْنَى الشَّمْسِ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا عَنِتُّ إِلَّا نَارَ اللَّهِ
الْمَوْقَدَةِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى فَوَادِ الرَّبِيعِ . فَضَحِكَ وَقَالَ : خُذْهَا يَا رَبِيعُ وَلَا تَعَاوِدِ التَّعَرُّضَ .

١٣٠
٩

قال ابن النطاح : وَمَرَّ أَبُو دُلَامَةَ بِتَجَّارٍ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ لَهُ :
رَأَيْتُكَ أَطْعَمْتَنِي فِي النَّوَامِ * قَوَاصِرَ مِنْ تَمْرِكَ الْبَارِحَةِ ^(٣)

لَقَدْ رَوَى تَجَّارٌ
وَأَخَذَ مِنْهُ تَمْرًا

(١) الطُّفَّة : الماء الصافي قل أو كثر . (٢) في ١ ، ٣ : « برقت » . وترفق :
تلاذد أي تحبب ، وتذهب . (٣) قواصر : واحدة قوصرة ، وهي وعاء من قصب يرفع
فيه الصبر من البواري .

فَأَمَّ الْعِيَالِ وَصِيَّيْنَهَا * إِلَى الْبَابِ أَعْيَنَهُمْ طَاحِمَةً
فَاعْطَاهُ جَلَّتْ تَمَرٌ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ رَأَيْتَ هَذِهِ الرُّؤْيَا ثَانِيَةً لَمْ يَصِحَّ تَفْسِيرُهَا . فَاخْذُهَا
وَانصَرَفَ .

وَقَالَ ابْنُ النَّطَّاحِ :

هنا المهدي بقدمه
من الرى فلا حجره
دراهم

لَمَّا قَدِمَ الْمَهْدِيُّ مِنَ الرَّيِّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو دُلَّامَةَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
إِنِّي نَذَرْتُ لَنِّ رَأَيْتُكَ سَالِمًا * بَقَرَى الْعِرَاقَ وَأَنْتَ ذُو وَفَرٍ
تُصَلِّينَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ * وَلْتَمَلَّانِ دِرَاهِمًا حِجْرِي
فَقَالَ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا الدِّرَاهِمُ فَلَا . فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُمَرَّقَ
بَيْنَهُمَا ثُمَّ تَخْتَارُ أَسْهَلَهُمَا . فَأَمَرَ بَأَن يُمَلَّأَ حِجْرُهُ دِرَاهِمًا .

وَمِثْلُ هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ مَا حَدَّثَنِي بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ
عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ :

قَدِمَ الْمُهَلَّبُ مِنْ بَعْضِ غَزَوَاتِهِ ، فَلَقِيَتْهُ عَجُوزٌ مِنَ الْأَزْدِ فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ،
أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ إِلَّا وَقَفْتَ فَوْقَ . فَدَنَنْتُ وَقَبِلْتُ يَدَهُ وَقَالَتْ : هَذَا نَذْرُكَ
عَلَيَّ ، إِنِّي نَذَرْتُ عَلَى اللَّهِ أَنْ أَقْبَلَ يَدَكَ إِنْ قَدِمْتَ سَالِمًا وَتَهَبْ لِي أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا
وَجَارِيَةً صُغْدِيَّةً تَحْدِثُنِي . فَضَحِكَ وَقَالَ : أَمَا نَحْنُ فَقَدْ وَقَفْنَا بِنَذْرِكَ ، ادْفَعُوا إِلَيْهَا
ذَلِكَ ، وَإِيَّاكَ يَا أَمَامَهُ وَهَذِهِ النُّذُورُ ؛ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَبْقَى لَكَ بِهَا وَيَنْشُطُ لِحَلِيلِكَ مِنْهَا .

قَالَ ابْنُ النَّطَّاحِ :

خير من الصوم
والحرى فكتب
للمهدي شعرا فنجل
جائزته

وَصَامَ النَّاسُ فِي سَنَةِ شَدِيدَةِ الْحَرِّ عَلَى عَهْدِ الْمَهْدِيِّ ، وَكَانَ أَبُو دُلَّامَةَ
يَنْتَظِرُ جَائِزَةً أَمَرَ لَهُ الْمَهْدِيُّ بِهَا . فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو دُلَّامَةَ رُقْعَةً يَشْكُو فِيهَا أَذَى الْحَرِّ
وَالصُّومِ وَهِيَ :

(١) الْجِلَّةُ (بِالْهَاءِ) : قَفَّةٌ كَبِيرَةٌ لِلتَّمَرِ .

- أدعوك بالرحم التي هي جمعت * في القرب بين قريتنا والأبعد
إلا سمعت وأنت أكرم من مشى * من مُنشد يرجو جزاء المُنشد
جاء الصيام فصمته متعبدا * أرجو رجاء الصائم المتعبدا
ولقيت من أمر الصيام حره * أمرين فيسا بالعذاب المؤصد^(١)
وسجدت حتى جبهتي مشجوجة * مما يناطحني الحصا في المسجد
فأمن بتسريحى بمطك بالذى * أسلفتني من البلاء المرصد
فلما قرأ المهدي رفته غضب وقال : يا عاض كذا من أمه أى قرابة بيني وبينك !
قال : رحم آدم وحواء ، أنسبتهما يا أمير المؤمنين ! فضحك وقال : لا والله ما نسبتهما ؛
وأمر بتعجيل ما أجاز به وزاد فيه . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال
حدثنا الخزازي عن المدائني وزاد فيه قال : وأنشده أيضا في ذم الصوم :
هل في البلاد لرزق الله مفترش * أم لا فني جلده من خشية برش
— يعني أن جلده الرزق خشن الملمس فهو يُفترش كما يُفترش الضب^(٢) — أشعر :
أضحي الصيام منيخا وسطعر صبتنا * نيت الصيام بأرض دونها حرش^(٣)
إن صمت أوجعنى بطنى وأقلبنى * بين الجوانح مس الجوع والعطش^(٤)
وإن خرجت بليل نحو مسجدهم * أضرتني بصر قد خانه العمش
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزبير عن عمه ،
ونسخت من كتاب ابن النطاح قال اليزيدي في خبره :

١٣١
٩

عزى أم سلمة بنت
يعقوب في السفاح
فأضحكها

- (١) المؤصد : المطلق . (٢) في الأصول : « الملبس » بالباء . (٣) احترش الضب
وحرفته : صاده ، وهو أن يحرك يده على حجره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه . ومنه المثل :
« أتعلمني بضب أنا حرشته » يخاطب به العالم بالشي من يريد تعليمه . (٤) الحرش (بالضريك) لغة :
الخشوة . يتنّى لو كان بينه وبين الصوم من غلظ الأرض وحزونها ما يحول دونه .

دخل أبو دلّامة على رَبطَة بعد وفاة المهديّ، وقال آسن النّطّاح : دخل على أمّ سلمة بنت يعقوب بن سلمة بعد وفاة أبي العباس، وهو الصّحيح، فعزّاها به وبكى وبكت معه، ثم أنشدّها :

مَنْ مُجِلٌّ فِي الصَّبْرِ عَنْكَ فَلَمْ يَكُنْ * صَبْرِي عَلَيْكَ غَدَاةً بِنْتُ جَمِيلَا
يَحْدُونُ أَبْدَالًا بِهِ وَأَنَا أَمْرٌ * لَوْ مِتُّ وَجَدْتُ مَا وَجَدْتُ بِدِيلَا
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ * فَوَجَدْتُ أَجْوَدَ مَنْ سَأَلْتُ بِجِيلَا

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : لَمْ أَرِ أَحَدًا أُصِيبَ بِهِ غَيْرِي وَغَيْرِكَ يَا أَبَا دَلَامَةَ . فَقَالَ : وَلَا سَوَاءَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، لَكَ مِنْهُ وَلَدٌ وَمَا وَلَدْتُ أَنَا مِنْهُ . فَضَحِكْتُ — وَلَمْ تَكُنْ مِنْذُ مَاتَ أَبُو الْعَبَّاسِ ضَحِكْتُ إِلَّا ذَلِكَ الْوَقْتَ — وَقَالَتْ لَهُ : لَوْ حَدَّثْتَ الشَّيْطَانَ لِأُضْحِكَتَهُ .

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا الغلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الضحّاك قال :

خدع المهديّ بموت
زوجته وخدعت
زوجته الخيزران
بموت كلكلّ فضحكا
منهما

دخل أبو دلّامة على المهديّ وهو يبكي . فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أمّ دلّامة، وأنشدته لنفسه فيها :

وَكَاكَ كَرُوحٌ مِنْ قَطَا فِي مَقَارَةٍ * لَدَى خَفِضَ عَيْشٍ نَاعِمٍ مُؤْنِقِي رَغْدٍ
فَأَفْسَدَنِي رَيْبُ الزَّمَانِ بِصَرْفِهِ * وَلَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ أَوْحَشَ مِنْ فَرْدٍ

فَأَمَرَهُ بِثِيَابٍ وَطِيبٍ وَدَنَانِيرٍ، وَخَرَجَ . فَدَخَلَتْ أُمُّ دَلَامَةَ عَلَى الْخَيْزُرَانِ فَأَعْلَمَتْهَا أَنَّ أَبَا دَلَامَةَ قَدْ مَاتَ ، فَأَعْطَتْهَا مِثْلَ ذَلِكَ ، وَتَرَجَّتْ ، فَلَمَّا التَقِيَ الْمَهْدِيُّ وَالْخَيْزُرَانُ عَرَفَا حِيلَتَهُمَا بَعْضُكَمَا لِمَا كَانَ لِلْآخَرِ وَيَعْيِيَانِ مِنْهُ .

(١) أم سلمة : هي أم سلمة الخزومية امرأة الخليفة أبي العباس السفاح ، وتزوجها بعده عبد الله .

ابن عبد الحديد الخزوي . (انظر الأغاني ج ٤ ص ٣٣٥ من هذه الطبعة) .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة، ونسخت أنا من كتاب
أبن الطّاح قال :

فرض له المنصور
على كل هاشمي عطاء
فنقصه العباس بن
محمد دينار بن قدمه

دخل أبو دلّامة على المنصور فأنشده :

أَمَّا وَرَبِّ الْعَادِيَاتِ ضَبِيحًا * حَقًّا وَرَبِّ الْمُورِيَاتِ قَدَحًا
إِنَّ الْمُنِيرَاتِ عَلَى صُبْحًا * وَالنَّكَاتِ (٢) مِنْ فَوَادِي قُرَحَا (٣)
عَشْرَ إِبْيَالٍ بَيْنَهُنَّ ضَبِيحًا * يَجْلُقْنَ (٤) مَالِي كَلَّلَ عَامٍ صَبِيحَا (٥)

فقال له أبو جعفر: وكم تذبح يا أبا دلّامة؟ قال: أربعة وعشرين ساة. ففرض له
على كل هاشمي أربعة وعشرين ديناراً، فكان يأخذها منهم. فأتى العباس بن محمد
في عشر الأختي يستجزها. فقال: يا أبا دلّامة، أليس قد مات أبوك؟ قال بلى.
قال: ألقصوه دينارين. قال: أصلح الله الأمير لا تفعل، فإنه ترك علي ولدين. فأبى
إلا أن ينقصه. فخرج وهو يقول:

أَخْطَاكَ مَا كُنْتَ تَرْجُوهُ وَتَأْمُلُهُ * فَاغْسِلْ يَدِيكَ مِنَ الْعَبَاسِ بِالْيَاسِ
وَأَغْسِلْ يَدِيكَ بِأَشْنَانٍ فَأَنْقِهُمَا (٦) * مِمَّا تَوَمَّلَ مِنْ مَعْرُوفِ عَبَاسِ
جَزَاكَ رَبُّكَ يَا عَبَّاسُ عَنْ فَرَجٍ * جَنَاتٍ عَدْنٍ وَعَنِّي جُرْزَنِي (٧) آسِ

- ١٥ (١) الضيح: صوت أنفاس الخليل إذا عدت ليس بصهيل ولا حجمة. (٢) نكا القرح: فشره قبل أن يبرأ فيندى. وقد وردت هذه الكلمة في الأصول محرقة؛ فنى ح: «النككات» . وفي أ، م: «النككات». وفي ب، س: «الفاتكات». (٣) في الأصول: «قدحا» بالذال، وهو تحريف. (٤) في أ، م: «صباحا» بالصاد المهملة. وفي ب، ك: «صباحا» بالضم، وهو تحريف. (٥) يجلقن: يستأصلن. وفي ب، س: «يتلقن». وفي سائر الأصول: «يجلقن» بالخاء المهملة. وهو مصحف عما أثبتناه، كما يحتمل أن يكون مصحفاً عن «يجلقن» بالفاء بمعنى يستأصلن أيضاً. (٦) الأشنان (بالضم): حض تقصّل به الأيدي. (٧) الجزمة: الخزمة.

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك، وأخطأ على العباس، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أخرى . هذه رواية يزيد . وأما ابن النطاح فإنه ذكر أن الذي نقصه الدينارين على بن صالح وقال له : إنما نقصتُك دينارين لموت أبنك دُلّامة . فخلف ألا يأخذ إلاّ خمسين ديناراً ، ثم قام مُغضباً ، فأتبعه الرسول فأعطاه إياها . فقال له : أولى له^(١) . أما ما سبق فلا حيلة فيه ، والمستأنف فقد أمّنه . وقد كان قال فيه :

لعلى بن صالح بن عليّ * نسبٌ لو يُعِينه بِسَاحِ
وبنو مالكٍ كثيرٌ ولكن * مالنا في بقائهم من فَلَاحِ
غير فضيلٍ فات للفضل فضلاً * مستبيناً على قرّيش البطاحِ

أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال :

خاصم رجلٌ أبا دُلّامة في داره ، فأرتفعا إلى عافية القاضي ، فأنشأ أبو دُلّامة يقول :

لقد خاصمتني دُهاة الرجال * وخاصمتها سنة وإفية
فما أدحض الله لي مُجَّةً * ولا خيب الله لي قافية
ومن خفت من جوره في القضاء * فلسْتُ أخافك يا عافية

فقال له عافية : أما والله لأشكونك إلى أمير المؤمنين ولأعلمن أنك هَجَوْتِي . قال : إذا عزّلك . قال : ولم ؟ قال : لأنك لا تعرب المديح من الهجاء . فبلغ ذلك المنصور فضيحه وأمر لأبي دُلّامة بمجائة .

(١) أولى له : معناها التهديد والتروعد .

أمره المهدي بهجاء
أحد الحضور
فهجا نفسه

أخبرني محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال :

دخل أبو دلامة على المهديّ وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى
والعبّاس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم . فقال له : أنا أعطى
الله عهداً لن لم تهجّ واحداً من في البيت لأقطعن لسانك — ويقال إنه قال : لأضربن
عنقك — فنظر إليه القوم ، فكلمنا نظراً إلى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه . قال
أبو دلامة : فعلبتُ أني قد وقعتُ وأنها عزيمةٌ من عزماته لا بدّ منها ، فلم أرَ أحداً
أحقّ بالهجاء مني ، ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت :

أَلَا أبلغُ إليك أبا دَلَامَةَ * فليس من الكرام ولا كرامة

إذا ليس العامة كان فرداً * وينتزيراً إذا نزح العامة

جمعت دَمَامَةً وجمعت لَوْمَةً * كذاك اللؤم تُتبعه الدَمَامَةُ

فإن تك قد أصبحت نعيم دُنيَا * فلا تفرّج فقد دنت القيامة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلّا أجازّه .

قال شعرا في المهدي
وعلى بن سليمان
وقد خرجا للصبيد
فأصاب الأزل
واخطأ الثاني

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن عمّه قال :

خرج المهديّ وعليّ بن سليمان إلى الصّبيد ، فسَنَحَ لهما قُطْعٌ من ظِباء ، فأرسلتِ
الكلابُ وأجريت الخيلُ ، فرمى المهديّ ظليماً بسهم فصّره ، ورمى عليّ بن سليمان
فأصاب بعض الكلاب فقتله . فقال أبو دلامة :

قد رمى المهديّ ظليماً * شكّ بالسهم فؤادَه

وعلى بن سليما * ن رمى كلباً فصّادَه

فهنيئاً لهما كلّ أمرئٍ يا كل زاده

فضحك المهدي حتى كاد أن يسقط عن سرجه، وقال : صدق والله أبو دلالة ، وأمر له بجائزة مائة . أخبرني بهذا الخبر عني عن الكوفي عن العُمري عن الهيثم بن عدي فذكر مثل ما ذكره وقال فيه : فلقب علي بن سليمان "صائد الكلب" وعلق به .

١٣٣
٩

أنشد المنصور
شعرا فأعلاه دارا
وكسوة ثم احتاج
الى الدار وعوضه
بدلها

قال أبو النطاح : وأنشد أبو دلالة المنصور يوماً :

هاتيك والدتي عجوزٌ هـ^(١) * مثل البليّة دِرْعُها في المشجب^(٢)
مهزولة اللّجين^(٣) من رها يقل * أبصرتُ غولاً أو خيالاً، الطرب^(٤)
ما إن ركت لها ولا لأبن لها * مالا يؤمل غير بكر أرب
ودجائبها نحساً يرخن^(٥) إليهم * لما يبيض^(٦) وغير غير مغرب^(٧)
كتبوا إلى صحيفة مطبوعة * جعلوا عليها طينة كالقرب
فعلبت أن الشر عند فكّاكها * ففككتها عن مثل ربح الجورب
وإذا شيبه بالأفاعى رُقشت * يُوعدني بتلطي وتؤب^(٨)
يشكون أن الجوع أهلك بعضهم * لزباً فهل لك في يال لزب^(٩)
لا يسألونك غير طلل صحاب^(١٠) * تفشاهم من سبيل المتحلل
يا بأذل الخيرات يابن بدولها * وأبن الكرام وكلّ قرم منجب
أتم بنو العباس يُعلم أنكم * قدما فوارس كل يوم أنهب

(١) الهمة : العجوز الفانية . (٢) المشجب (ومثله الشجاب) : خشبات موقفة منصوبة توضع عليها الثياب وتلشر . يريد أن أمه فنت حتى أشبهت خشبات المشجب . (٣) اللّجين : عظم الحنك وهو الذي عليه الأسنان . (٤) القرب هنا : ذكر الغيلان أو الصغير من الجن . (٥) يجوز في تابع المستقي بغير مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى . وقد روى هنا المعنى . (٦) العير (بالفتح) : الحمار . والمغرب : الذي اشتد بياضه حتى يبيض محاجر وأرفاغه . (٧) مطبوعة : مخنومة . (٨) في الأصول : «وتأوب» ويقال لغة ثأب وتأب بالتضعيف . وقد أثّرنا الثانية لأنه على رواية الأصول تكون في «تأقية ألف الأساس» ، وإذا كانت لُزمت في القصيدة كلها . (٩) اللزب (بالتحريك) : ضيق العيش .

أَحْلَسَ^(١) خَيْلَ اللَّهِ وَهِيَ مُغِيرَةٌ * يَخْرُجَنَّ مِنْ خَلَالِ الْغُبَارِ الْأَكْهَبِ^(٢)

قال : فأمر له . دار يسكنها وكسوة ودراهم . وكانت الدار قريبة من قصره ، فأمر بأن تزداد في قصره بعد ذلك حاجة دعوته إليها . فدخل عليه أبو دُلَامة فأثبده قوله :

يَا بَنَ عَمِّ النَّبِيِّ دَعْوَةُ شَيْخٍ * قَدْ دَنَا هَدْمُ دَارِهِ وَدَمَارُهُ

فهو كالماخض التي اعتادها الطلُ * قُيِّقَتْ وَمَا يَقِرُّ قَرَارُهُ

إِنْ تَحْزُنُ عُسْرَهُ بِكَفِّكَ يَوْمًا * فَبِكَفِّكَ عُسْرُهُ وَيَسَارُهُ

أَوْ تَدْعُهُ فَلِلْبَوَارِ ، وَأَنْتَى * وَلَنَا وَأَنْتِ حَتَّى بَوَارُهُ

هل يخاف الهلاك شاعر قوم * قَدُمْتُ فِي مَدِيحِهِمْ أَشْعَارُهُ

لَكُمْ الْأَرْضُ كُلُّهَا فَأَعْيَرُوا * شَيْخَكُمْ مَا أَحْتَوَى عَلَيْهِ جِدَارُهُ

فَكَانَ قَدْ مَضَى وَخَلَّفَ فِيكُمْ * مَا أَعْرَضْتُمْ وَأَقْفَرْتُمْ مِنْهُ دَارُهُ

فَأَسْتَعْبَنَ الْمَنْصُورُ ، وَأَمَرَ بِتَعْوِضِهِ دَارًا خَيْرًا مِنْهَا وَوَصَلَهُ .

قال ابن النطاح :

ودخل أبو دُلَامة على المهديّ وعنده مُحَرِّزٌ وَمُقَاتِلٌ ابْنَا دُوَالٍ يَعَاتِبَانِهِ عَلَى تَقْرِيبِهِ .

أَبَا دُلَامة وَيَعْيِيَانِهِ عِنْدَهُ . فَقَالَ أَبُو دُلَامة :

أَلَا أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ هَلْ أَنْتَ مُحَرِّرِي * وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ سَائِلِي

أَلَمْ تَرْحَمْ الْعَلِيِّينَ مِنْ لِحْيَتَيْهِمَا * وَكَلْتَاهُمَا فِي طَوْلِهَا غَيْرُ طَائِلِ

وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ مُكْرِمِي * بِجَلْقَيْهِمَا مِنْ مُحَرِّزٍ وَمُقَاتِلِ

فَارِثِ يَأْذَنِ الْمَهْدِيِّ لِي فِيهِمَا أَقْلٌ * مَقَالًا كَوْفِ السِّيفِ بَيْنَ الْمَفَاصِلِ

وَالْإِلا تَدْعُنِي وَالْمَهْمُومُ تَسْوِبُنِي * وَقَلْبِي مِنَ الْعَلِيِّينَ جَمَّ الْبَلَابِلِ

عابه عند المهدي
محرز ومقاتل ابنا
دوال فهجاهما
بمحضرته

١٣٤
٩

(١) أحلاس الخيل هنا : الملازمون ظهورها . (٢) الكهبة : غيرة مشربة سوادا .

(٣) فعل الشرط محذوف أي وإلا تفعل تدعني .

فقال . أو أخذ لك منهما عشرة آلاف درهم يقديان بها أعراضهما منك ؟ قال :
ذلك إلى أمير المؤمنين . فأخذها له منهما وأمسك عنهما .

قال ابن النطاح :

ودخل أبو دلالة على سعيد بن دعلج^(١) مولى بني تميم فقال :

إذا جئت الأمير فقل * سلام * عليك ورحمة الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلي غريم * من الأعراب قبج من غريم
غريم لازم بفناء يتي * لزوم الكلب أصحاب الرقيم^(٢)
له مائة على ونصف أخرى * ونصف التصف في صك قديم
دراهم ما آتفتع بها ولكن * وصلت بها شيوخ بني تميم
أتوني بالعشيرة يسألوني * ولم أكن في العشيرة باللائيم

فضحك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما وقال : ما أساء من أنصف ، وقد
كافأك عن قومك وزدتك مائة .

(١) كان أميراً على شرطة البصرة وأحدثها لأبي جعفر المنصور، ثم ولى البحرين له أيضاً وعزله بعد
ذلك . وولى للهدى طبرستان وعزله عنها . (انظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦ و ٧ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٩ و ٤١)
(٢) قال الزنجشري في تفسير قوله تعالى : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجبا) : « الرقيم اسم كلهم » قال أمية بن أبي الصلت :

وليس بها إلا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم في الكهف هم

ويقيل هو لوح من رصاص رقت فيه أسماءهم جعل على باب الكهف ، وقيل إن الناس رفقوا حديثهم
فقرأ في الجبل ، وقيل : هو الوادي الذي فيه الكهف ، وقيل الجبل ، وقيل قرينهم ، وقيل مكانهم بين
غضبان وأيلة دون فلسطين . وفي اللسان مادة رقم : « قال أبو القاسم الزجاجي في الرقيم خمسة
أقوال : أحدها عن ابن عباس أنه لوح كتبت فيه أسماءهم . الثاني أنه الدراية بلسة الروم عن مجاهد .
الثالث القرية عن كعب . الرابع الوادي . الخامس الكتاب عن الضحاك وقادة ، والى هذا القول
يذهب أهل اللغة » .

مدح سعيد بن دعلج
فأجازه

اخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير عن جعفر بن الحسين اللّهي عن عمه
داعب المنصور
في جنازة بنت عمه
حتى ضحك
مُصعَب :

أَتَ حَمَادَةَ بِنْتَ عَيْسَى تُوفِيَتْ وَحَضَرَ الْمَنْصُورُ جَنَازَتَهَا . فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى حُفْرَتِهَا
قَالَ لِأَبْنِي دُلَامَةَ : مَا أَعَدَدْتَ لِهَذِهِ الْحَفْرَةِ ؟ قَالَ : بِنْتَ عَمِّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَمَادَةَ
بِنْتَ عَيْسَى يُجَاءُ بِهَا السَّاعَةَ فَتُدْفَنُ فِيهَا . فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ حَتَّى غَلِبَ فَسَرَّ وَجْهَهُ .

أخبرني: حمي رحمه الله تعالى قال حدثنا محمد بن سعد الكزاني قال قال أبو عمر
سأل الخيزران
جارية نوعده
بها وأبطأت
فاستنجزها بشعره
وفصة زوجته وابنه
مع هذه الجارية
حفص بن عمر العمريّ حدثنا الهيثم قال :

تَحَتَّ الْخَيْزُرَانُ ، فَلَمَّا خَرَجَتْ صَاحِبُهَا أَبُو دُلَامَةَ ، قَالَتْ : سَلُّوهُ مَا أَمْرُهُ .
فَقَالُوا لَهُ : مَا أَمْرُكَ ؟ فَقَالَ : أَذْنُونِي مِنْ تَحْمِلِهَا . قَالَتْ : أَذْنُوهُ ، فَأَذْنِي . فَقَالَ : آيَتِهَا
السَّيِّدَةُ ، إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ وَأَجْرُكَ فِيَّ عَظِيمٌ . قَالَتْ : فَمَنْ . قَالَ : تَهَيَّئِينَ لِي جَارِيَةً مِنْ
جَوَارِيكَ تَوَسِّنِي وَتَرْفُقِي بِي وَتُرِيحَنِي مِنْ عَجُوزٍ عِنْدِي ، قَدْ أَكَلْتُ رِفْدِي ،
وَأَطَالَتُ كَدِّي ، وَقَدْ عَافَ جِلْدِي جِلْدَهَا ، وَتَمَتَّيْتُ بِعَمَلِهَا ، وَتَشَوَّقْتُ فَقَدَّهَا .
فَضَحِكَتِ الْخَيْزُرَانُ وَقَالَتْ : سَوْفَ أَمْرُكَ بِمَا سَأَلْتَ . فَلَمَّا رَجَعْتُ تَلَقَّاهَا
وَذَكَّرَهَا ، وَخَرَجَ مَعَهَا إِلَى بَغْدَادَ فَأَقَامَ حَتَّى غَرَضَ^(١) . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أُمِّ عَيْبَةَ حَاضِنَةِ
مُوسَى وَهَارُونَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهَا رُقْعَةً قَدْ كَتَبَهَا إِلَى الْخَيْزُرَانِ فِيهَا :

أَبْلَغِي سَيِّدَتِي بِاللَّهِ * يَا أُمَّ عَيْبَةَ
أَنَّهُ أَرَشَدَهَا اللَّهُ * وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَةً
وَعَدْتَنِي قَبْلَ أَنْ تَخْ * مَرَجَ لِلْحَجِّ وَلَيْدَهُ
فَتَأْتَيْتُ وَأَرْسَلْتُ * سِتُّ عَشْرِينَ قَصِيدَهُ

كَلْبًا أَخْلَقَن ^(١) أَخْلَقَ * مَتَ لَهَا أُخْرَى جَدِيدَه

ليس في يتي لتهيه * مد فراشي من قَعِيدَه

غَيْرُ عَجْفَاءَ عَجُوزٍ * سَأَفْهًا مِثْلَ الْقَدِيدَه

وَجْهَهَا أَفْجَحَ مِنْ حُو * بِ طَرِيٍّ فِي عَصِيدَه

مَاحِيَةً مَعَ أَتْنَى * مِثْلَ عِرْسِي بِعَصِيدَه

١٣٥
٩

فلما قُرِئَتْ عليها الأبيات ضحكَتْ واستعادتْها منه لقوله « حوت طَرِيٍّ في عَصِيدَه »
وجعلَتْ تَضْحَكُ، ودعت بجارية من جوارِها فأتَتْها فقالت لها : خُذِي كُلَّ مَالِكَ
في قَصْرِي ففعلتْ، ثم دعت ببعض الخدم وقالت له : سَأْهَلْ إِلَى أَبِي دُلَامَةَ . فَأَنْطَلَقَ
الْخَادِمُ بِهَا فَلَمْ يَصَادِفْهُ فِي مَنْزِلِهِ . فَقَالَ لَامِرَأَتِهِ : إِذَا رَجَعْتَ فَأَدْفَعِيهَا إِلَيْهِ ، وَقُولِي لَهُ : تَقُولُ
لَكَ السَّيِّدَةُ : أَحْسِنُ حُبَّةَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ فَقَدْ أَتَرْتُكَ بِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ . فَلَمَّا خَرَجَ دَخَلَ
أَبْنَاهُ دُلَامَةُ فَوَجَدَ أُمَّهُ تَبْكِي . فَسَأَلَهَا عَنْ خَبَرِهَا فَأَخْبَرَتْهُ وَقَالَتْ : إِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَبْرَأَ
يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَالْيَوْمَ . فَقَالَ : قُولِي مَا شِئْتَ لِأَنِّي أَفْعَلُهُ . قَالَتْ : تَدْخُلُ عَلَيْهَا فُتَعْلِبُهَا
أَنَّكَ مَالِكُهَا وَتَطْلُوها فَتَحْرُمُ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا دَهَبْتَ بِمَقْلِهِ وَجَفَانِي وَجَفَاكَ . ففعل ودخل
إِلَى الْجَارِيَةِ فَوَطَّأَهَا وَوَأَفَقَهَا ذَاكَ مِنْهُ : وَخَرَجَ . ثُمَّ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ فَقَالَ لَامِرَأَتِهِ :
أَيْنَ الْجَارِيَةُ ؟ قَالَتْ : فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ . فَدَخَلَ إِلَيْهَا شَيْخٌ عَظِيمٌ ذَاهِبٌ ، فَمَدَّ يَدَهُ
إِلَيْهَا وَذَهَبَ لِيَقْبِلَهَا . فَقَالَتْ لَهُ : مَالَكَ وَيْلَكَ ! تَنْسَحُ وَإِلَّا لَطَمْتُكَ أَطْمَةً دَقَقْتُ
مِنْهَا أَنْفَكَ . فَقَالَ لَهَا : أَهَذَا أَوْصَيْتُكَ السَّيِّدَةُ ! . فَقَالَتْ : إِنَّهَا قَدْ بَمَثَ بِي إِلَى
فَتًى مِنْ حَالِهِ وَهَيْئَتِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي آفَقًا ، وَنَالَ مِنْ حَاجَتِهِ . فَعَلِمَ
أَنَّهُ قَدْ دَهَى مِنْ أُمِّ دُلَامَةَ وَأَبْنَاهَا . فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو دُلَامَةَ فَلَطَمَهُ وَلَبَّيْهِ وَحَلَفَ ^(٢)

(١) كذا في ١ . وفي سائر الأصول : « أَخْلَقَن » بالفاء الموحدة .

(٢) لَبَّيْهِ : أَخَذَ بِتَلْبِيئِهِ أَيْ جَمَعَ ثِيَابَهُ عِنْدَ صَدْرِهِ وَنَحَرَهُ فِي الْخُصُوفَةِ ثُمَّ جَرَّه .

- أَلَا يَفَارِقُهُ إِلَّا عِنْدَ الْمَهْدَى . فَخَصَّ بِهِ مُلْكِيًّا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَهْدَى . نَعْرِفُ
خَبْرَهُ وَانْه قَدْ جَاءَ بِابْنَتِهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهُ : مَا لَكَ
وَيْلَكَ ؟ ! قَالَ : عَمِلَ بِي هَذَا ابْنُ الْخَيْثَةِ مَا لَمْ يَعْمَلْ وَلَدٌ أَبِيهِ ، وَلَا تُرْضِينِي إِلَّا أَنْ
تَقْتُلَهُ . فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ فَمَا فَعَلَ ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ . فَضَحِكَ حَتَّى آسَتْ لَتَى ثُمَّ جَلَسَ . فَقَالَ
لَهُ أَبُو دُلَامَةَ : أَعْجَبَكَ فَعْلُهُ فَتَضَحَّكَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ : عَلَى السَّيْفِ وَالنَّطْعِ . فَقَالَ لَهُ
دُلَامَةُ : قَدْ سَمِعْتَ حُجَّتَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاسْمَعْ حُجَّتِي . قَالَ : هَاتِ . قَالَ : هَذَا
الشَّيْخُ أَصْفَقَى النَّاسَ وَجَهًا ، يَذِكَ أُنْحَى مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا غَضِبْتُ ، وَتَكَتْ جَارِيَتُهُ
مَرَّةً وَاحِدَةً فَغَضِبَ وَصَنَعَ بِي مَا تَرَى ! فَضَحِكَ الْمَهْدَى أَكْثَرَ مِنْ ضَحْكِ الْأَوَّلِ ،
ثُمَّ قَالَ : دَعَهَا لِي يَا أَبَا دُلَامَةَ وَأَنَا أَغْصِيكَ خَيْرًا مِنْهَا . قَالَ : عَلَى أَنْ تَحْبِئَهَا لِي
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَإِلَّا نَاكَهَا وَاللَّهِ كَمَا نَاكَ هَذِهِ . فَتَقَدَّمَ إِلَى دُلَامَةَ إِلَّا يُعَاوِدُ
بِمِثْلِ فَعْلِهِ ، وَحَلَفَ أَنَّهُ إِنْ عَاوَدَ قَتْلَهُ ، وَوَهَبَ لَهُ جَارِيَةً أُخْرَى كَمَا وَعَدَهُ .

وقال ابن البطاح :

سأله المهدي عن
شاعر فاطمراه
فأجازه لحسن
محضره

- دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدَى وَعِنْدَهُ شَاعِرٌ يُنْشِدُهُ . فَقَالَ لَهُ : مَا تَرَى فِيهِ ؟ قَالَ :
إِنَّهُ قَدْ جَهَدَ نَفْسَهُ لَكَ فَأَجْهَدْ نَفْسَكَ لَهُ . فَقَالَ الْمَهْدَى : وَأَبِيكَ إِنَّهَا لِكَلِمَةٍ عَذْرَاءُ
مِنْكَ ، أَحْسِبَكَ تَعْرِفُهُ ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُهُ وَلَا قُلْتُ أَنَا إِلَّا حَقًّا . فَأَمَرَ لِلشَّاعِرِ
بِمَجَازَةٍ ، وَلَأَبَى دُلَامَةَ بِمِثْلِهَا لِحَسَنِ مُحَضَّرِهِ .

قال ابن النطاح وحدثني أبو عبد الله العَقِيلُ قَالَ :

خلع عليه العقيل من
ثيابه التي عليه

- رَأَيْتُ عَلَى أَبِي دُلَامَةَ قُرُوءَةً فِي الصَّبَفِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا تَمَلُّ هَذِهِ الْقُرُوءَةَ ! قَالَ :
بَلَى ، وَرَبِّ مَمْلُوكٍ لَا يُسْتَطَاعُ فِرَاقُهُ . فَتَزَعْتُ فَاضِلَ ثِيَابِي فِي مَوْضِعِي وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ .
قَالَ : وَأَهْدِيَ لِمَهْدَى فَيْلٍ ، فَرَأَاهُ أَبُو دُلَامَةَ فَوَلَّى هَارِبًا وَقَالَ :
يَا قَوْمَ إِنِّي رَأَيْتُ الْفَيْلَ بَعْدَكُمْ * لَا بَارَكَ اللَّهُ لِي فِي رُؤْيَا الْفَيْلِ

فزع من رؤية
الفيل وقال فيه
شعرا

ابصرت قصراً له عين يقلبها * فكذت أرمي بسلحي في سراوي
قال أبو البطاح :

ودخل أبو دلامة على المهدي فأنشده قصيدته في بغلته المشهورة :
أتاني بغلة يستام مني * عريق في الحسارة والضلال^(١)
فقال تبعها ؟ قلت أرتبطها * بحبك إن يسعى غير غالى^(٢)
فأقبل ضاحكاً نحوي سروراً * وقال أراك ستمّ ذا جمال^(٣)
هلم إلى يخلوني خداعاً * وما يدري الشقي بن يخالي^(٤)
فقلت بأربعين فقال أحسن * إلى فإن مثلك ذو سبيل^(٥)
فأترك خمسة منها لعلني * بما فيه يصير من الخيال

١٠ فقال المهدي : لقد أقلت من بلاء عظيم . قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهراً أتوقع صاحبها أن يردها . قال : ثم أنشده :

فأبدلني بها يا رب طرفاً * يكون مرجيه جمالي^(٦)
فقال لصاحب دوابه : خيره من الإضطبل مرّكين . قال : يا أمير المؤمنين إن كان الاختيار لي وقعت في شر من البغلة ، ولكن مره أن يختار لي ، فقال : اختر له .
١٥ وأخبرني به عني عن الكرائي عن العمري عن الهيثم بن عدي ، وخبره أتم .

وأخبرني محمد بن خلف عن أحمد بن الهيثم عن العمري عن الهيثم بن عدي قال :
دخل أبو دلامة يوماً على المهدي ، فحادثه ساعة وهو يضحك وقال له : هل بقي أحد من أهلي لم يصلك ؟ قال : إن أمنتني أخبرتك ، وإن أعفيتني فهو أحب إلي .
قال : بل تخبرني وأنت آمن . قال : كلهم قد وصلني إلا حاتم بن العباس . قال :

(١) في ج : « أتاني خائب » . (٢) استام : طلب السوم أي تعين الثمن . (٣) السجال هنا :
المباراة والمساجلة يريد أنه لا يماكس في الثمن . (٤) الطرف من الخيل : الكريم . (٥) في ب ،
من : « بين مرّكين » .

أنشد المهدي شعراً
في بغلته واستوبه
أخرى غيرها

احتمل على العباس
ابن محمد بشعراً أخذ
منه ألفي درهم
وكان راهن المهدي
على ذلك فأخذ
منه ستة آلاف

ومن هو؟ قال : عمك العباس بن محمد . فالتفت إلى خادم على رأسه وقال : جأ^(١)
عني العاص بظراًمة . فلما دنا منه صاح به أبو دلامة : تنح يا عبد السوء لا تُخَنِّث
مولاك وتُكث عهده وأمانه . فضحك المهدي وأمر الخادم فتحنى عنه ، ثم قال
لأبي دلامة : وبذلك ! والله عمي أبحل الناس . فقال أبو دلامة : بل هو أثنى الناس .
فقال له المهدي : والله لو مِت ما أعطاك شيئاً . قال : فإن أنا أتيتك فأجازني ؟ قال :
لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم . فأنصرف أبو دلامة فخر للعباس قصيدة
ثم غدا بها عليه وأنشده :

قِفْ بالديار وأَيُّ الدهر لم يَقِفْ * على المنازل بين الظَّهر والنَّجَفِ
وما وقوفك في أطلالٍ مَنزِلَةٍ * لولا الذي استدرجت من قليلك الكَفِ
إن كنت أصبحت مشغوقاً بساكنها * فلا وربك لا تَسْفِك من شَغَفِ
دَعْ ذَا وَقْلٍ في الذي قد فاز من مُضِرٍ * بالمَكْرُمَاتِ وعِزٍّ غير مُقَرَّفِ^(٢)
هذي رسالةُ شيخ من بني أسد * يُهدي السلام إلى العباس في الأُحْفِ
تُخَطُّها من جِوَارِي المِصْرِ كاتِبَةٌ * قد طالما ضَرَبَتْ في اللام والأَلِفِ
وطالما اختلفت صَيِّفاً وشَتِيَةً^(٣) * إلى معلَّها باللَّوح والكَتِفِ
حتى إذا نَهَدَ الثَّدْيَانِ وأَمْتَلَأَا * منها وَخِيفَتْ على الإِسْرَافِ والقِرْفِ^(٤)
صَبَتْ ثلاثَ سِنِينَ ما تَرَى أحداً * كما يَصُونُ تِجَارُ دُرَّةَ الصَّدْفِ
فبينما الشَّيْخُ يَهْوِي نحو جَلِيسِهِ * مبادِراً لصلاة الشُّبَّحِ بالسَّدْفِ^(٥)
حانت له لَحْمَةٌ منها فأبصرها * مُطَلَّةً بين سَجَّيْتَيْهَا من العُرْفِ^(٦)

١٣٧
٩

(١) جأ : اضرب . (٢) الظهر : موضع . والنجف (بالتحريك) : موضع يظهر الكوفة
وهو دومة الخندل بينهما ، والقرب منه قبر أمير المؤمنين على بن أبي طالب . (٣) في ب ، من :
« عزم » . (٤) مقترف : مكتسب . (٥) في ب ، من : « ضيفا » بالضاد المعجمة
وهو تصحيف . (٦) القرف : التهمة . (٧) السدف : الظلمة .

خَفَرٌ وَاللَّهُ مَا يَدْرِي غَدَاتُنِي * أَخَرْتُ مُنْكَشِفًا أَمْ غَيْرَ مُنْكَشِفٍ
 وَجَاءَ النَّاسُ أَفْوَاجًا بِمَائِهِمْ * لِيُغْسِلُوا الرَّجُلَ الْمُتَشَيِّ بِالنُّطْفِ (١)
 وَوَسَّوْهُ بَقْرَانِي فِي مَسَامِعِهِ * بِخَافَةِ الْحِنِّ وَالْإِنْسَانُ لَمْ يَخَفِ
 شَيْئًا وَلَكِنَّهُ مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ * أَمْسَى وَأَصْبَحَ مُوقِفًا عَلَى التَّلَفِ
 قَالُوا : لَكَ الْوَيْلُ مَا أَبْصَرْتَ ؟ قُلْتُ لَمْ * تَطْلُعْتُ مِنْ أَعَالَى الْقَصْرِ ذِي الشَّرَفِ
 فَقُلْتُ أَتَيْكُمْ وَاللَّهُ يَاجِرُهُ * يُعِينُ قُوَّتَهُ فِيهَا عَلَى الضَّعْفِ
 فقام شيخٌ يَمِيٌّ مِنْ رَجَالِهِمْ * قد طالما خَدَعَ الْأَقْوَامَ بِالْحَلِفِ
 فَاثْبَاعَهَا لِي بِالْفَتَى دَرَاهِمَ فَاتَى * بِهَا لَمَّا قَالَتْ لَهَا عَلَى كَتْنِي
 فَبِتُّ أُنْتِمَهَا طَوْرًا وَأُزْمِعَهَا * طَوْرًا وَأَصْنَعُ بَعْضَ الشَّيْءِ فِي الشُّفِّ
 فَبَيْنَ ذَلِكَ كَذَا إِذْ جَاءَ صَاحِبُهَا * يَتَّبِعِي الدَّرَاهِمَ بِالْمِيزَانِ ذِي الْكِفِّ (٢)
 وَذِكْرُ حَقِّ عَلَى زَنْدٍ وَصَاحِبِهِ * وَالْحَقُّ فِي طَرَفٍ وَالطِّينُ فِي طَرَفِ
 وَبَيْنَ ذَلِكَ شُهُودٌ لَا يَضُرُّهُمْ * أَكُنْتُ مُعْتَرِفًا أَمْ غَيْرَ مُعْتَرِفِ
 فَإِنْ يَكُنْ مِنْكَ شَيْءٌ فَهُوَ حَقُّهُمْ * أَوْلَا فَإِنِّي مُدْفُوعٌ إِلَى التَّلَفِ

قال: فضحك العباس وقال: وَيَحْكُ أَصَادِقُ أَنْتَ ؟ قال: نعم والله. قال: يا غلام
 اِدْفَعْ إِلَيْهِ الْفَتَى دَرَاهِمَ ثَمْنَهَا. قال: فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القصة وما أحتال
 له به. فأمر له المهدي بستة آلاف درهم. وقال له المهدي: كيف لا يضرهم
 ذلك؟ قال: لأني مُعْدِمٌ لا شيء عندي. وقال عُمَى في خبره: فقال له العباس بن محمد
 شاركني في هذه الجارية. قال: أفعل ولكن على شريطة. قال: وما هي؟ قال: الشَّرِكَةُ
 لَا تَكُونُ إِلَّا مَقَاوِضَةً، فاشترِ معها أخرى، لِيَبْعَثَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى صَاحِبِهِ مَا عِنْدَهُ (٣)

(١) النطف: جمع نطفة (بالضم) وهي الماء الصافي قل أو أكثر. (٢) في ح، ب، س: «لطف» وهو تحريف. (٣) المشهور في مثل هذا أن يقال: فبينما ذلك كذا أو «بنينا». وقد جاء
 بها أبو دلالة هنا على الأصل. (٤) شركة المقايضة: هي الشركة العامة في كل ما يملكه الشريكان.

وياخذ الأخرى مكانها ليلةً وليلةً . فقال له العباس : قَبِّحَكَ اللهُ وَقَبِّحْ ماجئِهِ ، به !
خذ الدراهم لا بارك الله لك فيها وأنصرف .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني
العبيسيّ قال : أمره أبو مسلم
بمبارزة رجل فقال
شعرا أضحكك
فأعفاه

كان أبو دُلّامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية ، فدعا رجلاً إلى
البراز؛ فقال له: أباير مسلم : اُبرزْ إليه . فأنشأ يقول :
أَلَا لَا تَلْمُنِي إِنْ قَرَرْتُ فِرَاتِي * أَخَافُ عَلَى نَفْسِي أَنْ تَحْطَأَ
فَلَوْ أَتَيْتُ فِي السُّوقِ أَتْبَاعَ مِثْلِهَا * وَجَدْتُكَ مَا بَالَيْتُ أَنْ أَتَقَدِّمًا
فَضِيحِكَ وَأَعْفَاه .

ونسخت من كتاب ابن النطّاح : وعده ربيعة جارية
فاستنجزها بشعر

أَنْ رَ بِيْعَةَ وَعَدْتُ أَبَا دُلّامة جاريةً فطَلَنَتْ حَتَّى أَمْتَدَحَهَا بِعِدَّةِ قَصَائِدٍ ، كُلُّ
ذَلِكَ لَا تَنِي لَهُ ، ثُمَّ نَحَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ وَرَجَعْتُ . وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا أُمُّ عَيْبَةَ
تَخْرُجُ وَتُكَلِّمُ الرِّجَالَ وَتُبَلِّغُهُنَّ الرِّسَالُ . فَقَالَ أَبُو دُلّامة لِأُمِّ عَيْبَةَ حِينَ عِيَلِ صَبْرُهُ :

أَبْلَغِي سَيِّدَتِي إِنْ * شِئْتِ يَا أُمُّ عَيْبَةَ
أَنْهَا أُرْشِدَهَا إِلَهُ * وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَةً
وَعَدْتِي قَبْلَ أَنْ تَخْ * مَرْجَ لِلْحَيِّجِّ وَلِيْدَهُ
فَتَنْظَّرْتُ وَأَرْسَلْتُ * بَتْ بِعَشْرِينَ قَصِيدَةً
كَلَّمَا تَخْلُقُ أَوَّلِي * بَدَّلْتُ أُخْرَى جَدِيدَةً
إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ * لَيْسَ فِي يَدِي قَعِيدَةً
غَيْرُ مِثْلِ الْقَوْلِ عِنْدِي * ذَاتِ أَوْصَالٍ مَدِيدَةٍ

وجُهِهَا أَسْمَحُ مِنْ حُو * يَ طَرَى فِي عَصِيدِهِ

ذَاتِ رَجُلٍ وَيَدُ كُل * تَاهَا مِثْلُ الْقَدِيدِ

فدخلت على رَبطَة فأَشْدَّتْهَا الشَّعْرَ، فَأَمْرَبَتْ لَهُ بِجَارِيَةٍ وَمَاتِي دِينَارَ لِلتَّفَقَّةِ عَلَيْهَا .

أخبرني الحسين بن يحيى نسخت من كتاب إسحاق الموصلي حدثني أبي عن جدِّي :^(١)
 أَنَّ أَبَا دُلَامَةَ نَزَلَ بِالْكُوفَةِ، فَأَتَاهُ أَضْيَافُ فَفْتَدَاهُمْ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى سِنْدِيَّةٍ تَبَاذَّةٍ
 يَقَالُ لَهَا دَوْمَةٌ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِمْ بَجَّةً مِنْ تَيْلَازٍ فَنَشِرُ بُوَهَا، ثُمَّ أَعَادَ فَبَعَثَتْ إِلَيْهِمْ
 بِأُخْرَى، ثُمَّ جَاءَتْ تَتَقَاضَى الثَّمَنَ . فَقَالَ : لَيْسَ عِنْدِي الثَّمَنُ، وَلَكِنِّي أُمَدِّحُكُمَا
 هُوَ خَيْرٌ مِنْ تَيْلَازِك . فَقَالَ :

أَلَا يَا دَوْمُ دَامَ لَكَ النَّعِيمُ * وَأَحْمَرِ مِلْءُ كَفِّكَ مُسْتَقِيمٌ

شَدِيدُ الْأَصْلِ يَنْبُذُ حَالِيَاهُ * يَسُرُّ كَأَنَّهُ رَجُلٌ سَقِيمٌ

وهذا الخبر يروى عن الأقيشر أيضا .

قال إسحاق وحدثني أبي :

أَنَّ أَبَا دُلَامَةَ كَانَ كَثِيرَ الزَّيَارَةِ لِلْجَنِينِ النَّخَّاسِ، وَكَانَ يَتَعَشَّقُ جَارِيَةً لَهُ وَيَغْضَبُ .
 بَغَاةً يَوْمًا فَقَالَ : أَخْرِجْ لِي فُلَانَةً . فَقَالَ : إِلَى مَتَى تَخْرُجُ إِلَيْكَ وَلَسْتَ بِمُشْتَرٍ !!

قال شعرا في الجنيذ
 النخاس يذمه
 ويمدح جارية له

(١) يلاحظ أن جدَّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي فارسي وهو ماهان أو ميمون بن بهمن، وأنه مات وابنه
 مقل في الثانية أو الثالثة، فلا يعقل أن يكون إبراهيم روى عن أبيه . على أن ماهان لم يعرف أنه من رواة
 الأدب العربي . فلعل في كلمة «عن جدِّي» تحريفا أو م من زيادات النسخ . (راجع ترجمة إبراهيم الموصلي
 في الجزء الخامس من هذه الطبعة ص ١٥٤) . (٢) كذا في ج . وفي سائر الأصول : «مثل» وهو
 تحريف . وقد ورد هذا الشعر في الجزء العاشر صفحة ٩٤ من الأغاني طبع بلاق في ترجمة الأقيشر، وروايته :

أَلَا يَا دَوْمُ دَامَ لَكَ النَّعِيمُ * وَأَحْمَرِ مِلْءُ كَفِّكَ مُسْتَقِيمٌ

شَدِيدُ الْأَمْرِ يَنْبُذُ حَالِيَاهُ * يَحْمُ كَأَنَّهُ رَجُلٌ سَقِيمٌ

يَرْوِيهِ الشَّرَابُ فَيَزِدُّهُ فِيهِ * وَيَنْفَخُ فِيهِ شَيْطَانُ رَجِيمٍ

(٣) يَنْبُذُ : يَنْبُضُ .

قال : فإن لم أكن مشترياً فلاني أخ يمدح ويطري . قال : ما أنا بخرجهما إليك
أو تقول فيها شعرا . قال : فأحلف بعنقها أن تروني إياها وتأمرها بإنشاده من أذاك
يعترضها ولا تحجبها . خلف لا يحجبها . فقال أبو دلامة :

إني لأحسب أن سامي ميتا * أو سوف أصبح ثم لا أسي
من حب جارية الجنيدي وبغضه * وكلاهما قاض على نفسي
فكلامها يشفى به سقمي * فإذا تكلم عاد لي نكسي

أخبرني عمي قال حدثنا الكزاني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال :
دخل أبو دلامة على إسحاق الأزرق يعود ، وكان إسحاق قد مرض مرضاً
شديداً ، ثم تعافى منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفاً ، وعند إسحاق طبيب يصف له
أدوية تقوى بدنه . فقال أبو دلامة للطبيب : يا بن الكافرة ! أتصف هذه الأدوية
لرجل أضعفه المرض ! ما أردت والله إلا قتله . ثم ألقت إلى إسحاق فقال : استمع
أيها الأمير متى . قال : هات ما عندك يا أبا دلامة . فأنشأ يقول :

نح عنك الطبيب وأستمع لنتي * لأنني ناصح من النصائح
ذو تجاريب قد تقلبت في الصحاح * دهرأ وفي السقام المتاح
غاد هذا الكباب كل صباح * من مؤن الفتية السحاح^(١)
فإذا ما عطشت فأشرب ثلاثاً * من عيني في الشم كالتفاح
ثم عند المساء فاعكف على ذا * وعلى ذا بأعظم الأقداح^(٢)
فقرى ذا الضعف منك وتلني * عن ليل أصح هذي الصباح^(٣)
ذا شفاء ودع مقالة هذا * ناك ذا أمه بأير رباح

عاد إسحاق الأزرق
وعنده طيبه فقال
شعرا ينصحه فيه
بمجانبة الطبيب

(١) السحاح : البهان ، واحداً ساح وساحة ، بالحاء المشددة . (٢) عن ليل أي بعد ليل .

(٣) رباح : القرد .

فَضَحَكَ بِإِصْحَاقَ وَعُودُهُ، وَأَمَرَ لَأَبِي دُلَامَةَ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ . وَكَانَ الطَّيِّبُ نَصْرَانِيًّا فَقَالَ :
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ يَا رَكُلَ (يريد يا رجل) . وَقَالَ الطَّيِّبُ : أَقْبَلْ مِنِّي أَصْلَحَكَ اللَّهُ
وَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ قُدَّامَهُ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : أَمَّا وَقَدْ أَخَذْتُ أَجْرَةَ صَفْقَتِي وَقَضَيْتُ
الْحَقَّ فِي نَصْحِ صَنِيعِي ، فَأَنْتَ لَهُ الْآنَ أَنْتَ مَا أَحْبَبْتَ .

تسار بسلامة
الوصيف في حضرة
المهدي

٥ أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويَه قَالَ حَدَّثَنِي
أَبُو الشَّيْبَلِ عَاصِمُ بْنُ وَهَبِ الْبُرْجُمِيِّ قَالَ :

دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَبَيْنَ يَدَيْهِ سَلَامَةُ الْوَصِيفِ وَأَقْفًا ، فَقَالَ : إِنِّي
أَهْدِيْتُ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَهْرًا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ شُرْعَتِي بِقَبُولِهِ ،
فَأَمْرُهُ بِإِدْخَالِهِ إِلَيْهِ ، فَخَرَجَ وَأَدْخَلَ إِلَيْهِ دَابَّتَهُ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَهُ ، فَإِذَا بِهِ يَرْدُونَ مُحْطَمٌ
أَتَجَفَّ هَرِمٌ . فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : أَيْ شَيْءٌ هَذَا وَيْلَكَ ! أَلَمْ تَزْعَمْ أَنَّهُ مَهْرٌ ! فَقَالَ لَهُ :
١٠ أَوْ لَيْسَ هَذَا سَلَامَةُ الْوَصِيفِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَأَتَمَّا تَسْمِيَهُ الْوَصِيفَ وَلَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً ، وَهُوَ
عِنْدَكَ رَصِيفٌ ! فَإِنْ كَانَ سَلَامَةُ وَصِيفًا فَهَذَا مَهْرٌ . فَجَعَلَ سَلَامَةُ بِشُتْمَةٍ وَالْمَهْدِيُّ
يَضْحَك . ثُمَّ قَالَ لِسَلَامَةَ : وَيْلَكَ : إِنَّ لِهَذِهِ مِنْهُ أَخَوَاتٌ ، وَإِنْ أَتَى بِهَا فِي حَقْلٍ
فَضَحَكَ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : وَاللَّهِ لَأَفْضَحَنَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَلَيْسَ مِنْ مَوَالِكَ أَحَدٍ
١٥ إِلَّا وَقَدْ وَصَلَنِي غَيْرُهُ ، فَإِنِّي مَا شَرِبْتُ لَهُ الْمَاءَ قَطُّ . قَالَ : فَقَدْ حَكَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ
يَشْتَرِيَ نَفْسَهُ مِنْكَ بِالْفِ دَرَاهِمٍ حَتَّى يَخْلُصَ مِنْ يَدِكَ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ عَلَى أَنْ
لَا يُعَاوِدُ . فَقَالَ لَهُ : مَا تَرَى ؟ قَالَ : أَفْعَلُ ، فَلَوْلَا أَنِّي مَا أَخَذْتُ مِنْهُ شَيْئًا قَطُّ
بَا فَعَلْتُ مَعَهُ مِثْلَ هَذِهِ . فَضَى سَلَامَةُ حَمَلَهَا إِلَيْهِ .

عبث به ابنه فأراد
أن يفضيه لحكم
زوجته

٢٠ أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ الْكَرَّانِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَالِحٍ قَالَ :

(١) كذا في جميع الأصول . ولعله : « أجرة صفق الخ » .

جاء ابن أبي دُلّامة يوماً إلى أبيه وهو في حَفْلٍ من جيرانه وعَشِيرته جالس،
 مجلس، بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إن شِخْي، كما ترون، قد كَبُرَتْ
 سِنُهُ، وَرَقَّ جِلْدُهُ، وَدَقَّ عَظْمُهُ، وَبُنَا إلى حَيَاتِهِ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا أزال أُشِيرُ
 عليه بِالشَّيْءِ يُمَسِّكُ رَمَقَهُ وَيُبْقِي قُوَّتَهُ، فَيُخَالِفُنِي فِيهِ. وَأَنَا أَسْأَلُكُمْ أَنْ تَسْأَلُوهُ
 قَضَاءَ حَاجَةٍ لِي أَذْكَرُهَا بِحَضْرَتِكُمْ، فِيهَا صِلَاحٌ لِحِسْمِهِ، وَبِقَاءُ لِحَيَاتِهِ، فَأَسْعِفُونِي
 بِسَأَلِهِ، فَقَالُوا: تَفْعَلُ حُبًّا وَكَرَامَةً. ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى ابْنِ دُلّامَةِ بِالسَّتَمِ وَتَنَاوَلُوهُ
 بِالْعِتَابِ حَتَّى رَضِيَ وَهُوَ سَاكِتٌ، فَقَالَ قَوَاوِلُ لَلْخَيْثِ فَلْيَقُلْ مَا يُرِيدُ، فَتَسْتَعْمَلُونَ أَنَّهُ
 لَمْ يَأْبِ إِلَّا بِلِيَّةٍ. فَقَالُوا لَهُ: قُلْ. فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ إِمَامًا يَقْتُلُهُ كَثَرَةُ الْجَمَاعِ، فَتُؤَاوِنُونِي عَلَيْهِ
 حَتَّى أَخْصِيهَ، فَلَنْ يَقْطَعَهُ عَنْ ذَلِكَ غَيْرُ الْخِصَاءِ، فَيَكُونُ أَصَحَّ لِحِسْمِهِ وَأَطْوَلَ لِعَمْرِهِ.
 فَعَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ وَعَلِمُوا أَنَّهُ إِمَامٌ أَرَادَ أَنْ يَعْثَبَ بِأَبِيهِ وَيُخْجَلَّهُ حَتَّى يَشِيْعَ ذَلِكَ عَنْهُ
 فَيَرْفَعَ لَهُ بِذَلِكَ ذِكْرٌ، فَضَحِكُوا مِنْهُ. ثُمَّ قَالُوا لِابْنِ دُلّامَةِ: قَدْ سَمِعْتَ فَأَجِبْ. قَالَ:
 قَدْ سَمِعْتُمْ أَنتُمْ وَعَرَفْتُمْ أَنَّهُ لَنْ يَأْتِيَ بِخَيْرٍ. قَالُوا: فَمَا عِنْدَكَ فِي هَذَا؟ قَالَ: قَدْ
 جَعَلْتُ أُمِّي حَكَّامًا بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَتَقُومُوا بِنَا إِلَيْهَا. فَقَامُوا بِأَجْمَعِهِمْ فَدَخَلُوا إِلَيْهَا، وَقَصَّ
 أَبُو دُلّامَةِ الْقِصَّةَ عَلَيْهَا، وَقَالَ لَهَا: قَدْ حَكَمْتُكَ. فَأَقْبَلَتْ عَلَى الْجَمَاعَةِ فَقَالَتْ: إِنَّ ابْنِي—
 أَصْلَحَهُ اللَّهُ— قَدْ نَصَحَ أَبَاهُ وَبَرَّهَ وَلَمْ يَأَلْ جُهْدًا، وَمَا أَنَا إِلَى بَقَاءِ أَبِيهِ بِأَخْوَجَ مِنِّي إِلَى
 بَقَائِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ تَقْعَ بِهِ تَجْرِبَةٌ مِنَّا، وَلَا بَحْرَثُ بِمِثْلِهِ عَادَةً لَنَا، وَمَا أَشْكُ فِي مَعْرِفَتِهِ
 بِذَلِكَ. فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ فَلْيَخْصِمَا، فَإِذَا عُوِفَ وَرَأَيْنَا ذَلِكَ قَدْ أَثَّرَ عَلَيْهِ أَثَرًا مَحْمُودًا أَسْتَعْمَلَهُ
 أَبُوهُ. فَتَعَرَّ أَبُوهُ وَجَعَلَ يَضْحَكُ بِهِ، وَخَجِلَ ابْنُهُ، وَأَنْصَرَفَ الْقَوْمُ يَضْحَكُونَ
 وَيَعْجَبُونَ مِنْ خُبْرِهِمْ جَمِيعًا وَاتَّفَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ الْمَنْهَبِ.

أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل
عن أبيه قال :

أمر المهديّ
مروانيا يقتل
خارجي فبنا السيف
في يده فقال هو
في ذلك شعرا

كان عند المهديّ رجل من بني مرزبان ، فدخل إليه وسلم عليه . فأتى
المهديّ يلج فأمر المروانيّ بضرب عنقه ، فأخذ السيف وقام فضربه فبنا السيف
عنه ، فقمي به المروانيّ وقال : لو كان من سيوفنا ما نبأ . فسمع المهديّ الكلام
فناظه حتى تغير لونه وبأن فيه . فقام يقطين^(٢) فأخذ السيف وحسره عن ذراعيه
ثم ضرب العليّ فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذه سيوف الطاعة لا تعمل
إلا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية . ثم قام أبو دلالة فقال :
يا أمير المؤمنين ، قد حصرني بيتان أفأقولهما ؟ قال : قل . فأنشده :

أيّها الإمام سيفك ماض * وبكفّ الوليّ غيرك^(٣) كهم
فإذا ما نبأ بكفّ علينا * أتبا كفّ مبيغض للإمام

قال : فسرى عن المهديّ وقام من مجلسه ، وأمر متجابه بقتل الرجل المروانيّ فقتل .

(١) العليج : الرجل من كفار العجم . (٢) يقطين : هو يقطين بن موسى البغدادي .
(انظر الكلام عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٥ ج ٦ من كتاب الأغاني من هذه الطبعة) .
(٣) الكهام من السيوف : الكليل الذي لا يقطع .

[أخبار عبد الله بن المعتز^١]

ومن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدم جميع أهل عصره
فضلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرفاً في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن
المعتز بالله .

- أدبه وشعره ودفاع
أبي الفرج عن
مذهبه في الأدب
- وأشهره ، مع قرب عهده بعصرنا هذا ، مشهور في فضائله وآدابه شهرةً تُشرك^٢
في أكثر فضائله الخاص والعام . وشعره وإن كان فيه رقةً الملوكية وغزل الطرءاء
وهلهلة المحدثين ، فإن فيه أشياء كثيرة تجرى في أسلوب المجدين ولا تقصر عن
مدى السابقين ، وأشياء ظريفة من أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله ، ليس
عليه أن يشبه فيها بفحول الجاهلية . فليس يمكن واصفاً لصبوح ، في مجلس شكي
ظريف ، بين تدامى وقيان ، وعلى ميادين من النور والبنفسج والترجس ومنضود
من أمثال ذلك ، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفانح القُرش ومختار الآلات ،
ورقة الخدم ، أن يعدل بذلك عما يُشبهه من الكلام السبسط الرقيق الذي يفهمه
كُلٌّ من حضر ، إلى جعد الكلام ووحشه ، وإلى وصف اليد والمهامه والظبي^(١)
والظلم والناقة والجل والديار والفقر والمنازل الخالية المهجورة ؛ ولا إذا عدل عن
ذلك وأحسن قيل له مبيء ، ولا أن يغمط حقه كله إذا أحسن الكثير وتوسط^{١٥}
في البعض وقصر في السير ، ويُنسب إلى ، التقصير في الجميع ، لنشر المقايح وطى^{١٥}
الحاسن . فلو شاء أن يفعل هذا كلُّ أحدٍ بمن تقدم لوجد مساعاً . ولو أن قاتلاً
أراد الطعن على صدور الشعراء ، لقد رأى أن يطعن على الأعشى —

(١) السبسط : السهل المرسل . والجعد : المقعد .

(٢) الظلم : ذكر النعام .

وهو أحد من يقدمه الأوائل على سائر الشعراء — بقوله : « فأصاب حبة قلبه
وطحها^(١) » . وبقوله :

ويأمر للبحوم كَلَّ عَشِيَّة * بَقَّتْ وتعلّق فقد كاد يسبق^(٢)

١٤١
٩

وأمثال لهذا كثيرة . وإنما على الإنسان أن يحفظ من الشيء أحسنه ، وليكن مالم
يستحسنه ، فليس مأخوذاً به . ولكن أقواماً أرادوا أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة ،
ويُسَيِّدُوا بذكرهم الخامل ، ويُعْلُوا أقدارهم الساقطة بالطن على أهل الفضل والقَدَح
فيهم ، فلا يزدادون بذلك إلا ضعة ، ولا يزداد الآخر إلا ارتفاعاً . ألا ترى إلى ابن
المعتز قد قُتِلَ أسوأ قَتْلَةٍ ، ودرج فلم يبق له خلف يقيّظُه ولا عقيب يرفع منه ،
وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحُسن أخباره وتصرفه في كل فن من العلوم إلا رفعةً

(١) الغيب في هذا ورود كلمة الطحال فيه وهي ما يابها النوق . وقد ورد كلام فيه في هذا الجزء
(ص ٨١ — ٨٢) فراجع .

(٢) هكذا في لسان العرب وكتاب نسب الخليل لابن الكلب وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . واليحموم :
اسم فرسه . والقت : حب برى . والتعلّق : ما تعلّقه الدابة من شعر ونحوه . ويسبق : يأكل حتى
يصيبه كالشم . وقد ورد هذا البيت في ب ، منه هكذا :

وقد كان أن يأمر هو كل ليلة * بقت وتعلّق فقد كاد يسبق
وفي الأصول المخطوطة :

وقد كان يأمر في كل ليلة * بقت وتعلّق فقد كان يسبق

وهما تحريف . وعيب هذا البيت أنه مدح به ملك الحيرة وهو لا يمدح به رجل من خاص الجنود ؛ لأنه ليس من
أحد له فرس إلا وهو يعلقه فتاً ويقضه شعراً . وهذا مديح كالحجاء . وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة :
« ولست أرى هذا عيباً ؛ لأن الملك تعد فرساً على أقرب الأبواب من مجالها يسرجه وجامه خوفاً من
عدو يقبضها أو أمر ينزل أو حاجة تعرض لقب الملك فيريد البدار ، فلا يحتاج إلى أن يتلقم على إسراج
فرسه وإلجامه . وإذا كان واقفاً غدى وعشى . فوضع الأعشى هذا المعنى ودل به على ملكه وعلى حزمه » .

(راجع كتاب الشعر والشعراء صفحة ١٤١ — ١٤٢ طبع أوربا) .

(٣) هكذا في الأصول . ويحتمل أن يكون : « يلقي » بالقاف .

وَعُلُوا . وَلَا نَظَرُ إِلَى أَضْدَادِهِ كَمَا أَزْدَادُوا فِي طَعْنِهِ وَتَقْرِيطِ أَنْفُسِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ
الَّذِينَ كَانُوا يَمِثْلُهُمْ فِي ثَلْبِهِ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِ ، زَادُوا سَقُوطًا وَضَعَةً ، وَكَمَا وَصَفُوا
أَشْعَارَهُمْ وَقَرَّظُوا آدَابَهُمْ ، زَادُوا بِهَا ثِقَلًا وَمَقْتًا . فَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْمُحْصَلُ الْمَوَافِقُ ،
عَدَلُوا عَنْ ثَلْبِهِ فِي الْآدَابِ ، إِلَى التَّشْنِيعِ عَلَيْهِ بِأَمْرِ الدِّينِ وَهَجَاءِ آلِ أَبِي طَالِبٍ ،
وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَشَنَعَ بِهِ عَلَى آلِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْمُكْتَفَى حَتَّى نَهَاكَ عَنْهُ ،
فَعَدَلُوا عَنْ عَيْبِ أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ إِلَى عَيْبِهِ ، وَأَرْنَكُوا أَكْثَرَهُ مِنْهُ . وَأَنَا أَذْكُرُ ذَلِكَ
بَعْقَبِ أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ ، مُصَرِّحًا بِهِ عَلَى شَرْحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ حَسَنَ الْعِلْمِ بِصِنَاعَةِ الْمُسَبِّحِ ، وَالْكَلَامِ عَلَى النِّعَمِ وَعِلَلِهَا . وَلَهُ
فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْآدَابِ كُتُبٌ مَشْهُورَةٌ ، وَمِرَاسِلَاتٌ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَبَيْنَ بَنِي حَمْدُونَ وَغَيْرِهِمْ ، تَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ وَغَزَاةِ
عِلْمِهِ وَوُدِّهِ .

علمه بصناعة
الموسيقى

وَلَقَدْ قَرَأْتُ بِخَطِّ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ رُقْعَةً إِلَيْهِ بِخَطِّهِ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ
بِرِسَالَةٍ إِلَى ابْنِ حَمْدُونَ فِي أَنَّهُ يَحُوزُ وَلَا يُنْكَرُ أَنْ يَغَيِّرَ الْإِنْسَانُ بَعْضَ نَعَمِ الْغِنَاءِ الْقَدِيمِ ،
وَيَعْدِلَ بِهَا إِلَى مَا يَحْسُنُ فِي حَلْقِهِ وَمِزْجِهِ . وَهِيَ رِسَالَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَشَاوَرَهُ فِيهَا . فَكُتِبَ
إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ : « قَرَأْتُ — أَيْدِكَ اللَّهُ — الرِّسَالَةَ الْفَاضِلَةَ الْبَارِعَةَ الْمَوْفِقَةَ . فَأَنَا وَاللَّهُ أَقْرَأُهَا
إِلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى أَوَّلِهَا مَبْتَهَجًا ، وَأَتَأَمَّلُ وَأَدْعُو مَبْتَهَلًا ، وَعَيْنُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَنَامُ
عَلَيْكَ وَعَلَى نِعْمَةٍ عِنْدَكَ . فَإِنَّهَا — عِلْمُ اللَّهِ — النِّعْمَةُ الْمَعْدُومَةُ الْمِثْلُ . وَلَقَدْ تَمَثَّلْتُ
وَأَنَا أَكْرَرُ نَظْرِي فِيهَا قَوْلَ الْقَائِلِ فِي سَيِّدِنَا وَأَبْنِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ :

كتاب عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر له
وقد بعث إليه رسالة
إلى ابن حمدون

كَتَبَنِي وَشَفَنِي مَا فِي النُّفُوسِ وَمِمَّا يَدْعُ * لَدَى إِبْرِيَّةٍ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا
وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ جِدًّا فِي هَزْلٍ ، وَلَا هَزْلًا فِي جِدٍّ يُشَبِّهُ هَذَا الْكَلَامَ فِي بِلَاغَتِهِ
وَفَصَاحَتِهِ وَبَيَانِهِ وَإِنَارَةِ بَرَاهَانِهِ وَجَزَالَةِ أَلْفَاضِلِهِ . وَلَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّ لِسَانَ جَدِّكَ

العباس عليه السلام ينقسم على أجزاء، فلك — أعزك الله — نصفها، والنصف الآخر مقسوم بين أبي جعفر المنصور والمأمون رحمة الله عليهما. ولو أن هذه الرسالة جَهِت الإبراهيميين إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وأبنته إسحاق وهم مجتمعون لبُهِت منهم الناظر، وأُحْرس الناطق، ولأقروا لك بالفضل في السَّبق، وظهر حُجَّة الصِّدْق، ثم كان قولك لهم فَرَقًا بين الحقِّ والباطل، والخطأ والصواب. ووالله ما تأخذ في فنٍّ من الفنون، إلَّا برَّزت فيه تبرز الجواد الزائع، المُعَبِّ في وجه كلِّ حِصان تابع. فعَصِد الله الشرف ببقائك، وأحيا الأدب بحياتك، وجَمَل الدنيا وأهلها بطول عمرِكَ » .

هذا كلام العقلاء وذوى الفضل في مثله، لا كلام الثقلاء وذوى الجهل. والإطالة في هذا المعنى مُسْتَعْنَى عنها. والمشهور عنه وعن أضداده. وما يأتي من أخباره بعد ذلك ففى معنى ما شَرَطْتُهُ من جنس ما هو المقصود في كتابي هذا .

فن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره على أن أكثرها هذه سببته فيها :

أصوات له
في أشعار مختلفة

صوت

هل ترجعن ليالي قد مَضَيْنَ لنا * والدارُ جامعةٌ أزمانَ أزماناً^(١)
صنعتَه في بيتٍ واحدٍ، ولحنُه ثقيلٌ أول .

(١) يقول : هل تعود ليالي لنا مضت أزمان وأزمان والدار جامعة أزمان . وأزمان أراد به أزمان لحونا وأزمان سرورنا أو نحو ذلك مما يضاف إليه أزمان ويناسب المقام . ومثل هذا التركيب مما يجب فيه البناء على فتح الجزأين كالركب المزجي . وكل ما ركب تركيب المزج من الظروف زمانية كانت أو مكانية يجب بناؤه ، مثل قولك فلان يأتينا صباح مساء أى كل صباح ومساء ، لحذف العاطف وركب الظرفان قصداً للتخفيف تركيب خمسة عشر . قال الشاعر :

ومن لا يصرف الواشين عنه * صباح مساء يغفوه غيالا

ومن صنعته في الثقل الأول أيضا — وفيه لعلويه رمل قديم، وما لحنه : ون
لحن آتويه — :

صوت

نَدَى جَانِبَ الْقَصْرِ بْنِ فَالْدِيرِ فَالْحَمَى * إِلَى الشَّجَرِ الْمُخْفُوفِ بِالطَّيْنِ وَالْمَدْرِ^(١)
ومن نعتة الظَّريقَةِ الشَّكِلَةِ مع جودتها :^(٢)

صوت

وَأَبْلَاقِي مِنْ مَحْضَرٍ وَمَغْيِبِ * وَحَبِيبٍ مَنِّي بَعِيدٍ قَرِيبِ
لَمْ تَرِدْ مَاءَ وَجْهِهِ الْعَيْنُ إِلَّا * شَرِقَتْ قَبْلَ رِيحِهَا بِرَقِيبِ
خَفِيفٌ ثَقِيلٌ، ابْتَدَأُوهُ لَشِيدٌ .

زارته زرياب
في يوم السَّعَانِينَ
وغناها

- ومن صنعته، وله خبر أخبرني به علي بن هارون بن المنتجم عن زرياب قالت :
١٠ زرتُ عبد الله بن المعتز في يوم السَّعَانِينَ، فُسِّرَ بورودي وصنع من وقته لحنًا في شعر
عبد الله بن العباس الرِّبَيعِي الذي له فيه هَزَجٌ وهو :

== وتقول : فلان يأتينا يوم أي يومًا فيوما ؛ قال الشاعر :

أَتِ الرِّزْقُ يَوْمَ يَوْمٍ فَأَجَلِ * طَلِبَا وَابِغِ الْقِيَامَةَ زَادَا

ومثال ما ركب من ظروف المكان قولهم : سهلت الهمة بين بين ؛ ومنه قول الشاعر :

نَحْيُ حَقِيقَتَنَا وَبِهِ * ضِيقُ الْقَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَا

والأصل بين هؤلاء وبين هؤلاء . (راجع شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام
الأصمعي طبع بلاق سنة ١٢٨٢ ص ٣٠ ، ٣١) . وقد ورد هذا البيت في الأصول : «أزمان أزمان»
والنون عارية من الشكل، وليس فيها ألف الاطلاق . ورجعنا الى ديوانه المطبوع فلم نجد فيه هذا البيت .

- (١) المدر: التراب المتلبد، أو هو قطع الطين اليابس . (٢) كذا في ح . وفي ب، صه :
«الظرفية الشكل» . وفي أ، م : «الظرفية الشكل» . (٣) في لسان العرب (في مادة سعن) :
«قال ابن الأثير: هو عيد لهم معروف قبل عيدهم الكبير بأسبوع، وهو سرياني معرب . وقيل : هو جمع ==

صوت

أنا في قلبي من الظبي كُؤُم * فَدَعِ اللَّوْمَ فَإِنَّ اللَّوْمَ لَوُمٌ^(١)

حبذا يومُ السَّعائين وما * نَلْتُ فيه من سرورٍ لو يدومُ

— الشعر لعبد الله بن العباس، ولحنه فيه هَزَجٌ — قالت : فصنع عبد الله بن المعتز

في البيت الثاني، وبعده بيتٌ أضافه إليه، هَزَجًا وهو :

زارني مولاي فيه ساعة * لَيْتَهُ وإلَّه ما عِشْتُ يُقِمُّ

ولحنُ ابن المعتز في «حبذا يوم السَّعائين» وهذا البيت خفيف رَمَلٌ، وهو من

نهايات الأغاني التي صنعها .

ومن صنعه التي تظَّارَفَ فيها وُلَّحَ :^(٢)

زاحَمَ كُفَى كُفَى فَاتَوَيَا * وافق قلبي قلبه فاستويا

وطالما ذاقا الهوى فاكتويا * يا قُرَّةَ العين يا هَمِّي ويا

أراد هنا بقوله «ويا» ما يقوله الناس في حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان

من جميل أو قبيح، فيقولون : قلتُ له يا سيدي ويا مولاي ويا ويا، وكذلك

ضده لُيَسْتَغْنَى بالإشارة بهذا النداء عن الشرح . ولحنُ ابن المعتز في هذا هَزَجٌ .

== واحده سعنون « ١٠١ » . والمشهور فيه « السعائين » بالشين المعجمة ؛ فقد ورد في صحيح الأعرابي

(ج ٢ ص ٤١٥) في كلامه على أعياد القبط : « الثاني — الزيتونة ، وهو عيد السعائين ، وتفسيره

بالربية التسبيح ، يعملونه في سابع أحد من صومهم . وستهم فيه إن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة ،

وهو يوم ركوب المسيح لليعفور (وهو الحمار) في القدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبحون

بين يديه ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » ١٠١ .

(١) لوم : تخفف لوم بالهمز . (٢) في ب، س : « تظافر » . وفي سائر الأصول :

« تضافر » . وظاهر أن كليهما تحريف .

سجنت عليه نشر
في صورة جميلة
فقال فيها شعرا على
البدنية

١٤٣
٩

حدثني جعفر بن قدامة قال :

كنا عند ابن المعتز يوماً وعنده نشر وكان يحبها ويهيم بها ، فخرجت علينا من صدر البستان في زمن الربيع ، وعليها غلالة مَعْصَفَرَةٌ وفي يديها جنابي باكورة باقلا . فقالت له : يا سيدي تلعبُ معي جباي ؟ فألففت إلينا وقال على يديته غير متوقِّف ولا مفكِّر :

(١) كتب المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا عن هذه الكلمة في كتابه عن لعب العرب في العدد الأول من المجلة السلفية (السنة الثانية ص ٣٤) شرحاً لهذه اللعبة رأينا أن نقله كله لـ حواه من قيمة علمية ككافة الباشا عليه الرحمة والرضوان فيا يكتبه . قال :

« الجنابي — في القاموس . : والجناباء (ففتح أوله وثانيه) وكسائي (بضم أوله وفتح ثانيه) لعبة للصبيان » . وفي اللسان : « الجناباء والجنابي لعبة للصبيان يجانب الغلامان فيمنصم كل واحد من الآخر » ونحوه في المخصص .

وربما أن نقل هذه العبارة عن الأغاني ومعاهد التنصيص قال : « قلنا قوله «جنابي» باقلا يظهر أنه شيء كالسلة ولم نثر عليه في اللغة ، ولعله مولد سمي بذلك لأنه يحمل في الجنب . والمفهوم من القصة أنه بتشديد النون لأن الجارية أرادت بقولها التجنيس باسم اللعبة ، وهو وارد بالتشديد في شعرا بن المعتز كما ترى وإليه مال شارح القاموس . وبغيرته : « والجناباء بالمد والجنابي كسائي مخففا مقصورا هكذا في النسخ التي رأيناها وفي لسان العرب بالضم وتشديد النون . ويدل على ذلك أن المؤلف ضبط سمائي بالتشديد في (س م ن) فليكن هذا الأصح ، ثم أنه في بعض النسخ بالمد في الثاني وكذا في لسان العرب أيضا ، والذي يفيد الصائغاني بالضم والتخفيف ككسائي » . انتهى وتبعه مصححه بأنه سهو منه لأن المؤلف إنما ضبط سمائي في (س م ن) بوزن حباري هـ . ونقول : السور من الشارح في تعيين المادة وكأنه يريد مادة (ح و ر) لقول المؤلف فيها « وأحمد بن أبي الحواري كسكاري ، وكسائي أبو القاسم الحواري ، الزاهدان معروفان » وقد ناقشه فيها هناك ولا يبعد أن يكون قوله وكسائي حرفه النسخ عن (وكشقاري) كما نبه عليه المصحح على حاشية هذه المادة في نسخة القاموس المطبوعة ببلاق سنة ١٣٠٣

يقى قول شارح القاموس إن (الجنابي) وردت بتشديد النون وبالمد أيضا في لسان العرب . ولعلها وردت كذلك مضبوطة بالقلم في النسخة التي كانت عنده ، فإن النسخة التي بأيدينا ليس فيها إلا ما ذكرناه .
وربما ، وتشديد هذه الكلمة في البيت إما أن يكون عن لغة فيها تحكية اطلع عليها ابن المعتز أو عن خطأ شاع بين المولدين بجزيرة به ألسنة الشعراء . والله أعلم اهـ .
(٢) في معاهد التنصيص طبع ببلاق سنة ١٢٧٤ ص ١٩٤ : « جنابي من باكورة باقلا » .

فَدَيْتُ مَنْ مَرَّ بِمِثْلِي فِي مُعْصَرَةٍ * عَشِيَّةً فَسَقَانِي ثُمَّ حَيَّانِي
 وَقَالَ تَلَعَبُ جَنَابِي فَقُلْتُ لَهُ * مَنْ جَادَ بِالْوَصْلِ لَمْ يَلْعَبْ بِهَجْرَانِ
 وَأَمْرٌ فُتِنَى فِيهِ . غَنَّتْ فَيَا أَرَى فِيهِ هَزَارُ خُنَا ، وَهُوَ رَمَلٌ مُطْلَقٌ .

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ قَالَ :

جاء خادمه نشوان
 بخرق عليه ثم عوفى
 فسر وقال شعرا

كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ غِلَاٌ بِجِبِهِ ، وَكَانَ يَغْنَى غِنَاءً صَالِحًا ، يُقَالُ لَهُ « نَشْوَانٌ » .
 بَقْدَرٍ وَجَزَعُ عَبْدِ اللَّهِ لَذَلِكَ جَزَعًا شَدِيدًا ، ثُمَّ عُوْفِي وَلَمْ يُوْثِّرْ الْجُدْرِيُّ فِي وَجْهِهِ أَثْرًا
 قَبِيحًا ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، قَدْ عُوْفَى فَلَانٌ بِعَدِّكَ ، وَنَحْرُجُ
 أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ ، وَقُلْتُ فِيهِ يَتَيْنِ وَغَنَّتْ زُرْيَابُ فَيَمَّا رَمَلًا طَرِيقًا ، فَاسْمَعِي
 إِنْشَادًا إِلَى أَنْ تَسْمَعِي غِنَاءً . فَقُلْتُ : يَتَفَضَّلُ الْأَمِيرُ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، بِإِنْشَادِي
 إِيَّاهُمَا . فَأَنْشَدَنِي :

لِي قُرْ جُدْرَمًا أَسْتَوِي * فَرَادَهُ حُسْنًا فَرَادَتْ هُمُومُ
 أَظْنَهُ غَنَى لَشَمْسِ الضُّحَى * فَتَقَطَّعَتْهُ طَسْرَبًا بِسُجُومِ

فَقُلْتُ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ لِي : لَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ زُرْيَابٍ كُنْتُ أَشَدَّ
 أَسْتَحْسَنًا لَهُ . وَنَحْرَجْتُ زُرْيَابُ فَغَنَّتْهُ لَنَا فِي طَرِيقَةِ الرَّمْلِ فِي أَحْسَنِ غِنَاءٍ ، فَسَمِعْنَا
 عَلَيْهِ عَاقِمَةَ يَوْمِنَا .

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ قَالَ :

غضب عليه غلامه
 نشوان فقال شعرا
 يترضا به

غَضِبَ هَذَا الْغُلَامُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ ، بِفَهْدٍ فِي أَنْ يَتَرْضَاهُ ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِيهِ
 حِيلَةٌ . فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَأَنْشَدَنِي فِيهِ :

يَا بَنِي أَنْتَ قَدْ تَمَّا * دَيْتَ فِي الْهَجْرِ وَالْغَضَبِ

(١) فِي مَعَاهِدِ التَّنْبِيضِ : « مَنْ جَدَّ » وَهِيَ رَوَايَةٌ جَيِّدَةٌ .

وأصطباري على صبدو * ديك يوماً من العجب
ليس لي إن فقدتُ وج * مَهَك في العيش من أرب
رحم الله من أعا * ن على الصالح واحتسب
قال : مضيتُ إلى الغلام ؛ ولم أزل أداريه وأرفقُ به حتى ترضيتُه وجنته به ،
فمرلنا يومئذٍ أطيب يوم وأحسنه ، وغنّتنا هزّارُ ، هذا الشعر رملاً عجيباً .

اخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدثني إبراهيم بن خليل الهاشمي قال :
دخلتُ يوماً إلى أبي عيسى بن المتوكل ، فوجدتُ عبد الله بن المعتز وقد جاءه
مُسَلِّماً ، وسنه يومئذٍ دون عشرين سنة ، إذ دخل علي بن محمد بن أبي الشوارب
القاضي ، فأكرمه أبو عيسى ونهض إليه . فلما استقر به المجلس قال لأبي عيسى :
قد احتجتُ إلى معونتك في أمر دُفعتُ إليه لم أستغن فيه عن تكليفك المعاونة .
قال : وما هو ؟ قال : زوجتُ بنتاً من بناتنا رجلاً من أهلنا ، فخرج عن مدهبنا ،
وأساء عِشرة أهلِهِ ، وجعل منزل عيسى بن هرون أكثرَ مَظَانِهِ وأوطانِهِ ، ويهدّدنا
ويؤيدنا بشَرِّهِ ، حتى لقد نالنا من عيسى بَسّاً ليد له لسانه فينا بالقبيح والقول
السيئ ، وكثرة معاونته له على ما يُزري بدينه ونسبه . وقد توعدنا بأنه يكشف وجهه
لنا في معاونة صهرنا هذا الغاوي علينا . ولولا نسبته الذي نقره لنا وعاره علينا ،
لانتصفتنا منه بالحق دون التعدي ، إلّا أنّي أستعينك منه . فقال له أبو عيسى : أنا
أوجه إليه بعد انصرافك ، وأراسله بما أنا المتكفل بعده بالآل يعود إلى عِشرته ،

زار في حديثه
أبا عيسى بن المتوكل
وأشده من شعره
في كراهة النبات فدحه

١٤٤
٩

(١) هو علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي البصري قاضي القضاة أبو الحسن .
كان ولي القضاة بمرن رأى ، وكان عالماً عفيفاً ثقة . توفي سنة ٢٨٣ هـ (عن النجوم الزاهرة ج ٣
ص ٩٧ طبع دار الكتب المصرية) .

والضارب. ^(١) أن أُرَدَّ هذا الصَّهر إلى حيث تحبَّ ويقع بموافقتك . فشكره ودعاه
وانصرف . فقال أبو عيسى : ألا ترون إلى هذا الرجل التَّيْبَةَ الفاضل السَّريَّ الشريف
يُدْفَعُ إلى مثل هذا ! طوبى لمن لم تكن له بنت . فقال عبد الله بن المعتز : أيها الأمير
إنَّ لولدك في هذا المعنى شيئاً قاله وأستحسنه جماعة ممن يعلم ويقول الشعر . فقال :
هاتِه فِدَاكَ عَمَّكَ . فأنشده لنفسه :

ويَكْرِي قُلْتُ مَوْتِي قَبْلَ بَعْلِ * وَإِنْ أَثَرِي وَعُدَّ مِنَ الصَّيِّمِ
أَلْمُزَجَّ بِاللَّسَامِ دَمِي وَلَمَّيْ * فَمَا عُدْرِي إِلَى النَّسَبِ الْكَرِيمِ
فقال له أبو عيسى : أمتنع الله أهلك ببقائك ، وأحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك
وجملتهم بكال محاسنك ، ولا أرانا شراً نيك .

١٠ أخبرني الحسين بن القاسم قال حدَّثني عبد الله بن موسى الكاتب قال :
دخلت على عبد الله بن المعتز وفي داره طبقاتٌ من الصُّنَّاعِ ، وهو يبني داره
ويبيضها . فقلت : ما هذه الغرامةُ الحادثة ؟ فقال : ذلك السَّيْلُ الذي جاء مُذْ لِيَالٍ
أَحْدَثَ في داري ما أحوَجَ إلى الغرامة والكُلْمَةِ ، وقال :

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ وَأَحْزَانِهَا * وَدَارٍ تَدَّاعَى بِحِطَانِهَا
أُظِلُّ نَهَارِي فِي شَمْسِهَا * شَقِيًّا مَعْنَى بِنْيَانِهَا
أَسْوَدَّ وَجْهِي بِتَبْيِضِهَا * وَأَهْدَمَ كَيْسِي بِعَمْرَانِهَا

حدَّثني جعفر بن قدامة قال :
كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا التُّمَيْرِيُّ ، حَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فقام التُّمَيْرِيُّ
فصلَّى صلاةً خفيفةً جيِّداً ، ثم دعا بعد انقضاء صلاته ومجَّدَ تَجِدَّةً طَوِيلَةً جِدًّا ،
حتى استثقله جَمِيعٌ مِّنْ حَضَرِ سِجْنِهَا ، وعبدُ الله يَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَجِّبًا ثم قال :

(١) في ب ، س : « وأنا الضامن إن أَرَادَ هذا الصَّهر إلا حيث » وهو تحريف ٢٠

خفف التمرى
صلاته وأطال
السجود بعدها
فقال هو شعرا

صَلَاتُكَ بَيْنَ الْوَرَى نَقْرَةً * كَمَا أَخْلَسَ الْجُرْعَةَ الْوَالِغُ
وَتَسْجُدُ مِنْ بَعْدِهَا تَبَجْدَةً * كَمَا خُشِعَ الْمِزْوَدُ الْفَارِغُ^(١)
أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى الْكَاتِبُ قَالَ :
كَانَتْ بِنْتُ الْكَرَاعَةِ تَأَلَّفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِّ، وَكَانَ يَحِبُّ عَنَاءَهَا وَيَسْتَظَرُّهَا
وَيُحِبُّهَا وَيُوَصِلُ إِحْضَارَهَا، ثُمَّ انْقَطَعَتْ عَنْهُ فَقَالَ :

انقطعت عنه بنت
الكراعة وكان يحبها
فقال شعرا

لَيْتَ شِعْرِي بِنِ تَسَاوَلَتْ بَعْدِي * وَهُوَ لَشَيْءٍ جَاهِلٌ مَغْرُورُ
هَكَذَا كُنْتُ مِثْلَهُ فِي سُرُورِ * وَغَدَا فِي الْهَمُومِ مِثْلِي بَصِيرُ
حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ :

كان يجب جارية
قبحة الصورة
فاعترض عليه
الخميري فأجابته بشعر

كَأَنَّ عِنْدَ آبِنِ الْمُعْتَرِّ يَوْمًا وَمَعْنَى التَّمْيِيزِ، وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ لِبَعْضِ بَنَاتِ الْمُغَنِّينَ
تَغَنِّيَهُ، وَكَانَتْ مُحْسِنَةً إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ فِي غَايَةِ مَنِّ الْقُبْحِ، فَعَمِلَ عَبْدُ اللَّهِ يُجَسِّدُهَا
وَيَتَعَلَّقُ بِهَا. فَلَمَّا قَامَتْ قَالَ لَهُ التَّمْيِيزِيُّ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْتَعَشِقَ هَذِهِ الَّتِي
مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَقْبَحَ مِنْهَا ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ يَضْحَكُ :

قَلْبِي وَثَابُ إِلَى ذَا وَذَا * لَيْسَ يَرَى شَيْئًا فَيَأْبَاهُ
يَهْسِمُ بِالْحُسَيْنِ كَمَا يَنْبَغِي * وَيَرْحَمُ الْقُبْحَ فِيهِوَاهُ

١٤٥
٩

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأُمَوِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِّ قَالَ :

راسل خمزاي
فأخبرت عنه فقال
شعرا فأجابته

كَانَتْ تُخَرِّجُنِي جَارِيَةً الضَّبِطِ الْمَغْنَى تُنَادِمُنِي وَأَنَا حَدَّثْتُ ثُمَّ تَرَكْتُ التَّيْلَظَ .
وَكَانَتْ مُغَنِّيَةً مُحْسِنَةً شَاعِرَةً ظَرِيفَةً. فَرَأَسْتُهَا مَرَارًا فَتَأَخَّرْتُ عَنِّْي، فَكَتَبْتُ إِلَيْهَا :
رَأَيْتُكَ قَدْ أَظْهَرْتَ زُهْدًا رَتُوبَةً * فَقَدْ سَجَّجْتَ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِكَ الْخُمُرُ
فَاهْدَيْتُ وَرَدًا كِي يُدَكَّرَ عَيْشَةً * لِمَنْ لَمْ يُمْتَنَّا بِهَيْجَتِهَا الدَّهْرُ

(١) المزود : وطاء الزاد . (٢) كذا في جميع الأصول هنا . وتقدم في الصفحة الماضية :
« عبد الله بن موسى » وذلك أيضا باتفاق الأصول .

فأجاست :

أنا قريضٌ يا أميري مُحِبٌّ * حَكِي لِي نَظْمَ الدَّرِّ فَصَّلَ بِالشَّدِيدِ^(١)
 أُنْكِرْتَ يَا بَنَ الْأَكْرَمِينَ إِنَابَتِي * وَقَدْ أَفْصَحْتُ لِي أَلْسُنُ الدَّهْرِ بِالزَّخْرِ
 وَأَذَنْتَنِي شَرْخُ الشَّبَابِ بَيْنَهُ * فَيَا لَيْتَ شَعْرِي بَعْدَ ذَلِكَ مَا عُدْرِي

شعره في موسم
الربيع

حدثني جعفر بن قدامة قال :

كنت أَسْرَحُ مع عبد الله بن المعتز في يوم من أيام الربيع بالعباسية والدنيا
 كالجنة المُرْتَحمة . فقال عبد الله :

حَبَاذَا آذَارُ شَهْرًا * فِيهِ لِلنُّورِ أَنْتِشَارُ
 يَنْقُصُ اللَّيْلُ إِذَا حَا * ءَ وَيَتَدُّ النَّهَارُ
 وَعَلَى الْأَرْضِ أَخْضَرَارُ * وَأَصْفَرَارُ وَأَحْمَرَارُ
 فَكَأَنَّ الرُّوْضَ وَثِي * بِالْفَتْ فِيهِ التَّجَارُ
 نَقْشُهُ آسٌ وَنَسْرِي * رُبُّ^(٣) وَوَرْدٌ^(٤) وَبِهَارُ

هنا عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر
بولاية ابنه محمد
شرطة بغداد

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال :

كتب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف
 مؤسس آبنه محمد بن عبيد الله على الشرطة ببغداد :

(١) الشذر : خرز تفصل به الجواهر في النظم .

(٢) العباسية : محلة كانت ببغداد منسوبة إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

(٣) السريرين : ورد أبيض عطري قوي الرائحة . فارسي معرب . (٤) البار : نبت طيب

الريح يجعل له قفاحة صفراء ينبت أيام الربيع . (٥) مؤسس : هو مؤسس الخادم . وكان يلقب

بالمظفر لما عظم أمره . وكان شجاعا مقداما فأنكا مهيبا . عاش تسعين سنة منها ستون سنة أميرا . وكان

قد أبعد المعتضد إلى مكة . ولما بويع المعتز بالخلافة أحضره وقر به وقضى إليه الأمور . قتل

سنة ٣٢١ هـ (انظر النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٢٩) .

فَرِحْتُ بِمَا أَضَعَفَهُ دُونَ قَدْرِكُمْ * وَقُلْتُ عَسَى قَدْ هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ الدَّهْمُ
فَتَرْجِعَ فِينَا دَوْلَةً طَاهِرَةً * كَمَا بَدَأَتْ، وَالْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ الْأَمْرُ
عَسَى اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ * وَلَا بَدَّ مِنْ يُسْرِ إِذَا مَا أَتَاهِ الْعُسْرُ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُيَيْدُ اللَّهِ فَصِيدَةً مِنْهَا :

ونحن إذا ما نالنا مَسَّ جَفْوَةٍ * فَنَلَا عَلَى لَأَوَائِهَا الصَّبْرُ وَالْعُدْرُ
وإن رجعت من نعمة الله دولةً * إِلَيْنَا فَنَلَا عِنْدَهَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

قال : وجاءه محمد بن عبيد الله بعقيب هذا شاكرًا لتهنئته، ثم لم يعد إليه مدة طويلة . فكتب إليه عبد الله بن المعتز :

انقطع عنه محمد
هذا مدة طويلة
فكتب له شعرًا
يعاتبه

قَدْ جِئْنَا مَرَّةً وَلَمْ تَعُدْ * وَلَمْ تَزُرْ بَعْدَهَا وَلَمْ تَعُدْ
لَسْتُ أَرَى وَاجِدًا بِنَا عَوْضًا * فَأَطْلُبُ وَجَرَّبُ وَأَسْتَقِصُّ وَأَجْتَدُ
نَاوِلِي حَبْلٍ وَضَلِيلِهِ يَبِيدُ * وَهَجْرَهُ جَاذِبًا لَهُ يَبِيدُ
فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ ذَا وَذَا أَمَدٌ * إِلَّا كَمَا بَيْنَ لَيْلَةٍ وَغَدٍ

♦♦

صنوت

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دَمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ * بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَشَلِّمِ
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْسَيْنِ خَلْفَةً * وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضُنْ مِنْ كُلِّ جَحْمِ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً * فَلَا بَأْسَ عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ

١٤٦

٩
أبيات من معلقة
زهير وشرحها

(١) أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى : يريد أَمِنْ مَنَازِلِ أُمِّ أَوْفَى . (٢) الْأَطْلَاوُ : جمع طَلَا وهو ولد البقرة والظلية الصغير . وقوله يَنْهَضُنْ : يعني أَنَّهُنَّ يَمْنُنْنَ أَوْلَادَهُنَّ إِذَا أَرْضَعْنَ ثُمَّ يَرْعَيْنَ ، فَإِذَا ظَنَّ أَوْلَادَهُنَّ قَدْ أَقْدَنَ مَا فِي أَجْوَانِهِنَّ مِنَ اللَّبَنِ صَوْتَنَ بِأَوْلَادَهُنَّ فَيَنْهَضُنَ مِنْ مَجَانِهِنَّ لِأَصْوَاتِ لِرَضْعِنَ . (عن شرح ديوان زهير للأعلم الشنمري) .

فلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبِّهَا * أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيْهَا الرَّبِّعُ وَأَسْلَمُ
وَمَنْ يَعْصِ اطِّرَافَ الرَّجَاجِ فَإِنَّهُ * يُطِيعُ الْعَوَالِي رُبَّتْ كُلُّ لَهْدَمٍ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنِيَّةِ يَلْقَاهَا * وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بُسْلَمُ

عروضه من الطويل . الحومانة ، فيما ذكر الأصمعي ، الأرض الغليظة ، وجمعها
حَوَامِينُ . وقال غيره : الحومانة : ما كان دون الرَّمْلِ . والذَّجَاجُ والمنتَمِّمُ : موضعان .
وروى أبو عمرو عن بعض ولد زهير " الذَّجَاجُ " مضمومة الدال . والعَيْنُ : البقرُ .
والآرامُ تسكن . الجبال . خَلْفَةً : يذهب فَوْجٌ ويحيى فَوْجٌ يخلفه مكانه . ويروى :
جَحْمٌ وَجَحْمٌ . فمن قال جَحْمٌ قال : جَحْمٌ يَحْمُ جُحُومًا ، ومن قال يَحْمُ قال : جَحْمٌ يَحْمُ
جَحْمًا ، وَاللَّائِي : البطء . الرَّجَاجُ : جمع زُجٍّ . قال : وأحمله أن القوم كانوا إذا
أرادوا صلحا قلبوا زجاج الرماح إلى فوق ، فإن أبوا إلا الحربَ قلبوا الأسيئة .
وَاللَّهْدَمُ : السنان المحدد ؛ يقال لهْدَمَ وَسِنَانٌ لَهْدَمٌ : حاد . وأُمُّ أَوْفَى : امرأة
كانت لزبير فطلقها . وله في ذلك خبر يُذكر بعد هذا .

الشعر لزهير بن أبي سلمى . والغناء للغريص ، ثاني ثقیل بإطلاق الوتر في مجرى
البنصر عن إسحاق في الأول والثاني من الأبيات . وفيها لبذل الكيرة ثقیل أول
بالبنصر . ولعلويه في الثالث والرابع ثقیل أول . ولإبراهيم ثانی ثقیل بالوسطى
في الخامس والسادس . وفيهما ثقیل أول يقال إنه ليزيد حوراء :

(١) الآرام من الظباء : البيض الخالصة البياض ، كما قال ذلك الأصمعي وأبريد . وفي اللسان

أنها تسكن الرمال .

قلت : فهو ما اعتد به . ثم قال : أول من ريسكم عن هذا الأمر أبو بكر . إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة — ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب فتركها أنا — ثم قال : هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

ولو أن حمداً يُخلدُ الناسَ أُخلدوا * ولكنَّ حمداً الناسَ ليس بمُخلدٍ

١٤٧
٩

قلت : ذاك زهير . قال : فذاك شاعرُ الشعراء . قلت : وبم كان شاعرُ الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يُعاضل في الكلام وكان يتجنب وَخْشِي الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه . قال الأصمعي : يعاضل بين الكلام : يداخل فيه . ويقال : يتبع وَخْشِي الكلام ، وَوْخْشِي الكلام ، والمعنى واحد .

أخبرنا أبو خليفة قال قال ابن سلام وأخبرني عمر بن موسى الجُمَحِيُّ عن أخيه قدامة بن موسى — وكان من أهل العلم — : أنه كان يقدم زهيراً . قلت : فأى منى كان أعجب إليه ؟ قال : الذي يقول فيه :

قد جعل المبتغون الخير من هيرم * والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً

قال ابن سلام وأخبرني أبو قيس العنبري — ولم أربوياً بقي به — عن عكرمة قال جبرير هو أشهر أهل الجاهلية

ابن جبرير قال : ١٥

قلت لأبي : يا أبت من أشعر الناس ؟ قال : أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام ؟ قلت : ما أردتُ إلا الإسلام . فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها . قال : زهير أشعر أهلها . قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق تبعه الشعر .

(١) ذكرت هذه القصة مفصلة في الطبري ق ١ ص ٢٧٦٨ — ٢٧٧١ فراجع .

(٢) يعاضل الكلام : يحل بعضه على بعض ويتكلم بالرجوع من القول ويكرر اللفظ والمعنى . أبو يعقده ويؤالي بعضه على بعض . وكل شئ . ركب شيئاً فقد عاضله . (اللسان في مادة عاضل) .

قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد مدحَ الملوكِ ويُصيب وَصَفَ الخمر . قلت :
فما تركتَ لنفسك ؟ قال : تحرتُ الشعرَ تحراً .

قال عنه الأحنف
ابن قيس هو أشعر
الشعراء
أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني عن عيسى
ابن زيد قال :

سأل معاوية الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير . قال : وكيف ؟
قال : ألقى بن "أدحين فضول الكلام" . قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :
فما يك من خير أتوه فإتما * توارثه إساءة أبائهم قبل

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن
عمرو القيسي قال حدثنا خارجة بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن
عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عباس ، قال : وحدثني غيره وهو أعم من
حديثه ، قال قال ابن عباس :

خرجت مع عمر في أول غزاة غزاه . فقال لي ذات ليلة : يا بن عباس
أنشدني لشاعر الشعراء . قلت : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابن أبي سلمى .
قلت : ويصم صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتبع حوشي الكلام ، ولا يعاظم من المنطق ،
ولا يقول إلّا ما يعرف ، ولا يمتدح الرجل إلّا بما يكون فيه . أليس الذي يقول :
إذا أبتدرت قيس بن عيلان غايه * من المجد من يسبق إليها يسود^(١)

(١) الذي تقدم في الصفحة السابقة : « يعاظم في الكلام » . والذي في اللسان وشرح القاموس

في استعمالات هذه المادة أنه يمدى بنفسه ، يقال عاظم الكلام كما يقال عاظم فيه و بينه .

(٢) يقول : إذا تسابقت قيس بن عيلان لإدراك غايه من المجد تسود من سبق إليها كنت السابق

إليها . وقيس بن عيلان : قبيلة . (راجع الجزء السادس من الأغاني حاشية رقم ١ ص ١ من هذه الطبعة) .

..نَقَتَ إِلَيْهَا كُلَّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ * سُبُوقٍ إِلَى الْغَابَاتِ غَيْرِ مُزَنَّدٍ
كفعل جواد يسبق الخيل عفوهُ ال * سراع وإن يجهد ويجهد بعيد
ولو كان حمد يجلد الناس لم تمت * - ليكن حمد الناس ليس بمخلد
أَنشدني له ، فأنشدته حتى برق الفجر . فقال : حسبك الآن ، اقرأ القرآن ، قلت :
وما أقرأ ؟ قال : اقرأ الواقعة ، فقرأتها وتزل فأذن وصلى .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال
أخبرنا أبو عبيدة عن عيسى بن يزيد بن بكر قال قال ابن عباس : خرجت مع عمر ،
ثم ذكر الحديث نحو هذا .

١٤٨ وجدت في بعض الكتب عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار عن حميد
ابن محمد بن عبد العزيز الزهرري عن أخيه إبراهيم بن محمد يرقعه :
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى وَلَهُ مِائَةٌ مَنَّةً
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اعِزَّنِي مِنْ شَيْطَانِهِ » فَا لَّاكَ يَتَا حَتَّى مَاتَ .

قال ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني :
كان من حديث زهير وأهلي بنه أنهم كانوا من مزينة ، وكان بنو عبد الله بن
غطفان جيرانهم ، وقدما ولدتهم بنو مرة . وكان من أمر أبي سلمى أنه خرج
وخاله أسعد بن الغدير بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وأبنته كعب

(١) يقال : رجل طلق البدن إذا كان معطاء . وظاهر أنه يريد أن يصف الجواد بأنه ماض بمجود بما
عنده من الدور . والمبرز : الذي سبق الناس إلى الكرم والخير . والمزند هنا : البخيل أو اللئيم . وروى :
« غير مجلد » أي انتهى إلى الغابات من غير أن يجلد ويضرب . (٢) في الأصول : « فيسرع » .
والنصيب عن الديوان بمرح الأعم ، ورواية البيت فيه :
كفضل جواد الخيل يسبق عفوهُ ال * سراع وإن يجهدن يجهد ويعبد

خرج أبوهم أبو سلمى
مع خاله وابن خاله
لفزرو طي فناء
حقه في الفهم ،
وشعره في ذلك

ابن أسعد في ناس من بني مُرة يُغيرون على طيء، فأصابوا نَعَمًا كثيرة وأموالًا فرجعوا حتى آتَوْها إلى أرضهم . فقال أبو سُلمى نَحاله أسعد وابن خاله كعب : أَقْرَدًا لى سَمْعِي ، فَأَيًّا عَلَيْهِ وَمَنَعَاهُ حَقُّهُ ، فَكَفَّ عَنْهُمَا ؛ حتى إذا كان الليلُ أتى أمُّهُ فقال : والذي أحلف به لَتَقُومَنَّ إلى بعيرٍ من هذه الإبلِ فَلَتَقْعُدَنَّ عليه أو لأُضْرِبَنَّ بِسِنِّي تحت قُرْطَيْكَ ، فقامت أمُّهُ إلى بعيرٍ منها فأعتقت سنَّامه ، وساق بها أبو سُلمى وهو يرتجز ويقول :

وَيْلٌ لِّلْأَجْمالِ العِجَوزِ مَنِّي * إذا دَنَوْتُ ودَنَوْتَ مَنِّي

* كَأَنِّي سَمِعْتُكَ مِنْ جَنِّ *

— سَمِعْتُكَ : لَطِيفُ الجَسَمِ قَلِيلُ العِلْمِ — وَسَاقَ الإِبِلَ وَأُمُّهُ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى قَوْمِهِ مَرْزِيَّةً .

فذلك حيث يقول :

وَلَتَقْعُدَنَّ إِبِلٌ مَّجْنُونَةٌ * مِنْ عِنْدِ أَسْعَدَ وَابْنِهِ كَعْبِ

— مَّجْنُونَةٌ : مَجْنُوبَةٌ —

الْأَكْلِينَ صَرِيحٌ قَوْمُهُمَا * أَكَلَ الحَبَّارَى بِرَعْمِ الرُّطَبِ^(١)

— البَرَعْمُ : شَجَرَةٌ وَلَهَا نَوْرٌ — قَالَ : فَلَيْثَ فِيهِمْ خَيْنًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِمَرْزِيَّةٍ مُّغَيَّرًا عَلَى بَنِي دُبْيَانَ .

حتى إذا مَرْزِيَّةٌ أَسْهَلَتْ وَخَلَّفَتْ بِلَادَهَا وَنَظَرُوا إِلَى أَرْضِ غَطَفَانَ ، تَطَايَرُوا عَنْهُ رَاجِعِينَ ، وَتَرَكَوهُ وَحْدَهُ . فذلك حيث يقول :

مَنْ يَشْتَرِي فَرَسًا نَحِيرَ غَرْوُهَا * وَأَبَتْ عَشِيرَةُ رَبِّهَا أَنْ تُسْهَلَ

(١) الحبارى : طائر يضرب به المثل في البلاءة والحق ، وهو طائر صحراوي يبيض في الرمال النائية .

(٢) الرطب : الرعى الأخضر من البقل والشجر ، وقيل جماعة العشب الأخضر .

(٣) الذى فى اللسان : أن البرعم كم ثمر الشجر والنور ، وقيل هو زهرة الشجر ونور البت قبل أن

يفتح ، وقد استشهد بهذا البيت .

يعني أ، تنزل السهل . قال : وأقبل حين رأى ذلك من مَرْيئة حتى دخل في أخواله
بنى مُرَّة . فلم يزل هو وولده في بنى عبد الله بن غطفان إلى اليوم .

وقصيدة زهير هذه أعني :

* أَيْنَ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ *

قالها زهير في قتل ورد بن حابس العبسي هريم بن صمخم المري الذي يقول فيه
عترة وفي أخيه :

ولقد خشيْتُ بأن أموت ولم تدر * للحرب دائرة على أبنِي صَمَخَمِ

و يمدح بها هريم بن سنان والحارث بن عوف بن سعد بن ذبيان المريين لأثما
أحتملا ديتة في مالها، وذلك قول زهير :

سَعَى سَاعِيَا غَيْظَ بِنِ مُرَّةَ بَعْدَمَا * تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْدمِ

يعني بنى غيظ بن مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

قال الأثرم أبو الحسن حدثني أبو عبيدة قال :

كان ورد بن حابس العبسي قتل هريم بن صمخم المري، فتشاجر عيس وذبيان

قبل الصلح، وحلف حصين بن صمخم ألا يغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس

أو رجلا من بنى عيس ثم من بنى غالب، ولم يُطْلَع على ذلك أحدا، وقد حمل الجمالة

الحارث بن عوف بن أبي حارثة، وقيل بل أخوه حارثة بن سنان . فأقبل رجل

(١) ما والفعل تأويل المصدر . وتنزل : تشقق ، وبالدلم : يريد بسفك الدم . يقول : سعى

هذان السيدان (هريم بن سنان والحارث بن عوف) في إحكام العهد بين عيس وذبيان بعد تشقق الألفة

والردة بين القبيلة بسبب سفك الدماء بين عيس وذبيان . (انظر شرح ديوان زهير للأعلام الشنمري) .

(٢) الجمالة : الدية . (٣) في شرح البريزي وابن الأنباري على الحلفاء والأعلام الشنمري وشرح

تعلب لديوان زهير : « وقد حل الجمالة الحارث بن عوف بن أبي حارثة وهريم بن سنان بن أبي حارثة » .

(٤) في الأصول : « فأقبل على رجل الخ » والتصويب عن المصادر المتقدمة :

قال معلقة في مدح
هريم بن سنان
والحارث بن عوف
وقد حملا دية هريم
ابن صمخم في مالها

من بنى عيس ثم أحد بنى مخزوم، حتى نزل بحصين بن صمضم. فقال له حصين: من أنت أيها الرجل؟ قال: عيسى. قال: من أي عيس؟ فلم يزل يتنصب حتى انتسب إلى بنى غالب، فقتله حصين. وبلغ ذلك الحارث بن عوف وهريم بن سنان فأشتد عليهما، وبلغ بنى عيس فركبوا نحو الحارث. فلما بلغه ركبهم إليه وما قد أشتد عليهم من قتل أصحابهم وأنهم يريدون قتل الحارث، بعث إليهم بمائة من الإبل معها أبنته، وقال للرسول: قل لهم: الإبل أحب إليكم أم أنفسكم؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك. فقال لهم الربيع بن زياد: يا قوم إن أخاكم قد أرسل إليكم: «الإبل أحب إليكم أم أبني تقتلونهم مكان قتلكم». فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومنا، وثم الصلح. فذلك حين يقول زهير يمدح الحارث وهريماً:

١٠ * أَمِنْ أَوْفٍ دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ *
وهي أول قصيدة مدح بها هريماً، ثم تابع ذلك بعد.

وقد أخبرني الحسن بن علي بهذه القصة، وروايتها أتم من هذه، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيلي قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عوف عن أبيه قال:

قصة زواج الحارث
ابن عوف بهيسة
بنت أرس وتمحله
الدية في ماله بين
عيس وذبيان

١٥ قال الحارث بن عوف بن أبي حارثة: ^(١)أُتْرَانِي أَخْطَبَ إِلَى أَحَدٍ فَبَرَدْنِي؟ قال نعم. قال: ومن ذلك؟ قال: أوُسُ بنُ حارثة بن لأم الطائي. فقال الحارث لغلامه: أرحل بنا، ففعل. فركبا حتى أتيا أوُس بن حارثة في بلاده فوجدها في منزله. فلما رأى الحارث بن عوف قال: مرحباً بك يا حار. قال:

(١) هكذا في الأصول، ولم يذكر المخاطب الذي كان يحذره. وباقي القصة يعين أنه خارجة بن سنان.

- وبك . قال : ما جاء بك يا حار ؟ قال : جئتُك خاطباً . قال : لست هناك . فانصرف ولم يكلمه . ودخل أوسٌ على امرأته مغضباً وكانت من عبس فقالت : من يبجل وقف عليك فلم يُطِل ولم تكلمه ؟ قال : ذاك سيد العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّي . قالت : فما لك لم تستنزه ؟ قال : إنه استحمق . قالت : وكيف ؟ قال : جاءني خاطباً . قالت : أقترِب أن تزوج بناتك ؟ قال نعم . قالت : فإذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ قال : فد كان ذلك . قالت : فتدارك ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تلحقه فترده . قال : وكيف وقد قرط مني ما قرط إليه ؟ قالت تقول له : إنك لقيتني مغضباً بأمرٍ لم تقدم فيه قولاً ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت ، فانصرف ولك عندي كل ما أحببت فإنه سيف . فركب في أثرها . قال خارجة بن سنان : فوالله إنني لأسيرُ إذ حانت مني آلتفاته فرائته ، فأقبلتُ على الحارث وما يكلمني غمّاً فقلت له : هذا أوس بن حارثة في أثرنا . قال : وما نضع به ! امض ! فلما رأنا لا تقف عليه صاح : يا حار أربع على ساعة . فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً . فبلغني أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة (لا أكبر بناته) فأتته ، فقال : يا بُنية ، هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردتُ أن أزوجك منه فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل . قال : ولم ؟ قالت : لأنني امرأة في وجهي ردة ، وفي خلقي بعض المهلة ، ولستُ بأبنة عمه فيرعى رحي ، وليس بمبارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون عليّ في ذلك ما فيه . قال : قومي ببارك الله عليك . ادعي لي فلانة (لابنته الوسطى) ، فدعتها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها ، فأجابته بمثل
- (١) في ب ، س : « لاستنزه » . (٢) كذا في ج . وفي سائر الأصول : « لم تقدم مني فيه قولاً » . (٣) الردة : الضج مع شيء من الجمل . (٤) المهلة : الضعف .

- جوابها وقالت : إني نرقاء وليست بيدي صناعة ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون عليّ في ذلك ما تعلم ، وليس بابن عمي فيرعى حقّي ، ولا جارك في بلدك فيستحيك . قال : قومي بارك الله عليك . أدعي لي هَيْسَةً (يعني الصغرى) ، فأني بها فقال لها كما قال لها . فقالت : أنت وذلك . فقال لها : إني قد عرضت ذلك على أختيك فأبتاه . فقالت — ولم يذكر لها مقاتلتهما — لكنّي والله الجميلة وجهاً ، الصنّاع يداً ، الرفيعة خلقاً ، الحسبية أبا ، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه خير . فقال : بارك الله عليك . ثم خرج إلينا فقال : قد زوجتك يا حارث هَيْسَةَ بنت أوس . قال : قد قُلتُ . فأمر أمّها أن تهنيئها وتُصريح من شأنها ، ثم أمر بيت فُضرب له ، وأنزله إياه . فلما هَبَّتْ بعث بها إليه . فلما أُدْخِلَتْ إليه ليث هُنَيْةً ثم خرج إلى .
- فقلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : ١٠
- لما مددت يدي إليها قالت : مه ! أعند أبي وإخوتي ! ! هذا والله مالا يكون . قال : فأمر بالرحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسيرنا ما شاء الله . ثم قال لي : تقدّم فتقدمتُ ، وعدل بها عن الطريق ، فما ليث أن لحق بي . فقلت : أفرغت ؟ قال لا والله . قلت : ولم ؟ قال : قالت لي : أكما يفعل بالأمّة الجارية أو السبيّة الأخيذة ! لا والله حتى تنحر الجُرُز ، وتذبح الغنم ، وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل ١٥
- لثلى . قلت : والله إني لأرى همّة وعقلاً ، وأرجو أن تكون المرأة مُنْجِبةً إن شاء الله . فرحلنا حتى جئنا بلادنا ، فأحصَرَ الإبل والغنم ، ثم دخل عليها وخرج إلى . فقلت : أفرغت ؟ قال لا . قلت : ولم ؟ قال : دخلتُ عليها أريدها ، وقلتُ لها قد أحضرتنا من المال ما قد ترين ، فقالت : والله لقد ذكرت لي من الشرف ٢٠
- ملا أراه فيك . قلت : وكيف ؟ قالت : أنفُرعُ لنكاح النساء والعربُ تقتل بعضهما ! (وذلك في أيام حرب عبس وذُبْيَان) . قلت : فيكون ما ذا ؟ قالت : انخرج

إلى هؤلاء القوم فأصليح بينهم، ثم أريج إلى أهلك فلن يفوتك . فقلت : والله إني لأرى همة وعقلاً، ولقد قالت قولاً . قال : فَأَنْخُرْ بنا، فخرجنا حتى ألتينا القوم، فمشينا فيما بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتل، فيؤخذ الفضل من هو عليه، فحملنا عنهم الديات، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين، فانصرفنا بأجل الذكرو . قال محمد بن عبد العزيز : فمدحوا بذلك، وقال فيه زهير بن أبي سلمى قصيدته :

* أَمِنْ أَوْ فِي دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ *

فذكرهما فيها فقال :

تداركتما عبساً وذُبِيَّانَ بعدما * تقانوا ودقوا بينهم عطر^(١) مَشِيَمَ
فأصبح يجري فيهم من تلادكم * مقام شئ من إفال^(٢) المزم
يُجِمُّهُمَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ * ولم يهرقوا بينهم ملء^(٣) حِجَمَ

وذكر قيامهم في ذلك فقال :

« صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو^(٤) »

(١) منثم زعموا أنها امرأة عطارة من نخاعة، فتعالت قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا، فغضب زهير بها المثل، أي صار هؤلاء في شدة الأمر بمنزلة أولئك . وقيل : هي امرأة من نخاعة كانت تباع عطرا فإذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتهم فقتلوا بها، وكانت تسكن مكة . وفيه أقوال أخرى كثيرة راجعها في لسان العرب (في مادة نثم) وأمثال الميداني في «أشأم من منثم» وفي شرح الأعلام الشنري لديوان زهير . (٢) الإفال : جمع إفيل وهو الصغيز من الإبل، والمزمن : اسم لخل معروف . والتلاد : المسال القديم الموروث . وإنما خص الإفال لأنهم كانوا يفرعون في البدة صفار الإبل . (عن الأعلام) . وروى هذا البيت في شرح القاموس (في مادة «نثم») هكذا :

فأصبح يحدى فيهم من تلادكم * مقام شئ من إفال مزم

(٣) يجيمها قوم : أي يجمل نجوما أي أقساطا على غارمها . يريد أن هذين الساعين حولا داء من قتل وغرم فيها قوم من رططهما على أنفسهم لم يصبوا ملء حجم من دم، أي أعطوا فيها ولم يقتلوا . (عن الأعلام) . (٤) في ١، ٢ : « كان » .

وهي قصيدة يقول فيها :

تداركنا الأحلاف^(١) تد نل عرشها * وذبيان قد زلت بأقدامها النعل
وهذه لهم شرف إلى الآن . ورجع فدخل بها ، فولدت له بنين وبنات .
وبما مدح به هريماً وأباه وإخوته وغنى فيه قوله :

مدح بقصيدته
القافية هريماً وأباه
وإخوته

صوت

إِنَّ الْخَلِيعَ أَجَدَّ الْبَيْنَ فَأَنْفَرَا * وَعَلَى الْقَلْبِ مِنْ أَسْمَاءَ مَا عَلِقَا^(٢)
وَأَخْلَفْنَاكُ أَبْنَةَ الْبَكْرِ مَا وَعَدْتُ * فَأَصْبَحَ الْجَبَلُ مِنْهَا وَاهِنًا خَلَقَا^(٣)
قَامَتْ تَبْدَى بِذِي ضَالٍ لِحَزْنِي * وَلَا مَحَالَةَ أَنْ يَسْتَأَقَ مِنْ عَشِقَا
يَجِيدُ مُفْزِلَةَ أَدْمَاءَ خَاذِلَةٍ * مَرَّ الطَّبَاءُ تُرَاعِي شَادَا نَحْرَقَا
انفرك : انفعل ، من الفركة . وأجدَّ وجدَّ بمعنى واحد ، من الجدَّ خلاف اللعب .
والواهن والواهى واحد . والجبل : السَّبَبُ^(٤) في المؤدة . والضال : السدَّ الصغار ، واحدتها
ضالة . والجيد : العنق . والمُفْزِلَةُ : الظلية التي لها غزال . والأدْمَاء : البيضاء .
والخاذه : المقيمة على ولدها ولا تتبع الطباء . والشادان : الذي قد شدن أى تحرك
ولم يقو بعد . والنحرق : الدهش .

غنى مالك في الأول والثاني من الأبيات خفيف رمل الوُسْطَى ، وقيل إنه
لأبن جامع ، وقيل بل لحن ابن جامع بالنصر . وفي الثالث والرابع لأبن المكِّي رمل
صحيح من روائج بطل والهشام .

(١) الأحلاف : أسد وطفقان وطبق . وثل عرشها : أى أصابها ما كسرهما وهدمها . وذبيان :
قبيلة المدوحين وهم من غطفان . وإنما فصلهم منهم لأن حصين بن ضمضم المرى جنى عليهم الحرب وهو منهم
لأن مرة من ذبيان . ويقال « زلت بأقدامها النعل » إذا وقعت القبيلة في حيرة وضلال . (عن الأعل) .
٢٠ (٢) الخليلط : الخياط ، ويقال للجمع أيضاً خليلط . (٣) فى ١ ، م : « واهيا » بالياء المتناة .
(٤) فى ١ ، م : « المحبة »

وفي هذه القصيدة يقول يمدح هيرماً :

قد جعل المبتغون الخير من هيرم * والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً
من يَلْقَى يوماً على علّاته هيرماً * يَلْقَى المباحة منه والتدنى خُلُقاً
ليثٌ بعثرَ بصطاد اللبث إذا * ما اللبث كذب عن أقرانه صدقاً
يطعنهم ما أَرَمُوا حتى إذا أَطعنوا * ضارب حتى إذا ضاربوا اعتنقاً^(٤)

ومن مدائحه إياهم قوله يمدح أبا هيرم سنان بن أبي جارة . وذكر ابن الكلبي أنه هوى امرأة فاستقيم بها ، وتفاقم به ذلك حتى فُقد فلم يعرف له خبر . فترحم بنو مرة أن الحن أسنطارته فادخلته بلادها ، وأواسمته لكرمه . وذكر أبو عبيدة أنه قد كان هيرم حتى بلغ مائة وخمسين سنة ؛ فهام على وجهه حرقاً فُقد . قال : فزعم لي شيخ من علباء بنى مرة أنه خرج لحاجته بالليل فأبعد ، فلما رجع ضل فهام طول ليلته حتى سقط فمات ، وتبع قومه أثره فوجدوه ميتاً .^(٥) فرثاه زهير بقوله :

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا * مَا تَبْنَى غَطْفَانُ يَوْمَ اضْطَلَّتْ^(٦)

(١) عثر : (بتشديد التاء) اسم موضع باليمن ، وقيل : هي أرض مأسدة بناحية تبالة .

(٢) في حديث الديوان : « الرجال » . (٣) كذب : أى لم يصدق الجملة . يقال : كذب الرجل عن كذا إذا رجع عنه . يقول : إذا رجع الشجاع عن قرنه ولم يصدق الجملة عليه فهذا الممدوح يصدقها . (عن الأعلام) .

(٤) اعتنق : ابرم قرنه . يقول : إذا ارتقى الناس في الحرب بالليل دخل هو تحت الرمي فجعل يطاعنهم ، فإذا تطلعون ضارب بالسيف ، فإذا تضاربوا بالسيوف اعتنق قرنه والرتمة . أى أنه يزيد عليهم في كل حال من أحوال الحرب . (عن الأعلام) . (٥) الآيات الآتية في الرثاء . والرتاء ضرب من المدح .

(٦) في الأصول : « مثل » وهو تحريف .

(٧) في الأعلام : « وقيل إنما رثى بالآيات حصن بن حذيفة » . (٨) في ١ ، م :

« بهمها » . (٩) يقال : ضل فلان الطريق وأضل بعيره يقال الأول للثابت والثاني للغير .

نرف سنان بن
أبي جارة ثم مات
فرثاه

إِنَّ الرَّكَّابَ لَتَبْتَخِي ذَا مِرَّةٍ * يَجْنُوبُ نَجْدًا إِذَا الشُّهُورُ أَحَلَّتْ^(١)
يَنْعِينَ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ شَدِيدَةٍ * عَظُمَتْ مَصِيبَتُهُ هُنَاكَ وَجَلَّتْ
وَمُسَدَّقُ ذَاقِ الْمَهْوَانَ مَلْعَن * رَاخِيَتْ عُقْدَةُ حَبْلِهِ فَأَنْخَلَتْ^(٢)
وَلِنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ كَانَ إِذَا سَطَا^(٣) * نَهَلَتْ مِنَ الْعَلَقِ الرِّمَاحُ وَعَلَّتْ
وَالَّذِي فِيهِ غِنَاءٌ مِنْ مَدَامُحٍ زُهَيْرُ قَوْلِهِ :

١٥٢

أشعاره غنى فيها

صوت

أَمِنْ أُمَّ سَلَمَى عَرَفَتْ الطُّلُولَا * بِذِي حُرُصٍ مَائِلَاتٍ مُثْرَلَا^(٤)
تَلَكِّينَ وَتَحَسَّبُ آيَاتِهِنَّ * طَوَّافِرُ حَوَلَيْنَ رَقًا مَحِيلَا^(٥)
المَائِلَاتُ هَاهُنَا: اللَّا طَرِيطُ بِالْأَرْضِ ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ . الْمُتَحَسِّبُ الْقَائِمُ . وَذُو حُرُصٍ :
مَوْضِعٌ . وَالْحَوَلَيْنِ : الْأَشْنَانُ . وَآيَاتُهُنَّ : عَلَامَاتُهُنَّ . وَطَوَّافِرُ حَوَلَيْنَ : تَقَدَّمُ
حَوَلَيْنَ ، وَالْفَارِيطُ : الْمُتَقَدَّمُ .
فَتَى فِي هَذَيْنِ ابْنَيْتَيْنِ إِسْحَاقَ ، وَلَهُ فِيهِمَا لَحْنَانُ : أَحَدُهُمَا ثَانِي ثَقِيلٌ بِإِطْلَاقِ
الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ ، مِنْ تَجَابِهِ . وَالْآخَرُ مَآخُورِيٌّ مِنْ مَجْمُوعِ غِنَائِهِ ، وَرَوَايَتُهُ عَنْ
الْهَشَامِيِّ . وَفِيهِمَا لِلزُّبَيْرِ بْنِ دَحْهَانَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو . يَقُولُ فِيهَا :
إِلَيْكَ سِنَانُ الْغَدَاةِ الرَّحِيبِ * لُ أَعْصَى النَّهَاءَ وَأَمْضَى الْقُرُولَا^(٦)
جَمْعُ قَالَ ، أَيْ لَا أَتَطَيَّرُ .

- (١) الرِّكَّابُ : الْإِبِلُ ، وَالْمَرَادُ رَاكِبُهَا . وَذَا مِرَّةٍ أَيْ ذَا عَضَلٍ وَرَأَى مِرْمَ . وَقَوْلُهُ « إِذَا
الشُّهُورُ أَحَلَّتْ » أَيْ إِذَا دَخَلَتْ الشُّهُورُ الَّتِي يَحِلُّ فِيهَا الْغَزْوُ . (٢) فِي دِيْوَانِ زُهَيْرٍ شَرْحُ الْأَعْلَمِ
التَّحْوِي : « يَجْنُوبُ تَحَلُّ » . (٣) فِي ١ ، م : « كَبَلَهُ » وَالْكَبَلُ : الْقَبْدُ .
(٤) فِي شَرْحِ الْأَعْلَمِ : « وَلِنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ لَنَا إِذَا » . (٥) الْعَلَقُ : الدَّمُ .
(٦) فِي شَرْحِ الْأَعْلَمِ : « أَمِنْ آلِ لَيْلِ الْخ » . (٧) فِي شَرْحِ الْأَعْلَمِ : « عَنْ » .
(٨) الْحَمِيلُ : الَّذِي أَتَى عَلَيْهِ حَوْلُ . شَهْرُ سَوِّمِ الدَّارِ بِرَقٍّ مَكْتُوبٍ قَدْ أَتَى عَلَيْهِ حَوْلٌ بِحَيْثُ يَنْتَبِرُ وَيُدْرَسُ .

فلا تأمني غَزَوْ أَفْرَاسَه ^(١) * بَنِي وَائِلٍ وَأَحْذَرِيَه جَدِيلًا
وكيف أَتَقَاءَ أَمْرِي لَا يَسُو * ب بالقوم في النَّزْوِ حَتَّى يُطِيلَا ^(٢)
ومن الغناء في مدائح هَيرم قوله .

صوت

قَفْ بِالذَّيَارِ الَّتِي لَمْ يَمُفِّهَا الْقِدَمُ * بَنِي وَغَيْرِهَا الْأَرْوَاحُ وَالذِّمُّ
كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ ^(٣) * وَعَبْرَةٌ مَا هُمُّ لَوْ أَنَّهُمْ أَمُّ
غَرَبْتُ عَلَى بَكْرَةٍ أَوْ لَوْلَا قَلْبِي * فِي السَّلَكِ خَانَ بِهِ رَبَّانَةُ النَّظْمِ
الذِّمُّ: جمع دِئمة وهو المطر الذي يَدُومُ يوماً أو يومين مع سكون . سَالَ السَّلِيلُ بهم :
أى ساروا فيه سيراً سريعاً . وَالسَّلِيلُ: وادٍ . وَقَوْلُهُ وَعَبْرَةٌ مَا هُمُّ أَى هُم عَبْرَةٌ ، وَمَا هَا هُنَا
صِلَةٌ . لَوْ أَنَّهُمْ أَمُّ أَى قَصْدُ كُنْتُ أَزْوَهم . وَالْأَمُّ: بين القريب والبعيد . وَالْقَلْبُ:
الذي لم يستقر لما أُنْقَطِعَ الْخَطُّ . وَالنَّظْمُ: جمع واحدُها نِظَامٌ ، شَبَّهَ دُمُوعَهُ بِلَوْلَا
أَنْقَطَعَ سَلَكُهُ ، وَبِمَاءٍ سَالَ مِنَ الْغَرَبِ .

الغناء في هذه الأبيات رَمَلٌ لِأَنَّ الْمَكِّيَّ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَذَكَرَ عَمْرٍو أَنَّ
لِإِسْحَاقَ فِيهَا لَحْنًا أَيْضًا . وَذَكَرَ يُونُسُ أَنَّ فِيهَا لَحْنًا لِمَالِكٍ .

صوت

لِمْبِ الدَّيَارِ بَقْنَةُ الْحَجَرِ ^(٤) * أَقْوِينَ مُذْجِجٍ وَمُذْهِهِ ^(٥)

- (١) يريد : يا بني رائل لا تأمني غزرو فرسانه ، ويا جديلة احذريه . وجديلة أم فهم وعدوان ، وكان
سنان يجاورهم . (عن الأعل) . (٢) أى هو مطيل للغزول لأنه يتبع أقصى أعدائه فلا يؤوب بالقوم
من غزوه إلا بعد مدة طويلة . فأتقاء مثل هذا أشد اتقاء . (عن الأعل) . (٣) روى في لسان
العرب مادة أم : « وجيرة » وكذلك روى في مادة سلال مردفا بقوله : « ويروى : وجيرة » .
(٤) أى هم سبب بكائي وحنني . (٥) الحجر : موضع بينه وهو حجر البامة .
(٦) في ج وديوانه : « من حجج ومن شعر » .

لَعَبَ الرِّيحُ بِهَا وَغَيْرَهَا * بَعْدَى سَوَافِي الرِّيحِ وَالْقَطْرِ^(١)
دَعَا وَدَعَا الْقَوْلَ فِي هَيْرِمِ * خَيْرِ الْكُهُولِ وَسَيِّدِ الْحَضَرِ
أَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سَوَى بَشَرٍ * كُنْتُ الْمُنَوَّرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

الْقَنَةُ : الجبل الذي ليس بمنشور . أَقْوَيْنَ : خَلَوْنَ . وَالسَّوَاغِي : مَا تَسْفِي الرِّيحَ^(٢) .
قَالَ : وَالْقَطْرُ مَخْفُوضَةٌ بِنَسْقِهِ عَلَى الرِّيحِ^(٣) ، وَالْقَطْرُ لَا سَوَاغِي لَهُ^(٤) . وَهَذَا تَفْعَلُهُ الْعَرَبُ
فِي الْمَجَاوِرَةِ ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ : بُحْرُ ضَبَّ حَرِيبٍ .

١٥٣
٩

غَنَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ سَائِبَ خَاثِرٍ مِنْ رِوَايَةِ حَمَادٍ عَنْ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَجْسُسْ . وَفِيهِ ثَقِيلٌ
أَوَّلُ بِالْيَنْصَرِ نَسَبُهُ عَمْرُو بْنُ بَابَتَةَ إِلَى مَعْبَدٍ ، وَنَسَبُهُ غَيْرُهُ إِلَى سَائِبٍ ، وَإِلَى الْأَوَيْسِيَّةِ
مَا ذَكَرَ حَبِشٌ . قَالَا : وَهِيَ مِنْ قِيَانِ الْحِجَازِ الْقَدِيمِ مَوْلَاةٌ لِلأَوَيْسِ .

ومنها قوله يمدح سنان بن أبي حارثة :

صوت

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو^(٥) * وَأَقْفَرَ مَنْ سَلَمَى التَّعَابِقُ فَالْتَقَلَّ
وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلَمَى سِنِينَ ثَمَانِيًا * عَلَى صَيِيرِ أَمْرِ مَا يَمُرُّ وَمَا يَحُلُو
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ * مَضَّتْ وَأَجِئْتُ حَاجَةُ الْغَدِ مَا تَحُلُو
وَكُلُّ مَحَبٍّ أَحْدَثَ النَّأْيُ عِنْدَهُ * سُلُوفُؤَادٍ غَيْرِ حِكِّ مَا يَسْلُو
تَأَوَّبَنِي ذِكْرُ الْأَحْبَةِ بَعْدَ مَا * هَجَعْتُ وَدَوْنِي قُلَّةُ الْحَزَنِ فَالْزَمْلُ

(١) فِي فَرْحِ الْأَعْلَمِ : « الْمَوْر » وَهُوَ التَّرَابُ .

(٢) هَذَا عَلَى الرِّوَايَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُؤَيِّدُ . وَعَلَى رِوَايَةِ الْأَعْلَمِ يَرَادُ بِالسَّوَاغِي الرِّيحَ ، يَعْنِي أَنَّ الرِّيحَ
وَالْأَمْطَارَ تَزْدَدُ عَلَى هَذِهِ الدِّيَارِ حَتَّى غَفَتْ رُسُومَهَا وَغَيَّرَتْ آثَارَهَا بِمَا سَفَتِ الرِّيحُ عَلَيْهَا مِنَ التَّرَابِ وَبَحَثَ
الْأَمْطَارُ مِنَ الْآثَارِ . (٣) فِي الْأَصُولِ : « عَلَى الرِّيحِ » . (٤) إِذَا فَرَسَتْ السَّوَاغِي
بِالرِّيحِ نَبِيحُ أَنْ يَكُونَ الْقَطْرُ مَا تَسْفِيهِ الرِّيحُ . (٥) فِي ١ ، ٢ : « كَانَ » .

- فَأَسْمَتْ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى * وَمَا تُحِفَّتْ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمَلُ^(١)
لَا رَجْلَيْنِ بِالْفَجْرِ ثُمَّ لَأَذَابَتْ * إِلَى اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ يُعَرِّجَنِي طِفْلٌ
وَهَلْ يُنَبِّتُ الْخَطِيئَةَ إِلَّا وَشِيجُهُ * وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا التَّخَلُّ^(٢)
التَّعَانِيقُ وَالثَّقْلُ : مَوْضِعَان . وَيُرْوَى : فَأَلْخُلْ . وَقَوْلُهُ عَلَى صَبْرٍ أَمْرٌ : أَيْ عَلَى
شَرَفٍ أَمْرٍ . وَأَجَبَتْ : دَنَتْ . وَتَأَوَّنَى : أَتَانِي لَيْلًا . وَالتَّأَوُّبُ : سَيْرٌ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ .
تُحِفَّتْ : حُلِقَتْ ، يُقَالُ تَحَفَّ رَأْسَهُ وَسَبَنَهُ وَجَلَطَهُ : حَلَقَهُ . وَقَوْلُهُ "يُعَرِّجَنِي طِفْلٌ" قَالَ
يُقَالُ الطِّفْلُ : اللَّيْلِ ، وَيُقَالُ الطِّفْلُ : مَغِيبُ الشَّمْسِ ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الطِّفْلُ :
الْحَزَنُ ، وَإِبْقَادُهُ نَارَ التَّخْيِيرِ . وَالْخَطِيئَةُ : زِمَامٌ نَسَبَهَا إِلَى الْخَطِّ وَهِيَ مِنْ جَزِيرَةِ الْبَحْرَيْنِ
تُرْفَأُ إِلَيْهَا سَفُنُ الرَّمَاحِ . وَالْوَشِيجُ : الْفَنَاءُ وَاحِدُهَا وَشِيجَةٌ . وَالْوَشُوجُ : دُخُولُ الشَّيْءِ
بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ .
- ١٠ غَنَى إِبْرَاهِيمُ الْمُؤَصِّلُ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ثَقِيلًا أَوَّلُ الْبَيْتِ مِنْ رِوَايَةِ
الْهَشَاخِ وَعَمَبَرٍ . وَغَنَى إِبْرَاهِيمُ أَيْضًا فِي السَّادِسِ وَالسَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ .
وَفِي الثَّلَاثِ لَعَبْدٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وَلَمْ يَلَوْهُ فِي السَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفٌ رَمَلٌ . وَذَكَرَ
حَبَشٌ أَنَّ لِإِبْرَاهِيمَ فِي الثَّامِنِ : لَحْنًا مَا خُورِيًا .
وَمِنْ الْغِنَاءِ فِي مَدَائِحِهِ هَرَمًا قَوْلُهُ :
- ١٥

صوت

لَمِنْ طَلَّلَ بِرَأْسِهِ لَا يَرِيمُ * عَفَا وَأَحَالَهُ عَهْدٌ قَدِيمٌ^(٥)

- (١) المقادير : جمع مقدم الرأس ، وأراد بالقمل : الشعر الذي فيه القمل ، على تقدير مضاف ،
أى وشعر القمل . وقد يراد بالقمل على معناه فانه تابع ومسحوق مع المقادير وشعرها .
(٢) هذا البيت وارد في ديوانه في القصيدة بعد أبيات عدة لم يذكرها أبو الفرج ، وقبله :
فايك من خير أنوه فأنما * توارثه آباء آبائهم قبل
(٣) نار التحير : هي النار التي توقد لهداية الحائر .
(٤) لا يريم : لا يرج .
(٥) رواية الديوان : * عفا وخلا له حقب قديم *
- ٢٠

تَطَالَعْنِي خِيَالَاتٌ لَسَلَمَى * كَمَا يَتَطَالَعُ الدِّينُ الْغَرِيمُ

غَنَاهُ دَحْمَانٌ ثَانِي تَقِيلُ : البِنْصَر عَنْ عَمْرٍو . وَعَقَا : دَرَسَ هَاهُنَا ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ :
كَثُرَ ، وَهُوَ مِنْ الْأَضْدَادِ . وَخِيَالَاتٌ : جَمْعُ خِيَالٍ .

أُنشِدَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شِعْرًا لَهُ فِي هَرَمٍ
عَمْرُ بْنُ شَيْبَةَ ، وَقَالَ الْمُتَهَلِّجُ فِي خَيْرٍ لَهُ عَنِ الْأَصَمِّ : قَالَ :

أُنشِدَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَوْلَ زُهَيْرٍ فِي هَرَمٍ بِنِ سِنَانٍ يَمْدَحُهُ :

دَعَا ذَا وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ * خَيْرَ الْكُھُولِ وَسَيِّدَ الْخَضِيرِ

لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سَمَوِيٍّ بَتِيرٍ * كُنْتُ الْمُنَوَّرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

وَلَأَنْتَ أَوْصَلُ مَنْ سَمِعْتُ بِهِ * بِشَوَابِكِ الْأَرْحَامِ وَالصَّهْرِ

وَلِنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا * دُعِيتَ نَزَالَ وَجَّحٌ فِي الدُّعَى

وَأَرَاكَ تَقْرِئُ مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ * حُسْنِ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِئُ

أَنْتَنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَمَا * أَسْلَفْتُ فِي التَّجَدُّاتِ مِنْ ذِكْرٍ

وَالسُّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا * يُلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

فَقَالَ عَمْرٌ : ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال عمر لميمض
ولد هرم قد خلد
ذكره لكم
قال وقال عمر لبعض ولد هريم : أُنشِدْنِي بَعْضَ مَدْحِ زُهَيْرٍ أَبَاكَ ، فَأَنشَدَهُ .
فَقَالَ عَمْرٌ : إِنْ كَانَ لِيُحْسِنَ فِيكَ الْقَوْلَ . قَالَ : وَنَحْنُ وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنُحْسِنُ لَهُ الْعَطَاءَ .
فَقَالَ : قَدْ ذَهَبَ مَا أُعْطِيتُمُوهُ وَبَقِيَ مَا أُعْطَاكُمْ .

(١) فِي ١ ، ٢ : « لَز » بِالزَّيِّ .

(٢) تَخْرَى : تَقْطَعُ . وَخَلَقْتَ أَيَّ قَدَرْتَ الْأَدِيمَ وَهِيَ آتَةُ الْقَطْعِ وَالْخِرْزُ . وَالْمَعْنَى : أَنْتَ إِذَا

تَهَيَّأْتَ لِأَمْرٍ مُضِيٍّ لَهُ وَأَنْفَذْتَهُ بَلَمْ تَعِزَّزْ عَنْهُ ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَقْدِرُ الْأَمْرَ وَيَهَيِّئُ لَهُ ثُمَّ لَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ وَلَا يَمْضِيهِ
بِعِزٍّ وَضَعْفٍ هَمَّةً . (عَنْ شَرْحِ الْأَعْلَمِ) .

قال : وبلغني أنّ هَرَمًا كان قد حَلَفَ ألا يمدحه زُهيرٌ إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه : عَبْدًا أو وَلِيدَةً أو فَرَسًا . فاستحيا زهيرٌ مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه في مَثَلٍ قال : عُمُوا صَباحًا غَيْرَ هَرَمٍ ، وخيركم أَسْتَنْثِيَتْ . وروى المَهَلِّيُّ : وخيركم تركتُ .

٥ أخبرني الحَوْهَرِيُّ والمُهَلَّبِيُّ قالا حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال : قال عمر لابن زهير : ما فعلتَ الحَدَلَّ التي كساها هَرَمٌ أبناك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكنَّ الحَدَلَّ التي كساها أبوك هَرَمًا لم يُبْلِها الدهر . وقد ذكر الهَنَيْمُ ابنُ عَدِيٍّ أن عائشةَ خاطبتُ بهذه المقالة بعضَ بناتِ زهير

وقال أبو زيد عمر بن شَبَّة : وما سبقَ فيه زهيرٌ في مَنَحِ هَرَمٍ ولم يَسْقِه إليه أحدٌ قوله : ١٠

قد جعل المبتغون الخيرَ من هَرَمٍ * والسائلونَ إلى أبوابه طُرُقًا
مَنْ يَلْقَى يومًا على عِلَّاته هَرَمًا * يَلْقَى السَّامَةَ منه والنَّدَى خُلُقًا
يطلب شأواً مَرَيْنَ قَدَمًا حَسْبًا * بَدَأَ المُلُوكَ وَبَدَأَ هَذِهِ السُّوقَا
هو الجوادُ فَإِنَّ يَلْحَقَ بِشَاوِهِمَا * على تَكَالُيفِهِ فَيُثْلُهُ لِحِقًا
أو يسبقاه على ما كان من مَهَلٍ * فَيُثْلُ مَا قَدَمَا من صَالِحِ سَبَقَا ١٥

(١) رواية هذا البيت في شرح الأعلام للديوان .

يطلب شأواً مَرَيْنَ قَدَمًا حَسَنًا * نَالَا المُلُوكَ وَبَدَأَ هَذِهِ السُّوقَا

وأراد بالمَرَيْنَ : أباه وجده . يقول : تساوى أبواهُ بالملوك وسبقا أوساط الناس وهو يطلب سبقهما ، وذلك شديد لانهما لا يجاريان في فعل . (عن شرح الأعلام) . (٢) المهمل : التقدّم . يقال أخذ فلان المهلة والمهمل على فلان إذا تقدمه . يقول : إن المدح معذور إذا سبقه أبواهُ وأخذاً عليه المهلة في الشرف ؛ لأن مثل فعلهما وما قدماه من صالح سعيهما سبق من جاراهما . (عن شرح الأعلام) . ٢٠

سأل عمر ابنه عن
الحلل التي كساها
أبناها هَرَمٌ فأجابته

شعره مدح :
هرما ولم ينسبه
إليه أحد

أخبرني الجوهري والمهليّ قالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ قَالَ الْمَدَائِيُّ:
 قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: مَا يَضُرُّ مَنْ مَدَحَ بِمَا مَدَحَ بِهِ زُهَيْرٌ آلَ أَبِي حَارِثَةَ
 مِنْ قَوْلِهِ:

عَلَى مُكْتَرِهِمْ رِزْقٌ مَنْ يَغْتَرِيهِمْ * وَعِنْدَ الْمُقْلَبِ السَّامَةِ وَالْبَسْدَلِ
 أَلَّا يَمْلِكَ أُمُورَ النَّاسِ (يَعْنِي الْخِلَافَةَ) . قَالَ نَمُ قَالَ: مَا تَرَكَ مِنْهُمْ زُهَيْرٌ غَنِيًّا
 وَلَا فَقِيرًا إِلَّا وَجَدَ وَمَدَحَهُ .

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ أَبُو زَيْدٍ الْكَلَابِيُّ: أَتَشِدُّ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ قَوْلَ زُهَيْرٍ:
 وَمَعَهَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ * وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلِمُ
 فَقَالَ: أَحْسَنُ زُهَيْرٌ وَصَدَقَ، لَوْ أَتَى رَجُلًا دَخَلَ بَيْتًا فِي جُوفِ بَيْتٍ لَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ .
 قَالَ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَعْمَلْ عَمَلًا تَكْرَهُ أَنْ يُحَدِّثَ عَنْكَ بِهِ" .

قَالَ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِيُّ حَدَّثَنِي أَبُو جَعْدُو يَه:
 أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ لَحِقَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بَعْدَ قَتْلِ أَخِيهِ خَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 الزُّبَيْرِ . فَكَانَ إِذَا دَخَلَ إِلَيْهِ مُنْفَرِدًا أَكْرَمَهُ، وَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ وَغُنْدَهُ أَهْلَ الشَّامِ
 اسْتَخَفَّ بِهِ . فَقَالَ لَهُ يَوْمًا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بئسَ الْمَزُورُ أَنْتَ؛ تُكْرِمُ ضَيْفَكَ
 فِي الْخَلَاءِ، وَتُهَيِّئُهُ فِي الْمَلَأِ، وَقَالَ: اللَّهُ دَرَزُ هَيْرٍ حَيْثُ يَقُولُ:
 ١٥

فَقَرَى فِي بِلَادِكَ إِنْ قَوْمًا * مَتَى يَدْعُوا بِلَادَهُمْ يَهْوُونَا

ثُمَّ أَسْأَلُهُ فِي الرَّجُوعِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَضَى حَوَائِجَهُ وَأَذِنَ لَهُ . وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةِ
 لَزُهَيْرٍ قَالَهَا فِي بَنِي تَمِيمٍ، وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهَا حَشَدَتْ لِعَزْوِ غَطَفَانَ؛ أَوَّلَهَا:

(١) يمتريهم: يقصدهم ويطلب ما عندهم .

(٢) في أكثر النسخ: «فقال» وفي ج: «قال»

ألا أبلغُ لديكَ بنى تميم * وقد يأتيك بالخبر الطنونُ
الطنون : الذى لستَ منه على ثقة . والظنين : المُتهم .

وقال ابن الأعرابي :

شعره فى الحادث

ابن ورقاء وقد

أخذ إبله وغلامه

كان الحادث بن ورقاء الصيداوى من بنى أسد أثار على بنى عبد الله بن عطفان
فغنى فاستاق إبل زهير وراعيه يساراً . فقال زهير :

٥ بان الخليط ولم يأنوا لمن تركوا . وزودوك أشتيافاً أبةً بساكنوا

وهى طويلة يقول فيها :

لئن حللت يجو فى بنى أسد * فى دين عمرو وحالت بيننا فذك
لياً يبتسك منى منطق قبدع * باقى كما دس القبيصة الودك
فأردد يساراً ولا تمنع عليه ولا * تمنع بعرضك إن العادر الملعك
ولا تكونن كأقوام عابثهم * يلوون ما عندهم حتى إذا نهكوا
طلابت نفوسهم عن حق خصمهم * خافة الشر وأرتدوا لما تركوا

- (١) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « فاستخف » . (٢) كذا فى الديوان .
وفى الأصول : « إن الخليط » . والخليط : الأصحاب المختلطون فى الدار . ولم يأورا : أى لم يرجوا
ولم يرقوا . (٣) جو : واد . (٤) كذا فى ج والديوان وياقوت فى كلامه على ذلك .
والمراد بدين عمرو : طاعته وسلطانه . وعمرو هو عمرو بن هند الملك . وفى سائر النسخ وياقوت فى كلامه
على دير عمرو : « دير عمرو » . وقال : « دير عمرو : جبال فى طيِّب قرب قرية لم يقال لها جو » .
ثم ذكر هذا البيت الذى بعده . وذلك : قرية بالجواز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة . (٥) كذا
فى الديوان . والقبضية (بضم القاف) : ثياب كان يبيض رفاق تعمل بمصر منسوبة إلى القبط (بكر القاف)
على غير قياس . وفى الأصول « القبطية » وهو تحريف . والودك : الدم . يقول : لئن حللت بحيث
لا أدركك ليردن عليك هجومى ولأدسك به عرضك كما يدس الودك القبطية . (٦) الملك : المظل
وزنا بمعنى . والملك (بكر العين) : المظل . يقول : لا تملطن يسار فطلك غدر . وكلما مملطن خلق ذلك
بعرضك . (٧) يلوون ما عندهم أى يملطون بما عليهم من الدين . ونهكوا : شتموا وبلغوا فى هجائهم .
(عن شرح الأعل) . (٨) أى لما أوردوا بالهجاء دفعوا الحق إلى صاحبه وارتدوا إلى إعطائه ما كانوا
تركوه ومنعوه من الحق خافة من الشر وإبقاء على أعراضهم . (عن شرح الأعل) .

١٥

٢٠

٢٥

وفي هذه القصيدة مما يغني فيه :

صوت

أهوى لها أسفع الخدين مطرق^(١) * ريش القوادم لم ينصب له شرك^(٢)
وقد أكون أمام^(٣) تحلني * جرداء لا فتح فيها ولا صكك

أهوى لها — يعني القطة تقدم وصفه إياها — صقر. ورواه الأحمسي: "هوى لها"
وقال: هوى: أفتخ، وأهوى: أوفى. ومطرق: ريشه بعضه على بعض ليس بمتشرب،
وهو أعتق له. وقوله لم ينصب له شرك: أي لم يصطد ولم يذل. والتوادم: العشر
المتقدمات. والفتح: تباعد ما بين الفخذين. والصكك: اصطكاك العرقوين
في الدواب، وفي الناس الركبتيين. قال: فلما أشد الحارث هذا الشعر بعث بالغلام
إلى زهير. وقيل: بل أنشد قول زهير:

تعلم أن شر الناس حي * ينادي في شعارهم يسار^(٣)
ولولا عسبه لرددتموه * وشرميحة أرمعار^(٤)
إذا جمحت نسائك إليه * أشط كانه مسد مغار^(٥)

(١) رواية الديوان بشرح الأعل: « لم ينصب له انتيك » . ونصب ريش القوادم على التشبيه
بالفعل به، كما تقول: زيد حسن الوجه، بنصب الوجه. (راجع شرح الأعل). (٢) هكذا غنى
في هذا البيت. وأصله كرواية الديوان:

وقد أروح أمام الحى مقتنصا * قمرًا مراتمها القيعان والنبيك^(٦)
وصاحي وردة نهدي مرأكلها * جرداء لا فتح فيها ولا صكك

(٣) الشعار: علامة القوم في سفرهم: اسم رجل أوشى. قد عرفوه فيها بينهم إذا دعوا به عرفوه.
وإنما أراد أن يسارا صارعيا عليهم يعرفون به كما يعرف كل قوم بشعارهم. (عن شرح الديوان للعلاب).
(٤) العصب: الضراب والتكاح أو هو ماء الفحل. (٥) المنيحة: المارية. (٦) في شرح
الأعل: « عصب ». (٧) رواية اللسان في مادة شظط: « جمحت ». (٨) كذا في
الديوان. وأشط: أنعظ واشتد. وفي الأصول: « أشد ». والمسد: الحبل. والمنار: التمديد القتل.

(١) يبرير حين يعدو من بعيد * إليها وهو قَبْقَابٌ قُطَارٌ

فَرَدَّه عليه . فلامه قومه وقالوا له : اقتله ولا تُرسل به إليه ، فأبى عليهم . فقال زهير عند ذلك :

أبلغ لذيب بنى الصبيداء كلهم * أن يساراً أنا غير مملول
ولا مهان ولكن عند ذى كرم * وفي حبال وفي العهد ماملول^(٢)

وهى قصيدة . فقال الحارث لقومه : يا أصلح : ما فعلت أو ما أريدتم؟ قالوا : بل ما فعلت .

قال ابن الأعرابي : وحدثنى أبو زياد الكلابي :

كان يذكر في شعره
غطفان وأخواله
بنى مرة ويمدحهم

أن زهيراً وأباه وولده كانوا في بنى عبد الله بن غطفان ، ومترطم اليوم بالحاجر^(٤) وكانوا فيه في الجاهلية . وكان أبو سلمي تزوج إلى رجل من بني فهر بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان يقال له الغدير^(٥) والغدير هو أبو بشامة الشاعر — فولدت له زهيراً وأوساً ، وولدت زهير من امرأة من بني محم . وكان زهير يذكر في شعره بنى مرة وغطفان ويمدحهم . وكان زهير في الجاهلية سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع .

(١) يبرير : يصوت . والقَبْقَاب : من القيقبة وهي هدير الفحل . والقطار (بضم أوله) : وصف من القطر أي يسيل ، وقيل عن أبي محمد : المتصبب الرافع رأسه . (عن شرح ثعلب) .

(٢) كذا في ح والديوان بشرح الأعم . وفي الديوان بشرح ثعلب : « يندر » بالعين المعجمة . وفي سائر الأصول : « يندو » . (٣) ورد هذا الشطر في شرح الديوان للأعم الشنفرى هكذا : « وفي حبال وفي غير مجهول » . والحبال : العهود والتزم .

(٤) في الأصول : « بالحاجر » بازاء وهو تصحيف . (٥) كذا في شرح ثعلب ، وقد صححه المحرم الأستاذ الشنقيطي كذلك في نسخه ، ويرجح ما ساقى في ص ٣١٢ من هذه الترجمة . وفي الأصول هنا : « النابر » . (٦) كذا في شرح الديوان لثعلب في الدخول على قصيدته الحمزية . وفي الأصول : « هو أبو يسار هذا » وهو محريف .

شكا اليه رجل من
غطفان بن عليم
ابن جناب فهاجم

قال وحديثي حماد الراوية عن سعيد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد :

أنه بلغه أن زهيراً هجا آل بيت من كلب من بني عليم بن جناب، وكان بلغه عنهم
شيء من وراء وراء، وكان رجل من بني عبد الله بن غطفان أتى بني عليم، وأكرموه
لما نزل بهم وأحسنوا جوارهم، وكان رجلاً مولعاً بالقمار فنهوه عنه، فأبى
إلا المقامرة. فمر مرة فردوا عليه، ثم فر أنحرى فردوا عليه، ثم فر الثالثة فلم يردوا
عليه، فقرر، عنهم وشكا ما صنع به إلى زهير، والعرب حينئذ يتقون الشعراء اتقاءً
شديداً. فقال : ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خفت أن يصيبني الله بعقوبة لهجائي
قوماً ظلمتهم . قال : والذي هجاهم به قوله :

عفا من آل فاطمة الجواء * قيمرب فالقوادم فالحساء^(٣)
فدو عايش فميمث عربيتات^(٥) * عفتها الریح بعدك والساء^(٤)
جرت سنها فقلت لها أجزى * نوى مشمولة فتي اللقاء
كان أوابد الثيران فيها * هجائن في مغاينها الطلاء

لقد طالبها ولكل شيء * وإن طالت بلحاجته آتتها
وقد أغدو على شرب كرام^(٦) * تساوى واجدين لما نشأ
لهم طاس وراووق ومسك^(٧) * تعل به جلودهم وماء

الجواء : أرض . ويمن والقوادم : في بلاد غطفان . والميث : جمع ميثاء . قال
أبو عمرو : إذا كان مسيل الماء مثل نصف الوادي أو ثلثيه فهي ميثاء . والساء هاهنا :

(١) كذا في شرح ثعلب والمعارف، لابن قتيبة . وفي الأصول : « حبان » وهو تحريف .

(٢) في الأصول : « غلب » وهو تحريف . (٣) الحساء : في بلاد غطفان .

(٤) ذو هاش : موضع في بلاد غطفان . (٥) عربيتات : اسم واد . (٦) رواية الديوان :

* وقد أغدو على ثبة كرام *

والثبة : الجماعة من الناس . (٧) رواية الديوان : « لهم راح » .

المطر، والبسائح : ما أقبل من شمالك يريد منك . والبارح : ضده . وقال أبو عبيدة : سمعت يونس بن حبيب يسأل روبة عن السائح والبارح فقال : السائح : ما ولأك ميامنه . والبارح : ما ولأك مشامه . وأجيزي : أنفدى . قال الأصمعي : يقال أجزت الوادي إذا قطعتة وخلفته ، وحزته : إذا سرت فيه فتجاوزته . والأوايد : الوحشية . والمجانن : ليل بيض . والمغاين : الأرفاغ ، واحدها مغين . ومشمولة^(١) : سرعة الانكشاف . أخذه من الريح الشمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب . وجعل مشمولة هاهنا في النوى لأن نيتهم كانت سريعة ، فأجرى ذلك مجرى الدم ، فهذه السنجح .

غنى في الأول والثاني والسابع معبد ثقيلاً أول بالنسابة في نرى الوسطى عن إسحاق . وذكر علي بن يحيى أن للغريض فيها خفيف ثقيل . وذكر حبش أن فيه للهندي ثانی ثقيل بالوسطى . وفي الثالث والرابع مع بيت ليس لزهير أضيف إلى الشعر وهو :

بنفسى من تذكره سقام * أعالجه ومطلبه عنا

(٢) في هذه الأبيات الثلاثة خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها ، ذكر إسحاق

أنه للغريض ، وغيره ينسبه إلى ابن سرج وإلى ابن عائشة . وفي الرابع والخامس لعلويه رمل لا يسك فيه من غنائه .

وقال ابن الأعرابي حدثني أبو زيار ، وذكر بعض هذا الخبر إسحاق الموصلي عن حماد الراوية وعن ابن الكلبي عن أبيه قال :

(١) في الأصول : « لم تلبث أن تذهب » . وعبارة لسان العرب : « ... وقال ابن السكيت : مشمولة سرعة الانكشاف ، أخذه من أن الريح الشمال إذا هبت بالسحاب لم يلبث أن يتحسر ويذهب » .
(٢) في الأصول : « وفي » .

طلب من خاله
بشامة وهو يحضر
أن يقسم له من
ماله فقال له
أورثتك الشعر

- وكان بَشَامَةُ بْنُ الْغَدِيرِ خَالَ [زُهَيْرِ بْنِ] أَبِي سُئْبَى، وكان زُهَيْرٌ منقطعاً إليه وكان مُعِيباً بشعره . وكان بَشَامَةُ رِعْلاً مُقْعِداً ولم يكن له ولد ، وكان مُكْثِراً من المال ، ومن أجل ذلك نزل من هذا البيت في غَطَفَانَ : تُسَوِّلْتَهُمْ . وكان بَشَامَةُ أَحْرَمَ النَّاسِ رَأْيَا ، وكانت غَطَفَانَ إذا أرادوا أَنْ يَغْزُوا أَتَوْهُ فَاسْتَشَارَوْهُ وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ ، فإذا رَجَعُوا قَسَمُوا لَهُ مِثْلَ مَا يَقْسِمُونَ لِأَفْضَلِهِمْ ، فمن أجل ذلك كَثُرَ مَالُهُ . وكان أَسْعَدُ غَطَفَانَ فِي زَمَانِهِ . فلما حَضَرَ الموتُ جعل يَقْسِمُ مَالَهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَيْنَ بَنِي إِخْوَتِهِ . فأتاه زُهَيْرٌ فَقَالَ : يَا خَالَاهُ لَوْ قَسَمْتَ لِي مِنْ مَالِكَ ! ! فقال : والله يَا بَنِ أَخْتِي لَقَدْ قَسَمْتُ لَكَ أَفْضَلَ ذَلِكَ وَأَجْرَ لَهُ . قال : وما هو ؟ قال : شعري وَرَثَتِي . وقد كان زُهَيْرٌ قَبْلَ ذَلِكَ قَالَ الشَّعْرَ ، وقد كان أَوَّلَ مَا قَالَ . فقال له زُهَيْرٌ : الشعرُ شَيْءٌ مَا قَلَّتْهُ فَكَيْفَ تَعْتَدُ بِهِ عَلَيَّ ؟ فقال له بَشَامَةُ : ومن أين جِئْتَ بهذا الشعر ! لعلك ترى أَنَّكَ جِئْتَ بِهِ مِنْ مُزْنِيَّةٍ ، وقد عَلِمْتَ الْعَرَبَ أَنَّ حَصَاتِيهَا وَعَيْنَ مَائِهَا فِي الشَّعْرِ لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ غَطَفَانَ ثُمَّ لِي مِنْهُمْ ، وقد رَوَيْتَهُ عَنِّي . وأحذاه نصيباً من ماله ومات .

وبَشَامَةُ شَاعِرٌ مُجِيدٌ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

بَشَامَةُ خَالَه شَاعِرٌ
مُجِيدٌ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ
شِعْرَهُ

صوت

- أَلَا تَرَيْنَ وَقَدْ قَطَعْتَنِي قِطْعاً * ماذا مِنَ الْقَوِيِّ بَيْنَ الْبِخْلِ وَالْجُودِ
إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ يَوْمًا أَرَّاحُ بِهِ * لِلْحَاطِطِينَ فَإِنِّي لَكِنُّ الْعُودِ^(٥)
الغناء لِإِسْحَاقَ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ .

(١) وضعتنا هذه التكملة لما تقدم في ص ٣٠٩

- (٢) يحتل أن يكون : « وقد ورثته عني » . (٣) أحذاه : أعطاه . (٤) كذا في ب ، س . وفي سائر الأصول : « قطعني » بالنون . ويظهر أن الخطاب لِزُرَيْجَتِهِ أَوْ لِأَمَةٍ تَلُمُهُ فِي الْكُرْمِ .
(٥) يقال : راحت الريح الشيء إذا أصابته . ويقال : خبط الشجرة إذا شدها ثم تقض ورفها .

قال ابن الأعرابي :

طلق زوجته أم
أوفى ثم ندم فقال
شعرا

أُمُّ أَوْفَى الَّتِي ذَكَرَهَا زُهَيْرٌ فِي شِعْرِهِ كَانَتْ أَمْرَأَتَهُ ، فَوَلَدَتْ مِنْهُ أَوْلَادًا مَا تَوَاء ،
ثُمَّ تَزَوَّجَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرَأَةً أُخْرَى ، وَهِيَ أُمُّ أَبْنَيْهِ كَعْبٌ وَبُحَيْرٌ ؛ فَغَارَتْ مِنْ ذَلِكَ
وَأَذْنَتْهُ ، فَطَلَّقَهَا ثُمَّ نَدِمَ فَقَالَ فِيهَا :

لَعَمْرُكَ وَالْخَطُوبُ مُغَيَّاتٌ * وَفِي طَوْلِ الْمُعَاشِرَةِ التَّقَالِي

لَقَدْ بَالَيْتُ مَطْعَنَ أُمِّ أَوْفَى * وَلَكِنْ أُمُّ أَوْفَى مَا تُبَالِي ^(١)فَأَمَّا إِذَا نَأَيْتَ فَلَا تَقُولِي * لَدَى صِمْرٍ أَذِلْتُ وَلَمْ تُدَالِي ^(٢)

أَصَبْتُ نَبِيَّ مِنْكَ وَنَلَيْتِ مَتَى * مِنَ اللَّذَاتِ وَالْحُلَلِ الْغَوَالِي

وقال ابن الأعرابي :

كانت امرأة ابنه
سالمًا فأتى فرائه

كَانَ لَزُهَيْرِ بْنِ يُقَالُ لَهُ سَالِمٌ ، جَمِيلُ الْوَجْهِ حَسَنُ الشَّعْرِ . فَأَهْدَى رَجُلٌ إِلَى زُهَيْرٍ ^(١)
بُرْدَيْنَ ، فَلْيَسْهُمَا الْفَتَى وَرَكِبَ فَرَسًا لَهُ ، فَرَأَى أَمْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ النَّتَاءُ ، ^(٢)
فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ رَجُلًا وَلَا بُرْدَيْنِ وَلَا فَرَسًا . فَعَثَرَ بِهِ الْفَرَسُ فَأَنْدَقَتْ ^(٣)
عُنُقَهُ وَعَنُقُ الْفَرَسِ وَأَنشَقَّ الْبُرْدَانُ . فَقَالَ زُهَيْرٌ بِرَثِيهِ :

رَأَيْتُ رَجُلًا لَا فَيَّ مِنَ الْعَيْشِ غِبْطَةً * وَأَخْطَأَ فِيهَا الْأُمُورَ الْعِظَامُ

وَسَبَّ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَتُوَيْعَتْ * سَلَامَةُ أَعْوَامٍ لَهُ وَغَنَائِمُ

- (١) في ١ ، م : « لا تبالي » . (٢) أذال المرأة : هنأها وأهانها . وفي المثل : « أخيل
من مذالة » وهي الأمة لأنها تهاون وهي تفيض من حقها . (٣) في الأصول : « بردين ...
البردتان » قال ابن سيدة : البرد ثوب فيه خطوط ونحس بعضهم به الوشي . والبردة : كساء يلحف به ،
وقيل غير ذلك . (راجع اللسان في مادة برد) . (٤) النتاء : ماء لبنى عجيبة أو هوماة لفتى . وقال
الحفصى : النتاء : تحيلات لبنى عطاردة . ويوم النتاء من أيام العرب . (معجم البلدان لياقوت)

فأصبح محبوباً ينتظر حوله * يغبطنه لو أت ذلك دائم^(٢)
وعندى من الأيام ما ليس عنده * فقلت تعلم أنما أنت حالم^(٣)
لعلك يوماً أت تراعى بفاجع . كما راعى يوم الشتاء سالم

١٥٨
٩

قال ابن الأعرابي :

هو وقومه شعراء . كان زهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، وكان أبوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وأخته سلمى شاعرة ، وأبناء كعب وبجير شاعرين ، وأخته الخنساء شاعرة ، وهي القائلة ترثيه :

وما يغني توفى الموت شيئاً^(٤) * ولا عقْدُ اليمِّ ولا الغضارُ

— والغضار : كان أحدهم إذا خشي على نفسه يعلق في عنقه خرقةً أخضر —

إذا لاقى منيته فأمسى * يساق به وقد حَقَّ الحذارُ

ولا فاة من الأيام يوم * كما من قبل لم يخلد قدار^(٥)

وإبن أبنه المضرب بن كعب بن زهير شاعر ، وهو القائل :

إني لأحس نفسي وهي صادية * عن مصعب ولقد بان لي الطرُق

(١) المحجور : المنعم . ومنه قوله تعالى : (في روضة يحرون) أي ينعمون . وينظر حوله أي ينظر

حوله يمينا وشمالا . (٢) كذا في معجم البلدان في الكلام على النواة . وفي الأصول : « تنبغة » .

وفي الديوان شرح تلعب : « بمغطة » . ولم ترد هذه الأبيات في شرح الأعم . (٣) يخاطب ابنه .

يقول : ما أنت فيه من السرور والشباب بمنزلة الحلم . (٤) في اللسان (في مادة غضر) : « توفى المرء » .

(٥) قدار : هو قدار بن سالف عافر النافذة . (٦) في شرح القاموس (في مادة ضرب) :

« وكملحت (بكسر الدال المشددة) ومعظم (يفتح الظاء المشددة) لقب عقيق بن كعب بن زهير . وبالوجهين

ضبط في نسخة الصباح » . وفي كتاب الشعر والشعراء أنه شبيب بامرأة من بني أسد فقال :

ولا عيب فيها غير أنك واجد * ملاقيها قد ديت بركوب

فتزبه أخوها مائة ضربة بالسيف فلم يمت وأخذ الدية ، فسمى المضرب .

رَعَى عَلَيْهِ كَمَا أَرَعَى عَلَى هَيْرِم * جَدَى زُهَيْرٌ وَفِينَا ذَلِكَ الْخُلُقُ
مَذْحُ الْمَلُوكِ وَسَعَى فِي مَسَرَّتِهِمْ * ثُمَّ الْغَنَى وَيَسُدُّ الْمَدْحُ تَنْطَلِقُ

ما امتاز به شعره
وكان سبب تقديمه

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال :

مَنْ قَدَّمَ زُهَيْرًا أَحْتَجَّ بِأَنَّهُ كَانَ أَحْسَنَهُمْ شَعْرًا وَأَبَدَهُمْ مِنْ تُخْفٍ ، أَجْمَعَهُمْ
لِكَثْرَةِ الْمَعَانِي فِي قَلِيلٍ مِنَ الْأَنْفَازِ ، وَأَشَدَّهُمْ مَبَالِغَةً فِي الْمَدْحِ ، وَأَكْثَرَهُمْ أَمْتَالًا
فِي شَعْرِهِ .

مرثية ابنه سالم

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال :

كَانَ زُهَيْرُ ابْنٍ يُقَالُ لَهُ سَالِمٌ ، وَكَانَ مِنْ أُمَّ كَعْبٍ بِنِ زُهَيْرٍ ، فَمَاتَ أَوْ قُبِلَ ،
فَخَزِعَ عَلَيْهِ كَعْبٌ جَزْعًا شَدِيدًا ، فَلَامَتْهُ أَمْرَاتُهُ وَقَالَتْ : كَأَنَّهُ لَمْ يُصَبِّ غَيْرُكَ
مِنَ النَّاسِ ! فَقَالَ :

رَأَيْتُ رَجُلًا لَاقَى مِنَ الْعَيْشِ غِبْطَةً * وَأَخْطَاهُ فِيهَا الْأُمُورُ الْعِظَامُ
وَشَبَّ لَهُ فِيهَا بَنُوتٌ وَتُوْبَعَتْ * سَلَامَةٌ أَعْوَامٍ لَهُ وَغَنَائِمُ
فَأَصْبَحَ مَحْبُورًا يَنْظُرُ حَوْلَهُ * بَغِطْتُهُ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ دَائِمُ
وَعِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ * فَقُلْتُ لَهُ مَهْلًا فَإِنَّكَ حَالِمُ
لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُرَاعَى بِفَاجِعٍ * كَمَا رَاعَنِي يَوْمَ التَّائَةِ سَالِمُ

١٥

✱ ✱

صوت

عَرَفْتُ وَلَمْ تَصِرْ وَأَنْتَ صَرُومُ * وَكَيْفَ تَصَابِي مَرَبٌ يُقَالُ حَلِيمُ
صَدَدْتُ فَأَطَوْتُ الصَّدُودَ وَلَا أَرَى * وَصَالًا عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ

(١) رعى عليه : أى بقيا عليه ؛ يقال : ارعى فلان على فلان إذا أبى عليه .

(٢) تقدم فى ص ٣١٣ أن هذا الشعر قاله زهير فى ابنه سالم .

٢٠

عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ ، عَزَفَتْ عَنِ الشَّيْءِ : إِذَا تَرَكْتَهُ وَأَبَتْهُ نَفْسُكَ . قَالَ ابْنُ
 الْأَعْرَابِيِّ : يَقُولُ لَمْ تَهْرِمِ صُرْمَ بَيَّاتٍ ؛ وَلَكِنْ صَرَمْتَ صُرْمَ دَلَالٍ . وَأَطَوَلَتْ
 الصَّدُودُ أَيْ أَطْنَنَهُ . وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا ذَرْوَرَةٌ^(١) . الشَّعْرُ لِلزَّارِ بْنِ سَعِيدِ الْفَقْعِيِّ .
 وَالْغِنَاءُ لِإِسْحَاقَ رَمَلٍ .

(١) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (فِي مَادَّةِ طَوَّل) : « وَأَطَلْتُ الشَّيْءَ وَأَطَوَلْتُ عَلَى التَّقْصِصِ وَالْإِتْمَامِ بِمَعْنَى .
 الْحَكْمِ : وَأَطَالُ الشَّيْءَ وَطَوَّلُهُ وَأَطَوَّلُهُ : جَعَلَهُ طَوِيلًا . وَكَانَ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ إِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَنْهَوْا عَلَى
 أَصْلِ الْبَابِ . قَالَ : فَلَا يُقَاسُ هَذَا إِنَّمَا يَأْتِي لِلتَّنْبِيهِ عَلَى الْأَصْلِ » .

ذكر المزار وخبره ونسبه

هو المزار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة بن الأشم بن جحوان بن ققّس
ابن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمه
ابن مدركة بن الياس بن مضر بن ريار . وأم المزار بنت مروان بن مقذ الذي أغار
على بني عامر بتهلان فقتل منهم مائة بجيب بن مقذ عمه، وكانوا قتلوه .
وكان المزار قصيراً مفترطاً القصير ضئيل الجسم . وفي ذلك يقول :
عدوني الثعلب عند العسد * حتى استأثروا بي إحدى الإحد
ليت هز برا ذا سلاح معتدي * يرمي بطرف كالخريق الموقد

نسبه وكان قصيراً
ضئيل الجسم

١٥٩
٩

- (١) كذا في ج وهو الصحيح كما في شرح القاموس (في مادة جحو) . وفي سائر الأصول : « هوازن » وهو تحريف . (٢) كذا في ح . وفي سائر الأصول : « معين » بالميم وهو تحريف .
- (٣) في جميع الأصول : « تلب » . والتصويب عن شرح القاموس : « في مادي فن وجحو » .
- (٤) كذا في أ ، م ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقاتشندي وقد أوردته في باب الدال المعجمة مع الواو . وفي سائر الأصول : « دودان » بالدال المهملة . (٥) كذا في ح . وفي أ ، م : « مقذ » بالدال المهملة . ويظهر أنه مصحف عن مقذ بالدال المعجمة إذ لم يسم بهذا الاسم . وفي ب ، س : « منقر » بالراء المهملة . (٦) تهلان : جبل ضخم بالعالية عن أبي عبيدة . وقال نصر : تهلان جبل لقي نعيم بن عامر بن صعصعة بناحية الشريفة به ماء ونخيل . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٧) يلاحظ أنه أخوه لا عمه إلا أن يكون مقذ جد مروان وسقط اسم أبيه . (٨) إحدى الإحد : الأمر المتكرر الكبير . قال الشاعر : * يمحاذ فضلوا إحدى الإحد * وإحدى الإحد الداهية . يقول : حسبوني من عداد الثاليم عند لقاء الأبطال أروغ عنهم ولا أكافهم حتى استأثروا مني داهية . (٩) المعتدي : وصف من العدوان إلا أنه وقف على لغة ربيعة في تسكين المنسوب . وفي الأصول : « معتد » بالنون وبدون ياء . ويحتمل أن يكون مصحفاً عن « معتد » وصف من أعتد الشيء إذا هياه وأعدّه ، وعلى هذا يكون وصفاً للسلاح . ويرى بطرف كالخريق الموقد : أراد أن عينه في غضبه حراء كالنار الموقدة الملهية . (راجع لسان العرب في مادة أحد ، ونزاة الأدب للبغدادى ج ٣ ص ٢٩٣ و ٢٩٤) .

وكان يهاجى المَسَاوِرَ بنَ هند بن قيس بن زُهَيْر بن جَدِيمةَ العَبَسِيَّةِ . وفيه يقول المَرَارُ :
 شَقِيتَ بنو سَعْدٍ بِشَعْرِ مَسَاوِرٍ * إِنَّ الشَّقَّ بِكُلِّ حَيْلٍ يُنْتَقِ
 وَلِلْمَسَاوِرِ الْقَاتِلَ قِيَّةً :

كانت يهاجى
 المَسَاوِرَ بنَ هند

ما سَرَنِي أَنْ أُحْيَى مِنْ بَنَى أَسَدٍ * وَأَنْتَ رَبِّي يُعْجِنِي مِنَ النَّارِ
 أَوْ أَنْتُمْ زَوْجُونِي مِنْ بَنَاتِهِمْ * وَأَنْ لِي كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ دِينَارٍ
 وَالْمَرَارُ مِنْ مُحَضَّرِي الدُّوَلَيْنِ . وقد قيل : إِنَّهُ لَمْ يَدْرِكِ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ .
 وقال هذه القصيدة وهو محبوس . ذكر محمد بن حبيب عن أبي الأعرابي
 عَنْ الْمُفَضَّلِ وَالْكُوفِيِّينَ :

من محضري
 الدولتين
 أغار هو وأخوه
 بدر على بني عباس
 ونها إليهم فقبهما
 السوالى

- أَنَّ الْمَرَارَ بْنَ سَعِيدٍ كَانَ أَتَى حُصَيْنَ بْنَ بَرْقٍ مِنْ بَنَى عَبْسٍ ، فَوَقَفَ عَلَى بَيْتِهِمْ
 بِفَعْلٍ يَحْدِثُ نِسَاءَهُمْ وَيُنْشِدُهُنَّ الشُّعْرَ . فَنظَرُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْتَمِعُونَ عَلَى الْمَاءِ فَظَنُّوا
 ١٠ أَنَّهُ يَعْطِيهِنَّ . ثُمَّ أَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ النِّسَاءِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى الرِّجَالِ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ :
 أَنْتَ يَا مَرَارُ تَقِفُ عَلَى آيَاتِنَا وَتُنْشِدُ النِّسَاءَ الشُّعْرَ ! فَقَالَ : إِنَّمَا كُنْتُ أَسْأَلُهُنَّ بِخُرَى
 بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كَلَامٌ غَلِيظٌ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَضَرَبُوهُ رَعَقَرُوا بِهِ . فَأَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِمْ
 إِلَى بَنَى قَعْسٍ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، فَرَكِبُوا مَعَهُ حَتَّى أَتَوْا بَنَى عَبْسٍ فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزَمُوهُمْ ،
 ١٥ وَفَقَاتَ بَنُو قَعْسٍ مِنْ بَنَى عَبْسٍ عَيْنًا وَقَتَلُوا رَجُلًا ثُمَّ أَنْصَرَفُوا . فَعَمِلَ أَبُو شَدَادٍ
 النَّصْرِيُّ لِبَنَى عَبْسٍ مَائَتِي بَعِيرٍ وَغُلَّظُوا عَلَيْهِمْ فِي الدِّيَةِ . ثُمَّ إِنَّ بَدْرَ بْنَ سَعِيدٍ أَخَا
 الْمَرَارِ قَالَ : قَدْ أَسْتَوْفَتْ عَبْسٌ حَقَّهَا ، فَعَلَّامٌ أَتَرَكَ ضَرْبَ إِبْنِي وَفَقَرْتُ جِلْدِي ! فَخَرَجَ
 حَتَّى أَتَى جَمَالَ لِبَنَى عَبْسٍ فِي الْمَرَّةِ ، فَرَمَى بَعْضُهَا فَعَقَرَهَا ثُمَّ أَنْصَرَفَ . فَقَالَ لِلْمَرَارِ :
 إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يُقْنَعُ بِهَذَا وَلَكِنْ أَنْتَ بِنَا . فَخَرَجَا حَتَّى أَغَارَا عَلَى إِبْلِ لِبَنَى عَبْسٍ
 فَطَرَدَاهَا وَتَوَجَّهَا بِهَا نَحْوَ تِمَاءَ^(١) . فَلَمَّا كَانَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَقْطَعَ بِطَانُ رَاحِلَةِ بَدْرٍ
 ٢٠

(١) تيماء : بليد في أطراف الشام بين الشام ووادى القرى على طريق حاج الشام ودمشق .

(١) فَنَدَرَ عَنْ رَحْلِهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَرَّارُ : يَا أَخِي أَطْعَمَنِي وَأَنْصَرِفَ وَدَعْ هَذِهِ الْإِبِلَ فِي النَّارِ ، فَأَبَى عَلَيْهِ . ثُمَّ سَارَا ، فَلَمَّا كَانَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ عَرَضَ لَهَا طَبْعٌ^(٢) أَغْضَبَ أَحَدَ الْقَرْيَيْنِ . فَقَالَ الْمَرَّارُ لِبَدْرٍ : قَدْ تَطَيَّرْتُ مِنْ هَذَا السَّفَرِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا نَزِجُ مِنْ هَذَا السَّفَرِ أَبَدًا ، فَأَبَى عَلَيْهِ بَدْرٌ . فَتَفَرَّقَتْ عَيْسُ فُرْقَتَيْنِ فِي طَلَبِ الْإِبِلِ ، فَصَدَّتْ فُرْقَةٌ إِلَى وَادِي الْقَرْيِ^(٣) ، وَفُرْقَةٌ إِلَى تَبَاءٍ ، فَصَادَفُوا الْإِبِلَ بِتَبَايَعٍ ، فَأَخَذُوا الْمَرَّارَ وَبَدْرًا فَرَفَعُوهُمَا إِلَى الْوَالِي . وَعُرِفَتْ سِمَاتُ عَيْسٍ عَلَى الْإِبِلِ فَدُعِيَ إِلَيْهِمْ ، وَرُفِعَ الْمَرَّارُ وَأُخِذَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَضُرِبَا وَحُيِسَا ، فَمَاتَ بَدْرٌ فِي الْحَبْسِ . فَكَلَّمْتُ عِدَّةً مِنْ قَرِيشَ زِيَادَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ النَّصْرِيَّ^(٤) فِي الْمَرَّارِ نَحْلَاهُ . وَقَالَ فِي حَبْسِهِ :

* صَرَمْتُ وَلَمْ تَصِرْ وَأَنْتَ صَرُومٌ *

١٠ وهي طويلة .

وَقَالَ يَرْثِي أَخَاهُ بَدْرًا :

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلتَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ * وَلِلْقَدْرِ السَّارَى إِلَيْكَ وَمَا تَدْرِي
وَلِلشَّيْءِ تَنْسَاهُ وَتَذْكُرُ غَيْرَهُ * وَلِلشَّيْءِ لَا تَنْسَاهُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ
وَمَا لَكَ بِالْغَيْبِ عِلْمٌ فَتُخْذَرُ * وَمَا لَكَ فِي أَمْرِ عَثَانَ مِنْ أَمْرِ

١٥ وهي طويلة ، يَقُولُ فِيهَا :

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْمُقَادِيرَ وَالْمُسْنَى * وَطَيْرًا بَحَرَتْ بَيْنَ السُّعَافَاتِ وَالْجَبْرِ^(٥)
وَقَاتِلَ تَكْذِيبِي الْعِيقَةَ بَعْدَ مَا * زَجَرْتُ فَمَا أَغْنَى آعْيَافِي وَلَا زَجَرِي

(١) نَدَرَ عَنْ رَحْلِهِ : سَقَطَ . (٢) الْأَغْضَبُ : الْمَكْسُورُ . (٣) وَادِي الْقَرْيِ : وَادٍ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ مِنْ أَعْمَالِ الْمَدِينَةِ كَثِيرِ الْقَرْيِ . (٤) فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : « السُّعَافَاتُ بَضْمُ أُرْلِهِ وَبَعْدَ الْأَلْفِ فَاءُ وَآخِرُهُ تَاءُ مَثْنَاءٌ مِنْ فَوْقِ مَوْضِعٍ فِي قَوْلِ الْمَرَّارِ » . وَاسْتَشْهَدَ بِهَذَا الْبَيْتِ .
(٥) الْحَبْرُ (بِالْكَسْرِ ثُمَّ السُّكُونِ) : اسْمُ وَادٍ ، كَذَا ذَكَرَهُ يَاقُوتُ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ وَاسْتَشْهَدَ بِأَيَّامَاتٍ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ . وَفِي الْأَصُولِ : « الْحَجَرُ » بِالْجِيمِ . (٦) فِي يَاقُوتَ : « وَقَاتِلَ تَكْذِيبَ الْعِيقَةِ » .

تَرَوْحَ فَقَدْ طَالَ التَّوَاءُ وَقُضِيَتْ * مَشَارِبُ كَانَتْ نَحْوَ غَايَتِهَا تَجْرُزُ

— المشارب : العلامات والأمارات —

وَمَا لَقُفُولٍ بَعْدَ بَدْرِ بِشَاشَةٍ ^(١) * وَلَا الْحَى آتِيهِمْ وَلَا أُوْبَةَ السَّفْرِ

تُدَّ كَرْنِي بَدْرًا زَعَاغُ حَمْرَةٍ * إِذَا عَصَفَتْ لِحَدَى عَشِيَّاتِهَا الْغُبْرِ ^(٢)

— الزعاع : الشديدة المحبوب . والجمرة : السينة الشديدة —

إِذَا شَوَّلْنَا لَمْ تُؤْتَ مِنْهَا مَحْلَبٌ * قَرَى الضَّيْفَ مِنْهَا بِالْمَهْدِ ذِي الْأَثَرِ

وَأَضْيَانَا لَنْ نَهْوِنَا ذِكْرُهُ * فَكَفَ إِذَا أَنْشَاءَ غَاةَ الدَّهْرِ

إِذَا سَلَّمَ السَّارِي تَهَلَّلَ وَجْهُهُ * عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ يَسَارٍ وَمِنْ عُثْرِ

تَذَكَّرْتُ بَدْرًا بَعْدَ مَا قِيلَ عَارِفٌ * لَمْ يَأْبَهُ يَا لَهْفٍ نَفْسِي عَلَى بَدْرِ ^(٣)

إِذَا خَطَرْتُ مِنْهُ عَلَى النَّفْسِ خَطَرَةً * مَرَّتْ دَمْعَ عَيْنِي فَأَسْتَهْلَ عَلَى تَحْوِي ^(٤)

وَمَا كُنْتُ بَكَاءً وَلَكِنْ يَبْجِي لِي * عَلَى ذِكْرِهِ طَيْبُ الْخَلْقِ وَالْخُبْرِ ^(٥)

أَعْيَنِي لَمْ أَزَلْ شَاكِرًا مَا فَعَلْتُمَا * وَحَقَّ لِمَا أَبْلَيْتُمَا نِيَّ الشُّكْرِ

سَأَلْتُكَ أَنْ تُسْعِدَانِي بِخُدَّتُمَا * بَوَاتِنِ ^(٦) بِالتَّسْجَامِ بَاقِيَتِي قَطْرِ ^(٧)

(١) في - : « وما لقفول » . (٢) في الأصول : « حجرة » بتقديم الحاء المهملة

على الجيم وهو تصحيف . وفي ياقوت : « لزبة » وسنة لزبة : سديدة .

(٣) الشول : جمع شائلة ، وهي من الإبل ما أتى عليها من وضعها أو حملها سبعة أشهر فأرتفع ضرعها

ونخف لبنها . والمحلب : إناء . محلب فيه . والأثر (بالفتح والكسر وبضمين) : فريد السيف وروقه .

ورواية هذا البيت في كتاب الشعر والشعراء ص ١٤٤ طبع أوربا : « إذا شولنا لم ننع فيها بمرقد... الخ » .

(٤) عرف للأمر : صبر . . . (٥) مرت دمع عيني : أرسلته وأسبلته . واستهل : سال .

(٦) في ب ، س : « يبيجي » . (٧) الوان : النصف في سنأ من كل شيء . والحرب

الوان : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم جعلوا الأولى يكرأ . والحرب الوان هي أشد الحروب .

قلعه يريد أن عينيه يجمتا الدمع أي أسالناه مرة بعد أخرى . (٨) كذا في كتاب الشعر والشعراء .

ورودت هذه الكلمة في الأصول مصحفة ، ففي بعضها : « يا قنن » وفي بعضها الآخر : « يا قنن » .

فَلَمَّا شَفَانِي الْيَأْسُ عَنْهُ بَسْلُوةٌ * وَأَعْذَرْتُكَ لَا بَلْ أَجَلٌ مِنَ الْعَذْرِ
نَهَيْتُكَ أَنْ تُسْهَرَانِي فَكُنْتُ^(١) * صَبُورِينَ بَعْدَ الْيَأْسِ طَاوِيَةً ذُبُرٌ
يقول : طويتا أغبارَ دمعكما . والأغبار . البقايا كأغبار اللّبن .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني رجل عن وإصيل بن
زكريّا بن المزار أن المزار قال :

خرجتُ حاجًا فَأَتَمَحْتُ بِنَاحِيَةِ الْأَبْطَحِ ، بَغَاءُ قَوْمٍ فَتَحَوْنِي عَنْ مَوْضِعِي وَضُرُّوا
فِيهِ قَبَّةً لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ . فَلَمَّا جَاءَ وَجَلَسَ أُتِيَتْهُ فَقُلْتُ :
هَذَا قَعُودِي بَارِكًا بِالْأَبْطَحِ * عَلَيْهِ عِجْكَ^(٢) أَسْرِي^(٣) لَمْ تُفْتَحِ
فقال : وما قصّتك ؟ فأخبرته . فقال : والله لا تفتحُ منهما شيئًا حتى تتصرف ، فأقمُ
معنا ، يدُك مع أيدينا ، وقعودُك مع آبائِنا^(٤) ، فوالله ما فتحتُ العُدْلِينَ حتى أنصرفتُ
بهما إلى أهلي . فَمَا هَجَانِي أَحَدٌ قَطُّ هِجَاءَهُ .

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِي قال حدثنا أبو غَسَّانَ دِمَاز عن أبي عُبَيْدَةَ قال
أخبرني أبو مَوْهَبٍ رِثِيلُ الزُّبَيْرِيِّ أَحَدَ بَنِي زُبَيْرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ قُعَيْنٍ قَالَ :

كَانَ الْمَسْرُورُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَخُوهُ بَدْرُ لَصِينٍ ، وَكَانَ بَدْرٌ أَشْهَرَ مِنْهُ بِالسَّرْقَةِ وَأَكْثَرَ
غَارَاتٍ عَلَى النَّاسِ . فَأَغَارَ بَدْرٌ عَلَى ذُوْدٍ لِبَعْضِ بَنِي غَنَمٍ بَنِ دُودَانَ فَطَرَدَهَا ، فَأَخَذَ^(٥)
غَارَاتٍ عَلَى النَّاسِ .

(١) في كتاب الشعر والشعراء : « أن تشنأني » .

(٢) العِجْ : العذل وهو الغرارة . (٣) أكر : جمع كمر (بكسر الكاف وسكون الميم) نحو
ذئب وأذوب . وهذا الجمع معاني في مثل هذا الوزن . والكبر من البسر : ما لم يربط على نخله ولكنه
سقط فأرطب على الأرض . (٤) كذا في ١ ، م . وفي سائر الأصول : « أقاعدنا » وهذا الجمع
لم يرد في كتب اللغة في جمع قعود . (٥) الترد : ثلاثة أبرة إلى التسعة ، وقيل إلى العشرة ، وقيل
غير ذلك . ولا يكون إلا من الإناث . وهو واحد وجمع كالقنك . (٦) راجع الحاشية رقم ٤
ص ٣١٧ وغنم هو أخو ثعلبة المذكور في تلك الصفحة . (راجع كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل
العرب للسويدي ص ٥٨ طبع بغداد سنة ١٢٧٠ هجرية) .

وَرُفِعَ إِلَى عُمَانَ بْنِ حَيَّانَ الْمُرِّيِّ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ عَلَى الْمَدِينَةِ خَبِيسَةً. وَطَرَدَ الْمَرَارَ طَرِيدَةً فَأَخَذَ. وَهِيَ وَهِيَ يَبْعُهَا: أَدَى الْقُرَى أَوْ يَرِيمَةَ^(١)، فَرُفِعَ إِلَى عَثَانَ بْنِ حَيَّانَ خَبِيسَةً. قَالَ: فَأَجْتَمَعَا وَمَكَثَا فِي السِّجْنِ مَدَّةً، ثُمَّ أَقْلَتِ الْمَرَارُ وَبَقِيَ بِدَرْفٍ فِي السِّجْنِ حَتَّى مَاتَ مَرَارًا مَقِيدًا. فَقَالَ الْمَرَارُ: وَهُوَ فِي الْحَبْسِ:

أَنَارَ بَدَنٌ مِّنْ نُّورِ السَّجْنِ ضَوْعَهَا * عَشِيَّةَ حَلٍّ الْحَيُّ بِالْجِرْعِ الْمَقْرِ^(٣)
عَشِيَّةَ حَلٍّ الْحَيُّ أَرْضًا خَصِيصَةً * يَطْبُيْهَا مَسُّ الْجَنَائِبِ وَالْقَطْرِ^(٤)
فَيَاوِيْتَا بَحْرَيْنِ الْيَمَامَةَ أَطْلِقًا * أُسْرِجًا يَنْظُرُ إِلَى الْبَرْقِ مَا يَقْرَى^(٥)
فَلَنْ تَفْعَلَا أَهْمَدُجِي * لَأَرَى * بَأْسًا لَا يَنْبَغِي لَكَ شُكْرِي

ولو فارقت رجل القبود وجدتي * ر^(٧) بَصَّ العيس في البلد القفر
جديراً إذا أُمسى بأرض مضلة^(٨) * بتقويمها حتى يرى وضَّحَ الفجر

وقال أبو عمرو الشَّيبَانِي :

كان بين المرّار بن سعيد وبين رجل من قومه لحاءً، فتقاذفا وتسبّاباً، ثم صارا

إلى الضرب بالعصا؛ فقال في ذلك :

خاصم رجلا من
قومه وسأبه ، وقال
في ذلك شعرا

(١) برمة (بكسر أوله) : عرض من أمراض المدينة بين خيبر ووادى القري . (٢) كذا في الأصول : يتأثت الفعل لإضافة الفاعل إلى ضمير المؤنث . (٣) كذا في ح : الراء المهمله . والجرح بالبحر يك : جمع جرعة بالبحر يك أيضا وهى هنا الرملة الغداة الطيبة التى لا وعوة فيها . وفى سائر الأصول : الجرح بالزأى المجعده وهو تصحيف . (٤) الجناثب : جمع جنوب وهى الرياح التى تقابل الشمال . ومنه اذا جاءت الجناثب جاء معها خير وتلقح . (٥) هكذا في جميع الأصول : ويا ويلنا بمعنى يا فقيحتنا . وقد أشكل علينا من مرجع الضمير المتنى في قوله « أطلقا أسيرك » . ولذا يمحتمل أن تكون هذه الكلمة محرفة عن مثل قوله « فيا حارمى حين الإيام » وأنحوذاك . (٦) يفرى : يشق ؛ والبرق يشق الظلام . (٧) فص العيس : استعظامها واستقصاء أثر ما عتدها من السير . (٨) أرض مضلة (يفتح الضاد وتكسر) : يضل فيها الطريق .

10

2.

صوت

أَلَمْ تَرْبَعْ فَتُخْبِرَكَ الْمَقَانِي * فَكَيْفَ وَهْنٌ كُذِّجَ نَمًا
بَرِثْتُ مِنَ الْمَنَازِلِ بِرَشَوَقٍ * إِلَى الدَّارِ الَّتِي يَلُوحُ أَبَانُ^(١)
لِإِسْحَاقَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ هَزَجٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مَرْيَمَ الْبَنْصَرِ مِنْ كِتَابِ أَبِي الْمَكِّي.^(٢)
وكان بدر بن سعيد أخو الأبرار شاعرًا وهو الذي يقول :

كان أخوه بدر
شاعرًا، وشي
شعره

صوت

يَا حَبْذَا حِينَ تُنْمِي الرِّيحُ بَارِدَةً * وَادِي أُشْيَ وَفَيَاتٍ بِهِ هَضْمٌ^(٣)
مُحَمَّدُونَ كِرَامٌ فِي جِبَالَتِهِمْ * وَفِي الرَّحَانِ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ خِدْمٌ^(٤)
وَمَا أَصَاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فَكُرْهُمْ * إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هِمٍّ^(٥)
الغناء لأبن مخزوم ثافي ثقييل بالخنصر والبصر عن ابن المكي. وفيه لمتيم خفيف رمل.
وذكر حبش، أن الثقليل للهذلي. وفيه لمحمد بن الحارث بن بسخر ثقييل أول
عن الهشاش.

(١) أبان : يطلق على موضعين هما أبان الأبيض وأبان الأسود . فالأبيض شرق الحاجر
فيه نخل وماء . وهوليتي فزاره وغبس . والأسود : جبل لبني فزاره خاصة ، وبنته وبس الأبيض
ميلان . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) في لسان العرب (في مادة هضم) ومعجم البلدان
في الكلام على أشي وشعوب ونعم أن قائله زياد بن مفضل . وفي شرح الحماسة للبريزي طبع أوربا
ص ٨٠٨ أن قائله زياد بن حل بن سعد بن عبيدة بن حريث ويقال زياد بن مفضل . ومثله في لسان
العرب (في مادة أشي) غير أنه ورد فيه : « زياد بن حد » بالدال محرفا . (٣) أشي : موضع
بالوشم . والوشم : واد بالجماعة ؛ ذكر ذلك ياقوت واستشهد بالأشيات . (٤) هضم : جمع هضم .
وفتيان هضم : يهضمون المال أي يكسرونه وينفقونه . (٥) ارتفع « هم » الأخير يزيد .
وقد وضع الضمير المنفصل موضع المتصل ؛ لأنه كان الوجه أن يقول إلا يزيدونهم حبا إلى ؛ ومثله لطرفة :
أصرمت جبل الحلى إذ صرموا * يا صاح بل صرم الوصال هم
(عن شرح ديوان الحماسة للبريزي) .



صوت

صوت ابن صاحب
الوضوء في شعر
النايفة

خَطَاطِيفُ مَجْنٍ فِي حِبَالِ مَتِينَةٍ * تَمُدُّ بِهَا أَيْدِيكَ نَوَازِعُ
فَإِنْ كُنْتَ لَإِذَا الضَّغْنِ عَنِّي مَكْذِبًا * وَلَا حَلْفِي عِنْدَ الْبَرَاءَةِ نَافِعُ
فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي * وَإِنْ جَلْتُ أَنْ الْمُتَتَايَ عَنْكَ وَاسِعُ

عروضه من الطويل . يقول : أنا في قبضتك متى شئت قدرت على كآني
في خطاطيف تجذبني إليك ولا أقدر على الهرب منك . ويروى " وإن جلت أن
المتتوي " أي الموضع الذي تنوي قصده . والمتتاي : المفتعل من التأي .
والمجنن : المعوجة والنوازع : الجواذب . والجنن : الحقد .

الشعر للنايفة الدبباني . والغناء لابن صاحب الوضوء من رواية إسحاق وعمرو
ماخوري بالبصرة .



انتهى الجزء العاشر من كتاب الأغاني

ويليه الجزء الحادي عشر

وأوله أخار النايفة ونسبه

